

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الرابع عشر



دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

(١٤)

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٢٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٣-٠٨-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٤)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

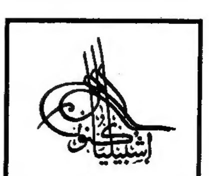
رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٣-٠٨-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٤)

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

١٩٩- باب سنة الظهر

الحديث رقم (١١١٥)

١١١٥ - عن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا[1]. متفقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى سنة من سنن الصلاة التي يتتبعها أتباع النبي ﷺ والصالحون في كل مكان، وزمان يقتدون بهم دون الناس، ويروي الحديث ابن عمر رضي الله عنهما في إشارة إلى سنة عملية طبقها مع الرسول ﷺ في قوله (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا) والفعل الماضي يشير إلى تحققه، والمعية المفهومة من قوله: (مع رسول الله ﷺ) تشير إلى شرف الصحبة، والطباق بين قبل، وبعد يشير إلى إحاطة النافلة بصلاة الظهر، ويؤكد موضعها من الفريضة بما يفتح للمتسابقين في الخيرات بابا للمنافسة.

فقه الحديث

١ - قال ابن حجر: (قال الداودي: وقع في حديث ابن عمر "أن قبل الظهر ركعتين" وفي حديث عائشة "أربعًا"، وهو محمول على أن كل واحد منهما وَصَفَ ما رأى. قال: ويحتمل أن يكون نسي ابن عمر ركعتين من الأربع. قلت: [القائل ابن حجر]: هذا الاحتمال بعيد، والأولى أن يحمل على حالين، فكان تارة يصلّي ثنتين، وتارة يصلّي أربعًا.

---

(١) لفظ البخاري: (بعد الظهر).

(٢) أخرجه البخاري (١١٦٥) واللفظ له، ومسلم (٧٢٩/١٠٤).

وقيل: هو محمول على أنه إذا كان في المسجد فيصلي ركعتين، فرأى ابن عمر ما في المسجد دون ما في بيته، واطلعت عائشة رضي الله عنها على الأمرين، ويقوى الأول ما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها "كان يصلي قبل الظهر أربعًا ثم يخرج" قال أبو جعفر الطبري: الأربع كانت في كثير من أحواله، والركعتان في قليلها)[١].

٢ - قال النووي: (قولها كان النبي ﷺ يصلِّي في بيتي قبل الظهر أربعًا، ثم يخرج فيصلِّي بالناس ثم يدخل فيصلِّي ركعتين وذكرت مثله في المغرب والعشاء ونحوه من حديث ابن عمر[٢]: فيه استحباب النوافل الراتبة في البيت كما يستحب فيه غيرها، ولا خلاف في هذا عندنا، وبه قال الجمهور، وسواء عندنا وعندهم راتبة فرائض النهار والليل، وقال جماعة من السلف: الاختيار فعلها في المسجد كلها. وقال مالك والثوري: الأفضل فعل نوافل النهار الراتبة في المسجد وراتبة الليل في البيت، ودليلنا هذه الأحاديث الصحيحة، وفيها التصريح بأنه ﷺ يصلي سنة الصبح[٣] والجمعة في بيته[٤]. وهما صلاتا نهار مع قوله ﷺ: "أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة"[٥] وهذا عام صحيح صريح لا معارض له، فليس لأحد العدول عنه، والله أعلم)[٦].

المضامين الدعوية[٧]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في صلاة سنة الظهر.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٥٨ - ٥٩ .

(٢) أخرجه البخاري ١١٧٢، ومسلم ٧٢٩، ١٠٤.

(٣) انظر الأحاديث المتقدمة من ١١٠٢ - ١١١٣.

(٤) أخرجه مسلم ٨٨٢ عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان لا يصلِّي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين في بيته.

(٥) أخرجه البخاري ٧٣١، ومسلم ٧٨١.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ،مج٣/٦/٩ ، وانظر المغني ٢/٥٤٣ - ٥٤٤، ونيل الأوطار ٤٧٩ .

(٧) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١١٥ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١١٦).

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على سنة الظهر.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من إخبار ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما عن هدي النبي ﷺ في صلاة سنة الظهر، والإخبار من الأساليب الدعوية التي يكون بها بيان ما ورد في الشرع وتوضيحه، فضلاً عن إرشاد المدعوين إلى فعل ما يجب عليهم على النحو الذي يتفق مع الشرع.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في صلاة سنة الظهر:

هذا ما أشار إليه ابن عمر رضي الله عنهما في الحديث من قوله: (صليت مع رسول الله ﷺ ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها)، وأيضًا في قول عائشة رضي الله عنها: (إن النبي ﷺ كان لا يدع أربعًا قبل الظهر..).

وقد أفرد البخاري لبيان هدي النبي ﷺ في سنة الظهر: (باب الركعتين قبل الظهر)[1]، وساق تحته حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال ابن حجر: "وأما حديث عائشة رضي الله عنها فقوله فيه: إنه كان لا يدع أربعًا قبل الظهر، لا يطابق الترجمة"[2]، وفي الجمع بينهما قال ابن حجر: "الأول أن يحمل على الحالين: فكان تارة يصلي ثنتين وتارة يصلي أربعًا، وقيل: هو محمول على أنه كان في المسجد يقتصر على ركعتين، وفي بيته يصلي أربعًا، ويحتمل أن يكون يصلي إذا كان في بيته ركعتين ثم يخرج إلى المسجد فيصلي ركعتين، فرأى ابن عمر ما في المسجد دون ما في بيته واطلعت عائشة رضي الله عنها على الأمرين... قال أبو جعفر الطبري: الأربع كانت في كثير من أحواله، والركعتان في قليلها"[3].

وقال ابن عثيمين: "والظهر له ست ركعات أربع قبله بسلامين وركعتان بعده، وأنه إذا نسي الإنسان أو فاته الأربع القبلية فإنه يصليها بعد الظهر، لأن الرواتب تقضى كما

---

(١) البخاري، كتاب التهجد، باب: الركعتين قبل الظهر، رقم ٣٤ ص ١٨٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/ ٧٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/ ٧٠.

تُقضى الفرائض"[١].

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على سنة الظهر.

قال ابن عثيمين: "وفي هذه الأحاديث دليل على أن الإنسان ينبغي له أن يحافظ على الرواتب، لقول عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ لا يدع أربعًا قبل الظهر، يعني لا يتركها"[٢]، وقال ابن علان: "أي لا يترك أربعًا قبل الظهر لاهتمامه بها"[٣]، فعلى المدعو أن يقتدي بالنبي ﷺ في الحرص والمحافظة على السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، وقد بين النووي الحكمة في شرعية النوافل فقال: "قال العلماء: والحكمة تكميل الفرائض بها إن عرض فيها نقص، ولترتاض نفسه بتقديم النافلة ويتنشط بها ويتفرغ قلبه أكمل فراغ للفريضة"[٤]، وبالحرص على أداء النوافل يكون حب الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))[٥]، قال ابن حجر: "في قوله: (بالنوافل حتى أحببته) في رواية الكشميهني (أحبه) ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل"[٦]، فعلى المدعو أن يحرص ويحافظ على السنن الراتبة، بما في ذلك سنة الظهر للحصول على كامل الأجر والثواب.

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٣٢٦/٢.

(٢) المرجع السابق ١٣٢٦/٢ - ١٣٢٧.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٧١.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٤.

(٥) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥١/١١.

الحديث رقم (١١١٦)

١١١٦ - وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لا يَدَعُ أرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه في بيان سنة صلاة الظهر القبلية، وقد روت الحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأسلوب خبري مؤكد ببعض المؤكدات التي تدعم الخبر في نفس السامع، وتوفر العناية بالخبر، واستخدام (كان) يشير إلى العادة الغالبة في الفعل، وقولها (لا يَدَعُ أرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ) أسلوب نفي يقرر مواظبته على هذه النافلة بوقتها قبل صلاة الفريضة في الظهر، وعددها المتمثل في أربع ركعات كبيان لأمته لتقتدي به في أدائها.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى سنة الظهر القبلية، وقد سبق بيان حكمها في الحديث (١١٠٠).

المضامين الدعوية[2]

(١) برقم (١١٨٢)، وزاد في آخره: (وركعتين قبل الغداة).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١١٧)

١١١٧- وعنها، قالت: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُصَلِّي في بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أرْبَعًا، ثُمَّ يَخْرُجُ، فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ المَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ العِشَاءِ، وَيَدْخُلُ بَيتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. رَوَاهُ مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

نقلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أكثر السنن التي كان يؤديها النبي ﷺ في بيته، لأنه لا يطلع عليها فيه إلا آل بيته لاسيما أزواجه، وخاصة عائشة رحمها الله رحمة واسعة بما حفظت للأمة من سنن رسوله ﷺ، وقول أم المؤمنين رضي الله عنها (كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُصَلِّي في بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أرْبَعاً) يشير إلى ما غلب على فعله في السنن، وقولها (يصلي) مضارع يصور الحدث وتجدده واستمراره، وقولها (في بيتي) يشعر بالخصوصية التي تشير إلى صدق الخبر، ودقة تفاصيله التي نقلتها بالمشاهدة المباشرة، وقولها (قبل الظهر) يشير إلى وقت السنة، وقولها (أربعا) يشير إلى عددها، وقوله (ثم) يعطي فترة زمنية هي فترة بقائه في البيت بين الأذان، والإقامة، وقولها: (ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ) إشارة إلى السنة البعدية للظهر، والأفعال المضارعة (يصلي - بيتي - يخرج - يدخل) ثم تكرار فعل الصلاة المضارع عدة مرات ثم الدخول، والخروج بين بيته، والمسجد في حركة دائبة دائمة في استغراق شامل لحياته في مرضاة الله تعالى وإذا نظرنا نظرة أوسع حول بيته، ومسجده وجدنا شعاع النور الذي يفيض من قلب الرسول يجمع حوله الصحابة في صور القدوة التي تجعل المجتمع المسلم كخلية النحل بين الصلاة، والذكر، والتلاوة وغيرها.

---

(١) برقم (١٠٥/٧٣٠).

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الآتية:

١ - استحباب أربع ركعات قبل الظهر، وركعتين بعدها - وقد سبق بيان ذلك في الحديث رقم (١١٠٠).

٢ - استحباب ركعتين بعد المغرب[١]، وركعتين بعد العشاء[٢].

٣ - مكان صلاة الفاضلة: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يستحب أداء النوافل في البيت - يستوي في ذلك راتبة فرائض النهار والليل.

- وقال جماعة من السلف: الاختيار فعلها كلها في المسجد.

- وقال مالك والثوري: الأفضل فعل نوافل النهار الراتبة في المسجد، وراتبة الليل في البيت[٣].

والراجح: رأي الجمهور الذي يرى استحباب أداء النوافل في البيت، لقول رسول الله ﷺ: ((أفضلَ الصلاةِ صلاةُ المرءِ في بَيتهِ، إلاّ المكتوبةَ)).

قال الإمام النووي: (وهذا عام صريح لا معارض له، فليس لأحد العدول عنه والله أعلم)[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة السنن الرواتب.

ثالثا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة النوافل في البيت.

---

(١) المغني، ابن قدامة ٤٣٤/١، شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن يوسف الزرقاني ٤٧٧/١، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢١٩/٢، نيل الأوطار ١٨/٢.

(٢) المغني، ابن قدامة ٤٣٤/١، شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن يوسف الزرقاني ٤٧٨/١، نيل الأوطار ١٨/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٩/٦، نيل الأوطار ١٨/٢، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٤٢٠/٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠/٦.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من إخبار عائشة رضي الله عنها لهدي النبي ﷺ في صلاته للنوافل بأن جعلها في بيته، والإخبار من الأساليب التي تعين الداعية على بيان هدي النبي ﷺ وسنته في الأمر كله، بما يوضح للمدعوين ما خفي عليهم من أمره ﷺ.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة السنن الرواتب:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في قول عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ يصلي في بيتي قبل الظهر أربعًا ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين)، وذكرت مثله في المغرب والعشاء، وفي بيان الحكمة التي من أجلها شرعت النوافل يكون الحرص عليها، وهذا ما بينه القاضي عياض في قوله: "قال بعض المتكلمين: ووجه الحكمة في تقديم هذه النوافل على الفرائض، لتوطين النفس فيها وامتحانها بالإقبال على عبادة الله، وإخلاء سرّه مما كان قبل فيه من أمور الدنيا، حتى لا يدخل في فريضته إلا ونفسه مرتضاة بذلك، وظاهره وباطنه جميعٌ لأدائها على وجهها، وليصحبها من النوافل قبلها وبعدها ما يجده لجبر نقص فرضه مما يدخله من وهم أو سهو، على ما جاء في الحديث من جبر نقص فرائض العبد بنوافله"[١]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنَّ أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملهِ صَلاتُه، فإن صَلُحَتْ فقد أفلحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خابَ وخسرَ، فإن انتقصَ من فريضته شيء قال الرب تبارك وتعالى: أنظروا هل لِعَبْدِيَ منْ تطوعٍ؟ فيُكَمَّلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ، ثم يكونُ سائرُ عملِهِ على ذلك))[٢]، قال العراقي: "يحتمل أن يراد به ما انتقصه من السنن والهيئات المشروعة فيها من الخشوع والأذكار والأدعية، وأنه يحصل له ثواب ذلك في الفريضة وإن لم يفعله، وإنما فعله في التطوع، ويحتمل أن يراد به ما انتقص أيضًا من فروضها وشروطها، ويحتمل أن يراد ما ترك من الفرائض رأسًا

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٧١/٣.

(٢) أخرجه الترمذي ٤١٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٣٣٧).

فلم يصله فيعوض عنه من التطوع"[١]، وفي ذلك بيان عظيم على أهمية الحرص على النوافل لما في ذلك كمال الأجر فيما انتقص من أداء الفرائض.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة النوافل في البيت:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في حرصه ﷺ على صلاة النوافل في بيته، وذلك من قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (كان النبي ﷺ يصلي في بيتي قبل الظهر أربعًا، ثم يخرج، فيصلي بالناس... إلخ)، قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث أن النوافل أفضل ما أتي بها في بيت الإنسان، وذلك به يخلص العبد من مداناة الرياء؛ لأن الفرائض تسلم من ذلك من أجل أنه يؤدي العبد بها حقًا واجبًا فهو كمن قضى دينًا، وأما النوافل فوضعها على التبرع والاختيار فإذا أتى بها ظاهرًا، أظهر ما إخفاؤه أفضل له وأحزم"[٢]، وقد بين ﷺ فضل صلاة النافلة في البيت فقال: ((إِذَا قَضَى أَحَدُكُمُ الصَّلاَةَ فِي مَسْجِدِهِ، فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلاَتِهِ. فَإِنَّ اللّٰه جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلاَتِهِ خَيْرًا))[٣]، وقال ﷺ: ((مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللّٰهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللّٰهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))[٤]، وقال ﷺ: ((اجْعَلُوا مِنْ صَلاَتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ. وَلاَ تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا))[٥]، قال النووي: "معناه: صلوا فيها لا تجعلوها كالقبور مهجور من الصلاة، والمراد به صلاة النافلة أي: صلوا النوافل في بيوتكم"[٦].

وقال القاضي عياض: "هذا من التمثيل البديع حين شبّه البيت الذي لا يُصلى فيه بالقبر الذي لا يتأتى فيه من ساكنه عبادة، وشبه النائم ليله كله بالميت في قبره وكذلك تمثيله بالحي والميت؛ لأن العمل إنما يتأتى من الحي، وقد يرجع التمثيل إلى

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٠٨/١ - ٧٠٩.

(٢) الإفصاح ٣٢/٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦١١٣، ومسلم ٧٧٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٧٠٤، ومسلم ٧٧٩.

(٥) أخرجه مسلم ٧٧٧.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٧٨١.

صاحب البيت"[١].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: احْتَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ حُجَيْرَةً بِخَصَفَةٍ أَوْ حَصِيرٍ. فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ يُصَلِّي فِيهَا. قَالَ فَتَتَبَّعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ وَجَاءُوا يُصَلُّونَ بِصَلاَتِهِ. قَالَ ثُمَّ جَاؤُوا لَيْلَةً فَحَضَرُوا. وَأَبْطَأَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْهُمْ. قَالَ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ. فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَحَصَبُوا الْبَابَ. فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ مُغْضَبًا. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ: ((مَا زَالَ بِكُمْ صَنِيعُكُمْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُكْتَبُ عَلَيْكُمْ. فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلاَةِ فِي بُيُوتِكُمْ. فَإِنَّ خَيْرَ صَلاَةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ. إِلاَّ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ))[٢]، قال القاضي عياض: "وقوله: (احتجر النبي ﷺ حجيرة بخصيفة أو حصير)، أي: اقتطع موضعًا حجره عن غيره، أو لهذه العبادة عن غيرها، والحجرُ: المنع، ومنه سميت الحجرة، وحجيرة بتصغيرها، والخصفة والحصير بمعنى، والخصف: ما صنع من خوص المُقل والنخل"[٣]، قال النووي: "وقوله ﷺ: (فإن خير صلاء المرء في بيته إلا المكتوبة) هذا عام في جميع النوافل المرتبة مع الفرائض والمطلقة، إلا في النوافل التي هي من شعائر الإسلام، وهي العيد والكسوف والاستسقاء وكذا التراويح على الأصح، فإنها مشروعة في جماعة في المسجد والاستسقاء في الصحراء، وكذا العيد إذا ضاق المسجد والله أعلم"[٤]، وفي ذلك بيان على فضل صلاة النوافل في البيت.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٤٤/٣.

(٢) أخرجه مسلم ٧٨١.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٤٥/٣ - ١٤٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٢٩.

الحديث رقم (١١١٨)

١١١٨ - وعن أُمِّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها، قالت: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ)) رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ[1]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح).

ترجمة الراوي:

ام حبيبة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (١٠٩٩).

الشرح الأدبي

نار جهنم أكبر مرهوب بالنسبة للمؤمن الذي استقر اليقين بها في قلبه يتخذ كل وسيلة تنجيه منها، ويسلك كل طريق يبعده عنها، والرسول ﷺ يعرف ذلك في نفوس المؤمنين فاتخذ منه وسيلة يرغبهم بها في عمل ينجيهم من هذا الهول، والحديث يبدأ بقوله(مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ) من اسم موصول متضمن معنى الشرط، وأسلوب الشرط من الأساليب الخبرية التي تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرًّ الاختيار بعد توضيح العاقبة التي تنجيه من أكبر المهلكات بصلاة أربع ركعات قبل الظهر، وأربعِ بعدها وقوله: (حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ) جملة جواب الشرط التي ترتبط بفعل المحافظة وجودا، وعدما، والتحريم على النار يتضمن البشرى بدخول الجنة، ونسبة التحريم لله تعالى تؤكد النجاة من النار.

فقه الحديث

قال الشوكاني: (الحديث يدل على تأكد استحباب أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعده، وكفى بهذا الترغيب باعثًا على ذلك)[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢٦٩)، والترمذي (٤٢٨) واللفظ له، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ، وصحّحه ابن خزيمة (١١٩٥)، وقال الحاكم (٣١٢/١): صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٨٣٥).

(٢) نيل الأوطار ٤٧٧، وانظر المغني ٥٤٤/٢ - ٥٤٥ .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان الجزاء المترتب على فعل الطاعات.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها:

هذا ما اشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: (من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعدها، حرمه الله على النار)، وفي بيان حثه ﷺ على ذلك قال صاحب عون المعبود: "في المراد بقوله ﷺ: (من حافظ)، أي: داوم وواظب، وقوله ﷺ: (أربع بعدها)، أي: ركعتان منها مؤكدة، وركعتان مستحبة فالأولى بتسليمتين وقوله ﷺ (حُرم على النار)، أي: حرمه الله على النار، وفي رواية: (لم تمسه النار)[1]، وفي رواية: (حرمه الله عز وجل على النار)[2]، وفي أخرى: (حرم الله عز وجل لحمه على النار)[3]، وقد اختلف في معنى ذلك هل المراد أنه لا يدخل النار أصلاً، أو أنه إن قدر عليه دخولها لا تأكله النار، أو أنه يحرم على النار أن تستوعب أجزاءه وإن مست بعضه كما في بعض طرق الحديث عند النسائي بلفظ: ((فَتَمَسُّ وَجْهَهُ النَّارُ أَبَدًا إنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ))[4]، وهو موافق لقوله في الحديث الصحيح: ((وحَرَّمَ الله عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ))[5]، فيكون قد أطلق الكل وأريد البعض مجازًا والحمل على الحقيقة أولى وأن الله تعالى يحرم جميعه على النار، وفضل الله أوسع ورحمته أعم، والحديث يدل

---

(١) أخرجه النسائي ١٨١٧ صححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٧١٢).

(٢) أخرجه النسائي ١٨١٤ صححه الألباني، (صحيح صنن النسائي ١٧١٠).

(٣) أخرجه النسائي ١٨١٢ صححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٧٠٨).

(٤) أخرجه النسائي ١٨١٣ صححه الألباني بما قبله، (صحيح سنن النسائي ١٧٠٩).

(٥) أخرجه النسائي ١١٤٠ صححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٠٩٢).

على تأكيد استحباب أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعده، وكفى بهذا الترغيب باعثًا على ذلك"[١]، وفي ذلك بيان على أهمية الحرص والمحافظة على صلاة أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[٢]، "والرغبة: السؤال والطمع، ويرغب رغبة إذا حرص على الشيء وطمع فيه"[٣]، "فالترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه"[٤]، "وقد كان رسول الله ﷺ مرغبًا ولم يكن يومًا من الأيام منفرًا؛ لأنه بشير ونذير ﷺ يحب الترغيب ويؤكد عليه ويدعو أمته إليه ﷺ، والداعية المسلم عليه أن يرغب المدعوين فيما عند الله من الجود والكرم والعطايا"[٥].

وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي المهم في الحديث من ترغيبه ﷺ في المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها، وذلك بتحريم النار على من يداوم ويواظب على ذلك.

ثالثًا - من مهام الداعية: بيان الجزاء المترتب على فعل الطاعات:

هذا ما ورد في الحديث من بيانه ﷺ لتحريم النار على من يواظب ويداوم على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها، فمن فقه الداعية بيان الجزاء المترتب على فعل الطاعات، لما في ذلك من حصول الترغيب والتشويق لفعلها، "فالنفس البشرية مطبوعة على الخير وفعله، الأمر الذي يجعل صاحبها - ذكرًا كان أم أنثى صغيرًا كان أم كبيرًا - يتقبل كل ما يحقق له ذلك، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات

---

(١) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد شمس الحق بن أمير العظيم آبادي ص ٦٠٢.
(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.
(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، الهجاري ص ٥٠٩.
(٤) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان ص ٤٢١.
(٥) قواعد الدعوة الإسلامية، حمدان الهجاري ص ٥١٢.

كبيان جنس الطاعات، وأنه إذا قام بما أوجبه جل وعلا سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة، وقد ورد ذلك في قول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[١][٢].

ففعل الطاعات والقيام بالعبادات لله تعالى، هو روح القلوب ولذّات النفوس، وبها يكون نعيم الدنيا والآخرة، قال ابن القيم: "إن نفس الإيمان بالله وعبادته ومحبته وإخلاص العمل له وإفراده بالتوكل عليه، هو غذاءُ الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه، كما دَلَّ عليه أَهل الإيمان، وكما دل عليه القرآن، لا كما يقوله من يقول: إن عبادته تكليف ومشقة على خلاف مقصود القلب ولذته؛ لمجرد الامتحان والابتلاء، كما يقوله مُنكرو الحكمة والتعليل، أو لأجل التعويض بالأجر؛ لما فى إيصاله إليه بدون معاوضة منه تكدره، أو لأجل تهذيب النفس ورياضتها، واستعدادها لقبول العقليات، كما يقوله من يتقرب إلى النبوات من الفلاسفة، بل الأمر أعظم من ذلك كله وأجل، بل أوامر المحبوب، قرة العيون، وسرور القلوب، ونعيم الأرواح ولذات النفوس، وبها كمال النعيم، فقرة عين المحب فى الصلاة والحج، وفرح قلبه وسروره ونعيمه فى ذلكَ، وفى الصيام والذكر والتلاوة، وأَما الصدقة فعجب من العجب، وأما الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والدعوة إلى الله والصبر على أعداء الله سبحانه، فاللذة بذلك أمر آخر لا يناله الوصف، ولا يدركه من ليس له نصيب منه، وكل من كان به أقوَمَ كان نصيبه من الالتذاذ به أعظم، ومن غلظ فهمه وكَثُفَ طبعه عن إدراك هذا، فليتأَمل إِقدام القوم على قتل آبائهم وأَبنائهم وأَحبابهم، ومفارقة أَوطانهم وبذل نحورهم لأَعدائهم، ومحبتهم للقتل وإيثارهم له على البقاء، وإيثار لوم اللائمين وذم المخالفين على مدحهم وتعظيمهم، ووقوع هذا من البشر بدون أَمر يذوقه من حلاوته ولذته وسروره

(١) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، حمدان الهجاري ص ٤٤١.

ونعيمه ممتنع، والواقع شاهد بذلك، بل ما قام بقلوبهم من اللّذة والسرور والنعيم أَعظم مما يقوم بقلب العاشق الذى يتحمل ما يتحمله فى موافقة رضى معشوقه، فهو يلتذ به ويتنعم به، لما يعلم من سرور معشوقة به:

فيا منكرًا هذا تأَخَّر فإِنه حرام على الخفاش أَن يبصر الشمسا

فمن كان مراده وحبه الله، وحياته فى معرفته ومحبته، ونعيمه فى التوجه إِليه وذكره، وطمأْنينته به وسكونه إِليه وحده، عرف هذا وأَقر به.

وأما في الآخرة فيكون حسن الجزاء على الطاعات بكمال النعيم؛ لأن كمال النعيم في الدار الآخرة أيضًا به سبحانه وتعالى، برؤيته وسماع كلامه وقربه ورضوانه، لا كما يزعم من يزعم أنه لا لذة في الآخرة بالمخلوق، من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح، بل اللذة والنعيم التام في حظهم من الخالق تعالى، أعظم وأعظم ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، وفي دعاء النبي ﷺ الذي رواه الإمام أحمد في مسنده وابن حبان والحاكم في صحيحيهما: ((أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِكَ، فِى غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، ولا وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ))[1]، ولهذا قال تعالى في حق الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾[2]، فعذاب الحجاب من أعظم أنواع العذاب الذي يُعذب به أعداؤه، ولذة النظر إلى وجه الله الكريم أعظم أنواع اللذات التي ينعم بها أولياءه، ولا تقوم حظوظهم من سائر المخلوقات مقام حظهم من رؤيته وسماع كلامه، والدنو منه وقربه"[3]. وهذا لا يكون إلا بفعل الطاعات والتقرب إلى الله بالعبادات.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٦٤/٤، رقم ١٨٣٢٥، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٢٦٥/٣٠، وابن حبان ١٩٧١.

(٢) سورة المطففين، الآيتان: ١٥ - ١٦.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٦٦ - ٦٧ بتصرف يسير.

الحديث رقم (١١١٩)

١١١٩ - وعن عبد الله بن السائب ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وقَالَ: ((إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيها أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ)) رواه التِّرمِذِيُّ[١]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن السائب بن أبي السائب: وهو عبدالله بن السائب بن أبي السائب، واسم أبي السائب صيفي بن عابد بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة، القرشي، المخزومي، المكي، القارئ، يكنى أبا عبدالرحمن، ويقال: أبو السائب، ويعرف بالقارئ، وكان أبوه شريك النبي ﷺ فعن السائب بن أبي السائب أنه كان شريك النبي ﷺ في أول الإسلام في التجارة، فلما كان يوم الفتح قال: ((مرحبًا بأخي وشريكي، لا يُدارِي ولا يماري))[٢] وأسلم عبدالله يوم الفتح، وهو في عداد صغار الصحابة، وله رواية، روى له البخاري في "الأدب" والباقون.

وكان يحرص على القرب من رسول الله ﷺ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فعنه أنه قال: صلى لنا النبي ﷺ الصبح بمكة، فاستفتح سورة المؤمنون، حتى جاء ذكرُ موسى وهارون عليهما السلام أو ذكر عيسى أخذت النبيَّ ﷺ سَعْلَةٌ[٣] فركع[٤].

وهو مقرئ مكة، فقرأ القرآن على أبيٍّ بن كعب، وأخذ عنه أهل مكة القراءة، وعليه قرأ مجاهد وغيره من قرّاء أهل مكة، وكان ممن يُفْتَخر بهم، أخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن مجاهد قال: كنا نفخر على الناس بقارئنا عبدالله بن السائب،

---

(١) برقم (٤٧٨) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٨٣٨).

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، (٢/٣٧٣، ٣٧٤)، حديث رقم (٢٤٠٤)، وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال محقق المسند: أخرجه أحمد وابن ماجه وأبو داود، وفي سنده اضطراب.

(٣) قال السندي: سعلة: مرة من السعال قيل إنما أخذته من البكاء، حاشية السندي على مسند أحمد (١١٤/٢٤).

(٤) أخرجه مسلم ٤٥٥.

وبفقيهنا عبدالله بن عباس، وبمؤذننا أبي مَحْذُورة، وبقاضينا عبيد بن عمير، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء عن سنده: "هو صحيح". وترجم له ابن سعد فيمن نزل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ فقد سكن عبدالله بن السائب مكة، وظل بها حتى مات في إمارة عبدالله بن الزبير، وصلّى عليه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ولم يذكر المؤرخون عمرهُ والسنة التي مات فيها[١].

غريب الألفاظ:

تزول الشمس: تميل عن منتصف السماء. وبه يدخل وقت الظهر[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يرغب في صلاة أربع ركعات قبل الظهر، وقد جاء الترغيب في هذه النافلة من وجهين، الأول: أنه فعلها، ومن ثَمْ صارت سنة للمؤمنين بفعله، والوجه الثاني الترغيب بذكر المزية الخاصة بالوقت الفاضل لتوقيت هذه الصلاة والتي قررها في قوله (إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيها أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ) والتعبير بفتح أبواب السماء كناية عن ساعة الإجابة، وجمع الأبواب للتكثير الذي يزيد في الترغيب، وقول الرسول ﷺ (فأحب) يصعِّد الترغيب في العمل، والتعبير بالصعود يوحي بالرقي الذي يبشر برقي صاحبه، والجار، والمجرور(لي) يفيد التخصيص، والجار، والمجرور (فيها) يشير إلى خصوصية الوقت الفاضل، ووصف العمل بالصالح مدح، وثناء على تلك الركعات التي تلبثت بالزمن الفاضل الذي وافق ساعة تفتح فيها أبواب السماء بالخيرات بمختلف العطايا.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤٤٥/٥)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٤٣٧)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٥٤/٣، ٢٥٥)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٧٧٦، ٧٧٧)، سير أعلام النبوة (٢٨٨/٣ - ٣٩٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٤١/٤، ١٤٢)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٤١/٢، ٣٤٢)، السندي (١١٢/٢٤)، موسوعة عظماء حول الرسول (١٢٠٩/٢، ١٢١٠).

(٢) معجم لغة الفقهاء ٢٠٨، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٨٠.

المضامين الدعوية [(١)]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة أربع ركعات بعد الزوال.

ثالثًا: من آداب المدعو: اغتنام فرص الأوقات الفاضلة.

رابعًا: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في المحافظة على السنن الرواتب وأهمية ذلك.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من إخبار الراوي بهدي النبي ﷺ في صلاته لأربع ركعات بعد زوال الشمس قبل الظهر والتأكيد على فضلها، والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ وبيان ما خفي على المدعوين من هدي النبي ﷺ في الأمور كلها، بما يحصل به الاقتداء والتأسي بهديه ﷺ على الوجه الصحيح.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة أربع ركعات بعد الزوال:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قول عبدالله بن السائب رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ كان يصلي أربعًا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر... إلخ)، وفي بيان ذلك قال المباركفوري: "قال العراقي: هي غير الأربع التي هي سنة الظهر قبلها وتسمى سنة الزوال (وقال إنها) أي ما بعد الزوال، وأنثهُ باعتبار الخبر وهو (ساعة تفتح) بالتخفيف ويجوز التشديد (فيها أبواب السماء) لطلوع أعمال الصالحين"[(٢)]، قال صاحب عون المعبود: "وفيه كناية عن حسن القبول وسرعة الوصول"[(٣)]، "وقوله ﷺ: (فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح)، فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[(٤)]"[(٥)].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١١٩ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٢٠).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٥٥/١.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٠٢.

(٤) سورة فاطر، آية: ١٠.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٥٥/١.

"أي: "إليه يصعد الكلم الطيب من قراءة، وتسبيح، وتحميد، وتهليل، وكل كلام حسن طيب، فيرفع إلى الله ويعرض عليه، ويثني اللهُ على صاحبه بين الملأ الأعلى"، "والعمل الصالح من أعمال القلوب وأعمال الجوارح (يرفعه) الله تعالى إليه أيضًا كالكلم الطيب"[1]، وفي ذلك بيان على عظم فضل وأهمية صلاة أربع ركعات بعد زوال الشمس قبل الظهر. ومن شدة اهتمام الرسول ﷺ بتلك الركعات وحرصه عليها أنه كان إذا فاتته قبل الظهر صلاها بعده لحديث عائشة رضي الله عنها "أن النبي ﷺ كان إذا لم يصلي أربعًا قبل الظهر صلاهن بعدها" أي: "بعد الظهر بعد الركعتين"[2].

وفي بيان ذلك قال ابن عثيمين: "إن صلاة الظهر لها ست ركعات: أربع قبلها بسلامين، وركعتان بعدها، وأنه إذا نسي الإنسان أو فاته الأربع القبلية فإنه يصليها بعد الظهر لأن الرواتب تقضى كما تقضى الفرائض"[3]، وخير دليل على ذلك ما رواه كريب مولى ابن عباس رضي الله عنهما أن عبدالله بن عباس وعبدالرحمن بن أزهر والمسور بن مخرمة رضي الله عنهم أَرْسَلُوهُ إِلَىٰ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالُوا: اقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنَّا جَمِيعًا وَسَلْهَا عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ. وَقُلْ: إِنَّا أُخْبِرْنَا أَنَّكِ تُصَلِّينَهُمَا. وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ نَهَىٰ عَنْهُمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَكُنْتُ أضرب[4] مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ النَّاسَ عَنها. قَالَ كُرَيْبٌ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا وَبَلَّغْتُهَا مَا أَرْسَلُونِي بِهِ. فَقَالَتْ: سَلْ أُمَّ سَلَمَةَ. فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرْتُهُمْ بِقَوْلِهَا. فَرَدُّونِي إِلَىٰ أُمِّ سَلَمَةَ، بِمِثْلِ مَا أَرْسَلُونِي بِهِ إِلَىٰ عَائِشَةَ. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ يَنْهَىٰ عَنْهُمَا. ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا. أَمَّا حِينَ صَلاَّهُمَا فَإِنَّهُ صَلَّى الْعَصْرَ. ثُمَّ دَخَلَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦١٢.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٢٣/١.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٣٢٦/٢.

(٤) هكذا وقع في بعض الأصول أضرب الناس عليها، وفي بعض أصرف الناس عنها، وكلاهما صحيح ولا منافاة بينهما، وكان يضربهم عليها في وقت ويصرفهم عنها في وقت من غير ضرب أو يصرفهم مع الضرب، ولعله كان يضرب من بلغه النهي ويصرف من لم يبلغه من غير ضرب وقد جاء في غير مسلم أنه كان يضرب عليها بالدرة. قاله النووي في شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٥١.

وَعِنْدِي نِسْوَةٌ مِنْ بَنِي حَرَامٍ مِنَ الأَنْصَارِ. فَصَلاَّهُمَا. فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ فَقُلْتُ: قُومِي بِجَنْبِهِ فَقُولِي لَهُ: تَقُولُ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَنْهَى عَنْ هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ. وَأَرَاكَ تُصَلِّيهِمَا؟ فَإِنْ أَشَارَ بِيَدِهِ فَاسْتَأْخِرِي عَنْهُ. قَالَ فَفَعَلَتِ الْجَارِيَةُ. فَأَشَارَ بِيَدِهِ. فَاسْتَأْخَرَتْ عَنْهُ. فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: ((يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ. إِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ بِالإِسْلاَمِ مِنْ قَوْمِهِمْ. فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ. فَهُمَا هَاتَانِ))[1].

قال النووي: "فيه فوائد، منها إثبات سنة الظهر بعدها. ومنها أن السنن الراتبة إذا فاتت يستحب قضاؤها، وهو الصحيح عندنا. ومنها أن الصلاة التي لها سبب لا تكره في وقت النهي وإنما يكره ما لا سبب لها، وهذا الحديث هو عمدة أصحابنا في المسألة، وليس لنا أصح دلالة منه، ودلالته ظاهرة، فإن قيل: فقد داوم النبي ﷺ عليها ولا يقولون بهذا. قلنا: لأصحابنا في هذا وجهان حكاهما المتولي وغيره: أحدهما القول به فمن دأبه سنة راتبة فقضاها في وقت النهي، كان له أن يداوم على صلاة مثلها في ذلك الوقت. والثاني وهو الأصح الأشهر ليس له ذلك، وهذا من خصائص رسول الله ﷺ، وتحصل الدلالة بفعله ﷺ في اليوم الأول، فإن قيل: هذا خاص بالنبي ﷺ. قلنا: الأصل الاقتداء به ﷺ وعدم التخصيص حتى يقوم دليل به، بل هنا دلالة ظاهرة على عدم التخصيص، وهي أنه ﷺ بين أنها سنة الظهر ولم يقل هذا الفعل مختص بي، وسكوته ظاهر في جواز الاقتداء"[2]، وفي ذلك بيان على أهمية الحرص والمحافظة على السنن الرواتب ومنها سنة الظهر.

ثالثًا - من آداب المدعو: اغتنام فرص الأوقات الفاضلة:

"لقد اختص الحق تبارك وتعالى بعض الأزمنة بخواص لم يختص بها غيرها، ففضلها على سائرها، وقدّمها على ما سواها، وندب إلى اغتنامها، والتعرض لما

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٣٣، ومسلم ٨٣٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٥١، وانظر آراء الفقهاء في ذلك، الموسوعة الفقهية ٢٨٤/٢٥.

يدركها من نفحات"[١]، فقال ﷺ: ((إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ فَتَعَرَّضُوا لَهَا لَعَلَّهُ أَنْ يُصِيبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْهَا فَلاَ تَشْقَوْنَ بَعْدَهَا أَبَدًا))[٢].

وكان من هذه الأوقات الفاضلة ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ عند صلاته لسنة الزوال: (إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأحب أن يصعد لي فيها عمال صالح)، وقد بينت النصوص الشرعية هذه الأوقات الفاضلة، وحثت عليها، فعن عمرو بن عَبَسَة رضي الله عنه قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ مِنْ سَاعَةٍ أَقْرَبُ مِنَ الأُخْرَى؟ قَالَ: ((نَعَمْ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْعَبْدِ جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ فَإِنَّ الصَّلاَةَ مَحْضُورَةٌ مَشْهُودَةٌ))[٣].

قال المباركفوري: "قال القاري في قوله: (فإن استطعت)، أي: قدرت ووفقت (ممن يذكر الله)، من ضمن صلاة أو غيرها (في تلك الساعة)، إشارة إلى لطفها (فكن)، أي: اجتهد أن تكون من جملتهم"[٤].

وكان من هذه الأوقات الفاضلة التي يُندب إلى اغتنامها، ويحثُّ الشرع على الحفاظ عليها، يوم الجمعة، فإن ((فيه ساعةٌ لا يُوافِقُها عبدٌ مُسلمٌ وَهوَ قائمٌ يُصلِّي يَسأَلُ اللهَ تعالى شيئًا إلا أَعطاهُ إِيّاهُ))[٥].

قال ابن حجر (وروى عبد الرزاق عن معمر أنه سأل الزهري عن ساعة يوم الجمعة، فقال: لم أسمع فيها بشيء، إلا أن كعبا كان يقول لو أن إنسانا قسم جمعة في جمع لأتى على تلك الساعة، قال ابن المنذر: معناه أنه يبدأ فيدعو في جمعة من الجمع من أول النهار إلى وقت معلوم، ثم في جمعة أخرى يبتدئ من ذلك الوقت إلى وقت آخر حتى يأتي على آخر النهار، قال: وكعب هذا هو كعب الأحبار، قال: وروينا عن ابن عمر أنه قال:

---

(١) سوانح وتأملات في قيمة الزمن، خلدون الأحدب، ط/٢ دار الوفاء، السعودية: ١٤٠٧هـ ص ٦٨.

(٢) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وعزاه للطبراني في الكبير، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٨٩٠، وضعفه في ضعيف الجامع ١٩١٥.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٣).

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٥٢٠.

(٥) أخرجه البخاري ٩٣٥.

إن طلب حاجة في يوم ليسير، قال: معناه أنه ينبغي المداومة على الدعاء يوم الجمعة كله ليمر بالوقت الذي يستجاب فيه الدعاء انتهى، والذي قاله ابن عمر يصلح لمن يقوى على ذلك، وإلا فالذي قاله كعب سهل على كل أحد، وقضية ذلك أنهما كانا يريان أنها غير معينة، وهو قضية كلام جمع من العلماء كالرافعي وصاحب المغني وغيرهما حيث قالوا: يستحب أن يكثر من الدعاء يوم الجمعة رجاء أن يصادف ساعة الإجابة، ومن حجة هذا القول تشبيهها بليلة القدر والاسم الأعظم في الأسماء الحسنى، والحكمة في ذلك حث العباد على الاجتهاد في الطلب واستيعاب الوقت بالعبادة، بخلاف ما لو تحقق الأمر في شيء من ذلك، لكان مقتضيًا للاقتصار عليه وإهمال ما عداه)[١].

وقال ابن حجر: (قال ابن المنير في الحاشية: إذا علم أن فائدة الإبهام لهذه الساعة ولليلة القدر بعث الداعي على الإكثار من الصلاة والدعاء، ولو بين لاتكل الناس على ذلك وتركوا ما عداها، فالعجب بعد ذلك ممن يجتهد في طلب تحديدها)[٢].

وقد كان من فضل الله تعالى على عباده أن جعل لهم أيامًا العمل الصالح فيها أحب إليه من أي يوم آخر، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما منْ أيَّامٍ العملُ الصالحُ فيهنَّ أحبُّ إلى اللهِ منْ هذهِ الأيامِ العشرةِ))، قالوا: يا رسولَ اللهِ! ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ؟ قال: ((ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ إلاَّ رجلٌ خرجَ بنفسِه ومالِه فلمْ يرجعْ منْ ذلكَ بشيءٍ))[٣].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ أيام عَشْرِ ذي الحِجَّةِ))، قال: فَقَالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللهِ هُنَّ أفْضَلُ أمْ عِدَّتُهُنَّ جهادًا في سَبيلِ اللهِ؟ قالَ: ((هُنَّ أَفْضَلُ مِنْ عِدَّتِهِنَّ جهادًا في سَبِيلِ اللهِ ومَا مِنْ يَوْمٍ أفضلُ عِندَ اللهِ مَنْ يومِ عَرَفَةَ يَنْزِلُ اللهُ إلى السَّمَاءِ الدنيا فيُبَاهِي بأهلِ الأرض أهلَ السَّماءِ، فَيَقُولُ: انظروا إلى عِبادي شُعثًا غُبْرًا ضاحينَ[٤] جاؤوا مِنْ كُلِّ فجٍ عَميقٍ يرجونَ رحمتي، ولم يَرَوْا

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٤٨٤.

(٢) المرجع السابق ٢/٤٨٩.

(٣) أخرجه البخاري ٩٦٩.

(٤) ضاحين: بالضاد المعجمة والحاء المهملة، أي: بارزين للشمس غير مستترين منها، يقال لكل من برز للشمس من غير شيء يظله ويكفه: إنه ضاح، وقد تحرف في الأصل إلى: (حاجين) قاله محقق صحيح ابن حبان، شعيب الأرنؤوط ٩/١٦٤.

عذابي، فَلَمْ يُرَ يومٌ أكثرُ عتقًا من النارِ مِنْ يومِ عرفةَ))[١].

"وقد اختص الله تعالى شهر رمضان - الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ورحمة - بخصائص ليست لسائر الشهور، فافترض صومه، واستن قيامه، وندب إلى الإكثار فيه من كل عمل صالح.

ثم اختص العشر الأخير منه، ففيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر"[٢]، ((فكان ﷺ يعتَكِفُ العَشْرَ الأواخِرَ مِن رمضانَ حتّى تَوَفّاهُ اللهُ تعالى، ثمَّ اعتكَفَ أزواجُهُ من بَعدِه))[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان النبيُّ ﷺ إذا دَخلَ العَشرُ شَدَّ مِئزَرَه، وأحيا ليلَه، وأيْقَظَ أهلَه))[٤].

"ومما لا شك فيه أن هذا الاغتنام لتلك الأوقات الفاضلة بالقربات والطاعات، يعني للمسلم شيئًا آخر أيضًا، وهو: إنزاله عمله دائمًا من الوقت الملائم له.

فأجزاء الليل والنهار متفاوتة قيمة من حيث عطاء المرء: نوعه وقدره، فالحريص من يُنزِّل كل عمل فيما يناسبه من وقت.

والبكور الذي هو أول النهار، خير أوقات العمل التي تغتنم لكل مهم ودقيق وجليل"[٥].

فعن صخر الغامدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((اللّهُمَّ بَارِكْ لأمَّتِي في بُكُورِهَا)) قال: وكَانَ إذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَها مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، وكَانَ صَخْرٌ رَجُلاً تَاجِرًا، وكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، فأَثْرَى وكَثُرَ مالُهُ[٦].

---

(١) أخرجه ابن حبان ٢٨٥٣، وقال محققه: حديث صحيح ١٦٤/٩.

(٢) سوانح وتأملات في قيمة الزمن، خلدون الأحدب ص ٦٨.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٢٦.

(٤) أخرجه البخاري ٢٠٢٤.

(٥) سوانح وتأملات في قيمة الزمن، خلدون الأحدب ص ٧٠.

(٦) أخرجه أبو داود ٢٦٠٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٠).

فعلى المدعو أن يغتنم فرص الأوقات الفاضلة، لما في ذلك من فلاحه في الدنيا والآخرة.

رابعًا – من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في المحافظة على السنن الرواتب واهمية ذلك:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، وفي بيان أهمية اتباع النبي ﷺ والتأسي به في المحافظة على السنن الرواتب قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[1]، "واتباع النبي ﷺ هو الاقتداء به في أقواله وأفعاله على الوجه الذي جاء به من وجوب أو ندب مع توفر القصد والنية في متابعته والتأسي به"[2]، "فلقد شرع رسول الله ﷺ سنن الصلوات الرواتب ورغّب المصلين فيها، وحثهم على المواظبة عليها بقوله وفعله، والحقيقة أن العناية بها والحرص عليها لدليل على الاهتمام الكبير بشأن الفروض الخمسة، التي جعلها الله على المؤمنين كتابًا موقوتًا، والعكس بالعكس، فإن التهاون بها والتفريط فيها وسيلة إلى التقصير في الفرائض أو الإضاعة لها. لأن دعوة الشيطان دعوة مرحلية؛ ذلك بأنه يأتي إلى المصلي ويزهده في السنن الرواتب بحجة أنها لا يترتب على تركها عقاب، حتى إذا أقنعه بذلك واقتنع، انتقل به قطعًا إلى تأخير الفرائض عن أوقاتها المحددة، وصلاتها في البيوت، ولا يزال به يترك بعض الفرائض أو كلها، وذلك ما يريده الشيطان من الإنسان ليقطع الصلة بين العبد الضعيف وبين خالقه القادر على كل شيء، والغني عما سواه، فعلى المدعو أن يتأسى ويقتدي بالنبي ﷺ في المحافظة على السنن الرواتب"[3].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ١.

(٢) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ١٠٦.

(٣) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد محمد هادي ص ١٨٨.

الحديث رقم (١١٢٠)

١١٢٠ - وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إذا لَمْ يُصلِّ أربعًا قَبلَ الظُّهْرِ، صَلاَّهُنَّ بَعْدَهَا. رَوَاهُ التِّرمِذيُّ[1]، وَقَالَ: (حَديثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تنقل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها موقفا عن النبي ﷺ يعكس حرصه على تدارك الخير ما أمكن إذا فاتته السنة القبلية لصلاة الظهر تداركها بعدها فأداها حتى لا يفوته خيرها، (كَانَ إذا لَمْ يُصلِّ أربعاً قَبلَ الظُّهْرِ، صَلاَّهُنَّ بَعْدَهَا) والطباق بين الظرفين المحيطين بالصلاة تقرر عدم خلو أحدهما عن نافلة تصلى فيه، وهو منتهى الحرص عليها كما أنه يعلم أمته من بعده أمرا مهما في النوافل، وهو أن ما لا يدرك كله لا يترك كله فمن شغلته الدنيا بشواغلها، -وأكثرنا هذا الرجل في عصر كثرت فيه المغريات - تدارك من هذه النوافل ما يستطيع، ولا يتركها بل عليه أن يحرص على أداء ما استطاع، ثم إن لهذا الأمر بعدا آخر، وهو أن النوافل تمثل حصنا حصينا للفرائض لا يستطيع الشيطان أن ينال من فرائض عبد حريص على النوافل حتى يخرجه أولا عن هذا الحصن.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٤٢٦) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على التأسي بالنبي ﷺ في الحفاظ على صلاة الجماعة في المسجد وصلاة التطوع في البيت:

كان النبي ﷺ حريصًا على تربية أصحابه رضي الله عنهم والأمة من بعدهم على بيان كيفية صلاة الفريضة وصلاة التطوع من حيث المكان، حيث كان يصلي الظهر فضلاً عن بقية الصلوات المكتوبة في المسجد، وكان حريصًا على تربية المسلم على أهمية إعمار البيوت بصلاة التطوع. ولاشك أن الجو الروحي الذي تضفيه الصلاة على المكان يؤدي إلى نوع من السكينة والوقار والهدوء، وإذا كان ذلك هو السمت العام للمساجد، فقد أراد النبي ﷺ أن تمتد هذه الحالة الروحية إلى البيوت من خلال صلاة التطوع فيها.

وقد عمل النبي ﷺ على ترسيخ ذلك عمليًا من خلال ما قام به، حيث أخبرت عائشة رضي الله عنها بذلك فقالت: "كان النبي ﷺ يصلي في بيتي قبل الظهر أربعًا، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يدخل فيصلي ركعتين، وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين، ويصلّي بالناس العشاء ويدخل بيتي فيصلي ركعتين"؛ فالنبي ﷺ قد صلّى في بيته ليحقق بذلك السكينة، وقد كان ذلك متحققًا في بيوت النبي ﷺ ولكن ليعلمنا أهمية هذا الأمر، ثم خرج فصلّى بالناس ثم دخل فصلّى التطوع في البيت فإذا كان ﷺ قد أمّ الناس في المسجد، فإنه جمع إلى ذلك أن صلّى تطوعًا في بيته، فجمع ﷺ بين إمامة المسلمين وصلاة التطوع في بيته، حيث يؤدي ذلك إلى إشباع الرغبات الروحية للنفس، وهذا مطلب غاية في الأهمية؛ حيث يكون للنفس حظها من التزكية والتهذيب والترقي في مقامات العبودية.

إن على المربي أن يربي أتباعه على الحفاظ على صلاة الجماعة في المسجد وصلاة التطوع في البيت، اهتداءً بهذا الهدي النبوي الشريف، فيحافظون على أداء الصلوات الخمس جماعة في المساجد، بيوت الله في أرضه، فهي من شعائر الإسلام ومعالمه

البارزة، وخصائصه المميزة، كما يعمر بيته بأداء النوافل فيه، كما عمّر مساجد الله بالصلاة والذكر والدعاء والتلاوة، حتى يكون ممن قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾[1].

إن الصلاة لها دور تربوي لا يخفى، سواء الصلوات الجماعية في المساجد أم الصلوات الفردية في البيوت، يقول الأستاذ محمد المبارك: (إن العبادة اليومية الأساسية في الإسلام هي الصلات، وهي في حقيقتها خلوة قصيرة لمناجاة الله تشتمل على تفكر وتأمل وعلى ذكر ودعاء وعلى تلاوة للقرآن، وهي وسيلة لتذكير الإنسان بربه من خلال استغراقه في الأعمال اليومية الدنيوية التي توجه ذهنه عادة إلى الكسب والربح أو إلى الصلات الاجتماعية أو إلى ملذات الحياة أو متاعبها ومشاقها، وهو في كل ذلك في حاجة إلى تذكيره برابطته الأساسية الباقية التي هي رابطته بالله لتخرجه من استرساله في الشهوات أو ميله إلى الظلم والشر والباطل أو من ضعفه بالنفس وشعوره بالعجز إذ تصله بمصدر القوة ومصدر الحق والخير والعدل، من له الحكم وإليه المصير.. وقد أجمع المسلمون على أن ثمة صلوات مفروضة في كل يوم لا مجال لإهمالها أو التقصير فيها، وهذا الحد الأدنى من الصلة بالله التي نظمها الشارع في الإسلام في الصلوات المفروضة، هو الحدّ الذي يفصل بين الإنسان الغافل اللاهي الفاقد للشعور بموقعه الحقيقي في الوجود، ذلك الإنسان القريب جدًّا من الحيوان وإن زاد عنه في ملكة التفكير ولكنه فاقد للعنصر الأسمى من إنسانيته، الإنسان الواعي لإنسانيته.

إن الصلاة التي تتخلل ساعات الليل والنهار تذكر الإنسان بموقعه من الكون وخالقه وتذكره برسالته في هذه الأرض التي استخلفه الله فيها وبأوامر ربّه التي بلغها رسوله وبالمثل العليا التي رسمها لحياته، فهي تزكي أعماله وتطهر نفسه، ويجب أن

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٨.

تتخلل الصلاة جميع أعمالنا ومنظماتنا ومؤسساتنا يجب أن تهيأ لها الفرص لإقامتها في المدرسة والثكنة والباخرة والقطار والمخيم ومكاتب العمل ومصانع العمال، ويحسب لها حسابها في ساعات العمل وفي برامج الاجتماعات وتعلن شعائرها فيستعلن صوت المؤذن "الله أكبر" ويخفت كل صوت غيره في مواعيد الأذان ومواقيت الصلاة في ساحة الجند وصفوف الطلاب والعمال وفي المحاكم ودور الحكومة ومكاتب الموظفين والمجالس النيابية والحفلات العامة.

إن في انصراف هؤلاء جميعًا إلى الصلاة - صلاة الجماعة - معنى استعلاء الروح واستعلاء المثل العليا على المال والمنصب والجاه والقوة، وفيه معنى التقاء الناس على اختلاف أحوالهم المالية والاجتماعية على صعيد العبودية لله والمساواة في هذه الصفة.

والصلاة في الإسلام يمكن أن تكون فردية ويمكن أن تكون جماعية، ومنها المفروض، ومنها صلاة التطوع الزائدة على الفرض"[1].

ثانيًا - التربية بالترغيب واغتنام الأوقات الفاضلة:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ: "من حافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها، حرمه الله على النار" وقد حرص النبي ﷺ على التربية بالترغيب من خلال بيانه ﷺ الثواب أو الجزاء المنوط بالمحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها، كما أن النبي ﷺ ضرب المثل والقدوة في اغتنام الوقت الفاضل كما في حديث عبدالله بن السائب رضي الله عنه، كان رسول الله ﷺ يصلّي أربعًا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر، وقال: إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح.

فقد ملأ النبي ﷺ هذا الوقت الفاضل بعمل صالح وهو الصلاة، حتى يكون ذلك في صحيفة أعماله، فدل ﷺ - بهديه قولاً وعملاً - على اغتنام الوقت الفاضل وشغله بالأعمال الطيبة والأفعال الصالحة، لذا كان من الأجدر أن تقوم التربية على

---

(١) نظام الإسلام: العقيدة والعبادة، محمد المبارك، دار الفكر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، دون بيانات أخرى ص ١٧٨ - ١٨٠.

اغتنام هذه الأوقات والأزمان التي ميزها الله بالفضل، فما وقع في الوقت أخذ حكمه، فما وقع في وقت فاضل كان فاضلاً، وما وقع في وقت التفريط والإهمال اصطبغ بذلك وتطبع، ولذا كان على "المسلم الحريص على استباق الخيرات، أن يتحرى الأوقات التي ميزها بخصائص روحية معينة فضلها بها على غيرها.

كما روي في الحديث ((إن لربكم في دهركم نفحات فتعرضوا لها))[١] وهذا التخصيص من شأن الألوهية وحدها، يختص برحمته من يشاء وبما يشاء، فكما فضل الله بعض الأشخاص على بعض، وبعض الأنواع على بعض، وبعض الأمكنة على بعض، فضل كذلك بعض الأزمنة على بعض ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[٢]، فقد فضل الله في الليل ساعات السحر وهي الثلث الأخير من الليل حيث يتجلى الله على عباده كل ليلة، حيث ينزل إليهم نزولاً يليق بجلاله فينادي ((هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ، هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ حَتَّى يَنْفَجِرُ الصُبْحُ))[٣].

ولهذا وصف الله المتقين المحسنين بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٤]، وقال ﷺ: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ الله فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ))[٥]. وفضل الله تعالى من أيام الأسبوع يوم الجمعة وهو العيد الأسبوعي للمسلمين وفيه فريضة صلاة

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن محمد بن مسلمة كما في الجامع الصغير للسيوطي، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ١٩١٥، لكنه حسّنه في السلسلة الصحيحة ١٨٩٠.

(٢) سورة القصص، آية: ٦٨.

(٣) أخرجه مسلم ٧٥٨، ١٧٠، وأخرجه البخاري ١١٤٥ بنحوه.

(٤) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ – ١٨.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٣٣).

الجمعة، ولقاء الجمعة وفيه ساعة إجابة، لا يصادفها مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له.

وفضل الله تعالى من أيام العام: أيام عشر ذي الحجة، وأفضلها يوم عرفة بل هو أفضل أيام العام على الإطلاق، جاء في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هذهِ الأَيَّامِ، يعني العشر قِيلَ: وَلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلاَّ مَنْ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلا يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيءٍ))[1].

وفضل الله من الشهور شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فرض فيه الصيام، وسن فيه القيام، واستحب فيه الإكثار من الصالحات، فهو موسم المؤمنين ومتجر الصالحين وميدان المتسابقين. وكان السلف يترقبونه بشوق ولهفة قائلين: مرحبًا بالمطهر، يرجون أن يغتسلوا به من أدران عيوبهم، ويتطهروا من أرجاس ذنوبهم، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

ورمضان كله شهر مهم، ولكن أهم أجزائه: الثلث الأخير منه، أو العشر الأواخر، وأهميتها لأمرين:

أولاً - أنها ختام الشهر وإنما الأعمال بالخواتيم، ولهذا كان من الدعاء المأثور: "اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك".

ثانيًا - أنها مظنة ليلة القدر، وهي الليلة التي جعلها الله خيرًا من ألف شهر وأنزل في فضلها سورة من كتابه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾. وهذه الليلة في رمضان يقينًا بنص القرآن: إنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن، فهي ليلة من هذا الشهر وقد جاءت الأحاديث تأمر بالتماسها في العشر الأواخر منه[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٩٦٩.

(٢) من ذلك حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري ٢٠٢، ومسلم ١١٦٩.

وكان النبي ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله[(١)] وكان يخصها بالاعتكاف[(٢)].

وفضل الله من الشهور بعد رمضان: الأشهر الحرم وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾[(٣)] وظلم النفس محرم في كل شهر، ولكنه في الأشهر الحرم أشد إثمًا[(٤)].

ثالثًا - التربية على فعل الخير وإن فات وقته:

وهذا مستمد من قول عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا لم يصلِّ أربعًا قبل الظهر، صلاهن بعدها، فدل هذا على أنه ﷺ كان يحرص على ألا يفوته ثواب التطوع مع صلاة الظهر، فإذا كان من سنته ﷺ التنفل قبلها أربعًا أو اثنتين، فإنه قد يعرض له ما يشغله عن ذلك، فيحرص النبي ﷺ على أن يصلِّي أربعًا بعد صلاة الظهر، وذلك حرصًا على عدم تفويت الأجر والثواب، وعن عائشة رضي الله عنها ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً))[(٥)]، قال النووي: (هذا دليل على استحباب المحافظة على الأوراد وأنها إذا فاتت تقضي)[(٦)]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا: ((مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ))[(٧)].

وإذا كان هذا في مجال العبادات، وهو مقيد بما جاء في الشرع، ففي مجال المعاملات يكون المجال مفتوحًا على مصراعيه لاستدراك ما فات من الخير لأي سبب

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري ٢٠٢٤، ومسلم ١١٧٤ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢٠١٩، ومسلم ١١٧٢ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) سورة التوبة، آية: ٣٦.

(٤) الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي، ٢٢ - ٢٥.

(٥) أخرجه مسلم ٧٤٦، ١٤٠.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١١.

(٧) أخرجه مسلم ٧٤٧.

من الأسباب، وعلى ذلك يجب تربية الناشئة على هذا، وفي ذلك عدة فوائد تربوية:

أ - تعويد الناشئة على عدم تأجيل فعل الخير لضرورة أو حاجة، وذلك لأن لكل وقت عمله الذي يعمل فيه، فإذا أجل زاحمته الأعمال الأخرى وتعارضت معه.

ب - عدم الضجر والملل من العوارض التي تمنع من إتيان الخير وفعله في وقته، فما دام هناك فسحة لاستدراك ذلك في وقت آخر، فلا داعي للقلق والحزن لذلك، وذلك إذا كان هذا العارض بسبب خارج عن إرادة الإنسان[1].



(١) انظر: إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة ٣٦٥ وما بعدها.

٢٠٠- باب سنة العصر

الحديث رقم (١١٢١)

١١٢١- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ العَصْرِ أرْبَعَ رَكَعَاتٍ، يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُؤْمِنِينَ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ[1]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

الشرح الأدبي

يقرر هذا الحديث السنة القبلية لصلاة العصر يرويه الإمام علي كرم الله وجهه - وقد استخدم كان ليشير إلى أنها عادة غالبة أنه يصلي قبل العصر أربع ركعات، فالظرف (قبل) يحدد زمن النافلة، ولفظ (أربع) يحدد العدد، وقوله (يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُؤْمِنِينَ) يوضح صفة صلاة هذه النافلة، والمقصود بالتسليم على الملائكة، والنبيين التسليم في التشهد، والجمع بين المَلائِكَةِ، والمُسْلِمِينَ وَالمُؤْمِنِينَ فيه مراعاة نظير، وهو الجمع بين الشيء، وما يناسبه، وبينهم تناسب في المعنى من حيث أنهم جميعا يوحدون الله - عز وجل -.

فقه الحديث

وفي الأحاديث[2] من الفقه: استحباب أربع قبل العصر[3]، أو ركعتين نظرًا لاختلاف الروايات، إلا أن الصلاة قبل العصر ليست من الرواتب، ويجمع بين الرواية التي تذكر

---

(١) برقم (٤٢٩). وصحّحه ابن خزيمة (١٢١١).

(٢) أي أحاديث الباب.

(٣) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٤٤٢/١، الفواكه الدوائي ١٩٦/١ - ١٩٧، الثمر الداني ١٣٣/١، إعانة الطالبين ٢٤٥/١، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للشربيني ١١٥/١، المغني، ابن قدامة ٤٣٤/١، المبدع، ١٦/٢، الكافي، ابن قدامة ١٤٩/١، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٢٥/٢٢ - ١٢٦.

أربعًا، والأخرى التي تذكر ثنتين بأن النبي ﷺ كان يصلي أحيانًا أربع ركعات، وأحيانًا ركعتين، وعلى ذلك فالمرء مخير بين أن يصلي أربعًا، أو ركعتين والأربع أفضل[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في صلاة سنة العصر وفضلها.

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان فضل صلاة النوافل والثناء الحسن على من يحافظ عليها.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاة النوافل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في صلاة سنة العصر وفضلها:

هذا ما أشارت إليه الأحاديث الواردة، وفي بيان هديه ﷺ في ذلك قال المباركفوري: "فيه استحباب أربع ركعات قبل العصر لقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يُصلي قبل العصر أربع ركعات، أما في رواية أبي داود من طريق شعبة عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصلي قبل العصر ركعتين، فالمراد أنه ﷺ أحيانًا يصلي أربع ركعات وأحيانًا ركعتين جمعًا بين الروايتين، فالرجل مخير بين أن يصلي أربعًا أو ركعتين والأربع أفضل، وفي قوله: (يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين)، المراد بالتسليم تسليم التشهد دون تسليم التحلل"[3]، "وهذا ما بيّنه البغوي في شرح السنة"[4]، وقال الطيبي: "سمي التشهد بالتسليم لاشتماله عليه"[5]، وقال المباركفوري: "وقيل: المراد بالتسليم التحلل من الصلاة"[6]، وقال ابن علان: "والتسليم هو: التحلل من

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٤١٥/٢.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٢١ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٢٢)، (١١٢٣).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٢٤/١.

(٤) شرح السنة ٤٦٨/٣.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٨٧/٣.

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٢٥/١.

الصلاة (على الملائكة المقربين ومن تبعهم)، أي: في توحيد الله سبحانه وتعالى (من المسلمين والمؤمنين)، من عطف المتساويين؛ إذ الإسلام والإيمان متَّحدا ماصدقا وإن اختلفا مفهومًا، وما فعله ﷺ من الفصل بالتسليم هو الأفضل؛ لما فيه من زيادة الأعمال والأذكار، ويجوز صلاتهن بتسليم واحد"[١]، وقد بين النبي ﷺ عظم فضل صلاة أربع ركعات قبل العصر، فقال: "رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعًا"، قال ابن علان: "وجملة (رحم الله)، خبرية لفظًا دعائية معنى؛ نحو غفر الله لك، وفي الحديث إيماء إلى التبشير لفاعل ذلك بالموت على الإسلام، الذي هو أعظم الرحمات، وأسنى العطيات لابتناء نعيم الآخرة عليه"[٢]، وقال صاحب عون المعبود: "وفي الحديث استحباب أربع ركعات قبل العصر، والدعاء منه ﷺ بالرحمة لمن فعل ذلك، والتصريح بتحريم بدنه على النار، مما يتنافس فيه المتنافسون"[٣].

ثانيًا- من واجبات الداعية: بيان فضل صلاة النوافل والثناء الحسن على من يحافظ عليها:

هذا ما يستفاد من قوله ﷺ: (رحم الله امرءًا صلى قبل العصر أربعًا)، فعلى الداعية بيان "أن من سنن الهدى التي توجب للعبد من ربه الرحمة والمغفرة والهدى، وتكون سببًا متينًا من أسباب المخرج من شدة هول يوم القيامة: نوافل الصلاة، إذ أنها من القربات التي ترفع العبد درجات، وتكفر عنه السيئات والخطيئات، التي لا محيص ولا مفر للعبد من الوقوع فيها مهما كانت التقوى والورع والتحرزات، وما ذلك إلا لضعف هذا الإنسان البشري أمام الشهوات والشبهات، وأمام تلك الأمور الملهيات والمغريات، التي توجد عبر تاريخ الزمن وسائر الأوقات. وإنه ليكفي المتقرب إلى الله عز وجل بنوافل العبادات -ومنها نوافل الصلاة- أن الله تبارك وتعالى يكون معه بالحفظ والتأييد والتوفيق والعناية والرعاية"[٤]، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول

---

(١) دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين ص ١٢٨٢.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٨٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٠٣.

(٤) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم، زيد مدخلي ص ١٩٠.

الله ﷺ: ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))[1]، قال ابن حجر: "في قوله ﷺ: (بالنوافل حتى أحبه)، ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل، وقد استشكل بما تقدم أولاً أن الفرائض أحب العبادات المتقرب بها إلى الله فكيف لا تنتج المحبة؟ والجواب: أن المراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها... وقال الفاكهاني: معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض وداوم على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما، أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى، وقال ابن هبيرة: يؤخذ من قوله (ما تقرب ... إلخ) أن النافلة لا تقدم على الفريضة، لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتي زائدة على الفريضة، فما لم تؤد الفريضة لا تحصل النافلة، ومن أدى الفرض ثم زاد عليه النفل وأدام ذلك تحققت منه إرادة التقرب انتهى. وأيضًا فقد جرت العادة أن التقرب يكون غالبًا بغير ما وجب على المتقرب كالهدية والتحفة، بخلاف ما يؤدي ما عليه من خراج، أو يقضي ما عليه من دين.

وأيضًا من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض"[2] كما صحّ في الحديث الذي أخرجه الترمذي: ((إنَّ أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملهِ صَلاتُه، فإن صَلُحَتْ فقد أفلحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خابَ وخسرَ، فإن انتقصَ من فريضته شيء قال الرب تبارك وتعالى: أنظروا هل لِعَبْدِيَ مِنْ تطوعٍ؟ فيُكمِلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ، ثم يكونُ سائرُ عملِهِ على ذلك))[3]، قال المباركفوري: "قال العراقي: "في قول: (فيكمل بها ما انتقص من الفريضة) يحتمل أن يراد به ما انتقصه من السنن والهيئات المشروعة فيها من الخشوع والأذكار والأدعية، وأنه يحصل له ثواب ذلك في الفريضة وإن لم

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥١/١١.

(٣) أخرجه الترمذي ٤١٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٣٣٧).

يفعله فيها، وإنما فعله في التطوع، ويحتمل أن يراد به ما انتقص أيضًا من فروضها وشروطها، ويحتمل أن يراد ما ترك من الفرائض رأسًا فلم يصله، فيعوض عنه من التطوع. والله سبحانه وتعالى يقبل من التطوعات الصحيحة عوضًا من الصلوات المفروضة انتهى.

وقال ابن العربي: يحتمل أن يكون يكمل له ما نقص من فرض الصلاة وأعدادها بفضل التطوع، ويحتمل ما نقصه من الخشوع عندي أظهر، لقوله: ثم الزكاة كذلك وسائر الأعمال وليس في الزكاة إلا فرض أو فضل، فكما يكمل فرض الزكاة بفضلها، كذلك الصلاة، وفضل الله أوسع ووعده أنفذ وعزمه أعم انتهى. "ثم يكون سائر عمله على ذلك"، أي: إن انتقص فريضة من سائر الأعمال تكمل من التطوع"[1].

"ولعظم شأن نوافل الصلاة قد رغّب الله عباده فيها بأسلوب فاضل عظيم وهو الثناء الحسن على المحافظين عليها ووعدهم الجزاء الأوفى، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2] وقال عز وجل: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3]"[4].

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبرًا عن المتقين لله عز وجل: إنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون، وقوله (آخذين ما آتاهم ربهم)، قال ابن جرير: أي: عاملين بما آتاهم الله من الفرائض ...، ولما كان قيام الليل بالصلاة من أفضل النوافل بعد

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٠٩/١.

(٢) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ – ١٨.

(٣) سورة السجدة، الآيتان: ١٦ – ١٧.

(٤) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد مدخلي ص ١٩١.

المكتوبة لقوله ﷺ: ((وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلاَةُ اللَّيْلِ))[١]، كانت هذه الآيات الكريمات لتدل دلالة صريحة على فضل قيام الليل وإحيائه بنوافل الصلاة والذكر والدعاء والاستغفار، التي تعتبر من أجّل صفات المتقين، ومن أبرز العلامات التي ترشد إلى إيمان المؤمنين، وإحسان المحسنين، كما تدل بوضوح على حسن الجزاء لهؤلاء الأبرار الذين آثروا الآجلة على العاجلة، ولذات المناجات الربانية على لذة النوم العاجلة، ولذة المتعة الحياتية الزائلة، فعلو ذلك طمعًا ورجاء فيما أعد الله لهم من كرامة في دار الكرامة، ومن إحسان وفضل في دار الإقامة، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، حقًا إن هؤلاء الأتقياء تلذذوا بمناجاة خالقهم وبارئهم، لا سيما في جوف الليل الذي يتنزل فيه الرب إلى السماء الدنيا فيستجيب دعاء من دعاه، ويغفر ذنب من ذكره واستغفره، ويجيب سؤال من تضرع إليه وسأله، حتى يبرق الفجر كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((مَن يَدعوني فأستجيبَ له، مَن يسألني فأُعطِيَه، من يَستغفِرُني فأغفرَ له))[٢]"[٣].

فعلى الداعية أن يذكّر بفضل الله العظيم، وبكرمه العميم، الذي أعده لعباده الطائعين المحافظين على فرائضه، والمقيمين لنوافله.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن أسلوب الترغيب من الأساليب الضرورية لأي داعي، لأن النفس البشرية قد فطرت على حب الكسب المترتب على فعل شيء ما دنيويًا كان الكسب أو أخرويًا[٤]، و"الأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وهو من الأساليب الدعوية الناجحة للنفس الإنسانية التي جُبلت على حب السعادة، والنفور من الضيق والعذاب"[٥]، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في المحافظة على

---

(١) أخرجه مسلم ١١٦٣.

(٢) أخرجه البخاري ١١٤٥، ومسلم ٧٥٨.

(٣) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم، زيد مدخلي ص ١٩١.

(٤) دعوة الرسل بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، د. بكر زكي عوض ص ١٤٠.

(٥) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان ص ٤٢١.

أربع ركعات قبل العصر وذلك لنيل رحمة الله تعالى.

رابعًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاة النوافل:

هذا ما يستفاد من سياق الأحاديث، "فهو ﷺ الذي جعله الحق تبارك وتعالى للناس كافة، الهادي والمبلغ، والسراج المنير، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[1].

فعلى المدعوين أن يترسموا خطاه، ويستضيئوا بهديه، ويقتفوا أثره، والتأسي به ﷺ - يعني التجريد والمتابعة في كل دقيق وجليل من أمور الدين، فهو ﷺ المبلغ عن ربه عز وجل شرعه قولاً وعملاً وتقريرًا، وهو المبين والمفسر للوحي كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[2]، فعلى المدعو أن يتأسى بالنبي ﷺ في تزكية النفس بصنوف العبادات المفروضة والمسنونة، فإذا سهل على المدعو قيادة نفسه، كانت دعوته لغيره أسهل وأيسر"[3]، وفي ذلك عظيم الفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) انظر: صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٥٨ - ٦٤.

الحديث رقم (١١٢٢)

١١٢٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((رَحِمَ اللَّهُ امْرءًا صَلَّى قَبْلَ العَصْرِ أرْبَعًا)) رواه أبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ[1]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في صلاة أربع ركعات قبل العصر ورد في صورة دعاء حنون من الرسول ﷺ عن طريق الخبر اللفظي في قوله (رحم الله امرأً) بمعنى اللهم ارحم ويحتمل أن يكون خبرا لفظا، ومعنى، والغرض منه الإشادة به، وترغيب السامعين، وإن كان خبراً، فهو خبر صدق، وإن كان دعاءً فهو مقبول؛ ولذا يقول العلماء: ينبغي للإنسان أن يتعرض لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رحم الله امرأً صلى قبل العصر) أما بعد صلاة العصر فيأتي المنع من النافلة. إذاً :جاء في فريضة العصر أنه يصلي أربعاً قبلها، وكأنه عندما يقول: (رحم الله امرأً صلى) كأنه يقول: الأمر أهون من غيره، ولكن إن شئت الرحمة، والفضل فصل أربعاً قبل العصر، ولابد أن يعلم أنها في قوة الطلب ليست كركعتي الفجر، وليست كركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها؛ لأن الطلب هنا فيه ترجيح، وترغيب من جهة التعرض لرحمة الله سبحانه، وتعالى - على ما ذكر شارح بلوغ المرام في الحديث.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢٧١)، والترمذي (٤٣٠) ولفظهما سواء، وقال: حديثٌ غريبٌ حسنٌ. وصحّحه ابن خزيمة (١١٩٣)، وابن حبان (الإحسان ٢٥٤٣). أورده المنذري في ترغيبه (٨٤٥).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٢٣)

١١٢٣ - وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي قَبلَ العَصْرِ رَكْعَتَيْنِ. رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه يتناول بيان سنة العصر من ناحية تحديد زمانها، وعددها في جملة قصيرة مركزة مؤدية للمعنى من طريق واضح، وهو الأسلوب الخبري الضارب في عمق الماضي ب(كان) التي تشير إلى التحقق، وسبق التحقق، والعادة الغالبة في الفعل، والفعل المضارع (يصلي) يستحضر الصورة المتجددة المستمرة منه ﷺ، والظرف (قبل) يحدد زمان هذه النافلة وقوله (ركعتين) يحدد العدد عن طريق المثنى، ويقرر السنة فيها عن طريق الفعل (يصلي) وهو ترغيب للمؤمنين بفعل الرسول ﷺ للإقتداء به في هذه النافلة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (١٢٧٢). وكذا قال المؤلف في المجموع (٨/٤).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٢٣ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٢١)، (١١٢٢).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالدعاء:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «رَحِمَ اللّٰه امرءًا صلّى قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعًا». فقد دعا النبي ﷺ لمن تطوع بأربع ركعات قبل العصر، قال ابن عثيمين: "هذه الجملة دعائية: يعني أن النبي ﷺ دعا لمن صلّى قبل العصر أربعًا، وهذا الحديث - وإن كان فيه مقال عند أهل العلم - لكنه يرجى أن ينال الإنسان الأجر إذا صلّى هذه الأربع"[1].

وقال العراقي: "يحتمل أن يكون دعاءً وأن يكون خبرًا"[2]، وعلى توجيه أن الحديث جاء دعاءً فإنه يمكن أن نستفيد منه في مجال التربية والتهذيب، والتعليم والتوجيه، ولا سيما في مجال الترغيب في فعل الخير والمسابقة إليه، وكذلك الترهيب من فعل الشر والمبادرة إلى اجتنابه، إن المربي يمكن أن يربي أتباعه عن طريق الدعاء ويحقق نتائج طيبة جدًا، ومن أمثلة ذلك أن يقول لهم:

أ - أعان اللّٰه من أعان مسلمًا. في التربية على الإعانة والتعاون.

ب - ستر اللّٰه من ستر مسلمًا. في التربية على الستر.

ج - أحب اللّٰه من أحبّ الخير لإخوانه. في التربية على حب الخير للإخوان وإرشادهم إليه.

د - حرم اللّٰه النار على من اجتنب الكبائر.

هـ - زاد اللّٰه مال من اجتنب الربا. وجعل بينه وبينه سدًا منيعًا.

وهكذا يسير المربي في تربية أتباعه على هذا النهج.

والمتأمل في التربية بالدعاء يجد فيه فوائد تربوية مهمة منها:

أ - تعويد الناشئة وغيرهم على اللجوء إلى اللّٰه سبحانه وتعالى واستعانته وطلب عونه ومدده في جميع الأحوال والمواقف.

ب - تذكير الناشئة وغيرهم بسعة رحمة اللّٰه وعفوه وجزيل ثوابه، مما يعود عليهم

---

(١) شرح رياض الصالحين، ١٣٢٨/٢.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ٧٢٥/١.

بالإقبال على العمل والخشوع في أدائه، لأنهم يعاملون ربًا كريمًا عفوًا، يجزي على الحسنة بعشرة أمثالها، حتى تبلغ سبعمائة ضعف، ويضاعف لمن يشاء وهو الحكيم العليم.

ج - الدعاء من الذكر، "وذكر الله تعالى يولد الصحوة في إتقان العمل والإخلاص في التعامل في البيع والشراء وسائر المعاملات، ورعاية المصلحة العامة، والنظر إلى الحقوق والواجبات وعدم التجاوز عليها، والرفق بالناس وعدم غمطهم حقوقهم ومعاونتهم ومواساتهم بالقول والعمل، والذب عن العرض والمال والوطن جهادًا في سبيل الله وابتغاء مرضاته"(١).

والمقصود أن المربي يستخدم الدعاء ليربي أتباعه على فعل الخير والمبادرة إليه، حتى يكونوا من الذين قال عنهم ابن القيم: "استغشوا الهوى فخالفوه، واستنصحوا العقل فشاوروه، وفرَّغوا قلوبهم للفكر فيما خلقوا له، وجوارحهم للعمل بما أُمِروا به، وأوقاتهم لعمارتها بما يعمر منازلهم في الآخرة، واستظهروا على سرعة الأجل بالمبادرة إلى الأعمال، وسكنوا الدنيا وقلوبهم مسافرة عنها، واستوطنوا الآخرة قبل انتقالهم إليها، واهتموا بالله وطاعته على قدر حاجتهم إليه، وتزوّدوا للآخرة على قدر مقامهم فيها، فعجّل لهم سبحانه من نعيم الجنة أن آنسهم بنفسه، وأقبل بقلوبهم إليه وجمعها على محبته، وشوقهم إلى لقائه، ونعمهم بقربه، وفرّغ قلوبهم مما ملأ قلوب غيرهم من محبة الدنيا والهم والحزن على فوْتها والغمّ من خوف ذهابها، فاستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدانهم والملأ الأعلى بأرواحهم"(٢).

ثانيًا: التربية على معايشة الصالحين وأهل الصلاح:

هذا مستمد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كان النَّبيُّ يصلِّي قبلَ العصرِ أربَع ركعاتٍ يفصلُ بينهنَّ بالتسليمِ على الملائكةِ المقربينَ ومن تَبِعهمْ من المسلمينَ والمؤمنينَ». فالنبي ﷺ كان يسلم على صفوة خلق الله من الملائكة المقربين، ومن

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ١١٥.

(٢) الفوائد ٢٧٥.

تبعهم من المسلمين والمؤمنين، والسلام من المعايشة، فمن خصّ فلانًا بالسلام كان عارفًا بفضله ومكانته، وكان مستحضرًا لذلك وقت السلام[1]، وهذا هو خلاصة المعايشة، فليس مقصودًا بها معايشة الأبدان ورؤية الأعيان فقط، وإنما يقصد بها كذلك المعايشة باستحضار الصالحين وأفعالهم وأخلاقهم ولو لم يكن هناك رؤية بالعين، كما هو الحال في السلام على الملائكة فنحن لا نراهم، ولكن نعرف مدى عبادتهم ربهم وخوفهم وخشيتهم منه سبحانه وتعالى، ونقصد من السلام عليهم من ضمن ما نقصد، تقديرهم وإنزالهم منزلتهم التي استحقوها لعبادتهم ربهم عز وجل، ومن ثم الاقتداء بهم قدر الطاقة البشرية، ثم عطفنا بالسلام على من تبع الملائكة في الانقياد والطاعة والإذعان من عباد الله المسلمين والمؤمنين، والقاسم المشترك بين هؤلاء الثلاثة: الملائكة والمسلمين والمؤمنين، هو عبادة الله وحده والإخلاص في ذلك، فالسلام عليهم استحضار لذلك ومحاولة لأن يلحق بهم والدخول في زمرتهم، وذلك وفق ما تسمح به الطبيعة البشرية، لذا فإنه على المربي أن يعمل على أن يعايش مَن يقوم بتربيتهم أهل الصلاح والصالحين من العباد والعلماء الربانيين، سواء معايشة مباشرة عن طريق المعايشة الحياتية أو عن طريق القصّ والذكر والقراءة والسماع، ونحو ذلك، وهذا من أهم طرق المعايشة.

"فإن مطالعة سير الأبطال والمصلحين والنابغين وقراءة تراجمهم المحررة بأقلام تشرح نواحي العظمة فيهم وتصف آثارهم وتبين ما اختصّ به عظماء الرجال من تقدير وتمجيد كل ذلك مما يبعث الهمة ويوقظ العزيمة، ذلك أن حياة أولئك تتمثل أمام القارئ، وتوحي إليه بالاقتداء بهم، والسير على منوالهم، ولم تخل أمة من أبطال لا يقرأ القارئ ترجمة حياتهم إلا ويشعر بأن روحًا جديدًا دبّ فيه، وحرّكه للإتيان بعظائم الأمور، وجلائل الأعمال.

وكثيرًا ما دفع الناس إلى العمل الجليل حكاية قرؤوها عن رجل عظيم أو حادثة

---

(١) سواء قصد بالسلام الذي في الحديث التشهد، أو قصد به التسليم للخروج من الصلاة، انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ١/٧٢٥.

رويت عنه، وأمتنا الإسلامية -بحمد الله- غنية بالأبطال في شتى الميادين"[1].

والخلاصة أن على المربين أن يكثروا من رواية قصص الصالحين وأصحاب الهمم العالية حتى يدفعوا أتباعهم إلى الاقتداء بهم، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة.



(١) انظر: الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ، ٢٠٢ ومرجعه.

٢٠١- باب سنة المغرب بعدها وقبلها

تقدم في هذه الأبواب حديثُ ابن عمر[١] وحديث عائشة[٢]، وهما صحيحان: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يُصلِّي بَعدَ المَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ.

الحديث رقم (١١٢٤)

١١٢٤- وعن عبد الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((صَلُّوا قَبْلَ[٣] المَغْرِبِ)) قال في الثَّالِثَةِ: ((لِمَنْ شَاءَ)) رواه البُخَارِيُّ[٤].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مُغفّل المزني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٦).

الشرح الأدبي

الحديث قصير موجز يقرر سنة المغرب القبلية، وقد جاء المعنى في أسلوب إنشائي صدر على جهة الاستعلاء من حيث دلالة الأمر، وقوله ﷺ (صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ) أمر توجيه، وإرشاد لما فيه الثواب من الله تعالى كما أن فيه إعدادا للنفس، وتهيئة لها قبل الدخول إلى الفرض بتفريغ القلب بعد تفريغ الجوارح فكثير من المصلين يقف بين يدي الله فارغ الجوارح لكنه مشحون القلب بكل ما ترك خارج المسجد، فقد يكون بين مصل، ومصل من الأجر ما بين السماء، والأرض مع أنهما في صف واحد في وقت واحد، ولكن شتان بين قلب، وقلب، وتكرار الرسول ﷺ الأمر الذي حكاه الراوي يشير إلى أهمية هذه الصلاة، وتصعيد للأمر، وقوله (لمن شاء) احتراس من الظن بوجوبها، وقيل: كراهية أن يتخذها الناس سنة، ومعنى سنة طريقة لازمة يواظبون عليها.

---

(١) تقدم برقم (١٠٩٨).

(٢) تقدم برقم (١١١٥).

(٣) عند البخاري زيادة: (صلاة).

(٤) برقم (١١٨٣).

فقه الحديث

قال النووي: (وفي هذه الروايات استحباب ركعتين بين المغرب وصلاة المغرب، وفي المسألة وجهان لأصحابنا أشهرهما: لا يستحبّ، وأصحهما عند المحققين: يستحبّ لهذه الأحاديث. وفي المسألة مذهبان للسلف واستحبهما جماعة من الصحابة والتابعين من المتأخرين أحمد وإسحاق. ولم يستحبهما أبو حجر وعمر وعثمان وعلي وآخرون من الصحابة، ومالك وأكثر الفقهاء. وقال النخعي: هي بدعة. وحجة هؤلاء أن استحبابهما يؤدي إلى تأخير المغرب عن أول وقتها قليلاً وزعم بعضهم في جواب هذه الأحاديث أنها منسوخة. والمختار استحبابهما لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة. وفي صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ: ((صلُّوا قبل المغرب، صلُّوا قبل المغرب، صلُّوا قبل المغرب. قال في الثالثة: لمن شاء))[1].

وأما قولهم يؤدي إلى تأخير المغرب فهذا خيال منابذ للسنة، فلا يلتفت إليه، ومع هذا فهو زمن يسير لا تتأخر به الصلاة عن أول وقتها. وأما من زعم النسخ فهو مجازف، لأن النسخ لا يصار إليه، إذا عجزنا عن التأويل، والجمع بين الأحاديث، وعلمنا التاريخ، وليس هنا شيء من ذلك، والله أعلم)[2].

وقال ابن حجر: (ومجموع الأدلة يرشد إلى استحباب تخفيفهما كما في ركعتي الفجر)[3].

المضامين الدعوية[4]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر والتكرار.

---

(١) أخرجه البخاري ١١٨٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠٧/٦/٣ - ١٠٨ ، وانظر المجموع ٣٤٧/٣ - ٣٤٨ . وانظر كذلك المغني ٥٤٦/٢ - ٥٤٧ ، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٤٥/١ ، والقوانين الفقهية ص ٣٦، والكافي لابن عبدالبر ص ٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٠٩/٢ .

(٤) هذه المضامين الدعوية خاصة بأحاديث الباب حتى الحديث رقم (١١٢٧).

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على صلاة ركعتين قبل المغرب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: يسر وسماحة الشريعة الإسلامية في صلاة النوافل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على صلاة ركعتين قبل المغرب وإقرار النبي ﷺ لذلك.

خامسًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم في الحرص على صلاة ركعتين قبل المغرب.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الأذان.

سابعًا: من ميادين الدعوة: المسجد.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر والتكرار:

قد ورد أسلوب الأمر في الحديث من قوله ﷺ: (صلوا)، والأمر من الأساليب الدعوية، التي يستعين بها الداعية على حمل المدعو وإرشاده إلى فعل ما يجب عليه من أمور دينية ودنيوية، بما يحقق له الخير والفلاح في الدنيا والآخرة، أما التكرار فبه لفت الانتباه والحث على أهمية الأمر المدعو إليه، ((وقد كان رسول الله ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ))[1]، وهذا ما ورد في الحديث من قول الراوي: (قال في الثالثة). حيث أفاد التكرار الحث على صلاة النافلة قبل المغرب.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على صلاة ركعتين قبل المغرب:

هذا ما ظهر جليًا في الحديث من قول الراوي: إن النبي ﷺ قال ثلاثًا: (صلوا قبل المغرب)، وزاد أبو داود في روايته: ((صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ))[2].

قال النووي: (وفي هذه الروايات استحباب ركعتين بين المغرب وصلاة المغرب، وقال في قول من قال إن فعلهما يؤدي إلى تأخير المغرب عن أول وقتها خيال فاسد منابذ للسنة، ومع ذلك فزمنها يسير لا تتأخر به الصلاة عن أول وقتها)[3]، وقال ابن حجر:

---

(١) أخرجه البخاري ٩٥.

(٢) أخرجه أبو داود ١٢٨١، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٢٤٠).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٢٢.

(ومجموع الأدلة يرشد إلى استحباب تخفيفهما كما في ركعتي الفجر، قيل: والحكمة في الندب إليهما رجاء إجابة الدعاء، لأن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد)[1].

وقد أكد النبي ﷺ في حثه على ذلك فقال: ((بَينَ كلِّ أَذانَينِ صلاة، بينَ كلِّ أَذانَينِ صلاة - ثم قال في الثالثة:- لِمنْ شاء))[2]، قال ابن حجر: "في قوله ﷺ: (بين كل أذانين)، أي: أذان وإقامة..، ولا مانع من حمل قوله: (أذانين) على ظاهره لأنه يكون التقدير بين كل أذانين صلاة نافلة غير المفروضة"[3]، وفي ذلك بيان على حثه ﷺ على صلاة ركعتين قبل المغرب بين الأذان والإقامة.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: يسر وسماحة الشريعة الإسلامية في صلاة النوافل:

هذا ما يظهر جليًا في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نصلي على عهد رسول الله ﷺ ركعتين بعد غروب الشمس قبل المغرب، فقيل: أكان رسول الله ﷺ صلاهما؟ قال: كان يرانا نصليهما فلم يأمرنا ولم ينهنا"، وفي حديث عبدالله بن مغفل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ)) قال في الثالثة: ((لِمَنْ شَاءَ)) وفي ذلك قال عبدالله المزني: ((أتيتُ عُقبةَ بنَ عامرٍ الجُهَنيَّ فقلتُ: ألا أُعَجِّبُك من أبي تميم، يَركَعُ رَكعتَينِ قبلَ صَلاةِ المغربِ. فقال عُقبةُ: إنَّا كنَّا نفعلُهُ على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ، قلتُ: فما يَمنعُكَ الآنَ؟ قال: الشغلُ))[4]، وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها في بيانها لهدي النبي ﷺ في قيام الليل أنها قالت: ((إن النبي ﷺ كان يصلي سَبعٌ وتِسعٌ وإحدى عشرةً، سوى رَكعتيِ الفجرِ))[5]، وقالت: ((كانت صلاةُ النبيِّ ﷺ ثلاثَ عشرة ركعةً يعني بالليل))[6]، قال القاضي عياض: "يحتمل أن إخبارها بأحد عشرة هو الأغلب، وباقي رواياتها إخبار منها بما كان يقع نادرًا في بعض الأوقات..، وذلك بحسب ما كان

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/١٢٧.
(٢) أخرجه البخاري، ٦٢٤ - ٦٢٧، ومسلم ٨٣٨.
(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/١٢٦ - ١٢٧.
(٤) أخرجه البخاري ١١٨٤.
(٥) أخرجه البخاري ١١٣٩.
(٦) أخرجه البخاري ١١٣٨.

يحصل من اتساع الوقت أو ضيقه بطول قراءته..، أو طول نومه أو لعذر من مرض أو كبر سن، كما قالت: ((فَلَمَّا سَنَّ نَبِيُّ اللَّهِ، وَأَخَذَهُ اللَّحْمُ، أَوْتَرَ بِسَبْعٍ...، وَكَانَ إِذَا غَلَبَهُ نَوْمٌ أَوْ وَجَعٌ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً))[1][2].

وعن أبي جحيفة وهب بن عبدالله السوائي ﵁ أنه قال: ((آخى النبيُّ ﷺ بينَ سَلمانَ وأبي الدَّرداء، فزارَ سَلمانُ أبا الدَّرْداء، فرأى أمَّ الدَّرداء متبذِّلةً فقال لها: ماشأنُك؟ قالت: أخوكَ أبو الدَّرداء ليسَ لهُ حاجةٌ في الدُّنيا. فجاءَ أبو الدَّرداء فصنَعَ لهُ طَعامًا فقال له: كل، قال: فإني صائمٌ، قال: ماأنا بآكِلٍ حتى تأْكُلَ. قال: فأكلَ. فلمّا كان الليلُ ذَهبَ أبو الدرداء يقومُ، قال: نَمْ، فنام. ثم ذَهبَ يقومُ، فقال: نَمْ. فلمّا كانَ مِن آخِرِ الليلِ قال سَلمانُ: قُمِ الآنَ، فصلّيا. فقال له سَلمانُ: إنَّ لِربِّك عليكَ حقًا، ولنفْسِكَ عليكَ حقًا ولأهلِكَ عليكَ حقًا فأعْطِ كلَّ ذي حَقّ حقَّه. فأتى النبي ﷺ فذَكرَ ذلكَ له، فقال له النبي ﷺ: صَدَقَ سَلمانُ))[3].

وفي ذلك بيان على يسر الشريعة الإسلامية في صلاة النوافل، "وقد خص الله الشريعة الإسلامية بالسماحة والسهولة واليسر، لأنه أرادها رسالة للناس كافة والأقطار جميعًا، ورسالةٌ هذا شأنها من العموم والخلود، لا بد أن يجعل الله الحكيم في أثنائها من التيسير والتخفيف والرحمة ما يلائم اختلاف الأجيال وحاجات العصور، وشتى البقاع، وهذا واضح في شريعة الإسلام عامة، وفي العبادات خاصة، فقد قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَه))[4]"[5].

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﵃ على صلاة ركعتين قبل المغرب وإقرار النبي ﷺ لذلك

هذا ما أشار إليه الحديث من قول أنس ﵁: (لقد رأيت كبار أصحاب رسول الله ﷺ

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٨١/٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٣٩.

(٤) أخرجه البخاري ٣٩.

(٥) اليسر في القرآن الكريم، رافت كامل السيوري ص ٨٩.

يبتدرون السواري عند المغرب)، وقوله: (كنا بالمدينة فإذا أذن المؤذن لصلاة المغرب، ابتدروا السواري، فركعوا ركعتين.. إلخ)، وفي بيان ذلك قال ابن حجر: "في قوله ﷺ (يبتدرون)، أي: يستبقون. و(السواري)، جمع سارية"[١]، وهي الأسطوانة"[٢].

قال ابن القيم: "وأما الركعتان قبل المغرب، فإنه لم يُنقل عنه ﷺ أنه كان يُصليهما، وصح عنه أنه أَقرَّ أصحابه عليهما، وكان يراهم يصلونهما، فلم يأمرهم ولم ينههم، وفي «الصحيحين» عن عبد الله المُزني، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ، صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ)). قال في الثَّالِثَةِ: ((لِمَنْ شَاءَ كَرَاهَةَ أن يتخذها الناسُ سنة))[٣]. وهذا هو الصوابُ في هاتين الركعتين، أنهما مُستَحبَّتَانِ مندوبٌ إليهما، وليستا بسنة راتبة كسائر السنن الرواتب"[٤].

قال المروزي: "وقد روي عن جماعة من الصحابة ﷺ أنهم كانوا يصلون قبل المغرب ركعتين وثبت عن النبي ﷺ أنه أذن في ذلك لمن أراد أن يصلي وفعل على عهده بحضرته ﷺ فلم ينه عنه، فعن المختار بن فُلفُل قال: سألت أنس بن مالك ﷺ قلت: هل من صلاة بعد العصر؟ قال: لا، حتى تغيب الشمس. قلت: فإذا غابت قال: ركعتين. قلت: قبل الصلاة؟ قال: نعم. قلت: هل رأيت رسول الله ﷺ؟ قال: لا. قلت: فهل رآكم تصلونهما؟ قال: نعم. قلت: أكان أمركم بهما؟ قال: لا. ولا نهانا عنهما، كان إذا أذن المؤذن قام أحدنا فصلى ركعتين.

وعن ثابت عن أنس ﷺ: كان أصحاب رسول الله ﷺ يبتدرون السواري إذا أذن المؤذن لصلاة المغرب يصلون الركعتين قبل المغرب.

وعن ثابت عن أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ يخرج إلينا بعد غروب الشمس قبل صلاة المغرب فيرانا نصلي فلا ينهانا ولا يأمرنا.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٢٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ر ي).

(٣) أخرجه البخاري ١١٨٣.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣١٢.

وفي رواية: إن كان المؤذن ليؤذن فيتبادر ناس من أصحاب رسول الله ﷺ السواري فيصلون ركعتين، فما يعاب ذلك عليهم.

وفي أخرى: ثم إذا صليت العصر فلا تصل حتى تغرب الشمس. فإذا غربت الشمس فصل ركعتين. فإن أصحاب رسول الله ﷺ كذلك كانوا يفعلون.

وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: كنا نركعهما إذا (زاحمنا)[1] بين الأذان والإقامة في المغرب.

وعن زر: قدمت المدينة فلزمت عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه وأبي بن كعب رضي الله عنه فكانا يصليان ركعتين قبل صلاة المغرب لا يدعان ذلك.

وعن عبدالرحمن بن أبي ليلى: أدركت أصحاب محمد ﷺ وهم يصلون عند كل تأذين.

وعن رغبان مولى حبيب بن سلمة، قال: لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ يهبون إليهما كما يهبون إلى المكتوبة يعني الركعتين قبل المغرب.

وعن راشد بن يسار: أشهد على خمسة ممن بايع تحت الشجرة أنهم كانوا يصلون ركعتين قبل المغرب.

وعن خالد بن معدان أنه كان يركع ركعتين بعد غروب الشمس قبل صلاة المغرب لم يدعهما حتى لقي الله. وكان يقول: إن أبا الدرداء رضي الله عنه كان يركعهما ويقول: لا أدعهما وإن ضربت بالسياط.

وقال عبدالله بن عمرو الثقفي: رأيت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يصلي ركعتين قبل المغرب.

وعن يحيى بن سعيد أنه صحب أنس بن مالك رضي الله عنه إلى الشام فلم يكن يترك ركعتين عند كل أذان.

وسئل سعيد بن المسيب عن الركعتين قبل المغرب. فقال: ما رأيت فقيهًا يصليهما ليس سعد بن مالك.

---

(١) زاحمنا: أي: غالبنا بسبب الاجتماع لصلاة المغرب في المسجد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام، جاء ذلك في حاشية كتاب: مختصر قيام الليل، مؤسسة الرسالة ص ٧٣.

وفي رواية: كان المهاجرون لا يركعون الركعتين قبل المغرب وكانت الأنصار يركعونهما. وكان أنس رضي الله عنه يركعهما.

وعن مجاهد قالت الأنصار: لا نسمع أذانًا إلا قمنا فصلينا.

سئل قتادة عن الركعتين قبل المغرب فقال: كان أبو برزة رضي الله عنه يصليهما.

وسأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة. قال: من الذين يحافظون على ركعتين الضحى؟ فقال: وأنتم تحافظون على الركعتين قبل المغرب. فقال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نحدث أن أبواب السماء تفتح عند كل أذان.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: صلاة الأوابين ما بين الأذان وإقامة المغرب"[1].

وقد ورد قول، إن بعض الصحابة رضي الله عنهم كانوا لا يصلون ركعتين قبل صلاة المغرب، وفي بيان ذلك قال المروزي: "قال النخعي: كان بالكوفة من خيار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وأبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه، وعمار بن ياسر رضي الله عنه، والبراء بن عازب رضي الله عنه فأخبرني من رمقهم كلهم فما رأى أحدًا منهم يصليهما قبل المغرب.

وفي رواية: أن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كانوا لا يصلون الركعتين قبل المغرب.

وقيل لإبراهيم أن ابن الهذيل كان يصلي قبل المغرب ركعتين. فقال: إن ذاك لا يعلم.

قال محمد بن نصر: ليس في حكاية هذا الذي روى عنه إبراهيم أنه رمقهم. فلم يرهم يصلونهما دليل على كراهتهم لها. إنما تركوهما لأن تركهما كان مباحًا. ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لم يرو عنه أنه ركعهما غير أنه رغب فيهما. وكان ترغيبه فيهما أكثر من فعله لو فعلهما من غير أن يرغب فيهما، وقد يجوز أن يكون أولئك الذين حكى عنهم من حكى أنه رمقهم فلم يرهم يصلونهما، قد صلوهما في غير الوقت الذي رمقهم هذا. ويجوز أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد ركعهما في بيته حيث لم يره الناس لأن أكثر تطوعه كان في منزله.

---

(١) انظر: مختصر قيام الليل، محمد نصر المروزي، باختصار على المقريزي ص ٧١ - ٧٥.

وكذلك الذين رمقوا بعد النبي ﷺ يجوز أن يكونوا قد صلوا في بيوتهم ولذلك لم يرهم الذي رمقهم يصلونهما. فإن كثيرًا من العلماء كانوا لا يتطوعون في المسجد.

عن زيد بن وهب قال: لما أذن المؤذن للمغرب قام رجل فصلى ركعتين وجعل يلتفت في صلاته. فعلاه عمر رضي الله عنه بالدرة فلما قضى الصلاة قال: يا أمير المؤمنين نعم ما كسوت. قال: رأيتك تلتفت في صلاتك ولم يعب الركعتين"[1].

وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على صلاة ركعتين قبل المغرب.

خامسًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم في الحرص على صلاة ركعتين قبل المغرب:

هذا ما يستفاد جليًا من الأحاديث في قول أنس رضي الله عنه: (لقد رأيت كبار أصحاب رسول الله ﷺ يبتدرون السواري عند المغرب)، وفي الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (من كان منكم متأسّيًا فليتأسّ بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلُّفًا، وأقومها هَدْيًا، وأحسنها حالاً: اختارهم الله لصحبة نبيّه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهُدَى المستقيم)[2].

وقال رضي الله عنه: ((إنَّ الله عزَّ وجلَّ نظَرَ في قلوبِ العِبَادِ فوجَدَ قَلْبَ محمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلوبِ العِبادِ فاصْطَفاهُ لنَفْسِهِ، وابْتَعَثَهُ بِرِسَالاتِهِ، ثمَّ نَظَرَ في قُلوبِ العبادِ فَوَجَدَ قُلوبَ أَصْحابِهِ خَيْرَ قُلوبِ العِبادِ فجعلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبيِّهِ ﷺ يُقاتِلونَ عَنْ دِينِهِ، فما رآه المسلمونَ حَسَنًا فهو عِنْدَ الله حَسنٌ، وما رآهُ المسلِمونَ سَيِّئًا فهوَ عِنْدَ الله سيِّءٌ))[3].

فالصحابة رضي الله عنهم هم صدر الإسلام وعصابة الإيمان وعسكر القرآن، وجند الرحمن، ألين الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا وأحسنها بيانًا، وأصدقها

---

(١) المرجع السابق ص ٧٦.

(٢) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ١٨١٠، وقال محققو الجامع: إسناده ضعيف، والأثر لا بأس به.

(٣) أخرجه أحمد ٣٧٩/١، رقم ٣٦٠٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن. ٨٤/٦

إيمانًا، وأعمها نصيحة، وأقربها إلى الله وسيلة[1]، فعلى المدعو أن يقتدي بهم ويستنّ بسنتهم، وهذا ما أمر به النبي ﷺ فقال: ((فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))[2]، وقد بين النووي: "أن في النوافل ارتياضًا للنفس، وتنشيطًا وتفريغًا للقلب لأداء الفرائض"[3]، فعلى المدعو أن يقتدي بأصحاب رسول الله ﷺ في حرصهم على صلاة ركعتين قبل المغرب لما في ذلك من كامل الفضل والثواب.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الأذان

هذا ما يستفاد في الحديث من قول أنس رضي الله عنه: (كنا بالمدينة فإذا أذن المؤذن)، والأذان من أهم أساليب الدعوة إلى الله، وهذا ما بينه القرطبي في قوله: "واعلم أن الأذان على قلة ألفاظه مشتملٌ على مسائل العقيدة؛ وذلك أنه عليه الصلاة والسلام بدأ بالأكبرية؛ وهي تتضمن وجود الله تعالى ووجوبه وكماله، ثم ثنّى بالتوحيد ثم ثلّث برسالة رسوله، ثم ناداهم لما أراد من طاعته، ثم ضمن ذلك بالفلاح؛ وهو البقاء الدائم، فأشعر بأن ثمّ جزاء، ثم أعاد ما أعاد توكيدًا"[4]، وبذلك تتحقق الدعوة إلى الله وتنفذ إلى كافة المدعوين (مسلمين وغير مسلمين) وفي ذلك عظيم الفائدة وكمال الأجر.

سابعًا - من ميادين الدعوة: المسجد:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول أنس رضي الله عنه: (لقد رأيت كبار أصحاب رسول الله ﷺ يبتدرون السواري)، ويبتدرون: أي: يستبقون"[5] والسواري: أساطين المسجد[6]، وأيضًا في قوله رضي الله عنه: (حتى إن الرجل ليدخل المسجد...)، ويُعدُّ المسجد أهم مركز إعلامي بين المسلمين، وأوثق صلة بين بعضهم البعض وذلك لترددهم المستمر عليه، ولقائهم بالبعض

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ١٩.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٨٥١).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٤.

(٤) المفهم ١٤/٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٢٧/٢.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ر ي).

فيه. وقد عظم الله تعالى مكانته ورفع من شأنه في آيات كثيرة"[1].

فقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[3]، وقال رسول الله ﷺ: ((أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا. وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا))[4]، "فالمسجد قلعة الإيمان، وحصن الفضيلة، وهو المدرسة الأولى التي يتخرج منها المسلم؛ فهو بيت الأتقياء، ومكان اجتماع المسلمين كل يوم خمس مرات، ومحل تناصحهم وتشاورهم، ومن المسجد خرجت الجيوش الإسلامية ففتحت مشارق الأرض ومغاربها...، فضلاً عن كونه الأساس الأول في تكوين شخصية المسلم، وتكوين خلقه وعبادته وعلاقته بربه وبنفسه وإخوانه المسلمين، فالمسجد في صورته الاجتماعية، وارتباط المسلمين به، مركز إشعاع وتوجيه وتربية لهم"[5]، فهو من أهم الميادين الدعوية إلى الله.

---

(١) الدعوة الإسلامية "الوسائل والأساليب"، محمد خير رمضان ص ١٢.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٨.

(٤) أخرجه مسلم ٦٧١.

(٥) رسالة إلى أئمة المساجد والمؤذنين والمأمومين، جمع وتحقيق: عبدالله بن جار الله ص ١٩ - ٢٠.

الحديث رقم (١١٢٥)

١١٢٥- وعن أنس ﷺ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ كِبَارَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ عِندَ المَغْرِبِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يبتدرون: يستبقون ويتسارعون[2].

السواري: جمع السارية، وهي الأسطوانة، أو العمود[3].

والمراد بقوله: ((يبتدرون السواري)): التسابق والمسارعة إلى أداء سنة المغرب باتخاذ الأسطوانة ساترًا للصلاة[4].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في فضل سنة المغرب يحكي فيه أنس ﷺ الخبر عن كبار الصحابة وقوله رأيت يشير إلى قوة الخبر، وصدقه، وذكر لفظ كبار يشير إلى أهل الرأي الذين لا يرد فعلهم، ولا يشك فيه، وإضافة لفظ كبار للصحابة يشير إلى أنه سنة؛ لأنهم أجمعوا على الفعل، ولذلك جمع لفظ كبار، وأصحاب، وكلها أمور توثق الخبر، وتؤكده عند المخاطب، وقوله (يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ عِندَ المَغْرِبِ) كناية عن شروعهم في صلاة النافلة القبلية للمغرب، ولفظ يبتدرون يوحي بالتسابق، ويشير إلى روح المنافسة في أمور الآخرة التي كانت تشتعل في نفوس القوم.

المضامين الدعوية[5]

---

(١) برقم (٥٠٣)، وأخرجه مسلم أيضًا برقم ٨٣٧/٣٠٢.

(٢) المعجم الوسيط في (ب د ر).

(٣) المعجم الوسيط في (س ر ي).

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي حديث رقم ٨٣٧ – ص ٥٥٢، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٧/٢.

(٥) سبق تناولها في شرح الحديث رقم (١١٢٤).

الحديث رقم (١١٢٦)

١١٢٦- وعنه، قَالَ: كُنَّا نصلِّي عَلَى عهد رسولِ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ قَبْلَ[1] المَغْرِبِ، فَقِيلَ: أكَانَ رسولُ الله ﷺ صَلاَّهما؟ قَالَ: كَانَ يَرَانَا نُصَلِّيهِمَا فَلَمْ يَأمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

قول الراوي (كنا) يشير إلى أنهم كانوا جماعة، وأن الفعل سابق لزمن الحديث، وأنه ثابت محقق، وقوله (على عهد) العهد الميثاق، والتعبير به يشير إلى قوة الصلة التي جمعتهم فيه، والمقصود زمن النبي ﷺ وهو الزمن المعلم لكل الأزمان، وأحداثه التي فعلها الرسول ﷺ، أو أقرها سنن لبقية العصور في طريق الخير وقوله (رَكْعَتَيْنِ) يحدد عدد هذه النافلة، وقوله (بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ قَبْلَ المَغْرِبِ) يحدد زمانها تحديدا دقيقا، والطباق بين الظرفين (بعد - قبل) والجناس بين غروب، والمغرب يجذب السمع، ويزيد المعنى وضوحاً، وقولهم (أكَانَ رسولُ الله ﷺ صَلاَّهما؟) استفهام تقرير للتحقيق، والتثبيت وقول الراوي (كَانَ يَرَانَا نُصَلِّيهِمَا فَلَمْ يَأمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا) يقرر أولا: أنه لم يره يصليها، وثانيا أنه أقرَّهم على فعلها يدل على ذلك الطباق بين الفعلين المنفيين (فلم يَأمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا) وبذلك تصير سنة لأنه أقرهم عليها.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) عند مسلم زيادة: (صلاة).

(٢) برقم (٣٠٢/٨٣٦).

(٣) سبق تناولها في شرح الحديث رقم (١١٢٤).

الحديث رقم (١١٢٧)

١١٢٧- وعنه، قَالَ: كُنَّا بِالْمَدِينَةِ فَإِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ لِصَلاَةِ الْمَغْرِبِ، ابْتَدَرُوا السَّوَارِيَ، فَرَكَعُوا رَكْعَتَيْنِ، حَتَّى إنَّ الرَّجُلَ الغَرِيبَ لَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ فَيَحْسَبُ أنَّ الصَّلاَةَ قَدْ صُلِّيَتْ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يُصَلِّيهِمَا. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

ابتدروا السواري: سارعوا إلى أعمدة المسجد لأداء سنة المغرب[2].

الشرح الأدبي

قول أنس رضي الله عنه (كنا بالمدينة) تعريف المدينة بـ(ال) التي للعهد إشارة إلى مدينة الرسول ﷺ، وأسلوب الشرط (فَإِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ لِصَلاَةِ الْمَغْرِبِ) يشير إلى اعتيادهم على الفعل المنصوص عليه في جواب الشرط المتصل بفعل الشرط من ناحية التحقق أو عدمه، وبين قوله أذن، والمؤذن جناس يحقق جرسا يجذب السمع، ويؤكد المعنى، وقوله (ابتدروا السواري) كناية عن التهيؤ والشروع في الصلاة، والتعبير بالابتدار يشير إلى المسارعة، والتسابق الذي يشي بروح المنافسة السائدة بينهم للتنافس في الصالحات، وقوله (فركعوا ركعتين) جناس يؤكد المعنى والتعبير عن صلاة النافلة بالركوع من المجاز بالتعبير بالجزء عن الكل بيانا لشرفه، وإشارة إلى الغاية من الصلاة، وهي تحقيق الخضوع، والذل الذي يتمثل في انحناء القامة، والذي يصوره الركوع، وبين قوله (صُلِّيَتْ)،وبين (يُصَلِّيهِمَا) جناس يؤكد المعنى بتوفر الصحابة على صلاتها الأمر الذي يجعل الغريب يعتقد أنهم أنهوا صلاتهم، وهو مبالغة في كثرة من يصليها.

---

(١) برقم (٣٠٣/٨٣٧).

(٢) انظر شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٥٢، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/١٢٧.

فِيهِ حديث ابن عمر السابق: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ، وحديث عبد الله بن مُغَفَّلٍ: ((بَيْنَ كُلِّ أذَانَيْنِ صَلاةٌ)) متفق عَلَيْهِ. كما سبق (ينظر شرح الحديث: (١١٠١).

فِيهِ حَديث ابن عمر السابق ((٤)) أنّه صَلَّى مَعَ النَّبيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمعَةِ. متفقٌ عَلَيْهِ.

المضامين الدعوية[1]

(١) سبق تناولها في شرح الحديث رقم (١١٢٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من مهام المربي: الدلالة على فعل الخير:

هذا مستمد من حديثين من أحاديث الباب: الأول: قول عبدالله بن مغفّل ﵁ عن النبي ﷺ قال: «صلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ». وقال في الثالثة: «لِمَنْ شَاء» ولفظ أبي داود: «صلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ»[1]. فقد دل ﷺ أصحابه على صلاة ركعتين قبل المغرب، مع أنه ﷺ لم يصلهما، كما هو ظاهر حديث أنس بن مالك ﵁: «كَانَ يَرَانَا نُصَلِّيهِمَا. فَلَمْ يَأْمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا»، فدل ذلك على أنه ﷺ دلهم على الخير ولو لم يفعله ﷺ لأي سبب من الأسباب.

ولعل في الحديث الذي أخرجه البخاري بإسناده عن مرثد بن عبدالله اليزني قال: «أتيتُ عُقبةَ بنَ عامرٍ الجُهَنيَّ فقلتُ: ألا أُعَجِّبُك من أبي تَميم (تابعي كبير)، يَركَعُ رَكعتَينِ قبلَ صَلاةِ المغربِ. فقال عُقبةَ: إنّا كنَّا نفعلُهُ على عهدِ رسولِ اللّهِ ﷺ، قلتُ: فما يَمنعُكَ الآنَ؟ قال: الشغلُ»[2]. لعل في هذا الحديث ما يوضح المقصود، وهو أن النبي ﷺ دل أصحابه على السنة القبلية لصلاة المغرب مع أنه ﷺ لم يفعلها.

إذن نخلص من هذا إلى أنه يمكن الاستفادة من هذه الأحاديث في مجال التربية والتوجيه في أهمية قيام المربي بالدلالة على الخير وإن لم يفعله لأي سبب من الأسباب، فهذا لا يمنع من دلالة الآخرين على ما ينفعهم، وذلك لما في الفائدة التي تعود عليهم من وراء ذلك، وهذا يعرض كثيرًا لأصحاب الهمم العالية والنفوس الكبيرة من المربين، فلا يجدون كثيرًا من الوقت لفعل الخير بجميع أنواعه، فلا يكون أمامهم بدٌّ من فعل الأهم فالأهم والأفضل بالأفضل، ودلالة غيرهم على الخير، فإن الناس تختلف قدراتهم واستعدادهم، فما يناسب بعضهم، قد لا يناسب البعض الآخر، فقد يبرع بعضهم فيما لا يبرع فيه الآخر.

---

(١) سنن أبي داود، ١٢٨١.

(٢) أخرجه البخاري، ١١٨٤.

وقد تحدث ابن القيم عن علمين من أعلام صحابة رسول الله ﷺ، وعن براعة أحدهما فيما لم يبرع فيه الآخر، مع أن كليهما أفاد الأمة إفادة عظيمة، قال ابن القيم: "هذا عبدالله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن. مقدار ما سمعه من النبي ﷺ لا يبلغ نحو العشرين حديثًا الذي يقول فيه: «سمعت ورأيت» وسمع الكثيرَ من الصحابة، وبورك له في فهمه والاستنباط منه، حتى ملأ الدنيا علمًا وفقهًا، قال أبو محمد بن حزم: وجمعت فتواه في سبعة أسفار كبار، وهي بحسب ما بلغ جامعها، وإلا فعلم ابن عباس كالبحر، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس، وقد سمعوا ما سمع، وحفظوا القرآن كما حفظه، ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي وأقبلها للزرع، فبذر فيها النصوص، فأنبتت من كل زوج كريم، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1].

وأين تقع فتاوى ابن عباس، وتفسيره، واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره؟ وأبو هريرة أحفظ منه؛ بل هو حافظ الأمة على الإطلاق: يؤدي الحديث كما سمعه ويدرسه بالليل درسًا؛ فكانت همته مصروفة إلى الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه. وهمة ابن عباس مصروفة إلى التفقه، والاستنباط، وتفجير النصوص، وشق الأنهار منها واستخراج كنوزها"[2].

ثانيًا: التربية بذكر افعال أهل الفضل والأعلام، وسيرتهم:

وهذا مستمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «رَأَيْت كِبَارَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ عِنْدَ الْمَغْرِبِ»، فلا شك أن ذكر أنس لكبار الصحابة كان لغرض، وهو بيان أن أعلام الصحابة كانوا يفعلون ذلك، ومن ثمَّ كان أدعى للاقتداء بهم في فعلهم هذا، وعلى ذلك يمكن الاستفادة من هذا الحديث في المجال التربوي بأنه من طرق التربية، ذِكْرُ أفعالِ أهل الفضل من الناس - كالصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٤.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢/٣٢٤، ٣٢٥، مجموعة الحديث المعروف بـ "مجموعة الحديث النجدية".

سار على نهجهم وعلماء المسلمين ممن برّوا غيرهم في مجالاتهم -لأن الأبصار معلقة بهم، تراقبهم وتلاحظهم وتحسن التربية على منهاجهم حتى يفاد منهم ومن مآثرهم، ولذلك تجد كتب التربية ملأى بقصص الأعلام وكفاحهم وجهادهم في الوصول إلى ما يريدون من مجد وسؤدد، ولذا كان على المربين أن يكثروا من هذا، فإن من الأمور المفيدة جدًا أن يستفيد المربي من كتب التراجم، فإن فيها قدرًا هائلاً من القصص الحقيقية الغنية بكل ما نحتاج إليه في تربية الطفل، وخاصة غزوات الرسول ﷺ وتراجم الصحابة رضي الله عنهم والأبطال القادة، "وقد كان سلفنا الصالح رضي الله عنهم يجعلون من غزوات الرسول ﷺ وسراياه مادة عظيمة لتربية أطفالهم، فعن إسماعيل بن محمد بن سعد قال: كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدها علينا وسراياه، ويقول يابني هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها، وعن علي بن الحسين يقول: "كنا نعلّم مغازى النبي ﷺ وسراياه، كما نعلم السورة من القرآن"[1].

ثالثًا: التربية بالممارسة:

وهذا مستمد من قول أنس بن مالك رضي الله عنه: « كُنَّا بِالمدِينَةِ فَإِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ لِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ ابْتَدَرُوا السَّوَارِيَ فَرَكَعُوا رَكْعَتَيْنِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ الْغَرِيبَ لَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ فَيَحْسِبُ أَنَّ الصَّلَاةَ قَدْ صُلِّيَتْ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يُصَلِّيهِمَا »، فقد بيّن الصحابة رضي الله عنهم مدى حرصهم على تأدية ركعتين قبل صلاة المغرب، بالفعل لا بالقول، حتى يظنّ الغريب الداخل أن صلاة المغرب قد أديت، وذلك من كثرة الصحابة الذين يصلُّون السنة القبلية. وهذا قد يستفاد منه أن ينبغي التربية بالممارسة، وأنها قد تكون أدعى إلى أن تكون أشد تأثيرًا وأسرع استجابة، ولعلنا نضرب مثالاً يوضح ذلك، فمن المعلوم تاريخيًا أن أندونيسيا لم يدخلها جيش إسلامي ينقذ أهلها من الضلال، وينقلهم إلى النور، ومع أنها أكبر بلد مسلم من حيث عدد المسلمين، والذي حوّل أهلها إلى الإسلام واعتناقه، هو مما رأوه من نماذج من المسلمين يمارسون الإسلام وما يحمله من قيم وفضائل وآداب معهم، لقد دخل أندونيسيا تجار مسلمون عاملوا أهلها وفق آداب الإسلام وفضائله، فعرفوا أنه الدين الحق، فدخلوا فيه أفواجًا.

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة، ٤٥، ٤٦ ومصدره.

وهكذا ينبغي أن يكون المربون حريصين على التطبيق والممارسة العملية لأن ذلك أبلغ أثرًا في النفوس، مما يكون باعثًا على الالتزام والإفادة من هذا النمط التربوي، لأن "الدليل بالفعل - كما يقول ابن الجوزي- : أرشد من الدليل بالقول"[1].



(١) صيد الخواطر، ٢١٨.

٢٠٢- باب سنة العشاء بعدها وقبلها

فِيهِ حديث ابن عمر السابق: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ[١].

وحديث عبد الله بن مُغَفَّلٍ: ((بَيْنَ كُلِّ أذَانَيْنِ صَلاَةٌ)) متفق عَلَيْهِ[٢]. كما سبق.

فقه الباب

قال النووي: (يستحب أن يصلي قبل العشاء الآخرة ركعتين فصاعدًا لحديث عبدالله بن مغفل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "بين كل أذانين صلاة، بين كل أذانين صلاة، قال في الثالثة: لمن يشاء" والمراد بالأذانين: الأذان والإقامة باتفاق العلماء)[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) تقدم برقم (١١٠٠).

(٢) تقدم برقم (١١٠١).

(٣) المجموع ٣/٢٤٨ .

(٤) تقدم شرحها مدمجة في الحديث برقم (١٠٩٩).

٢٠٣- باب سنة الجمعة

فِيهِ حَدِيث ابن عمر السابق، أنَّه صلَّى مَعَ النَّبيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمعَةِ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

الحديث رقم (١١٢٨)

١١٢٨ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا صَلَّى أَحَدُكُم الجُمُعَةَ، فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أرْبعًا)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول الترغيب في السنة البعدية لصلاة لجمعة جاء في أسلوب شرط الذي يعرض الجزاء مرتبطاً بالفعل، ويترك المؤمن ليختار مصيره، وداعي الله في قلبه يدعوه إليه، فيكون حرٌّ الاختيار بعد ظهور العاقبة، والتعبير بالماضي يشير إلى تمام الفعل، وتحققه واستخدام (إذا) يشير إلى وقوع الشرط، لأن الذي يصلي الجمعة يرجى أن يصلي الأربع بعدها وقوله أحدكم يشمل الجميع بمظلة الحكم، وقوله (الجمعة) فيها إيجاز بحذف المضاف أي: صلاة الجمعة، وقوله (فليصل) الفاء واقعة في جواب الشرط، والفعل (ليصل) أمر للنصح، والإرشاد، والظرف (بعد) يحدد وقت النافلة، والعدد (أربعا) حدد عددها، والحديث ترغيب في أداء سنة الجمعة بعدها بنافلة يتم بها ما انتقص من الفريضة التي تكفر من الخطايا ما بينها، وبين الجمعة السابقة لها.

فقه الحديث

تشتمل هذه الأحاديث[٣] على ما يأتي:

---

(١) تقدم برقم (١١٠٠).

(٢) برقم (٨٨١/٦٧).

(٣) أي أحاديث الباب.

١- استحباب سنة الجمعة بعدها، والحث عليها[١]، وإن كان الفقهاء قد اختلفوا في عددها، تبعًا لاختلاف الروايات الواردة في ذلك، فقيل: ركعتان، وقيل: أربعًا، وقيل: ستًا[٢].

والأفضل القول بالتخيير بينا حسب ما يستطيعه الشخص، ويقدر عليه.

٢ - مكان تأدية سنة الجمعة: ذهب جمهور الفقهاء[٣] إلى أنها تصلى في المسجد بينما ذهب المالكية[٤] إلى أنها تصلى في البيت اقتداءً بفعله ﷺ.

المضامين الدعوية[٥]

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط والأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الجمعة وبيان هدي النبي ﷺ في الصلاة بعدها.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في الحرص على صلاة سنة الجمعة.

أولاً - من أساليب الدعوة: الشرط والأمر:

الشرط من الأساليب الدعوية التي يكون بها استحضار أذهان المدعوين، ولفت انتباههم لمعرفة جواب الشرط، وقد اشتمل أسلوب الشرط في الحديث على أداة الشرط في قوله ﷺ: (إذا)، وعلى فعل الشرط في قوله: (صلى أحدكم الجمعة)، وعلى جواب الشرط في قوله: (فليصل بعدها أربعا)، أما الأمر فهو من الأساليب الدعوية المهمة التي

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٩٦/٦.

(٢) منار السبيل ١٤٤/١، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٥٢/٢، شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٧٠/٢، مغني المحتاج ٢٢٠/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٠٢/١٠.

(٣) المبسوط ١٥٧/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٥/١، المجموع ٥٠٣/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٤١/٣، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٤٠٥/٢، المغني، ابن قدامة ١٠٩/٢.

(٤) المنتقى شرح الموطأ ٢٩٧/١، مواهب الجليل ٩٧/٢.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٢٨ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٢٩).

يستعين بها الداعية في حمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه، لما في ذلك من خير عظيم وأجر كبير، وقد ورد أسلوب الأمر في الحديث من قوله ﷺ: (فليصل).

وذلك الأمر على سبيل الإرشاد والاستحباب، إذ أن الأمر يأتي مشتملاً على صيغة يطلب بها على وجه التكليف والإلزام كقول الله عز وجل: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1]، وقد تخرج صيغة الأمر عن معناها الأصلي إلى معاني أخرى تستفاد من سياق الكلام، كالإرشاد والدعاء والالتماس والتمني والتخيير والتسوية والإباحة، وغير ذلك من المعاني [2]، ومنها ما جاء في الحديث: "إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعًا".

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الجمعة وبيان هدي النبي ﷺ في الصلاة بعدها:

هذا ما يستفاد من سياق الحديثين الشريفين الواردين، والجمعة فرض عين على الرجال؛ لقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾[3]، ولقوله ﷺ: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَو لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ))[4]، قال النووي: "فيه أن الجمعة فرض عين"[5]، وقال ﷺ: ((الْجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي جَمَاعَةٍ إلاَّ أَرْبَعَةً: عَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَوْ امْرَأَةٌ أَوْ صَبِيٌّ أَوْ مَرِيضٌ))[6]"[7].

وقد حثّ النبي ﷺ على أداء صلاة الجمعة ورغّب في ذلك؛ لعظم شأنها وعلو

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) انظر: البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٣) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٤) أخرجه النسائي ١٣٧١، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٢٩٩).

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦٥.

(٦) اخرجه مسلم ٨٥٦.

(٧) كتاب الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء ص ٩٢.

قدرها، فقال: ((مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ واغْتَسَلَ ثُمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا))[1].

قال صاحب عون المعبود: "وقوله ﷺ: (ثم بكر): بالتشديد على المشهور، قال النووي: أي راح في أول وقت (وابتكر): أي أدرك أول الخطبة، ورجحه العراقي في شرح الترمذي، وقيل: كرره للتأكيد، وبه جزم ابن العربي في عارضة الأحوذي. قال ابن الأثير[2]: بكر أتى الصلاة في أول وقتها، وكل من أسرع إلى شيء فقد بكر إليه، وأما ابتكر فمعناه أدرك أول الخطبة، وأول كل شيىء باكورته، و ابتكر الرجل: إذا أكل باكورة الفواكه، وقيل: معنى اللفظين واحد، فعل وافتعل، وإنما كرر للمبالغة والتوكيد، كما قالوا جادّ مُجِدّ. انتهى. (ومشى ولم يركب): قال الخطابي: معناهما واحد، وإنه للتأكيد وهو قول الأثرم صاحب أحمد. انتهى (ولم يلغ): من لغا يلغو لغوًا معناه: استمع الخطبة ولم يشتغل بغيرها. قال النووي: معناه لم يتكلم، لأن الكلام حال الخطبة لغو (كان له بكل خُطوة): بضم الخاء بعد ما بين القدمين (عمل سنة أجر صيامها وقيامها): أي صيام السنة وقيامها، وهو بدل: من عمل سنة"[3].

وقال ﷺ: ((مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ. فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً. فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ))[4].

وقال ﷺ: ((مَنِ اغتَسلَ يومَ الجُمعةِ وتطهَّرَ بما استطاعَ مِن طُهرٍ، ثم ادَّهنَ أو مسَّ من طيبٍ، ثمَّ راحَ فلم يُفرِّقْ بينَ اثنينِ فصلَّى ما كُتِبَ له، ثمَّ إذا خرجَ الإمامُ أنصَتَ،

(١) أخرجه أبو داود ٣٤٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ك ر).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٩٠.

(٤) أخرجه البخاري ٨٨١، ومسلم ٨٥٠.

غُفِرَ له ما بَينَهُ وَبينَ الجُمعةِ الأُخرى))[١].

وقال ﷺ: ((الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ))[٢]، وقال ﷺ: ((مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ. ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ. غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ. وَزِيَادَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ. وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا))[٣].

قال النووي: "قال العلماء: معنى المغفرة له ما بين الجمعتين وثلاثة أيام، أن الحسنة بعشر أمثالها، وصار يوم الجمعة الذي فعل فيه هذه الأفعال الجميلة في معنى الحسنة التي تجعل بعشر أمثالها. قال بعض أصحابنا: والمراد بما بين الجمعتين من صلاة الجمعة وخطبتها إلى مثل الوقت من الجمعة الثانية، حتى تكون سبعة أيام بلا زيادة ولا نقصان ويضم إليها ثلاثة فيصير عشرة"[٤].

أما هديه ﷺ في الصلاة بعدها فقد ورد ذلك في الحديث من قوله ﷺ: (إذا صلى أحدكم الجمعة، فليصل بعدها أربعًا، وأيضًا في قول ابن عمر رضي الله عنهما، إن النبي ﷺ كان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين في بيته، قال النووي: "وفي هذه الأحاديث استحباب سنة الجمعة بعدها والحث عليها"[٥].

"وليس لصلاة الجمعة سنة قبلها، ولكن من صلى قبلها نافلة مطلقة قبل دخول وقتها فلا بأس به؛ لترغيب النبي ﷺ في ذلك، كما في حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنِ اغتَسلَ يومَ الجُمعةِ ....، ثمَّ راحَ فلم يُفرِّقْ بينَ اثنينِ فصلَّى ما كُتِبَ له))[٦]، "ولفعل الصحابة رضي الله عنهم، ولأفضلية صلاة النافلة، ولا يُنكر عليه إذا ترك؛ لأن السنة الراتبة تكون بعد الجمعة بركعتين أو أربع ركعات"[٧]، وهذا ما أشار إليه نص الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري ٩١٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٣٣.

(٣) أخرجه مسلم ٨٥٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦٢.

(٥) المرجع السابق ٥٧٢.

(٦) أخرجه البخاري ٩١٠.

(٧) الفقه الميسر، نخبة من العلماء ص ٩٦.

"والجمع بين الحديثين: أنه إذا صلى في بيته، صلّى ركعتين، وإن صلّى في المسجد صلّى أربع ركعات، ومن شاء صلى ستَّ ركعات"[١]، لفعل ابن عمر رضي الله عنهما أنه: ((كَانَ إِذَا كَانَ بِمَكَّةَ فَصَلَّى الْجُمُعَةَ تَقَدَّمَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَصَلَّى أَرْبَعًا، وَإِذَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ صَلَّى الْجُمُعَةَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَلَمْ يُصَلِّ فِي الْمَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهُ، فقال: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَفْعَلُ ذَلِكَ))[٢].

فتبين من ذلك أن أقل الراتبة بعد الجمعة ركعتان، وأكثرها ست، ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية: "أن الراتبة إن صليت في المسجد صليت أربعًا، وإن صليت في البيت صليت ركعتين، فتكون صلاتها على أحوال متنوعة"[٣].

ثالثًا - من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في الحرص على صلاة سنة الجمعة:

هذا ما يستفاد من سياق الأحاديث الواردة، وفي أهمية التأسي بالنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥]، فعلى المدعوين "أن يترسموا خطاه ﷺ، ويسيروا على هديه ويقتفوا أثره، ومبعث التأسي بالنبي ﷺ هو حبه حبًا يستحوذ على القلوب ويلامس شغافها، ويأخذ بمجامعها، وذلك لأنه رسول الله ﷺ اصطفاه الله للهداية، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا الحب الصادق يستوجب اتباعه، والتأسي به، واقتفاء آثاره في صلاة سنة الجمعة البعدية"[٦].

---

(١) الملخص الفقهي، د. صالح الفوزان ٢٥١/١.

(٢) أخرجه أبو داود ١١٣٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٠٠٠).

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد صالح ابن عثيمين، ط/١ مؤسسة آسام، الرياض: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ١٠٢/٥ - ١٠٣.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٦) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٥٩ - ٦٠.

الحديث رقم (١١٢٩)

١١٢٩ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لاَ يُصَلِّي بَعْدَ الجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في بيان سنة الجمعة، ولكنه ترغيب في صلاتها في البيت، وهو يختلف عن سابقه في أمور منها أنه يرغب فيها بتقرير فعل الرسول ﷺ لها، مع تقرير زمانها في قوله (بَعْدَ الجُمُعَةِ) ومكانها (في بيته) وعددها (ركعتين) وبذلك يكون عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قد بيَّن كل ما يلزم لأداء هذه النافلة من ناحية تقرير الفعل المرغب في إتيانها بنقل فعل الرسول ﷺ، وبيان وقتها ومكانها، وعددها ثم إنه فارق الحديث السابق في أنه جعل مكانها البيت، وعددها ركعتان، والحديث السابق رغب في صلاتها أربعا دون أن يخص المنزل.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٨٨٢/٧١).

(٢) تقدم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث البابين (٢٠٢، ٢٠٣)

أولاً- تنوع أساليب التربية:

من المهم جدًا أن ينوع المربي في تربيته ولا يظلّ حبيس أسلوب تربوي معيّن أو نمط توجيهي محدد، بل يدفعه حبه إلى أن يرى غرسه التربوي يانعًا مثمرًا يُؤتي أُكله كل حين ويدفعه هذا إلى أن ينوّع في أساليبه التربوية، وتجده يختار من الأساليب ما يناسب الموقف ويلاءم الحال فإن لكل مقام مقالاً، وإن لكل حادثة حديثًا يناسبها ولا يناسب غيره ويلائمها ولا يلائم غيره، ويوافقها ولا يوافق سواه، ولما كانت التربية عملاً مستمرًا لا ينقطع في الليل أو النهار ولا في مختلف الأوقات والأحوال، فهي قائمة في مواطن اللهو والترفيه كما هي قائمة وقت الجد والاجتهاد، وهي قائمة في وقت التنشئة كما هي قائمة وقت الشباب وما بعده، لما كانت التربية عملاً مستمرًا كان من الفطنة أن ينوّع المربي في استخدام الأساليب التربوية تنويعًا ينفي السآمة والملل عمن يقوم بتربيتهم ويبعث فيهم النشاط والجدّ والقبول والامتثال لما يرشدهم إليه ويوجههم نحوه.

والخلاصة أن من المهم جدًا أن يقوم المربي بالتنويع في أساليبه التربوية، هذا من ناحية التنظير والتقعيد، فماذا عن ناحية الفعل والاستخدام الواقعي؟ إن أحاديث الباب فيها تنوّع تربوي فهي تجمع بين التوجيه بالفعل والتوجيه بالقول، ففعلُ النبي ﷺ نقله ابن عمر رضي الله عنهما في حديثين: أنه صلى مع النبي ﷺ ركعتين بعد الجمعة، وأن النبي ﷺ كان لا يصلّي بعد الجُمُعة حتى ينصرف، فيصلي ركعتين في بيته. أما التوجيه القولي فنقله أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: "إذا صلّى أحدكم الجمعة، فليصلِّ بعدها أربعًا".

أي أنه ﷺ ربى أصحابه بالقول والفعل، فكان ﷺ يستخدم القول فيما يناسبه ويستخدم الفعل فيما يناسبه.

إن هذه الأحاديث الشريفة هدي نبوي شريف للمربين أن ينوعوا في أساليبهم التربوية ولا يقيموا على أسلوب واحد لا يبرحونه ولا يغادرونه، فيؤتى بعكس المقصود

والمأمول منه، إنك تجد بعض المربين يكثر من استخدام أسلوب الترغيب والحضّ والحث ولا يكاد يعرف أسلوبًا سواه، حتى أصبح هذا الأسلوب يفقد تأثيره عند أتباعه ولا يكاد يحركهم نحو فعل شيء يدعوهم إليه، وبالمثل كذلك تجد بعض المربين يقيم على استخدام أسلوب الترهيب والتخويف، فلا تكاد تمر لحظة إلا وملأها ترهيبًا وتخويفًا، حتى ملأ نفوس أتباعه باليأس والقنوط، معاذ الله من ذلك.

وتجد بعض المربين يستسهل أسلوب القصص والحكايات ويبالغ في ذلك مبالغة كبيرة ويطربه أن أتباعه يتأثرون بذلك تأثرًا بليغًا وينفعلون انفعالاً واضحًا، ونسي أنه بإصراره على ذلك غرس في نفوسهم ثقافة الحكي والقص التي لا يصاحبها في الغالب أخذ العظة والعبرة وتفعيل ذلك في أرض الواقع.

وهذا ما نعاني منه في العصر الحديث، فتجد الناس يقبلون إقبالاً شديدًا على سماع علامات الساعة والقراءة عنها ويتعجبون من ذلك أشد التعجب ويفتحون أفواههم دهشة وتعجبًا لما يحدث في آخر الزمان، وتجدهم هم أنفسهم يقصون ذلك على من يتعاملون معهم، لكن ماذا تكون نتيجة تعلقهم هذا واهتمامهم ذلك؟ الواقع لا يحتاج إلى تعليق أو ملاحظة، فقد اهتم الناس بذلك اهتمام من يعرف الشيء لمجرد المعرفة، دون أن يصاحب ذلك العمل والفعل، لاجتناب فتن آخر الزمان وعدم الوقوع فيها، والعمل على إصلاح النفوس وإصلاح العمل واللجوء إلى الله رب العالمين، للوقاية من الفتن وشرورها والتمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما. هذا هو المبتغى من معرفة علامات الساعة سواء الصغرى أم الكبرى.

ولعلّ الذي يحقق هذه الغاية هو تنوع الأساليب التربوية التي يستخدمها المربي مع من يربيهم، فتجده يستخدم القصة مرة، والتشبيه مرة، والسؤال مرة، والإخبار مرة والشرط مرة، وهكذا، شرط أن يستخدم هذه الأساليب الاستخدام الملائم والمناسب.

وعلى ذلك ينبغي أن يسير التربويون في رسالتهم النبيلة وغاياتهم السامية.

ثانيًا- من وسائل التربية: التعلق بمتابعة أحوال المربي وأفعاله:

نقل ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف،

فيصلّي ركعتين في بيته، إن ابن عمر رضي الله عنهما كان بصره وقلبه كما يكشف هذا الحديث الشريف معلقين بالرسول ﷺ، يتابع أفعاله وأقواله وتصرفاته، حتى إنه ليستمر في هذه المتابعة إلى داخل بيت النبي ﷺ، فينقل إلينا أنه ﷺ كان يصلّي ركعتين في بيته، وانظر إلى كلمة "ينصرف" وما توحي به، إنه رضي الله عنه يتابع النبي ﷺ لحظة بلحظة وخطوة بخطوة وحركة بحركة منذ صلاة الجمعة إلى أن يدخل بيته، ولا يقف عند هذا الحد، بل يعرف - بطرقه المشروعة[1] - ماذا يفعل النبي ﷺ بعد دخوله بيته.

والغرض من هذه المتابعة الدقيقة هو الاقتداء بالنبي ﷺ سواء من عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أم من المنقول إليهم هذا الحديث إلى يوم الدين، فالنبي ﷺ هو قدوة العالمين وأسوة المسلمين، فيحرصون على فعل ما يفعل وأداء ما أدى واجتناب ما اجتنب، وعلى الاهتداء بهديه في الليل والنهار على مدى الأعمار والسنين.

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: ما الذي جعل الصحابة رضوان الله عليهم حريصين أشد الحرص على متابعة النبي ﷺ في جميع أفعاله بصورة لم تشهد لها البشرية مثيلاً ولن تشهد؟

إن الجواب يكمن - في رأينا - فيما يلي:

أ - إن طاعته من طاعة الله وعصيانه من عصيانه، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[2] وقال عز شأنه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[3].

ب - إن إتباعه هو الموصل إلى رضا الله سبحانه وتعالى واجتناب سخطه والفوز

---

(١) ومن ذلك السؤال، كأن يسأل أخته حفصة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أو يسأل خدمه ومواليه ﷺ، أو يخبره النبي ﷺ بذلك أو أحد ممن رأى النبي ﷺ يفعل ذلك، أو رأى بنفسه بأن دخل مع النبي ﷺ أو نحو ذلك، والله أعلم.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٣) سورة النساء، آية: ١٤.

بجنته والبعد عن ناره، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾(١).

ج- إن اتباعه هو الموصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة، فكل طريق سواه أوله وآخره الحسرة والندامة فإنه ﷺ ما أمر إلا بما فيه مصلحة للبشرية جمعاء وما نهى إلا عما فيه مفسدة تضرّ بالناس وبالدنيا كلها، لذا كانت كل الطرق سواه مليئة بالشقاء والعذاب والهلاك.

د- حبهم الخالص له الذي تمكن من قلوبهم ورسخ في أفئدتهم، وجعلهم يضحون بالمال والأهل -وهم سعداء- من أجل طاعته وامتثال أمره واجتناب نواهيه.

هـ- استشعارهم بمسؤوليتهم الحضارية في هذا العالم المضطرب الذي يشيع فيه الظلم والتجبر والتسلط واستخدام القوة في غير محلها، لذا حرصوا على أن يفتحوا البلاد ويزيلوا كل صور الظلم والعدوان والتسلط ويتركوا الناس أحرارًا يختارون ما يشاؤون من أديان، دون وصاية من أحدٍ أو فرض رأي من آخر. ولهذا كان شعارهم وهم يفتحون البلاد "جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن ظلم الناس إلى عدالة الإسلام" فلما فتحوا البلاد نقلوا إلى أهلها أفعاله ﷺ وأحواله وخصاله وشمائله، فأسرع الناس في الدخول إلى الإسلام أفواجًا لأنهم وجدوا رسولاً يحمل إليهم الخير والعدل والصلاح، وقد كان هذا ظاهرًا جدًا في سيرته، فهي خير مثال عملي لمبادئ الإسلام النبيلة وأسسه السامية التي تتطلع البشرية إليها في كل عصر وحين.

والسؤال الثاني الذي يفرض نفسه أيضًا: كيف نجح النبي ﷺ في جعل أصحابه ينقلون أحواله وأفعاله ويحرصون على ذلك أشد الحرص؟

إن الجواب يكمن فيما يلي:

أ - إخلاصه ﷺ الشديد في دعوته ورسالته، فهو ﷺ كان أشد الناس إخلاصًا وأبعدهم عن الرياء والمفاخرة والسمعة، فكل عمل عمله كان لله، وكل

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

عمل اجتنبه كان لله أيضًا، إن إخلاصه ﷺ دَفَعَه إلى أن يقول عن ابنته فاطمة رضي الله عنها أقرب بناته إلى قلبه ((وايمُ اللهِ لو أنَّ فاطمةَ بنت محمدٍ سَرقَت لقَطعتُ يدَها))[1].

ب - حبه ﷺ لأصحابه وبذله الوسع والطاقة في هدايتهم مع الرفق والشفقة والخوف عليهم، فما ترك ﷺ خيرًا إلا دلهم عليه، وما ترك شرًا إلا حذرهم منه، إنه ﷺ كما قال ((إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ أُعَلِّمُكُمْ))[2].

ج - صدقه ﷺ في دعوته فلم يجرب عليه كذب قط، وما دعا الناس إليه كان صادقًا فيه منفذًا له فاعلاً إياه وما نهاهم عنه كان صادقًا في نهيه مبتعدًا عنه مجتنبًا إياه، فحياته صورة عملية لدعوته ورسالته، فلا نجد فيها تناقضًا ولا تعارضًا ولا تحايلاً ولا تبريرًا لعمل غير مقبول، إن حياته وسيرته صورة صادقة لدعوته، وكفى، وهذا ما يدفع الناس إلى الامتثال فضلاً على الحرص على نقل ذلك إلى غيرهم حتى يصيبهم من الخير ما أصابهم.

د - ذكاؤه ﷺ في تربيته لأصحابه، فمن المعلوم أن كل واحد من أصحابه له قدرات ومؤهلات تختلف عن غيره من الصحابة الكرام، وقد كان النبي ﷺ يعرف ما يصلح لكل واحد منهم، فمن كان يصلح للإمارة والقيادة جعله قائدًا وأميرًا ولو كان على أفضل منه وأسبق منه إلى الإسلام، ومن لا يصلح منهم منعهم منها ودلهم على ما يصلحهم ويبرزون فيه ويتفوقون، لذا نجد أن أبا هريرة رضي الله عنه هو أكبر راوية للحديث في الإسلام مع أنه رضي الله عنه أسلم في العام السابع للهجرة، لكنه كان مهتمًا أشد الاهتمام بحفظ الحديث والعناية بذلك عناية فائقة، فلازم رسول الله ﷺ ملازمة تامة، حتى حفظ عنه الكثير الذي نقله إلينا فجزاه الله خيرًا، على حين أن خالد بن الوليد رضي الله عنه قد أسلم في هذا التاريخ أو قريبًا منه لكن كانت روايته للحديث قليلة جدًا، على حين برز في مجال العسكرية بروزًا لافتًا حتى سماه رسول الله ﷺ سيف الله المسلول.

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة، أخرجه البخاري ٣٤٧٥، ومسلم ١٦٨٨.

(٢) أخرجه أبو داود ٨، والنسائي ٤٠، وابن ماجه ٣١٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهكذا كان رسول الله ﷺ يعرف ما يصلح أصحابه ويناسبهم، لذا كانوا أعلامًا بارزين كلٌّ في مجاله.

نخلص من هذا كله أن على المربي أن يتصف بالصفات التي تجعل القلوب تألفه وتحبه وتأنس به، فتحرص على الاقتداء به وعلى نقل أخباره لمن سواهم، فالذكر للإنسان عمر ثانٍ.



٢٠٤- باب استحباب جعل النوافل في البيت

سواء الراتبة وغيرها والأمر بالتحول للنافلة من موضع الفريضة أو الفصل بينهما بكلام

الحديث رقم (١١٣٠)

١١٣٠- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: ((**صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أفْضَلَ الصَّلاَةِ صَلاَةُ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إلاَّ المَكْتُوبَةَ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

زيد بن ثابت: هو ابن الضحاك بن زيد بن النجار.

الإمام الكبير، شيخ المقرئين، والفرضيِّين، مفتي المدينة، وكاتب الوحي، وجُلة الأنصار، ولد بالمدينة ونشأ بمكة، وعندما قَدِم النبي ﷺ المدينة كان ابن إحدى عشرة سنة، استصغره النبي ﷺ يوم بدر، ولم يشهد أحدًا، وشهد الخندق، والمشاهد مع رسول الله ﷺ، وكانت معه راية بني النجار يوم تبوك وكانت أولاً مع عُمارة بن حزم، فأخذها النبي ﷺ منه، فدفعها لزيد بن ثابت، فقال عمارة يا رسول الله! أبلغك عني شيء؟ قال: لا، ولكنّ القرآن مقدّم وزيدٌ أكثر أخذًا للقرآن منك[٢].

وكان يتيمًا عالي الذكاء، أمره النبي ﷺ بتعلم لغة اليهود، فعنه رضي الله عنه قال: (أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود، قال: إني والله ما آمن يهود على كتابي، قال: فما مرّ نصف شهر حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣١)، ومسلم (٧٨١/٢١٣) بنحوه ضمن حديث، واللفظ للنسائي في المجتبى (١٦٠٠).

تنبيه: هذا الحديث بهذا اللفظ أورده المنذري في ترغيبه (٦٢٣) وعزاه للنسائي، وابن خزيمة، ولما نقله المؤلف إلى هنا عزاه إلى الصحيحين، وهو فيهما بنحوه، إلا الشطر الأخير فإنه عند البخاري بلفظه، وهذا الحديث مما أخذ على المنذري، قال الناجي في عجالة الإملاء: رواه البخاري ومسلم وأحمد في حديث. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي مختصرًا، فلو أن المصنّف اطّلع على هذا لم يُبعد النجعة. قلتُ: انتبه له الإمام النووي فعزاه إلى الصحيحين، لكنه أورد لفظ النسائي في المجتبى، ولم يورد لفظهما.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٤٢١/٣، رقم ٥٨٣٣.

كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت كتابهم)[١]، وهو أحد الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ من الأنصار، وعرضه عليه، وهو الذي اعتمد عليه الصدِّيق رضي الله عنه في كتابة القرآن العظيم في صحف، وجمعه من أفواه الرجال، ومن الأكتاف والرِّقاع واحتفظوا بتلك الصحف مدةً، فكانت عند الصديق رضي الله عنه؛ ثم تسلَّمها الفاروقُ رضي الله عنه، ثم كانت بعدُ عند أمِّ المؤمنين حفصة رضي الله عنها، إلى أن ندَب عثمان زيد بن ثابت ونفرًا من قريش رضي الله عنهم إلى كتابة هذا المصحف العثماني الذي به الآن في الأرض أزيدُ من ألفي ألف نسخة، ولم يبقى بأيدي الأمة قرآن سواه.

وكان عمر يستخلفه إذا حج على المدينة، وهو الذي تولى قسمة الغنائم يوم اليرموك، وكان عمر وعثمان لا يقدمان على زيد بن ثابت أحدًا في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة، وكان ابن عباس رضي الله عنهما -على سعة علمه- يأتيه إلى بيته للأخذ عنه، ويقول: العلم يؤتى ولا يأتي، وأمسك ابن عباس بركاب ناقته يومًا حتى يركب فقال زيد له: تنحَّ يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس: لا، هكذا نفعلُ بالعلماء والكبراء، وقد حدّث عن النبي ﷺ وله في كتب الحديث ٩٢ حديثًا، ولما توفي رثاه حسان بن ثابت رضي الله عنه، وقال فيه أبو هريرة رضي الله عنه: اليوم مات خيرُ هذا الأمة، وعسى اللهُ أن يجعل في ابن عباس منه خلفًا.

وتوفي في خلافة معاوية سنة ٤٥هـ[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي، ٢٧١٥ وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ٢١٨٣).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣٥٩/٢ - ٣٦٢)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢٤٥)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣٤٦/٢ - ٣٤٧)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٤٤٥، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٤٢٦/٢ - ٤٤١)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٦٧/٣ - ٦٩)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٥٩/١ - ٦٦٠)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٥٧/٣)، موسوعة عظماء حول الرسول ٨١٥/٢ - ٨١٩.

الشرح الأدبي

بيت المؤمن يشبه قلبه من ناحية عمرانه بذكر الله تعالى عامر بمختلف ألوان العبادة، وهو ما أراده الرسول ﷺ لبيوت المسلمين أن تكون معمورة بالطاعة والذكر التي تجعله خاليا من الشياطين، تحفُّه الملائكة، وأمر الرسول ﷺ المتصل بواو الجماعة التي تعم المخاطبين جميعا بالحكم في قوله (صلوا) يوجه إلى ذلك ويرغِّب في تخصيص البيوت ببعض النوافل، ولذلك علَّق الجار، والمجرور بالصلاة إشارة إلى ذلك ثم تبعها بجملة تعليلية مرتبطة بما قبلها بفاء التعليل حملا للمخاطبين على الاقتناع بفضلها، والجناس بين الصَّلاَةِ، وصَلاَةُ يؤكد هذا المعنى؛ لأنه سبقه بأفعل التفضيل التي ارتقت به قمة الصلوات غير المكتوبة ترغيبا في اغتنام هذه الأفضلية حتى تجعل بيوت المسلمين كخلايا النحل بين الذكر، والصلاة تشع بمعاني السكينة، والطمأنينة، والمودة.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى حكم فقهي يتعلق بصلاة النافلة، وهو أن يصلي المرء بعض النوافل في بيته، حتى تكون صلاته مجلبة للبركة ومطردة للشيطان.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أن السنن الرواتب والنفل مطلقًا يجوز أداؤه في المسجد وفي البيت، ولكن أداءه في البيت أفضل لهذه الأحاديث الصحيحة.

أما صلاة الفرض فقد اتفق الفقهاء على أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٩٨/١، شرح معاني الآثار ٣٣٩/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٨/١، المنتقى ٢٠٨/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٦٨/١، المجموع ٥٤٢/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٣٦/٣، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٩/١، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٢٤٤/١، المغني ٤٤٢/١، المحلى ٧٩/٢.

وأنها أعلى شأنًا، كما اتفقوا[1] على أنه إذا ترك أهل بلد صلاة الجماعة قوتلوا عليها لتركهم شعيرة من شعائر الإسلام.

ثم اختلفوا بعد ذلك في حكم صلاة الجماعة على ثلاثة أقوال سبق ذكرها ولا داعي للتكرار.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية ومكانة الصلاة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر والنداء.

ثالثًا: من ميادين الدعوة: البيت.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التوكيد.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة النافلة في البيت وبيان فضلها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية ومكانة الصلاة:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ: (صلوا أيها الناس...)، "والصلاة عماد الدين، والفارق بين الكفار والمسلمين، لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3]، وهي شرط النجاة، وحارسة الإيمان، وقد ذكرها الله تعالى من الأشراط الأساسية للهداية والتقوى، فقال: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[4]، وقال: ﴿قَدْ

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥٥/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٣٢/١، مواهب الجليل، الحطاب ٨١/٢، شرح منح الجليل، الشيخ عليش ٣٥١/١، مغني المحتاج، الشربيني ٤٦٥/١، نهاية المحتاج، الرملي ١٣٥/٢، المغني، ابن قدامة ٣/٢، الفروع، ابن مفلح ٥٧٦/١.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لأحاديث الباب – ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢.

(٣) سورة الروم، آية: ٣١.

(٤) سورة البقرة الآيات: ١ – ٣.

أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾[1].

وقد استثنى المحافظين على الصلوات من أصحاب الأخلاق الذميمة، وقال: ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾[2]، وقال وهو يذكر المؤمنين المفلحين: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[3]، وقال وهو يحكي عن أهل النار: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴾[4]، وقال عن المنافقين: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[5]، وهي فريضة دائمة مطلقة على كل عبد وحرّ، وغني وفقير، وصحيح ومريض، ومقيم ومسافر، لا تسقط عمن بلغ الحلم في حال من الأحوال، بخلاف الصيام، والزكاة، والحج، الأركان الثلاثة التي وجبت بشروط وصفات، وفي أوقات معينة محدودة، حتى أمر بها في ساحة الحرب، وميدان القتال.

وشرعت صلاة الخوف، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤- ١٥.

(٢) سورة المعارج، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٩.

(٤) سورة المدثر، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

(٥) سورة النساء، آية: ١٤٢.

عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[1]، وقال: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾[2].

فالصلاة معقل المسلم ومفزعه، فهي أقرب إلى المؤمن وأكثر إيواءًا، وأسرع نجدة وإسعافًا، وأسخى وأحنى وأعطف عليه من حجر الأم الرؤوم الحنون على الطفل الشريد، اليتيم الضائع، الضعيف العاجز، كلما عُوكس أو هدد، وكلما أصابه الروع أو الفزع، أو مسه الجوع أو العطش، أوى إلى أمه فرمى نفسه في أحضانها، أو تشبث بأذيالها، كذلك الصلاة معقل المسلم وملجؤه، الذي يأوى إليه، والعروة الوثقى التي يعتصم بها، والحبل الممدود - بينه وبين ربّه - الذي يتعلق به، وهو غذاء الروح وبلسم الجروح ودواء النفوس، وإغاثة الملهوف، وأمان الخائف، وقوة الضعيف، وسلاح الأعزل، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[3]، ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا حزّبه أمر فزع إلى الصلاة، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى))[4]، وكان هذا شأن الصحابة رضي الله عنهم فكان حنينهم إلى الصلاة، وإيثارهم لها على كل ما حُبب إلى النفس البشرية، ومخاطرتهم بأنفسهم وحياتهم في سبيلها معروفة عند المشركين، وقد روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: ((غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ. فَقَاتَلُونَا قِتَالاً شَدِيدًا. فَلَمَّا

---

(١) سورة النساء الآيات: ١٠١ - ١٠٣.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٤) أخرجه أبو داود ١٣١٩، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١١٧١).

صَلَّيْنَا الظُّهْرَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَوْ مِلْنَا عَلَيْهِمْ مَيْلَةً لاقْتَطَعْنَاهُمْ فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ذَلِكَ. فَذَكَرَ ذَلِكَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ قَالَ وَقَالُوا: إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلاَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الأَوْلاَدِ))[1]"[2]. وفي ذلك بيان عظيم على أهمية الصلاة، ومكانة فضلها كركن من أركان الإسلام الذي لا يقوم الدين إلا به.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر والنداء:

الأمر من الأساليب الدعوية المهمة في إرشاد المدعوين وحملهم على فعل الأمر المدعو إليه، لما فيه من خير عميم وفضل عظيم، وهو ما أشار إليه الحديث من حثه ﷺ على استحباب جعل النوافل في البيت وذلك في قوله ﷺ: (صلوا أيها الناس في بيوتكم...)، وقوله: (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم..)، وقوله: (فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته)، أما النداء فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: (أيها الناس)، والنداء من الأساليب الدعوية التي يحصل بها لفت انتباه المدعوين، واستحضار أذهانهم في تبليغ الأمر المدعو إليه.

ثالثًا- من ميادين الدعوة: البيت:

هو ما أشارت إليه الأحاديث في حثه ﷺ على جعل صلاة النوافل في البيت، والبيت من الميادين الدعوية المهمة في نشر الدعوة وتبليغها إلى الأهل والأولاد، "ولقد ثبت قيام النبي الكريم ﷺ بدعوة الناس في منازلهم، وقد كان ذلك بالذهاب إلى منازلهم منزلاً منزلاً، كما كان يجمعهم في بيت أحدهم ثم يقوم بتوجيههم ودعوتهم، وقد اختار النبي ﷺ الدعوة في دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه وكان ﷺ يقوم فيه بتعليم المسلمين أمور دينهم، ودعوته غيرهم ممن وفد عليه هناك إلى الإسلام"[3]، فقد روى ابن سعد عن عثمان بن الأرقم رضي الله عنه قال: (أنا ابن سبعة في الإسلام، أسلم أبي

---

(١) أخرجه مسلم ٨٤٠.

(٢) الأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج)، أبو الحسن على الحسني الندوي، ص ٢٥- ٢٧، ٢٩- ٣٠.

(٣) ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ٢٥٥.

سابع سبعة، وكانت داره بمكة على الصفا، وهي الدار التي كان النبي ﷺ يكون فيها أول الإسلام، وفيها دعا الناس إلى الإسلام، وأسلم فيها قوم كثير. ودُعيت دار الأرقم دار الإسلام)"[1]، فعلى الدعاة أن يقتدوا بنبيهم ﷺ في تفعيل دعوة البيوت كميدان رئيس في الدعوة إلى الله تعالى، إذ به مركز الأسرة ونواة المجتمع الإسلامي، التي إن صلحت صلح المجتمع كله، وإن فسدت تهدم المجتمع.

رابعًا - من أساليب الدعوة: التوكيد:

التوكيد من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية على تأكيد وبيان أهمية الأمر المدعو إليه، فضلاً عن تقوية الكلام في أذهان المدعوين، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من تأكيده ﷺ على أفضلية صلاة النافلة في البيت. وذلك في قوله ﷺ: (أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة)، وقوله ﷺ: (فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا).

خامسًا - من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة النافلة في البيت وبيان فضلها:

هذا ما أشارت إليه نصوص الأحاديث الواردة، وفي بيان ذلك، قال ابن هبيرة: "إن النوافل أفضل ما أتي بها في بيت الإنسان، وذلك به يخلص العبد من مداناة الرياء؛ لأن الفرائض تسلم من ذلك من أجل أنه يؤدي العبد بها حقًا واجبًا، فهو كمن قضى دينًا، وأما النوافل فوضعها على التبرع والاختيار، فإذا أتى بها ظاهرًا، أظهر ما إخفاؤه أفضل له وأحزم"[2]، وقد حث النبي ﷺ على ذلك، فقال النووي: "في قوله ﷺ: (أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة)، إنما حث على النافلة في البيت لكونه أخفى وأبعد من الرياء، وأصون من المحبطات، وليتبرك البيت بذلك وتنزل فيه الرحمة والملائكة، وينفر منه الشيطان، وهو معنى قوله ﷺ في الرواية الأخرى: (فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا)"[3].

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢٤٣/١ - ٢٤٥، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٤٧٩/٢.

(٢) الإفصاح ٣٢/٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٢٨.

وقال ابن حجر ﷺ: "قال التوربشتي في قوله ﷺ: (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا)، أي: من لم يصل في بيته جعل نفسه كالميت، وبيته كالقبر"[١]، وقال القاضي عياض: "هذا من التمثيل البديع حين شبّه البيت الذي لا يُصلى فيه بالقبر الذي لا يتأتى فيه من ساكنه عبادة، وشبه النائم ليله كله بالميت في قبره، وكذلك تمثيله بالحي والميت؛ لأن العمل إنما يتأتى من الحي، وقد يرجع التمثيل إلى صاحب البيت"[٢]، وقال ابن حجر: "ويؤيده ما رواه مسلم: ((مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))[٣]"[٤].

وقال ابن عثيمين: "في قوله ﷺ: (فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا)، يعني: إن البيت إذا صليت فيه جعل الله فيه خيرًا، أي: جعل الله في صلاتك فيه خيرًا، من هذا أن أهلك إذا رأوك تصلي اقتدوا بك وألفوا الصلاة وأحبوها ولا سيما الصغار منهم، ومنها: أن الصلاة في البيت أبعد من الرياء فإن الإنسان في المسجد يراه الناس وربما يقع في قلبه شيء من الرياء، أما في البيت فإنه أقرب إلى الإخلاص، وأبعد عن الرياء. ومنها: أن الإنسان إذا صلى في بيته وجد فيه الراحة، راحة قلبية وطمأنينة، وهذا لا شك أنها تزيد في إيمان العبد، فالمهم أن الرسول ﷺ أمرنا أن نصلي في بيوتنا إلا الفرائض، وفي ذلك بيان على أهمية صلاة النوافل في البيت وبيان فضلها"[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٦٣.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/١٤٤.

(٣) أخرجه مسلم ٧٧٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٦٣.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٣١.

الحديث رقم (١١٣١)

١١٣١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((اجْعَلُوا مِنْ صَلاَتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلاَ تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

بدأ بالفعل (اجعلوا) ووصله بواو الجماعة ليلفت أسماع المخاطبين، ويعممهم بالحكم، وعبر بالفعل (اجعلوا) الذي يفيد معنى الصيرورة إشارة إلى استعداد البيوت لما يصنع بها تسخيرا للإنسان، وقوله (من صلاتكم) أي: بعض الصلاة في البيت، وهي صلاة النافلة، ولما كانت الصلاة تحرم في المقابر فلا يصلى فيها شبه البيت الذي لا يصلى فيه بالقبور، وهي صورة منفرة، وفيها إشارة إلى أن أهل البيت كالأموات فقد شبه البيت الذي لا يصلى فيه بالقبر الذي لا يتمكن الميت فيه من العبادة، وهو بذلك يوحي للنفوس، ويبث في الوجدان بتشبيه البيوت التي لا يصلى فيها بالقبور - مشاعر الانقباض، والخوف، والوجل، وهذا التشبيه المؤكد المجمل يحمل معنى التقبيح، والتنفير من البيوت التي على تلك الصفة ومعنى التوبيخ، والتقصير لمن يسكنها، والغرض الذي يرمي إليه النبي ﷺ من إثارة هذه المشاعر من الانقباض والخوف والوجل للتقبيح والتنفير هو الترغيب في الصلاة وقراءة القرآن في البيوت لتفارق القبور، وتصير كالقصور مليئة بالأنس بذكر الله تحفها، وأهلها الملائكة، والرضوان من الله، وأسلوب الرسول ﷺ وسحر بيانه يجوس في حنايا النفوس لينتقل في مسالكها

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢)، ومسلم (٧٧٧/٢٠٨) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٦١٨)

انتقالا خفيا من شعور إلى شعور - ليقرر – بعد أن يثير مجموعة من المشاعر المتقاربة التي تعمل في اتجاه واحد يقرر ضرورة الصلاة في البيوت، ويثير الرغبة فيها لدفع مشاعر الانقباض التي أثارها بأسلوب النهي (ولا تتخذوها قبورا).

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٣٢)

١١٣٢- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ[1] فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلاَتِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلاَتِهِ خَيْرًا)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يرغب في صلاة النوافل في البيوت جاء في أسلوب الشرط ليعطي للحكم اطرادا في الزمان، والمكان يربط قضاء الفريضة في المسجد، بجعل نصيب من النافلة في البيت، والتعبير بالقضاء يشير إلى التمام، والانتهاء، ولفظ أحدكم يعمم الحكم، وقوله (في مسجده) يعين الفريضة لأنها المختصة بالمسجد، وقوله (فليجعل) جواب شرط في صورة الأمر الموجه للغاية، وذكر البيت يوحي بالسكن، والطمأنينة، وإضافته إلى الضمير في قوله (لبيته) تشعره بالخصوصية التي تستلزم مزيد العناية بما يصلح شأن البيت، وقوله (من صلاته) أي بعض صلاته، وهي النافلة، وقوله (فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلاَتِهِ خَيْراً) جملة تعليلية تحقق الإقناع، والرغبة في إتيان الفعل المحقق لهذا الغرض، والتعبير باسم الفاعل (جاعل) دون الفعل (جعل) دلالة على ثبات هذا الأجر لأن اسم الفاعل يدل على الحدث دون ارتباط بالزمن مما يوحي باستمراره، ودوامه، وإسناد الجعل لله يحقق الثواب، ويعظمه، وتقديم الجار، والمجرور(في بيته) للتخصيص أي بيته خاصة، وتنكير (خيرا) للتعظيم أي يجعل خيرا عظيماً.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) لفظ مسلم: (الصلاة).

(٢) برقم (٧٧٨/٢١٠). أورده المنذري في ترغيبه (٦١٩).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١١٣٠).

الحديث رقم (١١٣٣)

١١٣٣- وعن عمر بن عطاءٍ: أنَّ نَافِعَ بْنَ جُبَيْرٍ أرْسَلَهُ إِلَى السَّائِبِ ابن أُخْتِ نَمِرٍ يَسأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ رَآهُ مِنْهُ مُعَاوِيَةُ فِي الصَّلاَةِ، فَقَالَ: نَعَمْ، صَلَّيْتُ مَعَهُ الجُمُعَةَ فِي المَقْصُورَةِ، فَلَمَّا سَلَّمَ الإمَامُ، قُمْتُ فِي مَقَامِي، فَصَلَّيْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْسَلَ إلَيَّ، فَقَالَ: لاَ تَعُدْ لِمَا فَعَلْتَ. إِذَا صَلَّيْتَ الجُمُعَةَ فَلاَ تَصِلْهَا بِصَلاَةٍ حَتَّى تَتَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ؛ فَإنَّ رسولَ الله ﷺ أمَرَنَا بذلِكَ، أن لاَ نُوصِلَ صَلاَةً بِصَلاَةٍ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

السائب بن يزيد: هو السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة، ويقال عائذ بن الأسود الكندي، أو الأسدي، ويقال الكناني أو الليثي أو الهذلي، يُعَرف بابن أخت النمر - خاله النمر بن جبل- وكان السائب حليفًا لقريش.

له ولأبيه نصيب من الصحبة والرواية، فقد لقي النبي ﷺ وهو غلام صغير، وحج به أبوه وهو في السابعة من عمره في حجة الوداع، فمولده في العام الثاني للهجرة، وهو بهذا تِرْبٌ لعبدالله بن الزبير.

ولسعة علمه وسداد فقهه كان من الذين يتصدرون للفتيا، فيروي ابن سعد عن ابن جريج قال: كان الذين يُفتون بالمدينة بعد الصحابة السائب بن يزيد والمسور بن مَخرمة وعبدالرحمن بن حاطب - وآخرون[٢].

ولحكمته في سياسة الأمور وإدارة الأعمال كان من الذين اعتمد عليهم عمر بن الخطاب فاستعمله على سوق المدينة مع سليمان بن أبي خيثمة وعبدالله بن عنبة بن مسعود وكان ممن شهد اليرموك.

حفظ الله عليه وقته وجسمه إلى أن مات ببركة دعاء رسول الله ﷺ له، فعن الجعد بن عبدالرحمن قال: رأيت السائب بن يزيد سنة أربع وستين جلدًا معتدلاً، فقال:

---

(١) برقم (٨٨٣/٧٣).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٨٣/٢).

قد علمت ما مُتِّعْتُ بسمعي وبصري إلا بدعاء رسول الله ﷺ[١].

دعا له رسول الله ﷺ بالبركة. فعن عطاء مولى السائب بن يزيد قال: رأيت مولاي السائب بن يزيد، لحيته بيضاء، ورأسه أسود، فقلت: يا مولاي ما لرأسك لا يَبْيضُّ؟ قال: لا يَبْيضُّ رأسي أبدًا، وذلك أن رسول الله ﷺ مضى وأنا غلام ألعب مع الغلمان، فسلم وأنا معهم، فرددت عليه السلام من بين الغلمان فدعاني وقال: ما اسمك؟ قلت: السائب بن يزيد، ابن أخت النمر فوضع يده على رأسه وقال: ((بارك الله فيك)) فلا يَبْيَضُّ موضع يد رسول الله ﷺ[٢].

وعن السائب قال: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وجع، فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة، ثم توضأ، فشربت من وَضوئه، ثم قام يصلي فقمت خلفه فرأيت الخاتم بين كتفيه))[٣].

مات سنة اثنتين وثمانين، وقيل ثمان وثمانين، وقيل إحدى وتسعين، وقيل أربع وتسعين، وقيل ست وتسعين.

أمد الله له في عمره وبارك فيه فعاش أربعًا وتسعين سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من صحابة رسول الله ﷺ[٤].

غريب الألفاظ:

المقصورة: مقصورة الإمام: الحجرة في طرف المحراب يصلّي فيها الأمير عادة

---

(١) الرياض المستطابة من أسماء الصحابة، لليمني (١١١، ١١٢).

(٢) مجمع الزوائد، للإمام الهيثمي (٩/٤٠٩) وقال رجال الكبير رجال الصحيح غير عطاء مولى السائب وهو ثقة.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر (٩/٢٠٢).

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢/٤٠١، ٤٠٢)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣١٢، ٣١٤)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢/٤٠١، ٤٠٢)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٤٦٣)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣/١٠٥)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١/٦٨٣)، السندي (٢٤/٤٨٩)، موسوعة عظماء حول الرسول (٢/٨٦٦ - ٨٦٨).

خشية اغتياله[1].

الشرح الأدبي

الحديث ورد في أسلوب قصصي متعدد الأطراف عن عمرو بن عطاء قال إن نافع بن جبير أرسله) أي عمرا إلى السائب رضي الله عنه يسأله أي يسأل عمرو السائب (عن شيء رآه) كناية عن فعل السائب رضي الله عنه في سنة الجمعة من صلاتها بعد الفرض مباشرة دون فاصل بكلام، أو غيره، والذي رآه معاوية رضي الله عنه في الصلاة فقال، وقوله: (صليت معه) أي مع معاوية رضي الله عنه ، وقوله (الجمعة في المقصورة) فيه إيجاز بالحذف أي صلاة الجمع، والمقصورة موضع معين في الجامع مقصور للسلاطين وقوله: (فلما سلم الإمام قمت في مقامي) فيه جناس بين قمت، ومقامي يؤكد المعني، ويلفت الانتباه إلى موضع الخطأ، وقوله (فصليت) أي سنة الجمعة من غير أن أفصل بينهما بشيء (فلما دخل) أي: معاوية بيته (أرسل إلي) لئلا تكون النصيحة على وجه الفضيحة، وهو من أدب معاوية رضي الله عنه (فقال لا تعد) نهي عن إتيان السنة في مكان فعل الجمعة بلا فصل، وقد تبعه بأسلوب شرط يصحح به الخطأ (إذا صليت الجمعة فَلاَ تَصِلْهَا بِصَلاَةٍ حَتَّى تَتَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ)، وذكر الجمعة بعد خصوص الواقعة للتأكيد الزائد في حقها، وقوله (فلا تصلها) من الوصل أي لا توصلها بصلاة أي نافلة، أو قضاء،وقوله (فَإِنَّ رسولَ الله ﷺ أَمَرَنَا بذلِكَ، أن لاَ نُوصِلَ صَلاَةً بِصَلاَةٍ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ) وقوله (نُوصِلَ صَلاَةً بِصَلاَةٍ) فيه جناس ناقص بين الكلمة الأولى، والثانية يحدث جرسا في السمع، ويؤكد المعنى، وبين الكلمة الثانية، والثالثة جناس تام يؤكد المعنى، ويقرره.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: استحباب[2] الفصل بين الفرض والنافلة بنحو كلام أو

---

(١) معجم لغة الفقهاء ٤٢٣.

(٢) المغني، ابن قدامة ١٠٩/٢، الكافي، ابن قدامة ٢٢٩/١، المجموع، النووي ٤٥٥/٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٦٩/١، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٥٤/٢، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٣٣٥.

ذكر، أو انتقال للحديث.

ولعل الحكمة من ذلك ألا يتلبس النفل بالفرض[١].

وهذا قدر متفق عليه بين الفقهاء، وقد اختلفوا بعد ذلك:

فقال الحنفية: يستحب ألا يفصل بين الفرض، والنفل إلا بقدر ما في حديث عائشة: (اللهم أنت السلام.. إلخ) أو بقدر ما في حديث المغيرة بن شعبة من أنه ﷺ كان يقول دبر كل صلاة مكتوبة: ((لا إلهَ إلاّ اللّهُ وحده لا شريكَ لهُ لهُ المُلكُ ولهُ الحمدُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قَدير. اللّهمَّ لا مانعَ لما أعطيت، ولا معطِيَ لما مَنعتَ، ولا يَنفَعُ ذا الجَدِّ مِنكَ الجَدُّ)).

وقال جمهور السلف والخلف: يستحب الفصل بين الفرض والنافلة بالأذكار الواردة عقب الصلوات كالاستغفار، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل.

كما ذكر العلماء أنه يستحب للمرء أن يتحول للنافلة من موضع الفريضة[٢].

والأفضل أن يتحول إلى بيته، فإن أداء النوافل في البيوت أفضل، وإلا فإلى موضع آخر في المسجد أو غيره، وذلك تكثيرًا لمواضع السجود[٣] ومحل استحباب الانتقال والتحول، ما لم تدعُ الحاجة إلى عدمه كضيق المكان[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة الجمعة.

ثانيًا: من آداب الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على ما صدر من مخالفات.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النهي.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٣٣٥، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٢/٥٤.

(٢) الدين الخالص، السبكي ٢/٣١٩، الناشر دار المنار، القاهرة.

(٣) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٢/٥٤، الكافي ١/٢٢٩، المغني ٢/١٠٩، الدين الخالص ٢/٣١٩ - ٣٢٠.

(٤) الدين الخالص ٢/٣٢٠.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع سنة النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة الجمعة:

هذا ما يستفاد من قول: السائب ابن أخت نمر "نعم صليت معه الجمعة". وقول معاوية رضي الله عنه له: "إذا صليت الجمعة فلا تصلها بصلاة...".

(وقد سميت الجمعة بذلك لجمعها الخلق الكثير. ويومها أفضل أيام الأسبوع؛ لقول رسول الله ﷺ: «مِنْ أفْضَلِ أيَّامِكُم يَوْمُ الْجُمُعَةِ»[1]، وقال ﷺ: «نحنُ الآخِرونَ الأوَّلُونَ (وفي رواية: السابقونَ) يومَ القيامةِ، بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتابَ من قَبلِنا، ثمَّ هذا يومُهمُ الذي فُرِضَ عليهم فاختلَفوا فيهِ، فهدانا اللّهُ له، فالناسُ لنا فيه تَبَعٌ»[2].

وروي مسلم عنه ﷺ أنه قال: «أَضَلَّ الله عَنِ الْجُمُعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا. فَكَانَ للْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ. وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الأَحَدِ. فَجَاءَ الله بِنَا. فَهَدَانَا اللّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ»[3].

وشرع اجتماع المسلمين فيه لتنبيههم على عظم نعمة الله عليهم، وشرعت فيه الخطبة لتذكيرهم بتلك النعمة، وحثهم على شكرها.

وشرعت فيه صلاة الجمعة في وسط النهار؛ ليتم الاجتماع في مسجد واحد. وأمر الله المؤمنين بحضور ذلك الاجتماع واستماع الخطبة وإقامة تلك الصلاة)[4]؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[5]. أي: (اقصدوا واعمدوا واهتموا في مسيركم إليها، وليس المراد بالسعي ها هنا المشي السريع، وإنما هو الاهتمام بها، كقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾[6])[7].

---

(١) أخرجه أبو داود ١٠٤٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٩٢٥).

(٢) أخرجه البخاري ٨٧٦، ومسلم ١٩٧٥.

(٣) أخرجه مسلم ١٩٧٩.

(٤) الملخص الفقهي، د. صالح الفوزان، ٢٤٦/١، ٢٤٧.

(٥) سورة الجمعة، الآية: ٩.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ١٩.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٠/٨.

وقد رغب النبي ﷺ في الحرص على صلاة الجمعة فقال: «من غسَّل واغتسل يوم الجمعة ، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، فدنا من الإمام، فاستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة أجر سنة ، أجر صيامها وقيامها»[١]. وقال ﷺ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ، ثُمَّ رَاحَ. فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً. فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»[٢]. وقد رهب وغلظ النبي ﷺ في ترك الجمعة فقال: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ. أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ. ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»[٣].

قال النووي: (وقوله: "ودعهم" أي تركهم. وفيه أن الجمعة فرض عين، ومعنى الختم الطبع والتغطية. قالوا في قول الله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[٤]، أي: طبع، ومثله الرين فقيل الرين اليسير من الطبع، والطبع اليسير من الأقفال، والأقفال أشدها. قال القاضي: اختلف المتكلمون في هذا اختلافًا كثيرًا، فقيل: هو إعدام اللطف وأسباب الخير، وقيل: هو خلق الكفر في صدورهم، وهو قول أكثر متكلمي أهل السنة، قال غيرهم: هو الشهادة عليهم، وقيل: هو علامة جعلها الله تعالى في قلوبهم لتعرف به الملائكة من يمدح ومن يذم)[٥]. وفي ذلك بيان على أهمية صلاة الجمعة وعدم التهاون في أدائها.

ثانيًا - من آداب الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على ما صدر من مخالفات:

هذا ما أشار إليه الحديث من تفقد معاوية رضي الله عنه للسائب بن أخت نمر وحثه على

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٤٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري ٨٨١، ومسلم ٨٥٠.

(٣) أخرجه مسلم ٨٦٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٧ .

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٦٥.

الفصل بين صلاة الفريضة وصلاة النافلة، وذلك في الحديث من قوله ﵁: "لاتعد لما فعلت. إذ صليت الجمعة فلا تصلها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج"، فعلى الداعية أن يتفقد أحوال المدعوين، وأن ينبههم على ما ورد منهم من مخالفات، وفي بيان ذلك: "قال سالم بن عبدالله عن أبيه، أن عمر بن الخطاب ﵁، بينا هو يخطب الناس يوم الجمعة، دخل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فناداه عمر: أية ساعة هذه؟ فقال: إني شغلت اليوم، فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت النداء، فلم أزد على أن توضأت، قال عمر: والوضوء أيضًا، وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل"[1]، وفي ذلك قال النووي ﵀: في قوله"أية ساعة هذه" قاله توبيخًا له وإنكارًا لتأخره إلى هذا الوقت، وفيه تفقد الإمام رعيته، وأمرهم بمصالح دينهم، والإنكار على مخالف السنة"[2].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: النهى:

النهى من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية في إرشاد المدعو، وحمله على تجنب وترك ما فيه مخالفة لأحكام الشرع، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من نهي معاوية ﵁ للسائب بن أخت نمر عن عدم الفصل بين صلاة الفريضة وصلاة النافلة، وذلك في قوله ﵁: "لا تعد لما فعلت. إذا صليت الجمعة فلا تصلها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج؛ فإن رسول الله ﷺ، أمرنا بذلك، أن لا نوصل صلاة بصلاة حتى نتكلم أو نخرج".

رابعًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﵃ على اتباع سنة النبي ﷺ:

هذا ما أشار إليه الحديث من حرص معاوية ﵁ على اتباع سنة النبي ﷺ في الفصل بين صلاة الفريضة وصلاة النافلة، وذلك من قوله: "إذا صليت الجمعة فلا تصلها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج"، "والأصل في ذلك أن كل مسلم متبع لرسول الله ﷺ في كافة أحواله، فإذا عرض له أمر، أو تنازع مع أخيه المسلم في أى شأن من شئون

---

(١) أخرجه مسلم، ٨٤٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٥٦.

الدين أو الدنيا فزع عند ذلك إلى سنة رسول الله ﷺ حتى يجد فيها جوابًا شافيًا كما كان حال الصحابة رضي الله عنهم معه ﷺ في حياته، يفزعون إليه، يسألونه في كافة أمورهم، ويحتكمون إليه في كل شئونهم، فإذا حكم بشيء قبلوا حكمه وسلّموا به عن طيب نفس ورضى، وبعد موته عليه الصلاة والسلام، كان الصحابة رضي الله عنهم إذا اختلفوا في أمر أو خفي عليهم حكمه، تحاكموا إلى من يعلم بالسنة فيما اختلفوا فيه، فإذا ثبتت عندهم السنة لم يتجاوزها إلى غيرها"[١].

"فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان يقول : الدية للعاقلة، ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئًا، حتى أخبره الضحاك بن سفيان أن رسول الله ﷺ كتب إليه: أن يورث امرأة أشيم الضبابي من ديته فرجع إليه عمر"[٢]. "وعن طاوس أن عمر قال: أُذَكِّرُ الله أمرءًا سمع من النبي في الجنين شيئًا ؟ فقام حَمَلُ بن مالك بن النابغة، فقال: كنت بين جاريتين لي -يعني ضَرَّتينِ- فضربت إحداهما الأخرى بِمِسْطَحٍ[٣]، فألقت جنينًا ميتًا، فقضى فيه رسول الله بغُرَّة[٤]. فقال عمر: لو لم أسمع فيه لقضينا بغيره"[٥]. وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع سنة النبي ﷺ.

---

(١) محبة الرسول ﷺ بين الإتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) الرسالة، لأبي عبدالله محمد بن ادريس الشافعي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٧٩.

(٣) بمسطح: المسطح بالكسر: عود من أعواد الخباء، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ط ح).

(٤) الغُرَّة: دية الجنين إذا أُسقط ميتًا وقدرها: عبد أو أمة أو نصف عشر الدية الكاملة للقتل الخطأ، معجم لغة الفقهاء.

(٥) الرسالة، الشافعي ص ٢٨٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على اختلاف قدر الفعل باختلاف الأماكن:

وهذا مستمد من حديث زيد بن ثابت ﷺ أن النبي ﷺ قال: "صلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة"، فالمتبادر إلى الأفهام من هذا الحديث أن صلاة النفل في البيت أفضل من صلاتها في المسجد، مع أنه من ناحية أخرى قد يتبادر إلى الذهن أن الصلاة مطلقًا في المسجد أفضل، لشرف المساجد، وأنها خير بقاع الأرض، وأنها بيوت الله فيها، لكن النبي ﷺ يعلّم أصحابه أن النوافل يختلف حكمها في هذا عن الفرائض، ومن ثم يمكن الاستفادة من هذا الحديث في المجال التربوي وذلك بأن يربي الناشئة وغيرهم على أن الفعل قد يكون واحدًا، لكنه يختلف مقداره وفضله حسب اختلاف الأماكن، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (وكذلك يقال في أجناس العبادات كالصلاة: جنسها أفضل من جنس القراءة والذكر ثم إنها منهي عنها في أوقات النهي، فالقراءة والذكر والدعاء في ذلك الوقت أفضل من الصلاة، وكذلك الدعاء في مشاعر الحج بعرفة ومزدلفة ومنى والصفا والمروة أفضل من القراءة أيضًا بالنصّ والإجماع، فإن النبي ﷺ قال: ((إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا وساجدًا)) وهذا في الصحيح من حديث ابن عباس[1] ومن حديث عليٍّ أيضًا أنه نهاه عن ذلك[2]، ولو قرأ هل تبطل صلاته؟ فيه وجهان في مذهب أحمد، فالنهي عن الصلاة والقراءة في المشاعرِ الفضيلةِ [من باب أولى][3])[4].

والمقصود أن التربية على أن الفعل الواحد قد يختلف فضله باختلاف الأماكن يغرس في الناشئة حسن الفهم وجودة الاستنباط وتدبير الأمور على خير ما يرام وينبغي،

---

(١) أخرجه مسلم ٤٧٩.

(٢) أخرجه مسلم ٤٨٠.

(٣) في المطبوع: بياض في الأصل سواء في الطبعة الأولى أم طبعة العبيكان ١١/٥٦٠، وما أضفناه هنا هو اجتهاد مبني على الفهم والاستنباط، فإن كان صوابًا فلله الحمد والمنة، وإلا فإن نبرأ إلى الله منه.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٢/٣٤٥.

مما يجعلهم يحسنون التصرف في الأماكن المختلفة والأحوال المتنوعة، وهذا يجعل طريق نجاحهم سهلاً ميسورًا بإذن الله، (وهذا باب يحتاج إلى فقه نفس، وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة، فيعطي كل ذي حق حقه، ويوضع كل شيء موضعه، فللعين موضع وللرجل موضع، وللماء موضع وللحم موضع، وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التي هي نظام الأمر والنهي)[(١)].

ثانيًا- التربية بالتنفير:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ: "اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا"، فقد نفّر النبي ﷺ من هجر البيوت بعدم صلاة النوافل فيها، وذلك بجعلها كأنها قبور لا يكون فيها حياة بل يخيم عليها الموات والخراب، وهذا يبعث في النفس البشرية الانقباض، لأنها تنفر من سماع لفظة القبور فضلاً عن مشاهدتها ورؤيتها، ومن ثم يسارع المخاطب إلى النفور من خلوّ بيته من أداء النوافل ويحرص أشد الحرص على أن يجعل في بيته حياة روحية نابضة بالخشوع والخضوع لله رب العالمين، إذن على المربي أن يفعّل طريقة التربية بالتنفير لما لها من آثار إيجابية في التربية، ولنذكر بعض الآيات والأحاديث التي تقوم على ذلك زيادة في بيان أثر التربية بالتنفير:

١- يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[(٢)] فقد جاء التنفير عن الغيبة بذكر صورة بشعة لم يشهد مثلها العقل الإنساني، وهي أن يأكل الأخ لحم أخيه وهو ميت[(٣)].

٢- قال النبي ﷺ: ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لايَذْكرُ ربه مَثلُ الحي والميِّت))[(٤)] وفي لفظ مسلم: ((مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٣٧١ مجموعة الحديث.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٣) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها، ص ٤٥٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٠٧ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

اللّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))[١] فيكفي في التنفير من عدم ذكر الله بأن من يفعل ذلك ميت قلبًا وقالبًا.

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: ((العائدُ في هِبَتِه كالكلبِ يَقيءُ ثمَّ يَعودُ في قَيئِهِ))[٢].

قال البسام: (التعبير عن ذلك بهذا المثل الكريه المستقذر الذي هو الغاية في البشاعة والدناءة والخسة، للإقلاع عن هذا الخلق اللئيم)[٣].

ثالثًا- التربية على توسيع دائرة الخير:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ: "إذا قضى أحدكم صلاته في مسجده فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا"، والشاهد في هذا قوله ﷺ "فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا" قال ابن عثيمين في بيان هذا الخير (يعني أن البيت إذا صليت فيه جعل الله فيه خيرًا، جعل الله في صلاتك فيه خيرًا، من هذا أن أهلك إذا رأوك تصلي اقتدوا بك، وأَلِفُوا الصلاة وأحبوها ولاسيما الصغار منهم"[٤] وهذا توسيع لدائرة الخير لتمتد إلى البيت بدلاً من كونها مقصورة على المسجد هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تعدى الخير للأولاد والزوجة بدلاً من اقتصاره على هذا المصلي، وهذا باب عظيم من أبواب الخير. إذن يمكن الاستئناس بهذا الحديث في تربية الناشئة وغيرهم على أن فعل الخير - والصلاة من أفضل أنواع الخير - لا يأتي إلا بخير، ولا يعود على فاعله إلا بالنفع والفائدة، وهذا إن غرس في نفوسهم كان له من الفوائد التربوية الكثير، منها:

أ- المبادرة إلى فعل الخير والمسابقة إليه والمداومة على ذلك قدر الجهد والوسع.

ب- تعويدهم على أن يكونوا مصدرًا للخير ونبعًا له لا أن يكونوا مصدرًا للشر والضرر.

---

(١) أخرجه مسلم ٧٧٧.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢٢٨٩، ومسلم ١٦٢٢.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٦٨/٤.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٣٣١/١..

ج- الاستكثار من فعل الخير بكل سبيل ممكن، قال ابن القيم: (النعم ثلاثة: نعمة حاصلة يعلم بها العبد، ونعمة منتظرة يرجوها، ونعمة هو فيها لا يشعر بها، فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده، عرفه نعمته الحاضرة، وأعطاه من شكره قيدًا يقيدها به حتى لا تشرد، فإنها تشرد بالمعصية وتقيد بالشكر، ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة، وبصره بالطرق التي تسدها وتقطع طريقها، ووفقه لاجتنابها، وإذا بها قد وافت إليه على أتم الوجوه، وعرّفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها)[1].

رابعًا- التربية على التمسك بهدي النبي ﷺ:

وهذا مستمد من قول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: "إذا صليت الجمعة فلا تَصِلْها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج، فإن رسول الله ﷺ أمرنا بذلك، أن لا نوصل صلاة بصلاة حتى نتكلم أو نخرج" فقد قوّم معاوية رضي الله عنه ما رأى من مخالفة في ضوء ما أمرهم به ﷺ، وفي هذا دعوة للمربين أن تكون تربيتهم على هدي النبي ﷺ والالتزام بسننه وآدابه وأخلاقه وأفعاله ﷺ، فإن هديه أكمل الهدي وأفضله، كما قال ابن القيم، الذي يقول عن هدفه من تأليف كتابه الماتع "زاد المعاد في هدي خير العباد": (وليس مقصودنا إلا ذكر هديه ﷺ الذي كان يفعله هو، فإنه قِبْلة القصد، وإليه التوجه في هذا الكتاب، وعليه مدار التفتيش والطلب، وهذا شيء، والجائز الذي لا ينكر فعله وتركه شيء، فنحن لم نتعرض في هذا الكتاب لما يجوز ولما لا يجوز، وإنما مقصودنا فيه هدي النبي ﷺ الذي كان يختاره لنفسه، فإنه أكمل الهدي وأفضله)[2].

وهدي النبي ﷺ هو الذي تربى عليه أفضل جيل شهدته البشرية الذي كان مثالاً فريدًا في التاريخ، فهو أفضل الأجيال أخلاقًا وأفعالاً وسلوكًا وإنتاجًا، فرضي الله عنهم، فما أجمل أن يتربى الناشئة على هدي النبي ﷺ.

۞ ۞ ۞

---

(١) الفوائد ٢٤٨.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٢٧٥.

٢٠٥- باب الحث على صلاة الوتر
وبيان أنه سنة مؤكدة وبيان وقته

الحديث رقم (١١٣٤)

١١٣٤- عن عليٍّ ﷺ، قَالَ: الوِتْرُ لَيْسَ بِحَتْمٍ كَصَلاَةِ المَكْتُوبَةِ، وَلَكِنْ سَنَّ رسولُ الله ﷺ، قَالَ: ((إنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا يَا أهْلَ القُرآنِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

بحتم: الحتم اللازم الواجب الذي لا بد من فعله[2].

الشرح الأدبي

قول الإمام علي - كرم الله وجهه - (ليس بحتم) أسلوب نفي لكونه مفروضا تبعه استدراك يقرر كونها سنة حتى لا تختلط على الناس مع إطباق الأمة على المواظبة عليها، وقول الرسول ﷺ (إنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا يَا أهْلَ القُرآنِ) تصدير الكلام بلفظ الجلالة له موقع خاص في نفوس المؤمنين يضمن الإنصات، والقبول، والخضوع بالإضافة إلى كثافة المؤكدات، والتعبير بلفظ المحبة الذي يقتضي الرضا، والتفضيل، والقبول، ثم إن محبة الله للعمل خصيصة فيه يسعى لتحصيلها كل مؤمن، ثم إن تكرار لفظ الوتر ثلاث مرات في العبارة يلح على هذا المعنى، ويرغب في الفعل بالإخبار بمحبة الله ثم جاء الأمر الصريح المتصل بواو الجماعة إيذانا بشمول جميع

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤١٦)، والترمذي (٤٥٣) واللفظ له. وصحّحه ابن خزيمة (١٠٦٧). أورده المنذري في ترغيبه (٨٥٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ت م).

المخاطبين (فأوتروا) وقد حثهم على الاستجابة بنداء التكريم تلاه في قوله: (يا أهل القرآن) وإضافة لفظ الأهل للقرآن تشريف ينادي طائفة من أهل تحصيل المراتب العالية بالحرص على أداء هذه النافلة.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث [(١)] إلى صلاة الوتر وما لها من فضل أكد عليه رسول الله ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة.

وقد ذهب جمهور الفقهاء[(٢)] إلى أن الوتر يصلى بعد العشاء وقبل الصبح، فإن أصبح فلا وتر بعدها، وقيل: يقضى بين الفجر والصبح ما لم تشرق الشمس، واختلفوا في حكم صلاة الوتر وعدد ركعاتها، فذهب أبو حنيفة[(٣)] إلى أن الوتر واجب لثبوته بدليل ظني، وذهب جمهور الفقهاء من المالكية[(٤)] والشافعية[(٥)] والحنابلة[(٦)] وأبو يوسف ومحمد من الحنفية[(٧)] إلى أن الوتر سنة مؤكدة، لأنه يوتر عدد ركعات النوافل والسنن.

---

(١) أي أحاديث الباب.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ، ٢٧٠/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٨/١، العناية ٤٢٣/١، المنتقى ٢١٤/١، مواهب الجليل ٧٥/٢، المجموع ٥٠٨/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٣/٣، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢٣٩/٢، الفروع، ابن مفلح٥٣٧/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٥/١ وما بعدها.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٠/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٨/١، العناية ٤٢٣/١.

(٤) المنتقى ٢١٤/١، مواهب الجليل ٧٥/٢.

(٥) المجموع ٥٠٨/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٣/٣.

(٦) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢٣٩/٢، الفروع، ابن مفلح٥٣٧/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٥/١ وما بعدها.

(٧) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٨/١، العناية ٤٢٣/١.

وكذلك اختلفوا في عدد ركعات الوتر فهو عند الحنفية[1] ثلاث متصلة، وعند المالكية[2] ثلاث بينهما تسليمة، وعند الشافعية [3] والحنابلة[4] أقله ركعة واحدة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الوتر.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: أهل القرآن.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "إن الله وتر..."، حيث أكد ﷺ على أن الله واحد، ويحب الوتر، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة، التي يؤكد بها الداعية على الحقائق في دعوته، ويدعو إلى فعل الخير ويؤكد عليه، وينهي عن الشر ويؤكد على تركه، وهو من الأساليب التي تشعر المدعو بأهمية الدعوة. وقد ورد استخدام أسلوب التوكيد في القرآن الكريم. ومن المعلوم أنه يؤتي بالألفاظ المؤكدة بحسب الحاجة إليها. فقد يكون الكلام لا يحتاج إلى توكيد، وقد يحتاج إلى مؤكد واحد أو أكثر بحسب ما يقتضيه المقام. وقد راعى القرآن الكريم ذلك أدق المراعاة في جميع ما ورد من مواطن التوكيد. فهو في غاية الدقة في اختيار الألفاظ المؤكدة في وضعها في الموضع المناسب بحسب طريقة فنية متقنة.

إن التوكيد القرآني كله وحدة متكاملة، منظور إليه نظرة شاملة، وقد روعيت

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١/٢٧٠، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١/١٦٨، العناية ١/٤٢٢.

(٢) المنتقى ١/٢١٤، مواهب الجليل ٢/٧٥..

(٣) المجموع ٣/٥٠٨، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٣/٧٣.

(٤) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢/٢٣٩، الفروع، ابن مفلح٥٣٧، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١/٤١٥ وما بعدها.

في ذلك جميع مواطنه، فهو يؤكد في موطن ما مراعيًا موطنًا آخر قرب أو بعد، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد، ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به لانعدام موجبه، وترى أنه هنا أكد بمؤكدين، وأكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به بمؤكد واحد، لسبب دعا إلى استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له. وكذلك في اختيار المؤكدات فهو يؤكد هنا بالنون المخففة مثلاً وفي موطن آخر بالنون الثقيلة. وهنا بإن المشددة وفي موطن آخر بإن المخففة، ويستبدل حرفًا بحرف، كل ذلك بحسب منظور فني كامل متكامل في كل القرآن، فجاء التوكيد كله في القرآن كأنه لوحة فنيه واحدة، فيها من عجائب الفن - وليس فيها إلا العجيب- ما يجعل أمهر الفنانين يقف مبهوراً دهشًا مقرًا بعجز الخلق أجمعين عن استخلاص عجائبه، فضلاً عن الإتيان بمثله"[1]. فأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية التي تفيد الخطاب الدعوي وتضيف إليه رونقًا وجمالاً، وتجعل المدعو يشعر بأهمية الدعوة للتأكيد عليها.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الوتر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (إن الله وتر يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن). قال الطيبي : قال ابن الأثير في قوله : (إن الله وتر): أي: إن الله تعالى واحدٌ في ذاته، لا يقبل الانقسام والتَّجزِئة، واحدٌ في صفاته، فلا شِبْهَ له ولا مثلَ، وَاحِدٌ في أفعالهِ، فلا شريكَ له ولا مُعينَ. و«يُحبُّ الوتر»: أي يُثيب عليه، ويَقْبَلُه من عامله[2]. وقال القاضي ناصر الدين: "وكل ما يناسب الشيء أدنى مناسبة، كان أحب إليه مما لم تكن له المناسبة. قوله: (فأوتروا)" أى صلوا الوتر، "والفاء" جزاء شرط محذوف، كأنه قال: إذا هديتم إلى أن الله يحب الوتر فأوتروا"[3]، وهذا يدل على فضل صلاة الوتر، ومما يؤكد هذا الفضل قول رسول الله ﷺ : (إن الله أمدكم بصلاة هي خير لكم

---

(١) التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، ص١٢٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ت ر)، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣/١٥٠.

(٣) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ، ٣/١٥٠-١٥١.

من حُمْر النَّعَم، الوتر، جعله الله لكم فيما بين صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر)[١].

قال الطيبي: قوله: "إن الله أمدكم" وارد على سبيل الامتنان على أمته، مراد به مزيد فضل على فضل، كأنه قيل إن الله فرض عليكم الصلوات الخمس ليؤجركم بها، ويثيبكم عليها، ولم يكتف بذلك، فشرع صلاة التهجد والوتر، ليزيدكم إحسانًا على إحسان وثوابًا على ثواب، وقوله (حُمْر النَّعَم) قال المظهر: هي عند العرب أعز الأموال وأشرفها، فجعلت كناية عن خير الدنيا كله، كأنه قيل: هذه الصلاة خير لكم مما تحبون من عرض الدنيا وزينتها، لأنها ذخيرة الآخرة، والآخرة خير وأبقى[٢].

وقال ابن تيمية: أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وآكد ذلك الوتر وركعتا الفجر، ولا ينبغي لأحد تركه، فمن أصرَّ على تركه فإنه تُرد شهادته. وقال: الوتر أفضل من جميع الصلوات النوافل[٣].

ثالثًا- من أصناف المدعوين: أهل القرآن:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "... فأوتروا يا أهل القرآن"، قال الطيبي: قال القاضي ناصر الدين: والمراد بأهل القرآن المؤمنون الذين صدقوا القرآن، وخاصة من يتولى القيام بحفظه، وتلاوته، ومراعاة حدوده وأحكامه. قال الطيبي: أقول – والله أعلم – لعل المناسبة بتخصيص النداء بأهل القرآن في مقام الفردانية، إنما كانت لأجل أن القرآن ما أنزل إلا لتقرير التوحيد، قال تعالى: على سبيل الحصر وتكريره: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[٤]، أى مقصور على إفراد الله بالتوحيد كأنه قيل: إن الله واحد يحب الوحدة، فوحدوه يا أهل التوحيد[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي ٤٥٢، وقال الألباني: صحيح دون قوله "هى خير لكم من حمر النعم" (صحيح سنن الترمذي، ٣٧٣).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ، ١٥١/٣.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٨٨/٢٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٥١/٣.

وأهل القرآن لهم منزلة خاصة في الدين ولهم ثواب عظيم عند الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ. وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ»[١].

وقال ﷺ: "اقرءوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه"[٢]، فأهل القرآن من أصناف المدعوين الذين ينبغي أن يكونوا على قدر كبير من المسئولية والالتزام، لأنهم يحملون كتاب الله. ويجب على الجميع احترامهم وتقديرهم إكرامًا لما يحملون.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

إن من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث الأمر، ويظهر ذلك في قوله ﷺ: "... فأوتروا يا أهل القرآن"؛ حيث أمر أهل القرآن بالوتر.

وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يفيد بها الداعية في بيان الحقائق للمدعوين ودعوتهم إلى ما ينفعهم، ويجعلهم يشعرون بأهمية الاستجابة لدعوته؛ لأنه يأمرهم بالخير.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٣٧، ومسلم ٧٩٨.

(٢) أخرجه مسلم ٨٠٤.

الحديث رقم (١١٣٥)

١١٣٥- وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قالت: مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رسول الله ﷺ ، مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَمِنْ أَوْسَطِهِ، وَمِنْ آخِرِهِ[1] ، وَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

السَّحَر: آخر الليل قبل طلوع الفجر[3].

الشرح الأدبي

الحديث السابق رغب في صلاة الوتر، وهذا الحديث يشير إلى وقته مما يشير إلى مواظبته عليه، وقد جاء المعنى عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في أسلوب خبري خال من المؤكدات اعتمد الإجمال، والتفصيل حيث أجملت أولا ثم فصلت فقولها (مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رسول الله ﷺ) وتقديم الجار، والمجرور (مِنْ كُلِّ) لأنه المعنى الذي يدور حوله الحديث وتريد أن تقرره، وهو أن زمن هذه النافلة على مدار الليل مما يعطي مساحة من الزمن تسمح بأدائها متى تيسر للمسلم، وهو ما يجعل تداركها سهلا على من فاتته، وقولها (وَمِنْ أَوْسَطِهِ، وَمِنْ آخِرِهِ، وَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ) تفصيل لما أجملت يستوعب كل أوقات الليل ثم إنه توكيد للمعنى السابق.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لحال رسول الله ﷺ في وتره.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص رسول الله ﷺ على البيان العملي للأمور.

---

(١) لفظ مسلم: (وأوسطه وآخره).

(٢) أخرجه البخاري (٩٩٦)، ومسلم (٧٤٥/١٣٧) واللفظ له.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٥٦٥.

أولاً – من موضوعات الدعوة: بيان عائشة ﵂ لحال رسول الله ﷺ في وتره:

يظهر ذلك في قولها ﵂: من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ، من أوله، ومن أوسطه، ومن آخره، وانتهى وتره إلى السحر؛ حيث بينت أم المؤمنين عائشة ﵂ أوقات أداء رسول الله ﷺ لصلاة الوتر.

قال النووي: "فيه جواز الإيتار في جميع أوقات الليل بعد دخول وقته"[(١)].

وقال ابن حجر: ويحتمل أن يكون اختلاف وقت الوتر باختلاف الأحوال، فحيث أوتر في أوله لعله كان وجعًا، وحيث أوتر وسطه لعله كان مسافرًا، وأما وتره في آخره فكأنه كان غالب أحواله لما عرف من مواظبته ﷺ على الصلاة في أكثر الليل، والله أعلم[(٢)].

وبيان أم المؤمنين عائشة ﵂ لحال النبي ﷺ في وتره إنما هو حرص منها على إبلاغ المسلمين بعبادة رسول الله ﷺ ليقتدوا به فيها، وقد أمر الله تعالى زوجات النبي بتبليغ ما يتلى عليهن من قرآن، وحكمة من رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[(٣)]، قال القرطبي: (فأمر الله سبحانه وتعالى أن يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهن، وما يرين من أفعال النبي ﷺ، ويسمعن من أقواله، حتى يبلغن ذلك إلى الناس، فيعلموا ويقتدوا)[(٤)].

وقال ابن عاشور: (أي: بلغنه للناس بأن يقرأن القرآن ويبلغن أقوال النبي ﷺ وسيرته، ولم يزل أصحاب النبي ﷺ والتابعون بعدهم يرجعون إلى أمهات المؤمنين في كثير من الأحكام، لا سيما أحكام النساء، وأحكام الرجل مع أهله)[(٥)].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٥٦٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧/١٤/١٨٤.

(٥) انظر: التحرير والتنوير ٩/٢٢/١٨.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص رسول الله ﷺ على البيان العملي للأمور التعبدية لأمته:

يظهر ذلك في أدائه ﷺ لصلاة الوتر في أول الليل وأوسطه وآخره.

وهذا يدل على حرصه ﷺ على بيان الأمور التعبدية لأمته، وهذا ما أمره الله به في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[١].

قال السعدي: هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ، بأعظم الأوامر وأجلها، وهو: التبليغ لما أنزل الله إليه. ويدخل في هذا، كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ، من العقائد، والأعمال، والأقوال، والأحكام الشرعية، والمطالب الإلهية. فبلغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا، وأنذر، وبشر، ويسر، وعلم الجهال الأميين، حتى صاروا من العلماء الربانيين. وبلغ، بقوله، وفعله، وكتبه، ورسله. فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة، من الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين[٢].

وقد حرص النبي ﷺ على بيان كافة الأمور التعبدية لأمته، وقد تواترت النصوص النبوية في بيانه ﷺ للأمور التعبدية، ومن ذلك في الصلاة قوله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[٣].

قال الطيبي: (أي: صلوا صلاة كصلاة رأيتموني أصليها)[٤].

وفي الحج يؤدي ﷺ المناسك ويقول لأصحابه: «لِتَأْخُذُوا عَني مَنَاسِكَكُمْ، فَإِني لاَ أَدْرِي لَعَلي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذِهِ»[٥].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٠١.

(٣) أخرجه البخاري، ٦٣١.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢/٢١٦.

(٥) أخرجه مسلم ١٢٩٧.

قال النووي: (قوله ﷺ "لتأخذوا مناسككم" أي: ... هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال والأفعال والهيئات، هي أمور الحج وصفته، وهي مناسككم فخذوها عني واقبلوها واحفظوها واعملوا بها وعلموها الناس، وهذا الحديث أصل عظيم في مناسك الحج.

وقوله ﷺ: "لعلي لا أحج بعد حجتي هذه" فيه إشارة إلى توديعهم وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ وحثهم على الاعتناء بالأخذ عنه، وانتهاز الفرصة في ملازمته وتعلم أمور الدين)[1].

وفي بيان الأمور التعبدية -النوافل- قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «إنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقومُ من الليل حتى تَتفطَّرَ قَدَماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنعُ هذا يا رسولَ الله وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذَنْبك وما تأخَّر؟ قال: أَفَلا أحبُّ أن أكونَ عبدًا شكورًا»[2].

وكذلك صلاته للوتر كما معنا في هذا الحديث، فقد صلاه في أول الليل ووسطه وآخره، ولم يترك ﷺ كبيرة ولا صغيرة إلا بينها لأمته.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٨١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٨٣٧.

الحديث رقم (١١٣٦)

١١٣٦- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث قصير موجز رواه ابن عمر رضي الله عنه في جملة واحدة إنشائية تقرر الحكم، وهو قوله (اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْراً) وهو أسلوب أمر للتوجيه والإرشاد بجعل الوتر ختام للصلوات بالليل، والتعبير بالجعل يشير إلى التصيير، والتحويل الذي يقتضي ممن نوى القيام تأخير الوتر، وممن نوى النوم أن يوتر قبل نومه حتى لا يفوته هذا الفضل بتحصيل هذه النافلة.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من صفات الداعية: الحرص على نفع المدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الوتر.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التعجيل بصلاة الوتر قبل أذان الصبح.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في عموم الأحاديث حيث قال رسول الله ﷺ في الحديث الأول: "اجعلوا آخر صلاتكم..."، والثاني: "أوتروا قبل..."، والثالث: "بادروا الصبح...".

حيث أمر رسول الله ﷺ بالإيتار قبل الفجر، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في بيان الحقائق للمدعوين، ودعوتهم إلى تحصيل الأعمال الصالحة، وهو من الأساليب التي تجعل المدعو يستجيب للدعوة ويقبلها.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩٨)، ومسلم (٧٥١/١٥١) ولفظهما سواء.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٣٦ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٣٧).

ثانيًا - من صفات الداعية: الحرص على نفع المدعوين:

يظهر هذا في حث رسول الله ﷺ المسلمين على أن يكون الوتر آخر صلاتهم قبل النوم، حتى يكون آخر عملهم في يومهم طاعة الله تعالى.

وهذا من حرصه ﷺ على نفع المدعوين، وذلك لأن هدف الداعية هو حب الخير للغير، والحرص على تحقيق المصلحة له، وظهور هذا الحرص يجعل الدعوة محل قبول وامتثال، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وهذا الحرص هو ما عبر عنه النبي ﷺ بقوله: ((بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))[2]، "إن حرص الداعية على تحقيق الخير لمن يدعوهم، يجعل القلوب تلتف حوله وتستجيب لدعوته"[3].

إن اهتمام الأب بأمور أبنائه وقضاياهم قد لا يجد المرء فيه غرابة، إذ الدافع لذلك حنان الأبوة ومحبة الأبناء، ومع ذلك فالأب الذي يحنو على أبنائه ويهتم بأحوالهم وقضاياهم، أقرب إلى قلوب الأبناء من الذي لا يهتم بهم ولا يحنو عليهم، وأنه حريٌّ إذا قال أن يُسمع لقوله وإذا أمر أن يُمتثل لأمره. فكم يا ترى سيكون تأثير الرجل الغريب الذي لا تربطه مصلحة ولا منفعة، ولا غير ذلك، كم سيكون تأثير اهتمامه بغيره ومواساته لهم؟"[4].

ويرى محمد قطب: "أن المربي الناجح يجب أن تكون لديه المقدرة على الاهتمام بالآخرين، بأن يعطيهم ما عنده من الخير، والشخص الطيب في ذاته الذي لا يهتم بإعطاء الآخرين -مع مقدرته على العطاء- لا يصلح للتربية، لأن الاهتمام بالآخرين

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٩٤.

(٣) انظر: النصيحة، الباز محمد الدميري ص ٦١ - ٦٢.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٧٢.

عنصر ضروري للتربية، من الجانبين، جانب المربي، وجانب المتلقي، أما المربي فإن فقد الاهتمام بالآخرين، فلن يتجه أصلاً إلى التربية، فضلاً عن كونه لا يصلح لها -ولو احترفها احترافًا- أما المتلقي فلا يمكن أن ينشرح صدره للتلقي من شخص يحس في أعماقه أنه لا يهتم به. فالاهتمام والرعاية عنصر ضروري من عناصر التربية، لا بد أن تتوفر في المربي لكي ينجح في مهمته الخطيرة"[١].

"ولا بد للداعية أن يقرن اهتمامه بالمحبة، والمتلقي الذي يشعر أن الداعية يحبه ويعطف عليه، لا شك سيتجاوب معه ويسمع منه، أما الذي لا يشعر بمحبة الداعية وعطفه عليه، لا نستغرب ابتعاده عنه وعدم تجاوبه معه.

ولقد كان رسول الله ﷺ للناس كالأب الحنون، والقريب الشفيق، والصديق الحميم، تشغله همومهم، وتملأ نفسه مشاعرهم، ويعودهم ويزورهم ويعينهم ويمنحهم من مودته وعطفه ووقته الشيء الكثير"[٢].

يقول الشيخ أبو زهرة: "والصفة الثانية من أخلاقه، أنه يأتلف مع أصحابه، ويمزج إحساسه الفاضل بإحساسهم، لينساب إلى نفوسهم، يكرم كريمهم ويرفع خسيسة صغيرهم، حتى يحس بأنه منهم، ويوزع محبته بينهم، ويعطي نفسه لكل واحد منهم، حتى يظن كل واحد منهم أنه موضع الرعاية منه، وإذا رأى أمرًا حسنًا أعلن حسنه، وإن رأى قبيحًا نبه إليه في رفق الهادي الأمين، الذي يُؤلف ولا يُنفر، ويُقرب ولا يُبعد، ولا يسكت عن باطل"[٣]، ويؤيد ما قال أبو زهرة اعتقاد عمرو بن العاص أن النبي ﷺ يحبه أكثر من أصحابه، لما رأى من حفاوته به، وإقباله عليه واهتمامه به، فجاء يسأله وليس لديه أدنى شك فيما اعتقد، فقال له: أي الناس أحب إليك؟ قال: (عائشة)، قلت: فمن الرجال؟ قال: (أبوها)، قلت، ثم من: قال: (عمر بن الخطاب)، فعدد رجالاً فسكت، مخافة أن يجعلني آخرهم[٤].

---

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية ٤٦/٢ (بتصرف.

(٢) المصدر السابق ١٨٢/١ - ١٨٣ (بتصرف).

(٣) خاتم النبيين ٢٤٣/١.

(٤) أخرجه البخاري ٢٦٦٢.

وهذه بعض الأمثلة على اهتمامه بالناس ومواساته لهم:

١/ روى البخاري عن مالك بن الحويرث قال: أتَيْنا إلى النبيِّ ﷺ ونحن شَبَبَةٌ مُتقارِبونَ فأقمنا عندَهُ عِشرينَ يومًا وليلةً ، وكان رسولُ الله ﷺ رَحيمًا رَفيقًا، فلمَّا ظَنَّ أنَّا قد اشتهينا أهلَنا - أو قد اشتَقْنا- سألَنا عمَّن تركنا بعدَنا، فأخبرناهُ، قال: ((ارجِعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلِّموهم، ومُروهم... الحديث))[1].

وهذا الحديث فيه دلالة على أنه كان يعيش معهم، ويعيش أحاسيسهم وأشواقهم، ويستشعر حاجاتهم، ويداري مشاعرهم وغريزتهم.

٢/ هجرة أصحابه إلى المدينة قبله، حيث أراد أن يطمئن على نجاتهم ووصولهم[2]، فالداعي لا بد أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة على الناس، وإرادة الخير والنصح لهم[3].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الوتر:

يظهر ذلك في حرص رسول الله ﷺ على أمر المسلمين بصلاة الوتر، وحرصه على أن تكون آخر الصلوات، قال ابن علان رحمه الله: "فيسن - جعله الأقل منه والأكمل - بعد صلاة الليل التي يريد فعلها فيه، من راتبة أو تراويح أو تهجد أو نفل مطلق، وكأن حكمة ذلك أن الوتر أفضل من هذه الصلوات الليلية، فندب وقوعه عقبها ليختم عمله بالأفضل، فتعود عليه بركته ويحوز نفعه، وما ورد من صلاته ﷺ أول الليل محمول على الجواز"[4]، وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ تحث على صلاة الوتر وترغب فيها منها قوله ﷺ: ((يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا فَإِنَّ اللَّه وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ))[5].

وما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ((أوصاني خليلي بثلاثٍ لا أدعهنَّ حتى أموت:

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣١.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٧٤.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٥٦.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٨٩.

(٥) أخرجه ابو داود ١٤١٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٢٥٦).

صومِ ثلاثةِ أيَّامٍ من كل شهر، وصلاةِ الضُّحى، ونوم على وِتر))[1].

وقال أيضًا ﷺ: ((الْوِتْرُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِخَمْسٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِثَلَاثٍ فَلْيَفْعَل، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِوَاحِدَةٍ فَلْيَفْعَلْ))[2].

فصلاة الوتر من الصلوات التي كان النبي ﷺ يحافظ عليها، فقد كان لا يدعها هي وركعتي الفجر في سفر ولا حضر، وأمر عليه الصلاة والسلام بها فقال: ((اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا))[3].

قال ابن القيم: "وكان في السفر يواظب على سنة الفجر والوتر أشد من جميع النوافل دون سائر السنن، ولم ينقل عنه في السفر أنه صلى سنة راتبة غيرهما"[4][5].

ومن هذه الأحاديث يتضح فضل صلاة الوتر والترغيب في القيام بأدائها.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الحث على التعجيل بصلاة الوتر قبل أذان الصبح:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (أوتروا قبل أن تصبحوا)، وقوله ﷺ: (بادروا الصبح بالوتر).

قال الطيبي: "أي: سارعوا، قيل: يقال: بدرت إليه، وبادرته، والبدر قيل: سمي بدرًا لمبادرته الشمس بالطلوع، وأقول: كأن الصبح مسافر، يقدم إليك طالبًا منك الوتر، وأنت تستقبله مسرعًا بمطلوبه، وإيصاله إلى بغيته، ذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا وتر بعد الصبح"[6].

وقال ابن عثيمين: "إن النبي ﷺ قال: (أوتروا قبل أن تصبحوا)، لأن الوتر ينتهي وقته بطلوع الفجر، فإذا طلع الفجر فلا وتر، حتى لو بين أذان الفجر والإقامة لا وتر، ولكن إذا طلع الفجر والإنسان لم يوتر فإنه يصلي في النهار شفعًا، إن كان يوتر بثلاث

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١١٧٨.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤٢٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٢٦٠).

(٣) أخرجه البخاري ٩٩٨.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣١٥/١.

(٥) الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله كما عدها الإمام ابن القيم، إعداد: عبدالعزيز مصطفى ص ٤١.

(٦) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٤٧/٣.

صلى أربعًا، وإن كان يوتر بخمسٍ صلى ستًا، وإن كان يوتر بسبع صلى ثماني لقول عائشة رضي الله عنها: ((إنَّ رَسُولَ اللهِ كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاَةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً))[1]"[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٣٣٥/٢.

الحديث رقم (١١٣٧)

١١٣٧- وعـن أَبـي سـعيد الخـدري ﵁ : أنَّ الـنَّبيَّ ﷺ ، قَـالَ: ((أوْتِـرُوا قَبْـلَ أنْ تُصْبِحُوا)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

قبل أن تصبحوا : أي قبل صلاة الصبح[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث فيه توكيد للأحاديث السابقة من حيث تقريرها وثباتها ، ومن حيث الترغيب فيه بأمر الرسول ﷺ ، ومن حيث زمانها وهو على مدار الليل، وقول الرسول ﷺ (أوْتِرُوا قَبْلَ أنْ تُصْبِحُوا) أي أدوا صلاة الوتر قبل أن يدرككم الصباح، واتصال الفعلين بواو الجماعة يشير إلى عموم جميع المخاطبين.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) برقم (١٦٠/٧٥٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ب ح).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٣٨)

١١٣٨- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي صَلاَتَهُ باللَّيْلِ، وَهِيَ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِذَا بَقِيَ الوِتْرُ، أيْقَظَهَا فَأوْتَرتْ. رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ لَهُ: فَإِذَا بَقِيَ الوِتْرُ[2]، قَالَ: ((قُومِي فَأوتِري يَا عائِشَةُ))[3].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

معترضة بين يديه: نائمة أمامه من جهة يمينه إلى جهة شماله[4].

الشرح الأدبي

هذا لحديث يقرر عن طريق البيان العملي تأخير الوتر في آخر الصلوات عن طريق الحوار بين أم المؤمنين عائشة، وبين الرسول ﷺ والجملة التي سبقت الحوار تشير إلى العلاقة الحنونة بين الزوجين، والتقارب الروحي مع البساطة في الحياة، والتعامل، وقوله (يُصَلِّي صَلاَتَهُ) جناس يؤكد المعنى، وقوله (وَهِيَ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ) أي: تنام بالعرض أمامه، وقوله (فَإِذَا بَقِيَ الوِتْرُ، أيْقَظَهَا فَأوْتَرتْ) وهو خبر في صورة أسلوب شرط يربط إيقاظ عائشة رضي الله عنها ببقاء الوتر حتى تصليه معه بعد أن أتم صلاته بالليل، وهو المعنى الذي يقرره الحديث، وقد جاء في الرواية الثانية بأسلوب إنشائي، في قوله (قُومِي فَأوتِري يَا عائِشَةُ) والأمر الأول للاستعداد ينفض عنها أثر النوم، ويحملها، والأمر الثاني يبين علة القيام، والنداء بعدهما يستلزمه مقتضى حال النائم لتحقيق مزيد التنبيه.

---

(١) برقم (٧٤٤/١٣٤).

(٢) لفظ مسلم: (فإذا أوتر).

(٣) أخرجه مسلم (٧٤٤/١٣٤).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٥٨٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة الليل.

ثانيًا: من آداب الداعية: حث أهله على الطاعات.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة الليل:

يظهر ذلك في قول عائشة رضي الله عنها: "أن النبي ﷺ كان يصلي صلاته بالليل...".

وقد أمره الله تعالى بقيام الليل فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[1]، قال ابن كثير: "يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل، وهو التغطي في الليل وينهض إلى القيام لربه عز وجل، كما قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2]، وكذلك كان رسول الله ﷺ ممتثلاً ما أمره الله تعالى به من قيام الليل، وقد كان واجبًا عليه وحده. كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[3]، وها هنا بيّن له مقدار ما يقوم فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾"[4].

قال ابن القيم: "ولم يكن يدع قيام الليل حضرًا ولا سفرًا وكان إذا غلبه نوم أو وجع صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة"[5].

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: إنْ كان النبيُّ ﷺ لَيقومُ أو لَيُصلِّي حتى تَرِمَ قدماه - أو ساقاه فيقالُ له، فيقول: ((أفلا أكونُ عبدًا شكورًا))[6].

---

(١) سورة المزمل، الآيات: ١ - ٤.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٢٤٩.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٢٤.

(٦) أخرجه البخاري ١١٣٠.

وفي رواية أخرى عنه رضي الله عنه يقول: قام النَّبيُّ ﷺ حتى تَورَّمَت قدماه، فقيل له: غفَرَ الله لك ما تقدَّم مِن ذَنْبك وما تأخَّر، قال: ((أَفلا أكونُ عبدًا شَكورًا))[١].

وهذا يدل على حرصه ﷺ على صلاة الليل، فما أحرى بالمسلم أن يقتدي ويتأسى برسول الله ﷺ في عبادته لربه عامة، ولا سيما ذوي الفضائل العظمى كقيام الليل.

إن المسلم إذا واظب على الصلاة ومنها قيام الليل، تيقظت قواه الروحية، وأحس بأن الله يمده بالقوة والعون، وأنه سبحانه معه لا يتخلى عنه؛ فتقوى عزيمته، وتشتد إرادته، ويمضي إلى غايته دون تردد أو ضعف، مهما اعترضته الصعاب أو واجهته العقبات.

إن في الصلاة انتزاعًا للنفس من ماديات الحياة وآلامها، وتوجيه لها إلى الله بالذكر والدعاء والضراعة والخضوع لكبريائه وعظمته، وهذا من شأنه أن يضفي على النفس السكينة والرضا، ويجعلها تشعر بفيض من السعادة، فتتجدد قواها، ويحفزها إلى العمل الجاد والأمل في وجه الله الكريم[٢].

ثانيًا - من آداب الداعية: حث أهله على الطاعات:

يظهر ذلك في قول عائشة رضي الله عنها: (فإذا بقي الوتر أيقظها فأوتر) وفي الرواية الأخرى: (فإذا بقي الوتر قال: قومي فأوتري يا عائشة)، وهذا يدل على حثه أهل بيته على الطاعة، وهذا ما يجب أن يحرص عليه الداعية، وذلك لأن الله تعالى أمر رسول الله ﷺ أن يحرص على هداية أهله وطاعتهم لله، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٣].

قال د. محمود حجازي: "ثم أمره ﷺ بأن يدعو الأقرب فالأقرب من أهله

(١) أخرجه البخاري ٤٨٣٦.

(٢) انظر: إسلامنا، السيد سابق ص ١١٦ - ١١٧.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٤ - ٢٢٠.

وعشيرته. يمكن أن نفهم من هذا كله أن المراد نفي الشك والطعن عن الدعوة المحمدية، لأن الإنسان جبل على حب الخير له ولأهله.

وهذه نصائح غالية تنفع الدعاة والمرشدين إلى الحق والخير، حيث تبدأ بدعوتك أقرب الناس إليك. فهم يعرفونك، ويثقون فيك، فإذا أضفت مع هذا لين الجانب وحسن الخلق، وطيب العشرة لمن اتبعك وسار على طريقك، كان لكلامك وقع، ولشخصك مكانة في القلوب، ولسلوكك في الناس تأثير وأي تأثير؟ ولذا يقول الله لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فإن لم تتبعك عشيرتك وقرابتك وعصوك فقل لهم: إني برئ مما تعملون، وتوكل على الله، وسلم أمرك إليه، وفوّض أمرك لربك إنه هو العزيز يعز أولياءه، ويقهر أعداءه، وينصرك عليهم برحمته، فإنه يراك، ويلحظك حين تقوم في أي عمل من الأعمال، وحين تتقلب مع الراكعين الساجدين العابدين القانتين، إنه هو السميع لكل قول، العليم لكل فعل"[1].

وقد أمر الله المؤمنين بطاعة الله، وأن يأمروا أهليهم بطاعة الله، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2]، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: (قوا أنفسكم وأهليكم نارا)، يقول اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذكر، ينجيكم الله من النار.

وقال مجاهد: (قوا أنفسكم وأهليكم نارًا)، قال: اتقوا الله، وأوصوا أهليكم بتقوى الله.

وقال قتادة: يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصية الله، وأن يقوم عليهم بأمر الله، ويأمرهم ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية، زجرتهم عنها.

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٢/١٩/٧٥ - ٧٦.

(٢) سورة التحريم، آية: ٦.

وهكذا قال الضحاك ومقاتل: حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده، ما فرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه"[١].

ومعنى هذه الآية يتحقق في الحديث الذي ورد عنه ﷺ: ((مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، وَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا))[٢].

فإذا كان المسلم مأمورًا بحث أهله على الطاعة وعبادة الله تعالى؛ فالداعية من باب أولى، لأنه هو القدوة والمثال لغيره من المدعوين، ولأنه هو من يدعو إلى الطاعة والأمر بها، وله في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٦٧/٨.

(٢) أخرجه أبو داود رقم ٤٩٤، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ٤٦٥).

الحديث رقم (١١٣٩)

١١٣٩- وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: ((بَادِرُوا الصُّبْحَ بِالوِتْرِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

بادروا الصبح: سارعوه وسابقوه، واسبقوه[٢].

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه من حيث موضوعه، وهو الترغيب في الوتر جاء في جملة قصيرة بحيث أن من يسمعها لا تلتبس عليه، ولا ينساها، وقوله (بادروا) أمر بمعنى الحث على المسارعة، والتعبير بالمبادرة يوحي بوشك الفوت لاغتنام فرصة، وبمبادرة طارق، وتصدرها للكلام يجذب الانتباه، وقوله: (الصبح) فيه إيجاز بالحذف أي وقت الصبح، وكذلك قوله (بالوتر) أي بصلاة الوتر حتى لا ينقضي وقتها بانقضاء الليل.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٣٦)، والترمذي (٤٦٧). تنبيه: الحديث بهذا اللفظ أخرجه أيضًا مسلم (٧٥٠/١٤٩).

(٢) اللسان والوسيط في (ب د ر).

(٣) سيأتي ذكرها في شرح الحديث التالي.

الحديث رقم (١١٤٠)

١١٤٠- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ خَافَ أنْ لاَ يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَلْيُوتِرْ أوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيلِ، فَإنَّ صَلاَةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وذَلِكَ أفْضَلُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

طمع: وثق[2].

مشهودة: تحضرها ملائكة الرحمة[3].

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على أسلوب الشرط الذي يربط الأمر بالوتر أول الليل، بخوف عدم القيام، ويربط الأمر بالوتر آخر الليل بالطمع في القيام آخره، والطباق بين أول، وآخر يؤكد المعنى، ويقرر اختلاف الظروف التي تستلزم من كل إنسان أن يراعي حاله بين النوم، أو القيام ثم إنه طابق بين الخوف، والطمع الذي هو بمعنى الرجاء الذي يقابله ليراجع حاله بين اعتقاد القيام، أو خوف النوم ليتخذ على أساسه قراره، والتعبير بالطمع يوحي بشدة الرغبة في تحصيل فضل القيام؛ لأن النية المجردة قد لا تحمل صاحبها على الصبر، ومغالبة النوم فتحتاج معها إلى ما يقويها، وهو رجاء ما عند الله، والتعلق به لذلك علل للأمر الأخير بما يحقق الرغبة فيه بقوله (فَإنَّ صَلاَةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ) من الله تعالى أو من الملائكة، وهو ما يؤكد فضل هذه الصلاة في هذا الوقت.

---

(١) برقم (٧٥٥/١٦٢). أورده المنذري في ترغيبه (٨٦٠).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥١٥.

(٣) المرجع السابق ٥١٥.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من صفات الداعية: البيان والإرشاد لفضل صلاة الوتر وفضل صلاتها آخر الليل.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: اليسر في أمور العبادة وعدم المشقة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة آخر الليل.

أولاً - من صفات الداعية: البيان والإرشاد لفضل صلاة الوتر وفضل صلاتها آخر الليل:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله..." الحديث.

حيث بيّن وأرشد المسلمين إلى صلاة الوتر، وبيّن أن أفضل أوقاتها هو آخر الليل حيث أنه وقت مشهود.

وبيان الدين وإرشاد الأمة هو من اختصاص رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وأما أنت يا رسول الله فقد أنزل الله إليك الذكر والقرآن لتبين للناس ما أنزل إليهم، فأنت أدرى الناس به وأحرص الناس عليه وعلى اتباع الناس له، فأنزله إليك لتبينه للناس ولعلهم يتفكرون[3].

والداعية إلى الله يجب أن يبين ويرشد المدعوين إلى الخير، ويدعوهم إلى الحق وينهاهم عن الباطل، وعليه أن يبين لهم أفضل الأعمال وأفضل أوقات العبادة، كما بيّن رسول الله ﷺ في هذا الحديث أفضل أوقات الوتر.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "... فليوتر أوله.. فليوتر آخر الليل"، وقوله ﷺ: "بادروا

---

(١) تم دمج مضامين هذا الحديث (١١٤٠) مع مضامين الحديث السابق.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٢/١٤/٤٤.

الصبح بالوتر"، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تؤكد أهمية الدعوة وبيان الحقائق للمدعوين، وتشعر المدعو بضرورة الاستجابة لدعوته. فالداعية لا يأمر إلا بما أمر به الدين.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: اليسر في أمور العبادة وعدم المشقة:

يظهر ذلك في تخيير رسول الله ﷺ في صلاة الوتر في أول الليل لمن خاف على نفسه النوم، أما من علم أنه يستيقظ في آخره فليوتر في آخره لأنه أفضل، فلم يلزم الوتر في وقت محدد، ولكنه ترك ذلك حسب مقدرة كل إنسان، ومن ذلك يظهر اليسر في أمور العبادة وعدم المشقة في الدين الإسلامي. فالتيسير والتسهيل على الناس قد ندب إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2].

وعن عامر بن أبي موسى عن أبيه قال لما بعثه رسول الله ﷺ ومعاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال لهما: ((يَسِّرا ولا تُعسِّرا))[3].

فإن التيسير على الناس في معاملتهم، ونهيهم وزجرهم، تيسير على النفس، فلا تكثر عليها من الطاعات حتى تسأمها وتملها، ولا تشق عليها بالعبادات إذا أمكن القيام بها في يسر[4].

"وإن المتتبع لأبواب الشريعة، بل لجزيئات هذه الأبواب، يستطيع في مقام الموازنة أن يثبت أن باب اليسر أكثر من غيره، وذلك أمر طبيعي لا يستدعي من التأمل سوى معرفة أن العبادة صلة محضة بين العبد وربه، والرب سبحانه رحيم بخلقه، لطيف بهم، ومن أجل ذلك كانت تلك الصلة مبنية على التسامح، وعدم الحرج والمشقة.

ولا أدل على ما نقوله من الأمثلة الحية التي نطبقها في حياتنا اليومية أكثر من مرة.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٢٤.

(٤) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٠٣.

من ذلك أن الله سبحانه قد سامحنا فيما يصيب الثوب من النجاسات بأن اكتفى منا بغسل محلها، وقد لا يتصور البعض أن في ذلك سماحة إلا إذا عرف الحكم الشرعي في ذلك عند بني إسرائيل، فإنهم كانوا يكلفون بقص ما أصابته النجاسة من الثوب، فجاءت شريعتنا مخففة الحكم في ذلك الإصر الثقيل الذي وضعه الله عليهم"[١].

ومن الأمثلة التي توضح اليسر في العبادات الصلاة في السفر:

السفر يفرض على صاحبه أن يسير في برنامج غير برنامجه الطبيعي، الذي استمرأ سلوكه في حال الإقامة، كما أنه يفرض عليه تجشم المصاعب: من الإدلاج والسهر والتعرض للبرد أو الحر وأعواز الماء وخوف الانقطاع، فهو حينئذ ليس بمطمئن البال ولا بمستريح الجسم، ومن أجل ذلك كان السفر مظنة للمشقة والعناء، فكان جديرًا بأن يحظى بنوع من اليسر والسهولة في التكاليف، كي يستطيع المسافر القيام بها دون إدخال له في الحرج.

ولم تضق شريعة الإسلام ذرعًا بذلك، بل قدمت من ذلك الشيء الكثير، وفي جوانب مختلفة من جوانب العبادات، ففي جانب الصلاة الرباعية - مثلاً - قصرتها إلى ركعتين فقط، بدل أربع ركعات.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((صحبتُ رسولَ الله ﷺ، فكانَ لا يزيدُ في السَّفرِ على ركعتَينِ، وأبا بكرٍ، وعمرَ، وعثمانَ كذلكَ))[٢].

وكما قدم الإسلام هذه التسهيلات في الصلاة الرباعية، رفقًا بالمسافر، وتخفيفًا عنه من العناء الذي تفرضه طبيعة السفر، قدم يسرًا آخر لا يقل عما تقدمه، ذلك هو ما رخص به من الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء، إذ إن توقف المسافر عدة مرات لأداء الصلاة في وقتها قد يدخل عليه نوعًا من المشقة، فرفعها الإسلام بالترخيص في الجمع، روى مسلم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ((خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوكَ. فَكَانَ يُصَلِّي الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا. وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا))[٣].

---

(١) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعة ص ٤٧.

(٢) أخرجه البخاري ١١٠٢، ومسلم ٦٨٩.

(٣) أخرجه مسلم ٧٠٦.

ولم يكتف الإسلام بتقديم ما ذكرناه من تسهيلات في الصلاة للمسافر، بل نظر إلى حالة المسافر من حيث المواصلة في السير أو التوقف فيه، فشرع تقديم صلاة العصر مع الظهر حينما يكون قد أدركه وقت الظهر وهو متوقف عن السير، وشرع تأخير صلاة الظهر حتى يصليها مع العصر حينما يكون قد أدركه وقت الظهر وهو يواصل السير، وهكذا شرع في صلاتي المغرب والعشاء.

روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن معاذ رضي الله عنه: ((أن النبيَّ ﷺ كان في غزوةِ تَبُوكَ إذا ارتَحَل قَبلَ زَيغ الشَمسِ أخرَ الظهرَ إلى أن يجمَعَها إلى العصرِ فيُصليهمَا جميعًا وإذا ارتحَل بعدَ زَيغِ الشَّمْسِ عجَّلَ العصْرَ إلى الظُّهرِ وصلى الظُّهرَ والعَصْرَ جميعًا ثم سارَ وكان إذا ارتحل قَبلَ المَغْربِ أخرَ المغرِبَ حتى يصليَهَا مع العِشاءِ وإذا ارتحَلَ بعدَ المغرِبِ عجّلَ العِشَاء فَصَلاَّهَا مع المغرِبِ))[1].

ومن خلال هذا العرض يتضح لنا أن الإسلام لم يكد يترك مرحلة من المراحل التي تمر بها هذه العبادة، إلا وقد حباها بنوع من السهولة والتيسير"[2].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة آخر الليل:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "... فإن صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل".

قال النووي رحمه الله: "فيه دليل على أن تأخير الوتر إلى آخر الليل أفضل لمن وثق بالاستيقاظ آخر الليل، وأن من لا يثق بذلك فالتقديم له أفضل وهذا هو الصواب. وقوله ﷺ: (فإن صلاة آخر الليل مشهودة)، وذلك أفضل أن يشهدها ملائكة الرحمة، وفيه دليلان صريحان على تفضيل صلاة الوتر وغيرها آخر الليل"[3].

قال الطيبي رحمه الله: "قوله: (مشهودة)، يعني يشهدها ملائكة الليل والنهار، ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء، فهو آخر ديوان النهار، أو يشهدها كثير من المصلين في العادة"[4].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٤١/٥، رقم ٢٢٠٩٣، وقال محققو المسند: رجاله ثقات رجال الشيخين ٤١٣/٣٦، وأبو داود ١٢٠٨، والترمذي ٥٥٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٤٥٥).

(٢) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز الربيعة ص ٥٠ - ٥٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٥.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٤٨/٢.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: ((اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا))[١].

وقال ﷺ: ((أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ))[٢].

وقال ﷺ: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ))[٣].

فصلاة آخر الليل من الصلوات المباركة والتي فيها كثير من الثواب والبركات فينبغي أن يحرص عليها المسلم لتحصيل ثوابها.

"إن من يوفقه الله إلى شهود آخر الليل قائمًا ومستغفرًا قد وُفق لشهود عظيم كريم، فرسول الله ﷺ يقول: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ))[٤].

فمن وُفق للقيام بين يدي الله عز وجل في هذا الوقت الشريف، فذاك الشرف، ومن لا يوفق، فلا أقل من أن يكون من المستغفرين في هذا الوقت. فالله تعالى يذكر في عباده الصالحين من وصفهم بقوله: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[٥]، فهم يقضون هذه اللحظات في طاعة، مستغفرين، ولكن الاستغفار إذا كان مع طاعة من الطاعات كان أدعى للقبول، والصلاة أحسن الطاعات، ولهذا قال العلماء: كلما كان هذا الاستغفار في صلاة فهو أحسن"[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٧٥١.

(٢) أخرجه مسلم ١١٦٣.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٣).

(٤) أخرجه البخاري ٧٤٩٤، ومسلم ٧٥٨.

(٥) سورة آل عمرا، آية: ١٧.

(٦) الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله كما عدها الإمام ابن القيم، إعداد: عبدالعزيز مصطفى ص ١٣٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على حب ما يحبه الله:

هـذا مـستمد مـن حـديث علـي بـن أبـي طالـب ﷺ: "الـوتر لـيس بحـتم كـصلاة المكتوبة ولـكـن سنّه رسول الله ﷺ قال: "إن الله وتـر يحب الوتر، فـأوتروا يـا أهـل القرآن" فلا شك أن رسول الله ﷺ قد رغب في صلاة الوتر بذكر أن الله يحب هذه الصلاة، فما أحبه الله سارع العبد بفعله حتى ينال هذه الدرجة الرفيعة التي هـي مبتغى وهدف وأمل كل عابد قائم بين يدي الله تعالى، وإذا غُرس في الناشئة هـذا الحب سهل عليهم فعل المأمورات التي أمر الله بها، واجتناب المنهيات التي نهى الله عنها، لأنه إن فعل الأولى كـان سببه الحب ولا يقتصر هـذا على أداء العمل فحسب، إنما يمتد إلى درجة أداء العمل أيضًا، فيجيء به على خير ما يكون من الإتقان والجودة، وإن انتهى عن المنهيات فإن ذلك يكون صادرًا عن بغض لها لا لمجرد امتثال النهي، لذا فإنه يقيم سدًا منيعًا من البغض والكره بينه وبينها، بحيث يكون حذرًا من الاقتراب منها دعك من اقترافها والوقوع فيها، ومن ثم ينشأ الناشئة على العبودية لله رب العالمين، يبين ابن القيم فضل العبودية وكيف تكون، فيقول: (لا طريق إلى الله تعالى أقرب من العبودية، لا حجاب أغلظ من الدعوى، والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها: حبٌّ كامل، وذل تام، ومنشأ هذين الأصلين عن ذينك الأصلين المتقدمين وهما: مشاهدة المنة التي تورث المحبة، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام، وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوه به إلا على غرة وغيلة، وما أسرع ما ينعشه الله عز وجل ويجبره ويتداركه برحمته، وإنما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجوارحه، فاستقامة القلب بشيئين:

أحدهما: أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب، فإذا تعارض حب الله تعالى وغيره، سبق حب الله تعالى حب ما سواه، فرتب على ذلك مقتضاه، وما أسهل هذا بالدعوى وما أصعبه بالفعل، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان، وما أكثر ما يقدم العبد ما يحبه هو ويهواه، أو يحبه كبيرهُ وأميره وشيخه وأهله على ما يحبه الله

تعالى، فهذا لم تتقدم محبة الله تعالى في قلبه جميع المحاب، ولا كانت هي الملكة المؤمرة عليها، وسنة الله فيمن هذا شأنه أن ينكد عليه محابه وينغصها عليه، ولا ينال شيئًا منها إلا بنكد وتنغيص، جزاءً له على إيثار هواه وهوى من يعظمه من الخلق أو يحبه على محبة الله تعالى، وقد قضى الله تعالى قضاء لا يرد ولا يدفع، أن من أحب شيئًا سواه عذب به ولا بدّ، وأن من خاف غيره سلط عليه، وأن من اشتغل بشيء غيره كان شؤمًا عليه، ومن آثر غيره عليه لم يبارك فيه، ومن أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولا بد.

الأمر الثاني: الذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهي وهو ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي، فإن الله تعالى ذم من لا يعظم أمره ونهيه، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[1]، قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون لله عظمة ... وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى، فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها، وهذا العمل الكامل هو الذي يكفر الذنوب تكفيرًا كاملاً، والناقص بحسبه، وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة وهي: تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان، وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه)[2].

ثانيًا - الاهتمام بتربية الأهل والعمل على إصلاحهم:

هذا مستمد من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يصلّي صلاته بالليل وهي معترضة بين يديه، فإذا بقي الوتر أيقظها فأوترت، وفي رواية: "قومي فأوتري يا عائشة". فقد أيقظ رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها حتى توتر، وتنال ثواب هذه الصلاة الفضيلة، و تكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، إنه ﷺ كان - بهذا - يريد صلاح حال أهله ودفعهم إلى فعل الخير و الصالحات الباقيات والأعمال النافعات،

(١) سورة نوح، آية: ١٣.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٢٥٥-٢٥٨ مجموعة الحديث.

ولذا أيقظها ﷺ في هذا الوقت الذي يكون فيه النوم محببًا إلى النفس جدًا، لأن في ذلك الخيرَ لها والنفعَ، ومن هذا المنطلق يمكن الاستئناس بهذا الحديث الشريف على أنه ينبغي أن يهتم المربي اهتمامًا بالغًا بإصلاح حال أهله وتربيتهم تربية صالحة تدفعهم إلى فعل الخير والمسابقة إليه والمداومة عليه، وفي ذلك عدة فوائد تربوية مهمة جدًا، منها:

أ - أن الأهل هم المجتمع الصغير الذي يقوم المربي بتربيته، فإذا نجح في ذلك لم يكن من الصعب عليه أن ينجح في إصلاح المجتمع الأكبر الذي يعيش فيه.

ب - صلاح الأهل دعوة صامتة إلى باقي أفراد المجتمع لأن يكونوا مثلهم أدبًا وأخلاقًا وسلوكًا وطريقًا ومنهاجًا، فهم غرس هذا المربي ونبتته التي رعاها ليل نهار وآناء الليل وأطراف النهار حتى صارت صالحة، ومن ثم يدفع المربين لأن يغرسوا كما غرس ويرعوا كما رعى ويتعاهدوا كما تعاهد، حتى تأتي الغرسة طيبة مباركًا فيها.

ج - صلاح الأهل طريق لصلاح المجتمع وسبيل إليه، فالمجتمع مكون من مجموعة من الأسر، فإذا صلحت صلح وإلا انتشر فيه الفساد والخراب والخلل والانحراف، وإذا أردنا معرفة صدق ذلك، فلنا أن نتخيل لو أصلح كل مربٍّ أهله، فماذا تكون النتيجة؟، النتيجة معروفة حتمًا: هو صلاح مجتمع هذه الأسر وخيريته.

وفي ضوء هذا يمكن أن نفسر اهتمام الإسلام بإصلاح الأهل والقيام على ذلك خير القيام، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1] والوقاية من النار للنفس وللأهل لا تتأتى إلا عن طريق الصلاح و التزام فعل الخير وبحيث يكون ذلك منهاجًا في الحياة، ولذا نبّه النبي ﷺ على ذلك فقال: ((كلُّكم راعٍ، وَكلكم مَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ))[2]، والمسؤولية كلمة جامعة للتعبير عن

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري ٨٩٣، ومسلم ١٨٢٩.

الرعاية والتربية والتوجيه والمتابعة والمداومة على ذلك كله، وإلا كان الإنسان مفرطًا في مسؤوليته، مستحقًا للعقاب وما ينزل به.

ثالثًا - التربية على مراعاة الأحوال المختلفة:

لقد أمر النبي ﷺ أصحابه بأن يبادروا الصُّبح بالوتر: أي يصلُّوا الوتر قبل طلوع الصبح، فلا يبادرهم الصبح بالطلوع وهم لم يوتروا: بل يكونون المبادرين بالإيتار قبل طلوع الصبح، سواء كانت تلك المبادرة قبل نومهم أو قبل صلاة الفجر، وهذا بلا شك يختلف باختلاف الأحوال، فليس كل المسلمين سواء في ذلك، فمنهم من يثق بأنه إن نام سوف يستيقظ قبل الصبح ويوتر في الوقت الأفضل لأداء الوتر، وهناك من يغلبه النوم فلا يمكن أن يستيقظ قبل الصبح، ولذا نصح النبي ﷺ الأول بأن يوتر آخر الليل، على حين أرشد الثاني إلى أن يوتر قبل نومه. وهذا هو عين مراعاة الأحوال، وقد وقع ذلك من النبي ﷺ بالفعل، كما وقع بالقول، وذلك في قول عائشة رضي الله عنها: "من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ من أول الليل، ومن أوسطه ومن آخره، وانتهى وتره إلى السحر". وهذا كان منه ﷺ بيانًا للأوقات التي يفعل فيها الوتر، ومن ثم يختار المسلم ما يناسبه، وهذا يختلف باختلاف أحوال الشخص نفسه، فمرة قد يوتر أول الليل ومرة يوتر وسطه ومرات قد يوتر آخره.

والخلاصة أنه يمكن أن نستفيد من هذا الحديث في المجال التربوي في أنه ينبغي مراعاة الأحوال المختلفة سواء للأشخاص أنفسهم أم للشخص نفسه؛ مما يحقق عددًا من الفوائد التربوية والتي منها:

أ - فتح المجال واسعًا أمام الناشئة وغيرهم في فعل ما يناسبهم ويلائمهم ويصلح لهم، ومن ثم تكون الرغبةُ في الخير قائمة وإن اختلفت الدرجات والمراتب والثواب.

ب - دفع الناشئة إلى أن يعملوا العمل الأفضل معظم أوقاتهم وأحوالهم، بحيث يكون ذلك عادة لهم، فإن لم يستطيعوا ذلك في بعض الأحيان فلا يفوتون فرصة العمل الأقل فضلاً.

ج - تعويدهم على القيام بواجب الوقت، فلاشك أن العمل الواحد قد تختلف رتبته

نظرًا لاختلاف الأحوال والأوقات، فيكون في بعضها أفضل، على حين أنه يكون في بعضها الآخر مفضولاً، يوضح هذا خير توضيح، الأحاديث التي تنص على أفضل الأعمال، فقد اختلفت الروايات في ذلك، فبعضها جاء فيها الجهاد وبعضها جاء فيها الحج، وغير ذلك[1]. فقد نقل النووي القول بأن: (الصحيح أنه محمول على أن الجهاد في وقت الزحف الملجئ والنفير العام، فإنه حينئذ يجب الجهاد على الجميع، و إن كان هكذا فالجهاد أولى بالتحريض والتقديم من الحج، لما في الجهاد من المصلحة العامة للمسلمين، مع أنه متعين متضيق في هذا الحال، بخلاف الحج. والله أعلم)[2].



(١) انظر هذه الأحاديث في صحيح مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، الأحاديث ٨٣-٨٥، وبعضها قد أخرجه البخاري.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ، ص ١٤٥٣ .

٢٠٦- باب فضل صلاة الضحى

وبيان أقلها وأكثرها وأوسطها، والحث على المحافظة عليها

الحديث رقم (١١٤١)

١١٤١- عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلي ﷺ [١] بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَي الضُّحَى، وَأنْ أُوتِرَ قَبْلَ أنْ أرْقُدَ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

وَالإيتَارُ قَبْلَ النَّوْمِ إنَّمَا يُسْتَحَبُّ لِمَنْ لاَ يَثِقُ بِالاسْتِيقَاظِ آخِرَ اللَّيْلِ فَإنْ وَثِقَ، فَآخِرُ اللَّيْلِ أفْضَلُ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول أبي هريرة رضي الله عنه (أَوْصَانِي خَلِيلي ﷺ) التعبير بالوصية يشير إلى خصوصية في العطاء تستلزم مزيد العناية، والمحبة؛ لأن الموصي غالبا يوصي من يحب بما يحب، وقد قال بعده (خليلي) والخلة من أشد أنواع المحبة، ثم إنه أضافه لنفسه لبيان الخصوصية، وهذه العبارة توحي بعلو قيمة الموصى به، وهو (بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ) لأن الصيام على هذه الطريقة ليس فيه مشقة كبيرة، والحسنة بعشر أمثالها، فثلاثة أيام تساوي بفضل الله ثلاثين يوما، فهو كصيام الدهر مع قدرة غالب الناس عليه (وَرَكْعَتَي الضُّحَى) ولفظ المثنى يحدد العدد، ولفظ الضحى يحدد وقت النافلة وقوله: (وَأنْ أُوتِرَ قَبْلَ أنْ أرْقُدَ) أي أصلي الوتر، لكي يضمن عدم فوت الأجر، ووصية الخليل بهذه الأمور تشير إلى أهميتها مع يسرها الذي يوحي بشفقة الخليل على خليله بعدم تكليفه بما يشق عليه كما تجعلها في استطاعة الجميع.

---

(١) عندهما زيادة: (بثلاث)، وبدونه عند المنذري في ترغيبه، وتبعه عليه المؤلف.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨١)، ومسلم (٧٢١/٨٥) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٣).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الضحى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحثُ على صلاة الوتر قبل النوم لمن غلب على ظنه عدم القيام.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

يظهر ذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه: أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر. ولم يعين وقتها من الشهر، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: ((كانَ رسولُ اللّهِ يَصُومُ ثلاثةَ أيامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، قُلْتُ: من أيِّهِ؟ قالَتْ: لَمْ يَكُنْ يُبَالِي مِنْ أيِّ أيَّامِ الشَّهْرِ يَصُومُ))[١].

قال ابن عثيمين: "ولا فرق بين أن تكون متوالية يعني متتابعة أو متفرقة، كلها يحصل بها الأجر"[٢].

ومما يدل على فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثَلاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ. وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ. فَهذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ))[٣].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ صامَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثلاثةَ أيامٍ فَذَلِكَ صيامُ الدَّهْرِ فأَنْزَلَ الله تَبَاركَ وتعَالى تَصْديقَ ذلك في كِتابه ﴿مَنْ جاء بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾ اليَوْمُ بِعَشْرَةِ أيامٍ))[٤]. يتضح من ذلك فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الضحى:

يظهر ذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه: "أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث: .. وركعتي الضحى...".

---

(١) أخرجه مسلم ١١٦٠، والترمذي ٧٦٣، وأبو داود ٢٤٥٣ واللفظ له.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٣٧.

(٣) أخرجه مسلم ١١٦٢.

(٤) أخرجه الترمذي ٧٦٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٦٠٩).

فوصية رسول الله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه بركعتي الضحى يدل على فضلها وقد ورد ما يؤكد فضل صلاة الضحى في أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((ابنَ آدمَ اركَعْ لي من أولِ النهارِ أربَع ركْعاتٍ أكفِكَ آخرَهُ))[١].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ((أَوْصَانِي حَبِيبِي بِثَلَاثٍ لَنْ أَدْعَهُنَّ مَا عِشْتُ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ. وَصَلَاةِ الضُّحَى. وَبِأَنْ لَا أَنَامَ حَتَّى أُوتِرَ))[٢]. قال القرطبي: "وصية النبي ﷺ لأبي الدرداء وأبي هريرة رضي الله عنهما تدل على فضيلة الضحى، وكثرة ثوابه، وتأكده، ولذلك حافظا عليها ولم يتركاه"[٣]. وجاء في فضلها عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((يُصبحُ على كلِّ سلامي منْ أحدكم صدقةٌ، فكلُّ تسبيحةٍ صدَقةٌ، وكلُّ تحميدةٍ صدقةٌ، وكلُّ تهليلَةٍ صدقةٌ، وكلُّ تكبيرَةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بالمَعروفِ صدقةٌ، ونهْيٌ عنِ المنكَرِ صدقةٌ، ويجْزِيءُ منْ ذلكَ ركعتَانِ يركعُهما منَ الضُّحى))[٤]، قال النووي: "وفيه دليل على عظم فضل الضحى وكبير موقعها وأنها تصح ركعتين"[٥]، وهذا يدل على فضل صلاة الضحى وعظيم أجرها.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحثُ على صلاة الوتر قبل النوم لمن غلب على ظنه عدم القيام:

يظهر ذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه: "... وأن أوتر قبل أن أرقد..."، قال النووي: "وفي هذا الحديث الحث على الوتر وتقديمه على النوم لمن خاف أن لا يستيقظ آخر الليل"[٦].

وقال ابن عثيمين: "وإنما أوصاه بالوتر قبل أن ينام؛ لأن أبا هريرة رضي الله عنه كان يدرس في أول الليل أحاديث رسول الله ﷺ فلا ينام إلا متأخرًا ويُخشى ألا يقوم من آخر

---

(١) أخرجه الترمذي ٤٧٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٣٩٥).

(٢) أخرجه مسلم ٧٢٢.

(٣) المفهم ٣٥٩/٢.

(٤) أخرجه مسلم ٧٢٠.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٠.

(٦) المرجع السابق ص ٥٠٠.

الليل، فلهذا أوصاه أن يوتر قبل أن ينام"[1].

فهذا تنبيه على المسلم إذا خاف على نفسه عدم القيام أن يصلى الوتر، أما إذا غلب على ظنه القيام فليؤخر الوتر إلى آخر الليل لأن آخر الليل وقته أفضل.

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٣٧.

الحديث رقم (١١٤٢)

١١٤٢- وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((يُصْبحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأمْرٌ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِىء مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

من براعة الرسول ﷺ أنه ذكر لفظا واحدا دل على الحدث، وأعطاه اطرادا عبر الزمان، والمكان دون أن يذكر قيودا تنص على ذلك في قوله (يصبح) فلفظ يصبح معناه يدرك الصباح، وصيغة الماضي تعطي الفعل تجددا، واستمرارا ينسحب على كل صباح فهو حكم مستمر في كل يوم إلى يوم القيامة وقوله: (عَلَى كُلِّ سلامي مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ) لفظ الشمول كل يحتوي كل عظمة في جسد الإنسان، ولفظ أحدكم يشمل الجميع بالحكم، ومن الملاحظ أنه كرر لفظ الصدقة في الحديث مع كل خصلة ذكرها من خصال الخير تنبيها على الاستقلالية بحكم الصدقة لكل واحدة منهما بالإضافة إلى أنها مركز الحديث الذي يريد أن يقرره تكثيرا لأبواب الخيرات التي يستطيع كل إنسان خلالها أن يتصدق عن جسده، ثم إن الترغيب بتصدق الإنسان عن أعضاء بدنه يجعله أخف إلى هذه الطاعات لعلمه أنه يحفظ لحمه، وعظمه، وقوله (وَيُجْزِىء مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِن الضُّحَى) أي يكفي من هذه الصدقات عن هذه الأعضاء ركعتان؛ فإن الصلاة عمل لجميع أعضاء الجسد، فإذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته، وقوله (رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا) في العبارة جناس يؤكد

---

(١) برقم (٨٤/٧٢٠)، وتقدم برقم (١١٨). وسيكرره المؤلف برقم (١٤٤٢). أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٤).

المعنى، والتعبير عن الصلاة بالركوع من المجاز بالتعبير عن الكل بالجزء إشارة إلى شرفه بالإضافة إلى أن الركوع يوحي بالخضوع، والاستسلام، ويبين قيمة هذه النافلة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١١٨).

الحديث رقم (١١٤٣)

١١٤٣- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُصلِّي الضُّحَى أرْبَعًا، وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللّه. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث القصير يقرر صلاة الضحى بفعل النبي ﷺ لها، ويشير إلى عددها والتعبير بـ(كان) يشير إلى أنها عادة غالبة في الفعل على هذه الهيئة، وقولها (يصلي) تشير إلى التجدد؛ لأنها سنة يومية، والاستمرار الذي يوحي بالمواظبة عليها، ولفظ الضحى يشير إلى وقت النافلة، ولفظ أربع يدل على عددها، وقولها (وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللّه) تتميم بلاغي ينفي وهم الاقتصار على الأربع، ويفتح الباب للمزيد، وثواب الله تعالى أعظم.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الضحى وحرص النبي ﷺ على صلاتها.

ثالثًا: من واجبات المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في صلاة الضحى.

رابعًا: من تاريخ الدعوة: فتح مكة.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى أربعًا...)، وقول أم هانئ رضي الله عنها: (ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح وجدته يغتسل

---

(١) برقم (٧١٩/٧٩).

(٢) تم دمج المضامين لهذا الحديث - ١١٤٣ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٤٤).

فلما فرغ صلى ثماني ركعات وذلك ضحى)، حيث أخبرتنا عن صلاة النبي ﷺ الضحى، وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في الإخبار عن الحقائق وتبليغ المدعوين بأحكام الدين وسنة خاتم المرسلين ﷺ.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الضحى وحرص النبي ﷺ على صلاتها:

يظهر هذا من عموم الحديثين وقد ورد كثير من الأحاديث التي تدل على حرصه ﷺ على صلاة الضحى منها: عن أم هانئ رضي الله عنها في رواية أخرى: ((أَنَّ النَّبِيَّ دَخَلَ بَيْتَهَا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ. فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ. مَا رَأَيْتُهُ صَلَّى صَلاَةً قَطُّ أَخَفَّ مِنْهَا. غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ))[1]. وكذلك كان ﷺ يحث على صلاة الضحى وذلك لفضلها.

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ سَرِيَّةً فَغَنِمُوا وَأَسْرَعُوا الرَّجْعَةَ، فَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِقُرْبِ مَغْزَاهُمْ، وَكَثْرَةِ غَنِيمَتِهِمْ، وَسُرْعَةِ رَجْعَتِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَقْرَبَ مِنْهُمْ مَغْزًى، وَأَكْثَرَ غَنِيمَةً، وَأَوْشَكَ رَجْعَةً؟ مَنْ تَوَضَّأَ، ثُمَّ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لِسُبْحَةِ الضُّحَى، فَهُوَ أَقْرَبُ مِنْهُمْ مَغْزًى وَأَكْثَرُ غَنِيمَةً وَأَوْشَكُ رَجْعَةً))[2]، يتضح من ذلك فضل صلاة الضحى، وقد وردت فيها أحاديث صحيحة تؤكد فضلها حتى عدّها ابن الجوزي في منزلة السنن الرواتب[3]، ولكن الأظهر أنها ليست من الرواتب لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ المحافظة عليها وكذلك لم ينقل عن كبار صحابته المحافظة عليها، ونقل ابن القيم عن جماعة من أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان يصلي في الضحى لسبب من الأسباب، فقد صلاها يوم الفتح ثماني ركعات لأجل الفتح، وصلاها في بيت عتبان بن مالك لما طلب من رسول الله ﷺ أن يصلي في مكان في بيته ليتخذه مسجدًا بعد أن كُف بصره وحيل بينه وبين المسجد، وكان يصليها إذا قدم من مغيبه؛ فإنه ﷺ كان إذا قدم من سفر بدأ

---

(١) أخرجه البخاري ١١٧٦، ١١٠٣، ٤٢٩٢، ومسلم ٣٣٦.

(٢) أخرجه أحمد ١٧٥/٢، رقم ٦٦٣٨، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٢١٣/١١.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ص ٣١.

بالمسجد فصلى فيه ركعتين، وكذلك كان يصلي الضحى إذا أتى مسجد قباء"[١].

"وصلاة الضحى أيضًا تصلى عوضًا وخلفا عن صلاة الليل لمن لم يحافظ عليها. وبعض الأحاديث الواردة في فضلها تُحمل على ذلك. قال ابن القيم: "ومن تأمل الأحاديث المرفوعة وآثارَ الصحابة، وجدها لا تدلُ إلا على هذا القول، وأما أحاديثُ الترغيب فيها، والوصيةُ بها، فالصحيح منها كحديث أبي هريرة وأبي ذر، لا يدلُّ على أنها سنة راتبة لكل أحد، وإنما وصى أبا هريرة رضي الله عنه بذلك، لأنه قد رُوي أن أبا هريرة كان يختار درسَ الحديث بالليل على الصلاة، فأمره بالضحى بدلاً من قيام الليل، ولهذا أمره ألا ينام حتى يُوتر، ولم يأمر بذلك أبا بكر وعمر وسائر الصحابة"[٢].

"فالحاصل أن صلاة الضحى من النوافل المستحبة، لا الراتبة، وقد ورد في فضلها عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ. وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ. وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ. وَيُجْزِيءُ مِنْ ذَلِكَ، رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى))[٣]"[٤].

وقال الشيخ عبدالله البسام في توضيح الأحكام: (قال الشيخ محمد بن محمد بن بدير: أحببت أن لا أترك المقام حتى أبين أمرًا عسى الله أن ينفع به من شاء من عباده، لقد ثبتت صلاة الضحى من قوله صلى الله عليه وسلم، وحثه أصحابه، وإقرارهم عليها بما لا يدع مجالاً للشك.

منها أحاديث الباب، ومنها ما ثبت في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم وصى بها أبا الدرداء رضي الله عنه، كما وصى بها أبا هريرة رضي الله عنه.

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر في حديث التسبيح والتهليل والتحميد لأداء صدقات المفاصل قال: ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما أحدكم من الضحى.

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٥٤ - ٣٥٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٥٧.

(٣) أخرجه مسلم ٧٢٠.

(٤) شرح الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله عدها ابن القيم ص ٤١ - ٤٢.

وفي الصحيحين معًا من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ((إنْ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ لَيدَعُ العملَ وهوَ يُحبُّ أنْ يَعملَ بهِ خشيةَ أنْ يَعملَ به الناسُ فيُفرَضَ عليهم، وما سبَّحَ رسولُ اللهِ ﷺ سُبحةَ الضُّحى قطُّ، وإني لأُسبِّحها))[١] ومعلوم أنه مما لا يَردُ على العقل أن تحافظ أم المؤمنين على صلاة الضحى ولا يطلع عليها ﷺ، كما لا يظن بها أن تداوم على عبادة لم تُشرَع وهي الراوية عنه ﷺ ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[٢]، ولكنها اعتذرت عن عدم صلاة الضحى بما ذكرت أنه خشية أن يثقل على أمته، بل قررت أن بعض ما كان يدع للتخفيف كان يحب أن يعمل به، والسياق في مقام صلاة الضحى. والعجب ممن يستدل على عدم سنيتها بأن رسول الله ﷺ لم يفعلها ولا أبو بكر ولا عمر بعد اتفاق أهل العلم أن السنة ما ثبت من قوله ﷺ أو فعله أو تقريره، فبعد ثبوت الأمر بها لا يمتري في سنيتها عالم بالسنة وأقسامها، وإلا فعليه أن ينكر فضيلة صوم داود لأن رسول الله ﷺ لم يعمل به، مع أنه مدحه وأمر به عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما لما أراد أن يصوم أفضل الصيام. هذا على أنه ﷺ قد فعلها مرات كثيرة، فالذي أدين الله به أن صلاة الضحى قربة عظيمة لا يجحدها منصف، وقد ورد فيها من الأدلة ما لا مجال معه لذي بصيرة أن يتردد في كونها من هدي رسول الله ﷺ، ولقد أنصف شيخ الإسلام إذ يقول: إن أدلتها التواتر، يعني التواتر المعنوي. وبالله التوفيق)[٣].

ثالثًا - من واجبات المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في صلاة الضحى:

هذا يستنبط من عموم الحديثين، قال النووي: "الأحاديث كلها متفقة لا اختلاف بينها عند أهل التحقيق، وحاصلها أن الضحى سنة مؤكدة وأن أقلها ركعتان، وأكملها ثمان ركعات وبينهما أربع أو ست كلاهما أكمل من ركعتين ودون ثمان"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٢٨، ومسلم ٧١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨ واللفظ له.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/ ٢٢٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٩٧.

وقال ابن عثيمين: "أقلها ركعتان ولا حد لأكثرها، صلِّ ما شئت لكن كان النبي ﷺ يصلي أربعًا وربما ثمانية، فينبغي للإنسان أن يغتنم عمره بصالح الأعمال، لأنه سوف يندم إذا جاءه الموت أن أمضى ساعة من دهره لا يتقرب بها إلى الله عز وجل، كل ساعة تمر عليك وأنت لا تتقرب إلى الله بها فهي خسارة؛ لأنها راحت عليك لم تنتفع بها، فانتهز الفرصة بالصلاة والذكر وقراءة القرآن والتعلق بالله عز وجل، وتأسَّ بالنبي ﷺ وسنته"[١].

رابعًا - من تاريخ الدعوة: فتح مكة:

يظهر ذلك في قول أم هانئ رضي الله عنها: (ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح)، فلقد شهد العام الثامن للهجرة حدثًا هامًا كان بعيد الأثر في حياة الدعوة، ذلك هو فتح مكة الذي كان إيذانًا بانتهاء الوثنية في جزيرة العرب، والقضاء عليها فما كادت مكة تدخل في حوزة الإسلام، ويكسر رسول الله ﷺ الأصنام المنصوبة في جوف الكعبة، وينطلق صوت بلال رضي الله عنه بالأذان من فوق الكعبة حتى سارعت القبائل تعلن ولاءها، وتقدم وفودها إلى المدينة تبايع رسول الله ﷺ حتى عرف العام التاسع بعام الوفود، وهكذا ساد الإسلام أرجاء الجزيرة، وبدأت القبائل تنظم حياتها على ضوء تعاليم الإسلام، بما تتلقاه من توجيهات النبي ﷺ وتعليمه لها، وانطلق ولاته ﷺ إلى مواطن القبائل يقومون بأمور الحكم والقضاء والدعوة[٢].

قال د. البوطي في العبر والعظات المستفادة من فتح مكة: إذا تتبعت أحداث الفتح العظيم الذي أكرم الله به نبيه ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، تستطيع أن تبصر قيمة الدعوة السابقة وأحداثها وأن تبصر أسرارها وحِكَمها الإلهية مجسدة أمام عينيك.

وتستطيع أن تدرك قيمة الهجرة منها قبل ذلك. تستطيع أن تدرك قيمة التضحية بالأرض والوطن والمال والأهل والعشيرة في سبيل الإسلام. فلن يضيع شيء من ذلك كله إن بقي الإسلام... ولكن ذلك كله لن يغني عن صاحبه شيئًا إن لم يكن قد بقي له الإسلام.

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٣٧، ١٣٣٨.

(٢) تاريخ الدعوة، د. محمد إبراهيم الجيوشي، ط/ دار العلم والثقافة، القاهرة: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ١٣٨.

فإذا تأملت أحداث هذا الفتح الأكبر تستطيع أن تدرك تمامًا قيمة الجهاد والاستشهاد والمحن التي تمت من قبله، إن شيئًا من ذلك لم يذهب بددًا، ولم ترق نقطة دم لمسلم هدرًا، ولم يتحمل المسلمون كل ما لاقوه، مما قد رأيت في غزواتهم وأسفارهم، لأن رياح المصادمات فاجأتهم بها. ولكن كل ذلك كان جاريًا وفق حساب... وكل ذلك كان يؤدي أقساطًا من ثمن الفتح والنصر... وتلك هي سنة الله في عباده؛ لا نصر بدون إسلام صحيح، ولا إسلام بدون عبودية له، ولا عبودية بدون بذل وتضحية وضراعة على بابه وجهاد في سبيله.

والآن وقد رأيت خبر هذا الفتح، تستطيع أن تدرك القيمة الكبرى لصلح الحديبية، وأن تستشف من وراء ظاهرها الذي أدهش عمر وكثيرا من الصحابة، السر الإلهي الرائع، وأن تقف باطمئنان تام على المعنى الذي من أجله أطلق الله على ذلك الصلح اسم الفتح: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1]، وإذا أدركت هذا، أدركت مزيدًا من حقائق النبوة التي كانت تقود حياة النبي ﷺ.

أتذكر يوم خرج النبي ﷺ من وطنه مكة، مستخفيًا في بطون الشعاب والأودية، مهاجرًا إلى يثرب، وقد سبقه من قبله ولحقه من بعده أصحابه القلة المستضعفون يتسللون مهاجرين، وقد تركوا المال والأهل والأرض من أجل أن يبقى لهم الدين؟

ها هم أولاء وقد رجعوا إلى الوطن والأهل والمال، وقد كثروا بعد قلة، وتقووا بعد ضعف، واستقبلهم أولئك الذي أخرجوهم بالأمس خاشعين أذلاء خاضعين..

ودخل أهل مكة في دين الله أفواجًا، وأقبل بلال الحبشي وهو الذي طالما عذب في رمضاء مكة على أيدي المشركين، فصعد على الكعبة المشرفة ينادي بأعلى صوته: الله أكبر.. الله أكبر.

ذلك الصوت الذي كان يهمس يومًا تحت أسواط العذاب: أَحَدٌ، أَحَدٌ، أَحَدٌ، ها هو اليوم يجلجل فوق كعبة الله تعالى قائلاً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، والكل خاشع منصت خاضع!

---

(١) سورة الفتح، آية: ٢٧.

ألا إنها لحقيقة واحدة لا ثانية لها: هي الإسلام، فما أحمق الإنسان وما أجهله، حينما يكافح أو يناضل أو يجاهد في غير سبيل الإسلام، إنما يكافح حينئذ عن وهم لا حقيقة له ولا طائل

وبعد، فإن أحداث هذا الفتح العظيم تنطوي على دلالات وأحكام كثيرة مختلفة، يجب تبصرها والوقوف عليها"[1].

---

(١) انظر: فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٣٩٧ - ٣٩٨.

الحديث رقم (١١٤٤)

١١٤٤- وعن أُمِّ هَانِىءٍ فاختة بنت أَبي طالب رضي الله عنها، قالت: ذَهَبْتُ إِلَى رَسولِ اللّهِ ﷺ، عَامَ الفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ، ... فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، صَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، ... وَذلِكَ ضُحىً. متفقٌ عَلَيْهِ[1]. وهذا مختصرُ لفظِ إحدى روايات مسلم.

ترجمة الراوي:

أم هانئ: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٦٥).

غريب الألفاظ:

عام الفتح: فتح مكة ووقع في ٢٠ رمضان ٨هـ [2].

الشرح الأدبي

قول أم هانيء رضي الله عنها (ذَهَبْتُ إِلَى رَسولِ اللّهِ ﷺ، عَامَ الفَتْحِ) ذكرت الظرف (عام) وأضافته للفتح؛ لأنه تضمَّن حدثاً عظيماً، وهو فتح مكة،وقد كانوا يؤرخون بالأحداث العظام، وقولها (فوجدته يغتسل) يشير إلى أنها أتته بعد تمام الفتح، واستتباب الأمر، لأن الاغتسال دليل على الاستراحة من عناء سابق، وقولها (فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، صَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، وَذلِكَ ضُحىً) التعبير بالفراغ دلالة على الانتهاء من غسله وقولها (صلى) يقرر السنة بالفعل النبوي، وقوله (ثماني) يبين العدد وقولها، (وذلك ضحي) أي في وقت الضحى، وهو تحديد لزمانها.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٧١) واللفظ له، ومسلم (٣٣٦/٨٢، كتاب صلاة المسافرين، باب ١٣)، بل مختصر من روايتي البخاري ومسلم، وأما المختصر عند مسلم (٣٣٩/٧٠) فلفظه: ((ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره بثوب)) فقط.

(٢) أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ١٩٧، ١٩٨، وأطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٤٩.

(٣) تم دمجها مع المضامين الدعوية للحديث السابق.

فقه الحديث

وفي الحديثين من الفقه: أن أقل الضحى ركعتان، وأكثرهما ثماني ركعات وقيل: اثنتي عشرة ركعة[1].

---

(١) حاشية ابن عابدين ٢٢/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٤/١، مواهب الجليل ٧/٢، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧١/٢، المجموع ٤١/٤، إعانة الطالبين ٢٥٣/١، الكافي في فقه الإمام أحمد ١٥٣/١، المبدع ٢٣/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٩٠/٢، الروض المربع ص ٢٢٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالوصية:

هذا مستمد من قول أبي هريرة رضي الله عنه: "أوصاني خليلي بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أرقد" فالحديث -كما هو واضح- قائم على الوصية، التي تحمل نوعًا من الخصوصية للموصى إليه، بحيث إنه قد يكون ذلك أنفع له من الوصية بالأمر نفسه لغيره، لأن المربي أعلم بحال أتباعه، فيوصيهم ويدلهم على ما ينفعهم، قال ابن القيم عن الوصية بصلاة الضحى: "وقد أوصى بها وندب إليها وحضّ عليها، وكان يستغني عنها بقيام الليل. فإن فيه غنية عنها وهي كالبدل منه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾(١).

قال ابن عباس والحسن وقتادة: عوضًا وخلفًا يقوم أحدهما مقام صاحبه، فمن فاته عمل في أحدهما، قضاه في الآخر... ومن تأمل الأحاديث المرفوعة وآثار الصحابة، وجدها لا تدلّ إلا على هذا القول، وأما أحاديث الترغيب فيها، والوصية بها فالصحيح منها كحديث أبي هريرة وأبي ذر لا يدل على أنها سنة راتبة لكل أحد، وإنما أوصى صلى الله عليه وسلم أبا هريرة بذلك، لأنه قد روى أن أبا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة، فأمره بالضحى بدلاً من قيام الليل، ولهذا أمره ألا ينام حتى يوتر ولم يأمر بذلك أبابكر وعمر وسائر الصحابة" (٢).

نخلص مما سبق إلى أن التربية بالوصية لها من الفوائد ما يجعل المربين يفعّلونها في عملهم وتربيتهم، ومن هذه الفوائد:

أ - دلالة من يقومون بتربيتهم على ما ينفع كلاً منهم ويلائمه ويكون أنفع له، فمما لا شك فيه أن ما يكون مناسبًا لأحدهم قد لا يكون بالضرورة صالحًا لغيره، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أكثر الناس يعجزون عن أفضل

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٦٢.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٥٦-٣٥٧.

الأعمال، فلو أمروا بها لفعلوها على وجه لا ينتفعون به أو ينتفعون انتفاعًا مرجوحًا، فيكون في حق أحد هؤلاء العمل الذي يناسبه وينتفع به أفضل له مما ليس كذلك، ولهذا يكون الذكر لكثير من الناس أفضل من قراءة القرآن، لأن الذكر يورثه الإيمان، والقرآن يورثه العلم، والعلم بعد الإيمان قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1] والقرآن يحتاج إلى فهم وتدبر وقد يكون عاجزًا عن ذلك، لكن هؤلاء يغلطون فيعتقد أحدهم أن الذكر أفضل مطلقًا، وليس كذلك بل قراءة القرآن في نفس الأمر أفضل من الذكر بإجماع المسلمين)[2].

ب - العمل على أن يتفوق كل واحد من الناشئة وغيرهم ويبرز، وذلك بتوصيته بما يناسبه ويلائم قدراته وإمكانياته، ومن ثم يكون المجال مفتوحًا لكل مجتهد لأن يتفوق ويجتهد ويحقق البروز والإنجاز، وفي هذا فوائد جمة للمجتمع والأمة، فإن الأمم تقاس حضارتها وتقدمها بعدد البارزين والمبدعين والمبتكرين في شتى المجالات النافعة من أبنائها.

وغير ذلك من الفوائد التي تجعل التربية بالوصية من طرق التربية المثمرة والمجدية إذا أحسن استخدامها.

ثانيًا- التربية على تنوع طرق الخير:

هذا واضحٌ من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: «يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلَامَىٰ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ. وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ. وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ. وَيُجْزِىءُ مِنْ ذٰلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ».

فالملاحظ على هذا الحديث الشريف ما يلي:

أ - أنه ﷺ جعل على كل سلامي (وهو المفصل) صدقة، والسلاميات (وهي جمع

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/٢٣٧-٢٣٨، ، ١٢/٣٦٠.

السلامي[١] عددها في الإنسان ليس بقليل، ويلزم عن ذلك كثرة الخير المطلوب من الإنسان فعله.

ب - أنه ﷺ ذكر أنواعًا للخير كثيرة، كالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن المعلوم أن ما ذكر في الحديث هو ذكر لبعض أنواع الخير لا كلها، وعلى هذا فكل خير حث عليه الشرع وأرشد إليه هو صدقة مطلوبة، مثلها مثل الصدقات المذكورات.

ج - أنه ﷺ ذكر أن ما يجزئ عن هذه الصدقات الكثيرة، صلاة ركعتي الضحى، وهذه الصلاة تتضمن الصدقات المذكورات أو معظمها، فهي تتضمن التسبيح والتحميد والتكبير وغير ذلك، فأجزأت عنها، وفي هذا دلالة على فضل صلاة الضحى، قال الشوكاني: (والحديثان يدلان[٢] على عظم فضل الضحى وكبر موقعها وتأكد مشروعيتها، وأن ركعتيها تجزيان عن ثلاثمائة وستين صدقة، و ما كان كذلك فهو حقيق بالمواظبة والمداومة، ويدلان أيضًا على مشروعية الاستكثار من التسبيح والتحميد والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودفن النخامة وتنحية ما يؤذي المار عن الطريق، وسائر أنواع الطاعات ليسقط بفعل ذلك ما على الإنسان من الصدقات اللازمة في كل يوم)[٣].

د - أن هذا دَفْعٌ للمخاطب أن يأتي بالأمرين معًا، فإذا كان فيهما الخير العميم، فإن ذلك يدفعه إلى أن يأتي بالأمرين معًا ما أمكنه ذلك حتى يستكثر من الخير والعمل الصالح حتى يستزيد من الزاد النافع ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[٤].

---

(١) المعجم الوسيط ٤٤٦ "سلم".

(٢) يقصد حديث أبي ذر رضي الله عنه المذكور في الباب، وحديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه مرفوعًا: "في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة، قالوا: فمن الذي يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: النخامة في المسجد يدفنها أو الشيء ينحيه عن الطريق، فإن لم يقدر فركعتا الضحى تجزئ عنك" أخرجه أحمد ٣٥٤/٥ وأبو داود ٥٢٤٢. وقال محققو المسند صحيح لغيره ٢٢٩٩٨/٣٨.

(٣) نيل الأوطار ٥٠٧.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

يقول ابن القيم: (لله على العبد في كل عضو من أعضائه أمر، و له عليه فيه نهي، وله فيه نعمة وله به منفعة ولذة، فإن قام لله في ذلك العضو بأمره واجتنب فيه نهيه، فقد أدى شكر نعمته عليه فيه، وسعى في تكميل انتفاعه ولذته به، وإن عطل أمر الله ونهيه فيه، عطله الله من انتفاعه بذلك العضو، وجعله من أسباب ألمه ومضرته.

وله عليه في كل وقت من أوقات عبودية تقدمه إليه وتقربه منه، فإن شغل وقته بعبودية الوقت تقدم إلى ربه، وإن شغله بهوى أو راحة وبطالة تأخر، فالعبد لا يزال في تقدم وتأخر، ولا وقوف في الطريق البتة، قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾[1])[2].

ثالثًا- التربية بالإخبار عن الصالحين:

وهذا واضح من حديثي عائشة وأم هانئ رضي الله عنهما: فقد أخبرت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يصلي الضحى أربعًا، ويزيد ما يشاء، فأفادت بإخبارها أن الأصل في صلاته ﷺ الضحى أربع ركعات ثم يزيد ما شاء الله له أن يزيد، على حين أخبرت أم هانئ رضي الله عنها أنه ﷺ صلى ثماني ركعات يوم فتح مكة وذلك بعد أن اغتسل ﷺ.

والمقصود من إخبارهما رضي الله عنهما ليس مجرد الإخبار، وإنما هو بيان ما كان يفعله النبي ﷺ، وذلك للاقتداء والتأسي به، والعمل مثل ما عمل، وفعل ما فعل، لأنه هو القدوة والأسوة، وهو الموصل إلى رضا الله ودخول جنته، ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[3] ويكفي أن نذكر في هذا

(١) سورة المدثر، آية: ٣٧.

(٢) الفوائد ٢٧٤.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

المقام قول عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ((كان خلقه القرآن))[1]، ففي هذه الجملة البسيطة إخبار عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم وأنه يتخلق بالقرآن فيحل حلاله ويحرم حرامه، وفي ذلك تربية للناس كلها أن تكون مثل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك: (فمعنى هذا أنه عليه السلام صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا، سجية له، وخلقًا تطبعه، وترك طبعه الجبلي فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه)[2].

ويمكن أن يدخل في التربية بالإخبار، الإخبار عن السلف، (فإن في السلف وأخبارهم من العبر والقدوة الشيء الكثير، لذا فالاعتناء بها وإبرازها، وربط الناشئة بهذا الجيل ورجاله يترك أثرًا له أهميته في ميدان التربية)[3].



(١) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٨٩/٨.

(٣) تربية الشباب، محمد عبدالله الدويش، ص ٥٣.

٢٠٧- باب تجويز صلاة الضحى من ارتفاع الشمس إِلَى زوالها والأفضل أن تُصلَّى عِنْدَ اشتداد الحر وارتفاع الضحى

الحديث رقم (١١٤٥)

١١٤٥- عن زيد بن أَرْقَم رضي الله عنه: أَنَّهُ رَأَى قَوْمًا يُصلُّونَ مِنَ الضُّحَى، فَقَالَ: أَمَا لَقَدْ عَلِمُوا أنَّ الصَّلاَةَ فِي غَيْرِ هذِهِ السَّاعَةِ أفْضَلُ، إنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((صَلاَةُ الأَوَّابِينَ حِيْنَ تَرْمَضُ الفِصَالُ)) رواه مسلم[1].

(تَرْمَضُ) بفتح التاء والميم وبالضاد المعجمة، يعني: شدة الحر. وَ(الفِصَالُ) جَمْعُ فَصِيلٍ وَهُوَ: الصَّغيرُ مِنَ الإبلِ.

ترجمة الراوي:

زيد بن أرقم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٤٦).

غريب الألفاظ:

الأوابين: جمع أواب: المطيع، وقيل: الراجع إلى الطاعة[2].

تَرْمَضُ الفصال: تحميَ الرمضاء - وهي الرمل - فتبرك الفصال من شدة حرِّها وإحراقها أخفافها[3].

الفصال: جمع فصيل: الصغير من الإبل[4].

الشرح الأدبي

الحديث يتضمن تحديدا دقيقا لأفضل الأوقات لصلاة الضحى وقوله (أنَّهُ رَأَى قَوْماً

---

(١) برقم (٧٤٨/١٤٣).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر م ض).

(٤) رياض الصالحين ٤٢١.

يُصَلُّونَ مِنَ الضُّحَى) يتضمن سبب ذكر الحديث، وهو مخالفة بعض الناس للوقت الفاضل لصلاة الضحى، وقوله (أَمَا لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الصَّلاَةَ فِي غَيْرِ هذِهِ السَّاعَةِ أَفْضَلُ) قوله أما استفتاحية تفيد التنبيه، وقوله (أن الصلاة) أي صلاة الضحى، وقوله (فِي غَيْرِ هذِهِ السَّاعَةِ) أي التي يصلون فيها، وقول الرسول ﷺ (صلاة الأوابين) بالتشديد أي الرجاعين إلى الله بالتوبة، والإخلاص في الطاعة وترك متابعة الهوى، وفيها مبالغة في الأوب أي كثير الأوب (حين ترمض الفصال) كناية عن اشتداد الحر أي حين تصيبها الرمضاء، فتحرق أخفافها لشدة الحر فإن الضحى إذا ارتفع في الصيف يشتد حر الرمضاء فتحرق أخفاف الفصال لماستها، وإنما أضاف الصلاة في هذا الوقت إلى الأوابين، لأن النفس تركن فيه إلى الدعة والاستراحة، فصرفها إلى الطاعة، والاشتغال فيه بالصلاة رجوع من مراد النفس إلى مرضاة الرب، وتلك الغاية التي تربه عليها العبادات.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى وقت صلاة الضحى، وأن وقتها من ارتفاع الشمس قدر رمح، بأن تعلو الشمس، ويشتد حرها، إلى قبيل الزوال[1].

وهناك قول للشافعي بأن وقتها من طلوع الشمس، ويسن أن تؤخر إلى الارتفاع، وعلى هذا القول فلا يؤثر فيها وقت الكراهة، لأنها صاحبة وقت[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتوجيههم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع هدي النبي ﷺ.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأسي برسول الله ﷺ في الوقت المفضل لصلاة الضحى.

---

(١) المبسوط ١٥٩/١، البدائع ٢٩٤/١، إعانة الطالبين ٢٥٣/١، المجموع ٤١/٤، المبدع ٢٤/٢، الكافي في فقه الإمام أحمد ١٥٣/١، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٩٠/٢، الروض المربع ٢٢٧/١.

(٢) إعانة الطالبين ٢٥٣/١.

أولاً - من صفات الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتوجيههم:

يظهر ذلك في قول زيد ﷺ: أنه رأى قوما يصلون من الضحى فقال: (أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله ﷺ قال: صلاة الأوابين حين ترمض الفصال).

وتفقد الداعية لأحوال المدعوين من الأمور المهمة في الدعوة إلى الله تعالى فالداعية فرد من أفراد المجتمع مرتبط ارتباطًا شديدًا به ومن الصعوبة التعايش بدون المجتمع أو بمعزل عنه فالمجتمع مصدر أنسه وأمنه وسعادته ومحل دعوته، وعلى الداعية واجبات ومسؤوليات نحو هذا المجتمع أهمها تفقد أحوال المدعوين وتنبيههم إلى أفضل الأشياء[١].

ومن الأمور التي تعين على تحقيق الشعور بالمسؤولية الاجتماعية:

١/ الاعتناء بإبراز النصوص والأحكام الشرعية المتعلقة بالجوانب الاجتماعية، وهي كثيرة، ومنها على سبيل المثال:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((كلُّ سُلامي منَ النَّاس عليه صدقةٌ كلَّ يومٍ تطلُعُ فيه الشَّمسُ: يَعْدِلُ بينَ الاثنَينِ صدقةٌ، ويُعينُ الرَّجلَ على دابَّتِه فيَحمِلُ علَيها أوْ يَرفعُ علَيها مَتاعَه صَدقةٌ، والكلمَةُ الطيِّبةُ صدقةٌ، وكلُّ خُطوَةٍ يَخطُوها إلى الصَّلاةِ صَدقةٌ، ويُميطُ الأذى عنِ الطريقِ صدقةٌ))[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((حَقُّ المُسلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وعِيَادَةُ المَرِيضِ، واتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وإجابَةُ الدَّعْوَةِ، وتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ))[٣].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ))[٤].

---

(١) انظر: دور الأسرة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ، عبدالرحمن الغامدي، ص ٣٦٧.

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٨٩، ومسلم ١٠٠٩.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٤٠.

(٤) أخرجه البخاري ٢٣٢٠، ومسلم ١٥٥٣.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ. وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ، مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ. فَطُوبى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ. وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ))(١).

وهذه نماذج فقط، وإلا فالنصوص كثيرة في هذا المجال، وإنما استطردت هنا لتأكيد أهمية هذه الجوانب؛ فمن المربين من يهملها، ويرى أن عزل الشباب عن بيئته واشتغاله ببعض الأنشطة التربوية أو العلمية وانهماكه فيها أولى.

٢/ الاعتناء بتأصيل المنهي الشرعي في الخلطة والعزلة، وأن مخالطة الناس ومعايشتهم والصبر على أذاهم خير من اعتزالهم، عن يحيى بن وثاب عن رجل من أصحاب النبي ﷺ - قال: أظنه ابن عمر - عن النبي ﷺ قال: ((الْمُؤْمِنُ الذي يُخالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذاهم أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لا يُخالِطُهُمْ ولا يَصْبِرُ على أَذاهم))(٢).

٣/ الاعتناء ببيان الجوانب الإيجابية والمشرقة في المجتمع، والسعي للحفاظ عليها وتدعيمها، والأمر لا يعني التفاخر والوطنية الضيقة، بقدر ما يعني تعزيز المكتسبات والاعتناء بها.

٤/ تنمية الشعور بالمسؤولية الدعوية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإسهام في حماية المجتمع من عوامل الفساد، وهذا الأمر مما يعين الشاب المسلم على العيش في المجتمعات المعاصرة اليوم، التي تعاني ألوانًا من الانحراف، ويبتعد عن الغلو والشطط والموقف السلبي من المجتمع.

٥/ الاعتدال في نقد الأوضاع الاجتماعية، وتوجيه ذلك فيما يحفز على السعي للإصلاح والتغيير؛ إذ الإفراط في النقد المجرد يورث السلبية، ويدعو الفرد للهروب من المجتمع.

٦/ إشراك الشاب في الأنشطة الاجتماعية، كالجمعيات الخيرية التي تعنى بالمحتاجين، والإسهام في تقديم الخدمات العامة للمجتمع"(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٢٣٧ وحسنه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٤).

(٢) أخرجه أحمد ٤٣/٢، رقم ٥٠٢٢، وقال محققو المسند: إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين ٦٤/٩.

(٣) تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد عبدالله الدويش ص ١٨٨ - ١٩٠.

فعلى الداعية أن يحرص على تفقد أحوال المدعوين وتنبيههم إلى أخطائهم وتوجيههم التوجيه السليم والسديد.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﵃ على اتباع هدي النبي ﷺ:

يظهر ذلك في قول زيد بن أرقم ﵁: (أما لقد علموا أن الصلاة في هذه الساعة أفضل، إن رسول الله ﷺ قال: صلاة الأوابين حين ترمض الفصال).

فبيانه لوقت صلاة الضحى كما بينها رسول الله ﷺ وإنكاره على من صلوا في غير وقتها دليل على الحرص على اتباع هدي رسول الله ﷺ في صلاة الضحى، والصحابة ﵃ كانوا حريصين على اتباع هدي النبي ﷺ في كل شيء.

فلقد استجاب المسلمون الأوائل إلى قوله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]، فتفانوا في اتباع محمد ﷺ وساروا على هديه[2]، وقد ورد عنهم صور كثيرة تبين حرصهم على اتباع هدي النبي ﷺ منها:

عن عبدالله بن عمر ﵄ قال: ((أنَّ رسولَ اللّه ﷺ اصطَنَعَ خاتمًا من ذهبٍ وكان يَلبَسُهُ، فيَجعلَ فصَّهُ في باطن كفِّه، فصنَع الناس خواتيم. ثم إنه جَلسَ على المنبرِ فنزَعه فقال: إني كنتُ ألبَسُ هذا الخاتمَ وأجعَلُ فصَّهُ من داخل، فرمى به ثم قال: واللّهِ لا ألبَسُه أبدًا؛ فنَبذَ الناسُ خَواتيمهم))[3].

قال النووي: "فيه بيان ما كانت الصحابة ﵃ من المبادرة إلى امتثال أمره ونهيه ﷺ والاقتداء بأفعاله"[4].

وقد ورد في الحديث: كَانَ النَّاسُ إذَا نَزَلُوا مَنْزِلاً قالَ عَمْرٌو وَكَانَ النَّاسُ إذَا نَزَلَ

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) انظر: السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٨٠.

(٣) أخرجه البخاري ٧٢٩٨، ومسلم ٢٠٩١.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٢٣.

رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْزِلاً تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ. فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلاً إِلاَّ انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يُقَالُ لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ))[١].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يتبع آثار رسول الله ﷺ في كل مكان صلى فيه حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس[٢].

ثالثًا - من آداب المدعو: التأسي برسول الله ﷺ في الوقت المفضل لصلاة الضحى:

ويظهر ذلك في إنكار زيد بن أرقم رضي الله عنه على من صلى الضحى في غير وقتها الذي أمر به رسول الله ﷺ في قوله: (صلاة الأوابين حين ترمض الفصال)..

قال النووي: "والرمضاء: الرمل الذي اشتدت حرارته بالشمس، أي: حين يحترق إخفاف الفصال وهي الصغار من أولاد الإبل جمع فصيل من شدة حر الرمل، والأواب المطيع وقيل: الراجع إلى الطاعة، وفيه فضيلة الصلاة هذا الوقت، قال أصحابنا: هو أفضل وقت صلاة الضحى وإن كانت تجوز من طلوع الشمس إلى الزوال"[٣].

وقال الطيبي: "قال الزمخشري في الفائق: (مدحهم بصلاتهم في الوقت الموصوف، لأنه وقت تركن النفوس فيه إلى الاستراحة، وتتهيأ فيه أسباب الخلوة، فيرد على قلوب الأوابين من الأنس بذكر الله، وصفاء الوقت، ولذاذة المناجاة ما يقطعهم عن كل مطلوب سواه، وهذا الوقت متشابه للساعة المختارة في جوف الليل فيغتنم العبادة حينئذ)[٤].

فينبغي على المسلم اغتنام الأوقات التي فضّلها رسول الله ﷺ في صلاة الضحى تأسيًا به واتباعًا لهديه وطلبًا للأجر العظيم.

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٦٢٨، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٨٨).

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٣/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٢.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٧٢/٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على فعل الأفضل:

هذا مستمد من قول زيد بن أرقم رضي الله عنه عندما رأى قومًا يصلُّون من الضحى: "أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل" فقد بين أن الأفضل في فعلها وقت اشتداد الحر، وفي هذا إرشاد لهم وتوجيه أن يفعلوا ما هو أفضل ولا يكتفون بما هو مقبول أو أقل فضلاً أو ما هو جائز، وعلى هذا فإن على المربي أن يغرس في نفوس أتباعه ومن يقوم على توجيههم هذه الفضيلة، فلا يقبلون من الأعمال ما هو دون هذه الدرجة وغير هذه الرتبة، وإنما يطمحون دومًا ودائمًا إلى فضائل الأعمال ومكارم الأخلاق، (فالنفوس الشريفة - كما يقول ابن القيم - لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناوات، وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار، فالنفس الشريفة العلية، لا ترضى بالظلم ولا بالفواحش ولا بالسرقة، والخيانة، لأنها أكبر من ذلك وأجل، والنفس المهينة الحقيرة الخسيسة بالضد من ذلك)[1].

ولنذكر مثالاً على كيف يأتي التعوّد على فعل الأفضل بأحسن النتائج على المستوى الاجتماعي:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾[2] قال الطاهر بن عاشور: (التقدير: ادفع السيئة بالتي هي أحسن "والتي هي أحسن" هي الحسنة، وإنما صيغت بصيغة التفضيل ترغيبًا في دفع السيئة بها، لأن ذلك يشق على النفس، فإن الغضب من سوء المعاملة من طباع النفس وهو يبعث على حب الانتقام من المسيء، فلما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يجازي السيئة بالتي هي أحسن أشير إلى فضل ذلك، وقد ورد في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ولا يدفع بالسيئة

---

(١) الفوائد ٢٥٤.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٤.

السيئة ولكنه يعفو ويصفح))"[1].

وفرع على هذا الأمر قوله: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ لبيان ما في ذلك الأمر من الصلاح ترويضًا على التخلق بذلك الخلق الكريم، وهو أن تكون النفس مصدرًا للإحسان، ولما كانت الآثار الصالحة تدل على صلاح مثارها، وأمر رسوله ﷺ بالدفع التي هي أحسن أردفه بذكر بعض محاسنه، وهو أن يصير العدو كالصديق وحسن ذلك ظاهر مقبول، فلا جرم أن يدل حسنه على حسن سببه، ولذكر المثل والنتائج عقب الإرشاد شأن ظاهر في تقرير الحقائق، وخاصة التي قد لا تقبلها النفوس، لأنها شاقة عليها، والعداوة مكروهة والصداقة والولاية مرغوبة، فلما كان الإحسان لمن أساء يُدْنيه من الصداقة أو يكسبه إياها كان ذلك من شواهد مصلحة الأمر بالدفع بالتي هي أحسن و(إذا) للمفاجأة. وهي كناية عن سرعة ظهور أثر الدفع بالتي هي أحسن في انقلاب العدو صديقًا... إن الإحسان ناجح في اقتلاع عداوة المحسن إليه للمحسن على تفاوت مراتب العداوة قوة وضعفًا وتمكنًا وبعدًا، ويعلم أنه ينبغي أن يكون الإحسان للعدو قويًا بقدر تمكن عداوته ليكون أنجع في اقتلاعها، ومن الأقوال المشهورة: النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها)"[2].

والخلاصة أن إتيان الأفضل من الأفعال والأقوال، يؤدي إلى نتائج طيبة جدًا على مستوى الأفراد والجماعات في الدنيا والآخرة، فما أجدر أن يتربى الناشئة وغيرهم على ذلك!

ثانيًا - التربية على التمسك بالسنة:

وهذا يستمد من قول زيد بن أرقم: "أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله ﷺ قال: "صلاة الأوابين حين ترمض الفصال" فالملاحظ أن الصحابي الجليل احتكم إلى السنة الشريفة ليبين الفعل الأفضل من المفضول، ولم يحتكم إلى شيء آخر من عقل وهوى وقياس فاسد ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري ٢١٢٥، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩٢/٢٤/٩-٢٩٣.

إن السنة جاءت مبينة وشارحة لكتاب الله إلى غير ذلك مما اختصت به السنة وهذا ليس مجال بيانه، لذا فإن من الأسس التربوية المهمة جدًا - بل الأساس الأول - التربية على التمسك بالسنة في تربية الأجيال والشعوب والأسر والأفراد، فليس هناك تربية صحيحة بدون هذا الأساس، "فإن للسنة في المجال التربوي فائدتين عظيمتين:

١ - إيضاح المنهج التربوي الإسلامي المتكامل الوارد في القرآن الكريم وبيان التفاصيل التي لم ترد في القرآن الكريم.

٢ - استنباط أسلوب تربوي من حياة الرسول ﷺ مع أصحابه، ومعاملته الأولاد وغرسه الإيمان في النفوس"[١].

لذا فإننا نرى أن التربية على التمسك بالسنة تحقق فوائد تربوية جمة، منها:

أ - نشر العلم النافع في المجتمع ومحاربة الجهل والبدع والانحرافات العقدية والخلقية، لأن هذه الأضرار ما انتشرت إلا بسبب غياب العلم النافع المستمد من الكتاب والسنة، لذا (فإن الإسلام قد وقف من العلم موقفًا مشرفًا لم يسبقه به دين من الأديان، فالاهتمام الكبير به كان من ورائه أهداف مرسومة، إذ الرغبة في إرساء وسيادة القيم والمبادئ الإسلامية لا تتحقق إلا بنشر دين الله والوعي الإسلامي، وهذا الذي يهدف إليه التعليم الإسلامي، فحينما يسود الوعي والفهم الصحيح أوساط المجتمع المسلم تضمحلّ الفرص أمام أعداء هذا الدين من الظهور على مسرح الأحداث، وتهيأ الأجواء المناسبة لأصحاب الفكر السديد لأن يؤدوا دورهم المناط بهم بفاعلية ووضوح)[٢].

ب - حفظ ثوابت الأمة والجماعة فلا تتعرض للتبديل ولا التغيير ولا التحريف ولا التأويل الباطل، لأن الفيصل في ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما كان فيهما تمسكنا به وأعرضنا عما سواه ولو تغير الزمان والمكان والأهواء

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص ٢٦.

(٢) أهداف وخصائص التعليم الإسلامي، د. فاروق عبدالحميد السامرائي، دار النفائس، الأردن، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٤٢.

والميول.

إن الناظر في عالم اليوم يجد أن المبادئ والقيم والأخلاق أصبحت نسبية، فما كان صوابًا عند قوم لم يكن كذلك عند قوم آخرين، وما كان مرفوضًا من بعضهم كان مقبولاً ومجازًا من غيرهم، و ما كان ذلك إلا بسبب فقد المرجعية الحاكمة الثابتة التي تحكم وتقضي على الأفعال والأقوال[1].

ج - حصر الخلاف بين جموع الأمة في أضيق نطاق ممكن، وذلك لأن مجال الاتفاق والاجتماع يتسع ويزداد كلما كان هناك تمسك بالأصلين: الكتاب والسنة، وإن وقع الخلاف يكون في الفروع لا في الأصول والأسس.

والمقصود مما سبق أن التمسك بالسنة له من الفوائد التربوية الجمة، مما ينبغي على المربين أن ينشؤوا من يقومون بتربيتهم على ذلك دومًا وأبدًا، لأن في ذلك صلاح التربية وقوامها.



(١) انظر: القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع، ص ١٦٢، ١٧٨.

٢٠٨- باب الحث عَلَى صلاة تحية المسجد

وكراهة الجلوس قبل أن يصلي ركعتين في أي وقت دخل وسواء صلًى ركعتين بنية التَّحِيَّة أوْ صلاة فريضة أوْ سنة راتبة أوْ غيرها

الحديث رقم (١١٤٦)

١١٤٦- عن أَبي قتادة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((إِذَا دَخَلَ أحَدُكُمُ المَسْجِدَ، فَلاَ يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

الشرح الأدبي

لم يدع الرسول ﷺ فرصة، ولا مناسبة إلا، وحرص على أن يجعل للمؤمنين منها سبيلا للتقرب إلى الله تعالى حتى تكون حركة المؤمن في ذكر متواصل بمختلف ألوان العبادة متسقة مع الكون المسبح حوله في منظومة المخلوقات كما أراد الله تعالى يوم خلق الإنسان، وسخر له الكون، واختصه بوظيفة محددة قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات٥٦) وهذا الحديث يجري في هذا الإطار الذي يُعبِّد الإنسان لخالقه عن طريق فتح باب الطاعات، وهو يقرر بأسلوب خبري تحية المسجد، وقد ورد المعنى في أسلوب خبري يربط دخول المسجد بعدم الجلوس إلا بعد صلاة الركعتين، وأسلوب الشرط يعطي هذا الفعل صفعة العادة المتكررة المرتبطة بالدخول فيصلي كلما دخل المسجد، والتعبير بـ(إذا) يفيد التحقق، ولفظ (أحد) المضاف لكاف الخطاب، وميم الجمع يفيد عموم المخاطبين، و(ال) في المسجد للجنس فيشمل أي مسجد يدخله المسلم، وقوله (فلا يجلس) نهي عن الجلوس، وهو جواب الشرط المتصل بالمدى، والغاية التي قررتها (حتى) لأنه لا ينهاه عن الجلوس مطلقا، ولكن حتى يؤدي

---

(١) أخرجه البخاري (١١٦٣) واللفظ له، ومسلم (٧١٤/٧٠).

حق المسجد، ويكمن خلف هذا الهدي النبوي بُعد نفسي في التفاعل بين المؤمن، والمسجد يشعره بتميز المكان الذي يحقق في نفسه شعوراً بقدسيته كما أن الركعتين تهيئانه وجدانيا لدخول الفرض الذي تحرك من أجله، ولفظ (ركعتين) يحدد عدد ركعات هذه السنة، وفق ضابط لا يخرج بها عن حدودها كمقدمة مهيأة للفرض قبل الدخول فيه، ومتممة لما قد ينقص منه بعد الانتهاء منه.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى حكم تحية المسجد بالنسبة لمن دخل المسجد وأنها أمر مطلوب لأمر النبي ﷺ به.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أن تحية المسجد مأمور بها وإن اختلفوا في قوة الأمر فحمله جمهور الفقهاء على أنه سنة، وحمله بعض المالكية على أنه فضيلة، وحمله أهل الظاهر وبعض الفقهاء على الوجوب.

وكذا اختلفوا فيما لو دخل المسجد في وقت من أوقات النهي عن الصلاة، كما إذا دخل بعد العصر أو الصبح أو وقت الغروب أو الشروق، هل يشرع له أن يصلي تحية المسجد أم لا؟ وذلك على قولين:

القول الأول: ذهب الحنفية[2] والمالكية[3]: والإمام أحمد في رواية[4] إلى أنه لا

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٣/١، رد المحتار ١٨/٢ وما بعدها، المنتقى ٢٥٨/١، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٠٢/١، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد الصعيدي ٢٩٧/١، المجموع ٥٤٣/٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٠٤/١، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٨٧/١، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢٦٦/٢، مطالب أولي النهى ٤١٤/١، المغني ٤٣٨/١، المحلى ٧/٢، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٢٣٨/١.

(٢) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٣/١، رد المحتار ١٨/٢ وما بعدها.

(٣) المنتقى ٢٨٥/١، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٠٢/١، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد الصعيدي ٢٩٧/١.

(٤) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢٦٦/٢، مطالب أولي النهى ٤١٤/١، المغني ٤٣٨/١.

يصليها لكونها في وقت النهي عن الصلاة.

القول الثاني: ذهب الشافعية[١] والإمام أحمد في رواية[٢] إلى أنه يصلي النفل في هذه الحالة أخذًا بظاهر الحديث ولأنه لم يقيدها بوقت معين.

والراجح في رأيي هو الرأي الثاني.

وكذا اختلفوا في تكرار تحية المسجد بتكرر الدخول، فقيل يكفيه مرة واحدة في اليوم وهو ما عليه البعض[٣]، وقال الحنفية والمالكية[٤] يكررها كلما دخل ما دام كان هناك فاصل كبير بينهما وإلا تكفيه مرة، وقال الشافعية في وجه[٥]. تتكرر بتكرر الدخول ولو كان في وقت قريب.

المضامين الدعوية[٦]

أولاً: من ميادين الدعوة المسجد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية تحية المسجد.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

رابعًا: من واجبات الداعية: حث المدعوين على التنفل عند دخول المسجد.

أولاً – من ميادين الدعوة المسجد:

يظهر ذلك في حديث قتادة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: (إذا دخل أحدكم المسجد...).

وقول جابر ﷺ: "أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد...".

وللمسجد مكانة عظيمة في الإسلام، وإن مكانة المسجد تنبع من كونه مكان

---

(١) المجموع ٥٤٣/٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٠٤/١، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٨٧/١.

(٢) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢٦٦/٢، مطالب أولي النهى ٤١٤/١، المغني ٤٣٨/١.

(٣) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٢٣٨/١.

(٤) المراجع السابقة الخاصة بكل مذهب.

(٥) المراجع السابقة الخاصة بكل مذهب.

(٦) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٤٦ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٤٧).

عبادة وهداية وعلم وخير وصلاح، لأن العبد فيه بين أمرين: إما قيامه بفريضة مكتوبة عليه وما يتبعها من نوافل، أو علم يستفيد منه في دنياه وآخرته، ومن خلال طلبه العلم يكوّن نفسه كي يقوم بما من أجله خلق، خير قيام، ويحصل الحسنات ورضا رب العباد.

والمسجد بيت الله في الأرض تهفو إليه العباد لأداء الصلاة المكتوبة، وفيه يلتقي المسلمون في اليوم خمس مرات تحصل في هذا اللقاء المتكرر منافع كثيرة لدعوة الإسلام ابتداء من:

(١) الحصول على العلم وطلبه للقيام بالواجب خير قيام.

(٢) التقاء المسلمين خمس مرات في اليوم الواحد وما ينتج عن هذا اللقاء من إخاء وروابط قوية.

(٣) البلاغ عن هذا الدين لمن يأتي إلى المسجد من خلال العلماء المحدثين.

(٤) تعليم القرآن الكريم والحديث الشريف لمرتاديه.

(٥) إعداد الدعاة الذين يحملون هذه الدعوة للناس كافة، وبهذا تستمر الحلقات تواصلاً إلى رسول الله ﷺ الذي بدأ دعوته وفسر دينه في المسجد، بل أقام دولة الإسلام في جنبات المسجد[1]، فالمسجد أهم ميادين الدعوة إلى الله.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية تحية المسجد:

ويظهر ذلك في قوله ﷺ: (إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين)، وقوله أيضًا: (صلِّ ركعتين).

قال النووي: "فيه استحباب تحية المسجد وهي سنة بإجماع المسلمين، وحكى القاضي عياض عن أبي داود وأصحابه وجوبها، وفيه التصريح بكراهة الجلوس بلا صلاة وهي كراهة تنزيه، وفيه استحباب التحية في أي وقت دخل وهو مذهبنا وبه قال جماعة، وكرهها أبو حنيفة والأوزاعي والليث في وقت النهي.

وأجاب اصحابنا: أن النهي إنما هو عما لا سبب له؛ لأن النبي ﷺ صلى بعد العصر ركعتين، قضاء سنة الظهر، فخص وقت النهي وصلى به ذات السبب ولم يترك

---

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ١٩٨.

التحية في حال من الأحوال، بل أمر الذي دخل المسجد في حال الخطبة يوم الجمعة أن يركع ركعتين، مع أن هذا ممنوع في حال الخطبة إلا التحية، فلو كانت التحية تترك في حال من الأحوال لتركت الآن، لأنه قعد وهي مشروعة قبل القعود، ولأنه كان يجهل حكمها، ولأن النبي ﷺ قطع خطبته وكلمه وأمره أن يصلي التحية فلو لا شدة الاهتمام بالتحية في جميع الأوقات لما اهتم عليه الصلاة والسلام بها هذا الاهتمام"[1].

قال ابن عثيمين: "سنة المسجد سنة مؤكدة إذا دخل المسجد في أي وقت كان، وأنه يكره أن يجلس حتى يصلي ركعتي. وأنه لا فرق بين أن تكون الركعتان في تحية المسجد، أو في الرواتب، أو فريضة أو صلاة استخارة، أو غير ذلك المهم ألا يجلس حتى يصلي ركعتين وسنة دخول المسجد سنة مؤكدة جدًا بل إن بعض العلماء قال: إنها واجبة. ويدل على تأكدها جدًا: أن رجلاً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فجلس، فقال له: أصليت معنا؟ قال: لا، قال: ((قُمْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ وَتَجَوَّزْ فِيهِمَا))[2]. يعني: خففهما لأجل أن يستمع للخطبة.

وإذا كان الرسول ﷺ أمره أن يصلي حال الخطبة مع أن استماع الخطبة واجب، فإن هذا يعد إذنًا بأن تحية المسجد واجبة، ولولا نصوص دلت على عدم الوجوب لقلنا واجبة لكنها سنة مؤكدة في أي وقت"[3]. وهذا يؤكد أهمية صلاة تحية المسجد.

ثالثًا – من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (صلِّ ركعتين) حيث أمر رسول الله ﷺ بصلاة ركعتين تحية المسجد، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في الأمر بقواعد الدين وأحكامه وفروعه، والأمر بما فيه خير المدعوين في الدنيا والآخرة.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٩٦.

(٢) أخرجه مسلم ٨٧٥، وأبو داود ١١١٦.

(٣) شرح رياض الصالحين ١١٣٩/٢.

رابعًا - من واجبات الداعية: حث المدعوين على التنفل عند دخول المسجد:

يظهر ذلك من عموم الحديثين حيث حثّ رسول الله ﷺ على تحية المسجد عند دخوله وقبل الجلوس، والداعية لا بد أن يقتدي برسول الله ﷺ؛ لأنه الأسوة والقدوة الحسنة لجميع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[1]، فعلى الداعية أن يحث المدعوين على تحية المسجد اقتداءً برسول الله ﷺ وإكرامًا لبيوت الله تعالى.

وقد أمر رسول الله ﷺ بالتأسي بعمله، والاقتداء بفعله، وأداء العبادات كما كان يؤديها، روى البخاري عن مالك بن الحويرث قال: أتينا النبيَّ ﷺ ونحنُ شَبَبَةٌ متقاربون، فأقمنا عندَه عشرينَ ليلة، فظنَّ أنّا اشتَقنا أهلَنا، وسألنا عمَّن تركنا في أهلِنا فأخبرناه، وكان رفيقًا رحيمًا، فقال: ((ارجعوا إلى أهْليكم فعلِّموهم، ومُروهم، وصلُّوا كما رأيتموني أصلِّي، وإذا حَضَرَتِ الصلاةُ فليُؤذِّنْ لكم أحدُكم، ثمَّ ليَؤُمَّكم أكبرُكم))[2].

وفي حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: ((لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ. فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذِهِ))[3].

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ((أنه تَوَضَّأَ. فَغَسَلَ وَجْهَهُ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ. ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَىٰ حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ. ثُمَّ يَدَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ. ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ. ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَىٰ حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ. ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ. ثُمَّ قَالَ: هـكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ يَتَوَضَّأُ))[4][5].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٠٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٢٩٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢٤٦.

(٥) التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري ص ١٧٥ - ١٧٦.

الحديث رقم (١١٤٧)

١١٤٧- وعن جابرٍ ﵁، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: ((صَلِّ رَكْعَتَيْنِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

لا شك أن البيان العملي المعتمد على التطبيق أكثر وضوحا في مدلوله، وأكثر إقناعا للمخاطب من البيان النظري، وهذا الحديث يشير إلى بيان عملي طبَّقه الرسول ﷺ مع أحد أصحابه، حين دخل المسجد، ولم يصل، يدل على ذلك عطف الراوي لقول الرسول ﷺ على فعل الإتيان من جابر ﵁ بالفاء التي تقتضي التعقيب دون مهلة، ثم أمر الرسول ﷺ له (صَلِّ رَكْعَتَيْنِ) لأنه لو صلاها لما أمره، ومعلوم من الحديث السابق أنها ركعتان لا أكثر، وفيها إشارة إلى أفضلية بيوت الله.

المضامين الدعوية[٢]

(١) أخرجه البخاري (٤٤٣) واللفظ له، ومسلم (٧١٥/٧١).

(٢) تم دمجها في مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

تعاهد الأفراد والجماعات بالتربية:

هذا مستمد من حديثي الباب: فتعاهد الجماعات واضح من حديث أبي قتادة ﵁: "إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلّي ركعتين" فهذا خطاب عام يتوجه إلى الجماعة بجميع أفرادها، على حين كان حديث جابر بن عبدالله ﵄ "أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد فقال: صلِّ ركعتين" - كان هذا الحديث تعاهدًا لفرد من أفراد هذه الجماعة بعينه بالتربية والتوجيه، وهكذا ينبغي أن تكون التربية، فلا تقتصر على أفراد بعينهم أو على بعض الأولاد دون بعض، فيكون في ذلك تمييز لهم وتخصيص، كما أنها من جانب آخر لا تكون تربيةً عامةً فقط تهتم بالمجموع دون الأفراد، فبدون صلاح الأفراد لا يكون هناك صلاح الجماعة، لأن الأخيرة تتكون من مجموع الأفراد.

إذًا الخلاصة أن التربية العادلة الناجحة هي التي تجمع بين التوجيهات العامة مع العناية بالأفراد أنفسهم، ليلاحظ مدى تطبيقهم لهذه التوجيهات والإرشادات، وتفعيلهم لها، إن التربية الإسلامية لا تعرف تربية الصفوة والنخبة وإهمال الرعاع وعامة الناس دون توجيه وإرشاد، بحجة أن الصفوة يعلّمون غيرهم ويقودونهم إلى الصواب والصحة، لا يعرف الإسلام هذا، لأنه جاء للناس جميعًا على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم وأجناسهم ولغاتهم، فجاء بخطاب عام لهم جميعًا يبغى صلاحهم وإصلاحهم وقيادتهم إلى الخير والحق والرشاد، فخاطب الفرد كما خاطب الجماعة، وجاء خطابه التربوي واحدًا لهما حتى يُكمِل الفردُ الجماعة، وتُكمل الجماعة الفرد، (لقد شمل التوجيه التربوي الإسلامي الفرد والجماعة، وهدف إلى تحقيق مقاصد الإسلام فيهما، إذ لا صلاح للجماعة دون تهيئة صالحة مستقيمة لعناصر تكوينها.

ولم تكن وصية لقمان لابنه حدثًا عابرًا يحكي قصة عابرة، بل إن ورودها في كتاب الله الكريم كان أسمى من ذلك إنها تعبر عن المسلك التربوي الفردي الصادق

داخل الأسرة المسلمة، في إطار التفاعل التربوي بين الآباء والأبناء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1] ثم قال له: ﴿يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[2] فلابد أن تلوح هذه المعالم التربوية القرآنية في حياة كل أسرة مسلمة ترنو إلى عيش كريم وحياة صادقة، يقول أبوبكر الجصاص (وإنما حكى الله تعالى عن عبده لنقتدي به وننتهي إليه)[3].

وعلى صعيد الجماعة وصف الله الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس بتحقيقها مهمة الدعوة والإصلاح ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾[4]، لذلك فإن التوجه التربوي الإسلامي هو السبيل الأمثل لتحقيق خيرية الأمة، فمن العبث أن يكون هناك أمر ونهي، دون معرفة ماهية المعروف والمنكر، ودراية الأحكام المتعلقة بهما، فقد يُفسِد الجاهلُ أكثر مما يصلح، وهو في الوقت ذاته يحتاج إلى ردع لارتكابه منكر الجهل بالدعوة، وتضليله للناس.

ولتحقيق مقاصد الإسلام في حياة الأمة ألزمها الله تبارك وتعالى مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صيانة لكيانها وحفاظًا لمكانتها، فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[5] وعدّها عمر بن الخطاب رضي الله عنه شرط الله في هذه الأمة فقال: (من

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٢) سورة لقمان، الآيات: ١٧-١٩.

(٣) أحكام القرآن، الجصاص ٢/٢٤٨٦.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها)[١]، وأشار إلى قول الباري عز وجل: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٢] إذ لا يكون التبليغ إلا بها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[٣] فَجُلُّ محتوى الرسالات الأمر والنهي)[٤].



(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٦٧٢/٥، ٦٧٣ بإسناد فيه انقطاع. وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧٢٥/٣-٧٢٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٩.

(٤) أهداف وخصائص التعليم الإسلامي، د. فاروق عبدالمجيد السامرائي، ص ٤٠-٤١ بتصرف.

٢٠٩- باب استحباب ركعتين بعد الوضوء

الحديث رقم (١١٤٨)

١١٤٨- عن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ لِبلاَلٍ: ((يَا بِلاَلُ، حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ)) قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عِنْدِي (مِنْ) أَنّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا فِي سَاعَةِ (مِنْ) [1] لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلاَّ صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّي. متفقٌ عَلَيْهِ[2]، وهذا لفظ البخاري.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بأرجى عمل، أي: بعمل هو أكثر أملاً في حصول الثواب، والمضاعفة عليه[3].

دف نعليك: صوته وحركته على الأرض[4].

طُهورًا: وضوءًا[5].

الشرح الأدبي

نداء الرسول ﷺ لبلال رضي الله عنه نداء تكريم بـ (يا) التي ينادى بها البعيد مع قربه منه إشارة إلى مكانته عند رسول الله ﷺ، وقوله (حدثني بأرجى عمل) أمر للإشادة والتنويه بما بلغ العمل الصالح ببلال من منزلة، لأن الرسول ﷺ يعلم سببه، ولكنه

---

(١) (من) في الموضعين عند مسلم، وهي عند المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٩) واللفظ له، ومسلم (٢٤٥٨/١٠٨). أورده المنذري في ترغيبه (٣٥١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ج و).

(٤) رياض الصالحين ٤٢٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط هـ ر)، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٤٩٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٤٢، ودليل الفاحين ١٢٩٧.

يريد الإشادة به، وتنبيه الناس إلى هذا النموذج من العمل الصالح ليكون قدوة لهم في هذا العمل وقوله (أرجى عمل) أرجى على وزن أفعل التفضيل بمعنى المفعول لا بمعنى الفاعل، وأضيف إلى العمل؛ لأنه الداعي إليه، وهو السبب فيه، وفي قوله (عمل عملته) جناس يؤكد المعنى، ويتخذ منه نموذجا للمسلمين فيما سيذكر من عمل، وقوله (فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ) الفاء للتعليل، والجملة تكشف عن سبب طلبه، وقوله (بين يدي) يوحي بالقرب مع الوضوح؛ لأنه في الجهة التي أمامه، والدف صوت السير الناعم، وهو تعبير مناسب للمقام، وقوله (في الجنة) يوحي بشرف المكان، ويشير أنه رآه في منامه، وقوله (أتطهر طهورا) جناس يوضح المعنى، ويكشف جانبا من سر التفوق، والأفضلية التي استوجبت له هذا الجزاء، وتلك المنزلة، وأكدها الطباق بين الليل، والنهار الذي يشير إلى دوام الطهر، وفي قوله (لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُوراً فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلاَّ صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّي) أسلوب قصر يقصر صفة التطهر على صلاة ما تيسر له من النوافل، والإشارة في قوله (بذلك الطهور) للتعظيم، وهو إحساس في نفسه دعاه إلى الحرص عليه، والعمل بموجبه فبلغ به ما بلغ، واستحق إشادة الرسول ﷺ، والتنويه به.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل بلال بن رباح رضي الله عنه.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: سماع النبي ﷺ دف نعلي بلال رضي الله عنه في الجنة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة عقب الوضوء.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل بلال بن رباح رضي الله عنه:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام؛ فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة).

قال ابن حجر: "السياق مشعر بإثبات فضيلة بلال لكونه جعل السبب الذي بلغه إلى

ذلك ما ذكره من ملازمة التطهر والصلاة، وإنما ثبتت له الفضيلة بأن يكون رؤى داخل الجنة لا خارجًا عنها...، ولا يلزم من ذلك دخول بلال رضي الله عنه الجنة قبل النبي صلى الله عليه وسلم لأنه في مقام التابع، وكأنه أشار صلى الله عليه وسلم إلى بقاء بلال على ما كان عليه في حال حياته واستمراره على قرب منزلته، وفيه منقبة عظيمة لبلال"[1].

وفضل بلال رضي الله عنه معروف فهو من السابقين في الإسلام ومن الذين تحملوا التعذيب والمشاق في سبيل إسلامهم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: أول من أظهر الإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وأتاهم على ما أرادوه منه إلا بلالاً؛ فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى، وهان على قومه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ، أحد، وفي رواية: وجعلوا الحبل في عُنقه، وقال سعيد بن المسيب: كان بلال شحيحًا على دينه، وكان يُعذب على دينه، فإذا أراد المشركون أن يقاربهم قال: الله، الله. فاشتراه أبو بكر بخمس أواق، وقيل: بسبع. وقيل: بتسع، فأعتقه فكان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (أبو بكرٍ سيِّدُنا، وأعتَقَ سيِّدَنا. يعني بلالاً)[3].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

يظهر ذلك في سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال رضي الله عنه عن أرجى عمل عمله في الإسلام وإجابة بلال رضي الله عنه على سؤاله.

قال ابن حجر: "وفيه سؤال الصالحين عما يهديهم الله له من الأعمال الصالحة ليقتدي بها غيرهم في ذلك، وفيه أيضًا سؤال الشيخ عن عمل تلميذه ليحضه عليه ويرغبه فيه إن كان حسنًا وإلا فينهاه"[4].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٤٢ - ٤٣.

(٢) انظر: المفهم، القرطبي ٦/٣٦٧، وصفة الصفوة، ابن الجوزي، ١/١٩٢-١٩٣.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٥٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٤٢.

وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الأداء البياني ولهذا الأسلوب قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة، الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين، وذلك لحصولهم على الإجابة عما يشغلهم من المسائل، فإذا تلقوّا الجواب تلقفوه تلقفًا؛ لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه"[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: سماع النبي ﷺ دف نعلي بلال رضي الله عنه في الجنة:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دفّ نعليك في الجنة).

قال القرطبي: "وقول النبي ﷺ لبلال: (حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام) هذا السؤال إنما أخرجه من النبي ﷺ ما اطّلع عليه من كرامة بلال رضي الله عنه بكونه أمامه في الجنة، فسأله عن العمل الذي لازمه حتى أوصله إلى ذلك. وقد جاء هذا الحديث في كتاب الترمذي بأوضح من هذا من حديث بريدة بن الخُصيب، قال: (أَصْبَحَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَدَعَا بِلاَلاً فقالَ: ((يَا بِلاَلُ بِمَ سَبَقْتَنِي إلى الْجَنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إلاَّ سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي، دَخَلْتُ البَارِحَةَ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي....))، وذكر الحديث. فقال بلال: يا رَسُولَ اللّهِ مَا أَذَّنْتُ قَطُّ إلاَّ صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، وَما أَصَابَنِي حَدَثٌ قَطُّ إلا تَوَضَّأْتُ عِنْدَهَا وَرَأَيْتُ أَنَّ للّهِ عَلَيَّ رَكْعَتَيْنِ، فقالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((بِهِما))[٢]، فلنبحث في هذا الحديث.

وقوله: (بم سبقتني إلى الجنة؟) لا يفهم من هذا أن بلالاً يدخل الجنة قبل النبي ﷺ؛ فإن ذلك ممنوع بما قد علم من أن النبي ﷺ هو السابق إلى الجنة، وبما ثبت أنه: أول من يستفتح باب الجنة فيقول الخازن: (بِكَ أُمِرْتُ لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ)[٣]، وإنما هذه رؤيا منام أفادت أن بلالاً من أهل الجنة، وأنه يكون فيها مع النبي ﷺ ومن ملازميه،

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة ٥٨، ٢.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٦٨٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٩١٢).

(٣) أخرجه مسلم ١٩٧.

وهذا كما قال في الغميصاء: ((سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أمَامِي))، وقد لا يبعد أن يُقال في أسبقية بلال أنها أسبقية الخادم بين يدي مخدومه"[١].

وتقدم الخادم تقدم للمخدوم، قال الشاعر:

إن سار عبدك أولاً أو آخرًا ... في ظل مجدك ما تعدى الواجبا

فإذا تأخر كان خلفك خادمًا ... وإذا تقدم كان دونك حاجبًا

فالفتح للمخدوم وإن تقدم خادمه دخولاً كرامة لمخدومه"[٢].

وقال ابن حجر: "قال الكرماني: ظاهر الحديث أن السماع المذكور وقع في النوم، لأن الجنة لا يدخلها أحد إلا بعد الموت، ويحتمل أن يكون في اليقظة لأن النبي ﷺ لها ليلة المعراج".

وقال ابن حجر: "ويؤيد كونه وقع في المنام حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا: ((رأيتُني دخلتُ الجنةَ، فإذا أنا بالرُّمَيصاءِ امرأةِ أبي طلحةَ، وسمعتُ خَشفةً فقلتُ مَن هذا؟ فقال: هذا بلال. ورأيتُ قصرًا بفنائهِ جاريةٌ فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمرَ))[٣].

وبعده حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((بينا أنا نائمٌ رأيتُني في الجنةِ، فإذا امرأةٌ تَتَوضَّأُ إلى جانبِ قَصرٍ، فقلتُ: لمن هذا القَصرُ؟ فقالوا: لعُمرَ بنِ الخَطّاب))[٤].

فعرف أن ذلك وقع في المنام، وثبتت الفضيلة بذلك لبلال لأن رؤيا الأنبياء وحي، لذلك جزم النبي ﷺ بذلك"[٥].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة عقب الوضوء:

يظهر ذلك في قول بلال رضي الله عنه: "ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهورًا

---

(١) المفهم ٦/٣٦٨ - ٣٦٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٩٦، والأبيات لصفي الدين الحلي، قافية: الباء، البحر: كامل تام.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٧٩.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٨٠، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٤٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٤٣.

في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي".

قال ابن حجر: "قال ابن التين: إنما اعتقد بلال ذلك لأنه علم من النبي ﷺ أن الصلاة أفضل الأعمال وأن عمل السر أفضل من عمل الجهر".

وقال ابن الجوزي: "فيه الحث على الصلاة عقب الوضوء لئلا يبقى الوضوء خاليًا عن مقصوده"[١].

وقال القرطبي: "وفيه ما يدل على أن استدامة بعض النوافل، وملازمتها في أوقات وأحوال، فيه فضل عظيم، وأجر كبير، وإن كان النبي ﷺ لم يدم عليها، ولا لازمها، ولا اشتهر العمل بها عند أصحابه رضي الله عنهم، وأن ذلك لا يُنكر على من لازمه ما لم يعتقد أن ذلك سُنة راتبة له ولغيره، وهذا هو الذي منعه مالك حتى كره اختصاص شيء من الأيام، أو الأوقات بشيء من العبادات، من الصوم، والصلاة، والأذكار، والدعوات، إلا أن يَعيِّنه الشارع، ويدوم عليه، فأما لو دام الإنسان على شيء من ذلك في خاصة نفسه، ولم يعتقد شيئًا من ذلك، كما فعله بلال في ملازمة الركعتين عند كل أذان، وفي ملازمة الطهارة دائمًا، لكان ذلك يُفضي بفاعله إلى نعيم مقيم، وثواب عظيم"[٢].

وفضل الصلاة بعد الوضوء عظيم، قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ أحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ يُقْبِلُ بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ عَلَيْهِمَا إلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ))[٣].

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((منْ تَوضَّأَ نَحوَ وُضوئي هذا، ثمَّ صلَّى رَكعَتَين لا يُحدِّثُ فيهما نَفْسَهُ، غُفِرَ لهُ ما تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))[٤]. وفي ذلك بيان لفضل الصلاة عقب الوضوء.

خامسًا – من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث بيّن الحديث أن الذي سبق ببلال إلى الجنة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٤٢.

(٢) المفهم ٦/٣٦٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣٤.

(٤) أخرجه البخاري ١٦٤، ومسلم ٢٦٦.

الصلاة عقب الوضوء، وفي ذلك ترغيب بالتطوع بالصلاة عقب الوضوء.. حتى يصل الإنسان إلى الجنة.

وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي يقصد بها تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[1].

"ويكون الترغيب بما أعده الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين المطيعين لأمره المجتنبين لنهيه والممتثلين لشرعه في الحياة الدنيا من النصر والعزة والتمكين، وفي الآخرة بالرضا منه سبحانه وتعالى وبالقرب من حضرته الإلهية ودخول جنته الأبدية التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين"[2].

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ص ١٩١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً – من أساليب التربية: السؤال عن أفضل العمل:

لقد سأل النبي ﷺ بلالاً رضي الله عنه عن أرجى عمل عمله في الإسلام، حتى يعرفه ليقوّمه فإن كان حسنًا رغبه فيه وشجعه وأثنى عليه وإن كان غير ذلك نهاه وأمره باجتنابه، قال ابن حجر عن هذا الحديث: (فيه أيضًا سؤال الشيخ عن عمل تلميذه ليحضه عليه ويرغبه فيه إن كان حسنًا وإلا فينهاه)[1].

وبناءً على ذلك فإن على المربين أن يسألوا أتباعهم عن أفضل أعمالهم وأرجاها ثوابًا عند الله تعالى؛ لأن في ذلك عدة فوائد تربوية مهمة منها:

١ – تربية الناشئة وغيرهم على فعل الأحسن والأفضل، مما ينمّي فيهم التطلع دائمًا إلى معالي الأمور وأفضلها وأكثرها قبولاً وثوابًا عند الله تعالى، ومن ثم يكون أقرب إلى المداومة على ذلك والاستكثار منه.

٢ – غرس روح التنافس الشريف بين الناشئة ونحوهم فيتنافسون في فعل أفضل الأعمال وأشرفها وأقيمها، وفي هذا دفع لهم لأن يتحلوا بالأخلاق الفاضلة والآداب الرفيعة والشمائل النبيلة، والمهارات الفريدة والرائعة ويعملوا على اكتساب ما ينقصهم من ذلك، والإكثار مما عندهم ويملكونه. قال ابن حجر (فيه [أي في هذا الحديث] سؤال الصالحين عما يهديهم الله له من الأعمال الصالحة ليقتدي بها غيرهم في ذلك)[2].

٣ – تقويم الأفعال التي يظنها الأتباع من الأعمال الحسنة وهي ليست كذلك، ومما لا يخفى أن التقويم من الأساليب التربوية المهمة جدًا في تعديل السلوك والأخلاق والآداب، وهي التي تمكن من محاربة الفاسد والضار من ذلك وإحلال الطيب والنافع مكانه. وإن غياب عملية التقويم بصفة دورية يؤدي إلى إنفاق كثير من

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٧٦٨ ، وقد نقله ابن حجر عن المهلب.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٧٦٨ ، و قد نقله ابن حجر عن المهلب.

الجهود والطاقات والأموال والأنفس في سبيل إصلاح المعوج وسد الخلل.

والخلاصة أن السؤال عن أفضل الأعمال يعوّد الناشئة ومن على شاكلتهم أن يفعلوا الأفضل ويتنافسوا في ذلك أيما تنافس، ويصلح ما قد يكون فيه اعوجاج وخلل، لذا كان على المربين أن يُفَعّلوه تفعيلاً في مهمتهم التربوية الجليلة.

ثانيًا - من أساليب التربية: ذِكْر الثواب والمكافأة:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ لبلال رضي الله عنه: "يا بلال حدِّثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دَفَّ نعليك بين يديَّ في الجنة" فقد ذكر النبي ﷺ المكانة التي نالها بلال على هذا العمل، وهو دخول الجنة[1].

وفي ذكر المكافأة والثواب على الفعل حث على إتيانه والإكثار منه، (فالنفس البشرية يشجعها الثواب ويجعلها تسخو في البذل والعطاء، سواء في ذلك الصغير أو الكبير، لذا كان الثواب معلمًا بارزًا في التربية الإسلامية، بل وفي كل أنواع التربية، فالثواب على الأمور المحمودة من الأقوال والأفعال والتصرفات، إزاء المواقف المختلفة مما ينبغي أن يعتني به المربي، لكن مع وصول الصبي إلى هذه المرحلة يكون من المهم ربط ذلك برضا الله تعالى، ومحبته وثنائه على العبد وشكره لصنيعه، حتى لا يتحول الثواب إلى مجرد مكافأة دنيوية مادية، فيضعف الارتباط بالله تعالى، ويكون ذلك مدخلاً لإفساد النية الصالحة التي هي شرط في قبول الأعمال، وإن كان هذا لا يمنع من الثواب المادي في بعض الأحيان، قال الغزالي: (مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به، ويمدح بين أظهر الناس)[2] ولا ينبغي أن يتحول الثواب إلى نوع من الشرط على الفعل، بحيث إذا لم يعط الصبي لم يفعل فإن الثواب يظل قائمًا بدوره التربوي ما كان ثوابًا، فإذا تحول إلى شرط أو إملاء من الصبي، بحيث لا يمكن للمربي أن يحمل الصبي على العمل إلا بهذه الطريقة، فقد الثواب قيمته التربوية وأتى بالضدّ منها، فعلى المربي أن يلحظ ذلك في ثوابه على الأفعال والأقوال)[3].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٦٨/١ .

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٧٣/٣.

(٣) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ص ٩٢. وانظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، ص ٢١٨-٢١٩.

ثالثًا - التربية على الاستنباط والاجتهاد:

هذا مستمد من عمل بلال ﷺ وصلاته بعد كل وضوء له ما شاء الله له أن يصلّي، مع أنه لم يسمع من النبي ﷺ - وهو الذي يؤخذ عنه الشرع - لم يسمعه ينصّ على ذلك بدليل أنه ﷺ سأله، لكنه ﷺ أقرّه على ذلك وصوّبه، فكان إقرارًا منه ﷺ لاجتهاد بلال واستنباطه، قال ابن حجر: (يستفاد منه جواز الاجتهاد في توقيت العبادة، لأن بلالاً توصّل إلى ما ذكرنا بالاستنباط فصوّبه النبي ﷺ)[1]، ولذا كان هذا الحديث الشريف نصًا على تشجيع الاجتهاد والاستنباط، ولذا كان على المربين أن يعوّدُوا الناشئة وغيرهم على هذا لما في ذلك من أهمية كبرى في حياتهم، (فالقدرة على الاستنباط والاستنتاج مهارة مهمة، تمكن الشاب من استخدام المعارف والمعلومات في مواقف جديدة. وثمة مجالات يمكن أن تعود على تقوية هذه المهارة، ومنها:

أ - تعويد الشاب على استنباط الفوائد والعبر من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، مع مراعاة العمق والبعد عن الفوائد المكررة التي اعتاد الشاب عليها.

ب - الاعتناء باستنباط الدروس والفوائد العملية عند دراسة السيرة النبوية والأحداث التاريخية.

ج - توظيف المواد الدراسية التي يتلقاها الطالب في المدرسة في تنمية القدرة على الاستنباط، كالرياضيات والتاريخ واللغة العربية.

د - الاستفادة من الألعاب التعليمية فكثير منها تنمي المهارات العقلية، ومن بينها مهارة الاستنباط، ويمكن للمربي أن ينظم بعض الألعاب والمسابقات التعليمية التي تجمع بين تحصيل فوائد علمية، وتحقيق التسلية وتنمية المهارات)[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٧٦٨ .

(٢) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، ص ٨٩-٩٠، وانظر: مقال لم لا نفكر؟ دعوة إلى المزيد من المنهجية بعيدًا عن الرتابة والتقليد، أحمد بن عبدالرحمن الصويان، مجلة البيان، العدد ٨٢، ص ٩٦-١٠٢.

٢١٠ - باب فضل يوم الجمعة ووجوبها والاغتسال لَهَا

والطّيب والتبكير إلَيهَا والدعاء يوم الجمعة والصلاة عَلَى النبي ﷺ وفِيهِ بيان ساعة الإجابة واستحباب إكثار ذكر الله تعالى بعد الجمعة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ، وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ، وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة: ١٠].

الحديث رقم (١١٤٩)

١١٤٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((خَيْرُ يَومٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ: فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

جعل الله في كل مخلوقاته فاضلا، ومفضولا في الأزمنة: في الأيام، والشهور، والسنين، والقرون، وفي الأماكن، وفي الدواب، وفي البشر، ويوم الجمعة يوم فاضل من بين أيام الأسبوع، وقد قرر الرسول ﷺ هذا المعنى في هذا الحديث عن طريق تفضيله في الخيرية على كل الأيام، وقد استهل حديثه بلفظ (خير) وهو لفظ يبشر بمحبوب ثم أضافه إلى اليوم الموصوف بجملة (طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ) ليعطيه طلاقة في الخيرية تنسحب على مدى الدهر ثم فصل الرسول ﷺ أسباب الخيرية ببيان تلك الأحداث التي اتصلت به فصبغته بها، (فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا)، وتقديم الجار، والمجرور في الجمل الثلاث يفيد التخصيص أي فيه ليس في يوم غيره، والطباق بين أدخل، وأخرج يوضح المعنى، ويؤكد الحدثين العظيمين في الدخول،

(١) برقم (٨٥٤/١٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٢٩).

والخروج لأنهما تعلقا بالجنة، وفيه إشارة أن الجنة كانت الموطن الأول لبني آدم، وأن المعصية أزالتهم عنها، ومن ثمّ فلن يعيدهم إليها إلا التوبة، والطاعة.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى فضل يوم الجمعة على سائر الأيام وأن صلاة الجمعة من أهم شعائر الإسلام ولا يجوز للمرء تركها إلا من عذر قوي وإلا كان من الغافلين الذين يختم على قلوبهم.

وقد ذهب جمهور الفقهاء[1] إلى أن صلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم ذكر حر بالغ عاقل مقيم صحيح فلا تجب على المرأة ولا الصبي ولا العبد ولا المسافر ولا المريض المعذور، ونقل الخطابي قولاً أنها فرض على الكفاية.

وكذا اتفق الفقهاء على أن الجماعة شرط في هذه الصلاة.

واختلفوا بعد ذلك في العدد الذي تصح به الجمعة على أقوال عدة.

القول الأول: ذهب أبو حنيفة ومحمد إلى أن العدد الذي لا تصح الجمعة إلا به ثلاثة سوى الإمام.

القول الثاني: ذهب أبو يوسف[2] إلى أن العدد الذي لا تصح الجمعة إلا به اثنان سوى الإمام.

القول الثالث: ذهب المالكية[3] إلى أن العدد الذي لا تصح الجمعة بأقل منه اثنا عشر رجلاً سوى الإمام.

القول الرابع: ذهب الشافعية[4]، والحنابلة في ظاهر المذهب[5] إلى أن العدد الذي لا

---

(١) المبسوط ٢١/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٥٦/١، المدونة ٢٣٣/١، أحكام القرآن، ابن العربي ٢١١/٤، الأم، الإمام الشافعي ٢١٨/١، نهاية المحتاج ٢٨٣/٢، المجموع ٣٤٨/٤، الفروع، ابن مفلح ٨٧/٢، المغني ٧٠/٢.

(٢) المبسوط ٢٤/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٦٨/١.

(٣) مواهب الجليل ١٦١/٢، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٢٣/٢.

(٤) الأم، الإمام الشافعي ٢١٩/١، المجموع ٣٥٤/٤، نهاية المحتاج ٢٨٧/٢.

(٥) الفروع، ابن مفلح ٩٩/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٨٧/٢.

تصح الجمعة إلا به أربعون فأكثر.

ورويت عن الإمام أحمد روايات أخرى في العدد فقيل خمسون وقيل سبعة وقيل خمسة وقيل أربعة[١].

والراجح في رأيي ما ذهب إليه أبو حنيفة لأن الثلاثة أقل الجمع الصحيح والجمعة مشتقة من الجمع، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل يوم الجمعة.

ثانيًا: من واجبات الداعية: تنبيه المدعوين إلى فضل بعض الأيام والشهور والأوقات.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل يوم الجمعة:

إن يوم الجمعة من أيام الله المباركة وله فضل عظيم وخصائص كثيرة، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة)، قال النووي: "قال أبو بكر بن العربي: وجميع هذه الأمور من الفضائل وخروج آدم من الجنة هو سبب وجود الذرية، وهذا النسل العظيم ووجود الرسل والأنبياء والصالحين والأولياء، وأما قيام الساعة فسبب لتعجيل جزاء الأنبياء والصديقين والأولياء وإظهار كرامتهم وشرفهم وفي هذا الحديث فضيلة يوم الجمعة ومزيته على سائر الأيام"[٢]، وفي فضل يوم الجمعة جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((نحنُ الآخِرونَ السابقونَ يومَ القيامةِ، بَيْدَ أَنهم أُوتوا الكتابَ من قَبلِنا، ثمَّ هذا يومُهمُ الذي فُرِضَ عليهم فاختلَفوا فيهِ، فهدانا اللّهُ له، فالناسُ لنا فيه تَبَعٌ: اليهودُ غدًا، والنصارَى بعدَ غدٍ))[٣].

قال المازري: "إن اليهود عظمت السبت لما كان فيه فراغ الخليقة، وظنّت ذلك

---

(١) الفروع، ابن مفلح٢/٩٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦١.

(٣) أخرجه البخاري ٨٧٦.

فضيلة توجب تعظيم اليوم، وعظمت النصارى الأحد لما كان فيه ابتداء الخليقة، فاعتقدت أن ذلك تعظيم لذلك اليوم واتبع المسلمون الوحي والشرع الوارد بتعظيم يوم الجمعة فعظّموه"(١).

وقال القرطبي: "إن كون الجمعة أفضل الأيام لا يرجع ذلك إلى عين اليوم، لأن الأيام متساوية في أنفسها، وإنما يفضل بعضها بعضًا بما به من أمر زائد على نفسه، ويوم الجمعة قد خص من جنس العبادات بهذه الصلاة المعهودة التي يجتمع لها الناس وتتفق هممهم ودواعيهم، ودعواتهم فيها، ويكون حالهم فيها كحالهم في يوم عرفة فيستجاب لبعضهم في بعض، ويُغفر لبعضهم ببعض ثم إن الملائكة يشهدونهم، ويكتبون ثوابهم ولذلك سمي هذا اليوم: المشهود. ثم تخطر فيه لقلوب العارفين من الألطاف والزيادات بحسب ما يدركونه من ذلك، ولذلك سمي بيوم المزيد. ثم إن الله تعالى قد خصّه بأن أوقع فيه هذه الأمور العظيمة التي هي: خلق آدم، الذي هو أصل البشر، ومن ولده الأنبياء، والأولياء والصالحون ومنها: إخراجه من الجنة، التي حصل عنده إظهار معرفة الله وعبادته في هذا النوع الآدمي، ومنها: توبة الله عليه التي بها ظهر لطفه تعالى ورحمته لهذا النوع الآدمي مع ارتكابه الذنب ومخالفته. ومنها: موته الذي بعده وفي أجره، ووصل إلى مأمنه، ورجع إلى المستقر الذي خرج منه ومن فهم هذه المعاني فهم فضيلة هذا اليوم وخصوصيته بذلك، فحافظ عليه، وبادر إليه"(٢).

قال ابن القيم: "ولقد كان من هدي النبي ﷺ تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصه بعبادات يختص بها دون غيره، ولقد كان النبي ﷺ يقرأ في فجره بسورتي: ألم تنزيل، و: هل أتى على الإنسان، وذلك لأنهما تضمنتا ما كان ويكون في يومها فإنهما اشتملتا على خلق آدم، وعلى ذكر المعاد وحشر العباد، وذلك يوم الجمعة، وكأن في قراءتهما في هذا اليوم تذكير للأمة بما كان فيه ويكون فهذه خاصة من خواص يوم الجمعة"(٣).

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٢٣٧/١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٤٩٠/٢ - ٤٩١.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٧٥/١.

ولا شك أن يوم الجمعة من أفضل الأيام، "إن يوم الجمعة حافل بفضائل جمة وخصائص كثيرة تميزه عن غيره من أيام الأسبوع، فهو يوم خصّ الله به أمة محمد ﷺ، وأرشدهم إليه، وصرف الأمم الأخرى فضلوا عنها فهو منحة إلهية نالت به الأمة الإسلامية رحمة الله ورضاه، ويكفي أنه يوم عيد هذه الأمة، وقد جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ هذَا يَوْمُ عِيدٍ. جَعَلَهُ اللّهُ لِلْمُسْلِمِينَ. فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ. وَإِنْ كَانَ طِيبٌ فَلْيَمَسَّ مِنْهُ. وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ))[١]، وهو بلا شك يوم عيد متكرر في كل أسبوع"[٢].

ثانيًا- من واجبات الداعية: تنبيه المدعوين إلى فضل بعض الأيام والشهور والأوقات:

إن الداعية دال على الخير في كل أحواله، ومن ثم فهو حريص على أن يبين للمدعوين فضل بعض الأيام والشهور ليغتنموها في العبادة والطاعة، يؤخذ هذا من سياق الحديث، حيث بين النبي ﷺ في الحديث فضل يوم الجمعة وما فيه من خصائص يختص بها عن غيره من أيام الأسبوع وذلك لكي يعطي المسلمون هذا اليوم حقه، وينزلوه منزلته، قال ابن رجب: "ويوم الجمعة هو يوم عيد الأسبوع وهو مترتب على إكمال الصلوات المكتوبات وهو اليوم الذي كمل فيه الخلق، وفيه خلق آدم وأدخل الجنة وأخرج منها، وفيه ينتهي أمد الدنيا فتزول وتقوم الساعة وفيه الاجتماع على سماع الذكر والموعظة وصلاة الجمعة"[٣]، وإن معرفة المسلم بفضل يوم الجمعة تجعله يستعد له أتم الاستعداد بطاعة الله سبحانه وذكره وشكره.

"إن فضل يوم الجمعة عظيم، وإن فضل أداء صلاة الجمعة فيه لواسع وكبير، فيها تكفر السيئات، وتمحى الخطيئات، وإن الله سبحانه سنّ فيه سننًا، وشرع فيه آدابًا

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٠٩٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ص ٩٠١).

(٢) فضائل الجمعة "أحكامها وخصائصها"، د. محمد ظاهر أسد الله، ط/٢ مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٣٧٣ - ٣٧٤.

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٨٠.

تصقل النفوس وتزكيها وتطهرها من الأدران والأوساخ الحسية، وتهيؤها للنظافة المعنوية، والتطهر الشامل الكامل وتذكرها به. وكما جاءت الشريعة مبينة فضل يوم الجمعة وفضل صلاة الجمعة فقد نهت أشد النهي عن التكاسل عنها، والتهاون بما شرع فيها من آداب فيوم الجمعة ليس منطلقًا للنفوس في الشهوات والملذات، ولكنه منطلق لها في الطاعات والروحانيات، وليس لنزهة الدنيا ولكنه لنزهة الآخرة، وشتان شتان بين ما ينصرف به فيها وافد الرحمن من مغفرة ورفع عمل وقبول دعاء، وبين ما يتبوأه من وفد فيها على الشيطان من خزي وعار ونار"[1]، والداعية الناجح هو الذي ينبه المدعوين إلى فضائل الأيام والشهور.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يتضح هذا من سياق الحديث حيث ذكر فضل يوم الجمعة وأنه خير يوم طلعت عليه الشمس، وفي ذلك ترغيب ضمني في استغلال هذا اليوم في عمل الطاعات، والاستعداد له بما يضاعف الحسنات، ويكفر السيئات، ولا شك أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة التي تجعل المدعوين يقبلون على الطاعة، "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"[2].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[4].

---

(١) أحاديث الجمعة، عبدالله بن حسن القعود، ط/٢ دار طيبة، الرياض: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص ٢٢٠.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) سورة يس، الآيات: ٥٥ - ٥٧.

(٤) سورة الإنسان، الآيات: ١٩ - ٢١.

الحديث رقم (١١٥٠)

١١٥٠ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ أتَى الجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وأنصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ وَزِيادَةُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الحَصَى، فَقَدْ لَغَا)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لغا: تكلم بالمُطْرَح من القول وما لا يعني. أو تكلم بما يتحمل وزره لمخالفته النهي عن الكلام وقت خطبة الجمعة.

وقيل: عدل عن الصواب، وقيل: خاب، وقال النووي: والمراد باللغو هنا: الباطل المذموم المردود[٢].

الشرح الأدبي

يدور معنى الحديث حول الترغيب في الجمعة، والاستعداد لها ظاهريا وباطنيا، فالاستعداد الظاهري يدل عليه قوله (تَوَضَّأَ - أَحْسَنَ - أتَى) والاستعداد الباطني يدل عليه قوله (استمع - أنصت) والأول يوحي بالاستعداد النفسي بالإصغاء الدال على الرغبة في الاستفادة بما يسمع من الآيات، والمواعظ، والإنصات يوحي بالتدبر واليقظة المهيأة لبلوغ الموعظة، ولإمكان الخشوع، والجمع بينهما للتوكيد، وقوله (غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ وَزِيادَةُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ) جملة جواب الشرط والتعبير بالماضي دلالة على التحقق، والتعبير بالمبني للمفعول للعلم بالفاعل وقوله (وزيادة ثلاثة أيام) لأن الحسنة بعشر أمثالها فالجمعة سبعة أيام، وثلاثة مما يليها فهذه عشرة، قال الإمام العيني:

---

(١) برقم (٢٧/٨٥٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٠١٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ل غ و)، وشرح صحيح مسلم، النووي ٥٥٩، ٥٦٣.

(فتكفر عنه ذنوب الجمعة المستقبلة، فإن قلت تكفير الذنوب الماضية بالحسنات، وبالتوبة، وبتجاوز الله تعالى فكيف يعقل تكفير الذنب قبل وقوعه قلت المراد عدم المؤاخذة به إذا وقع، ومنه ما ورد في مغفرة ما تقدم من الذنب، وما تأخر، وقوله (وَمَنْ مَسَّ الحَصَى، فَقَدْ لَغَا) لأنه يناقض الغرض الأساسي للإنصات مما يفسد غرض الجمعة.

فقه الحديث

قال النووي: (قوله ﷺ: "من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلّى ما قدر له ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته ثم يصلّي معه، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وفضْل ثلاثة أيام" [1] وفي الرواية الأخرى: "من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام".

١ - فيه فضيلة الغسل وأنه ليس بواجب للرواية الثانية.

٢ - وفيه استحباب تحسين الوضوء، ومعنى إحسانه الإتيان به ثلاثًا ثلاثًا، ودلْك الأعضاء وإطالة الغرّة والتحجيل وتقديم الميامن والإتيان بسننه المشهورة.

٣ - وفيه أن التنفّل قبل خروج الإمام يوم الجمعة مستحبّ، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور.

٤ - وفيه أن النوافل المطلقة لا حدّ لها، لقوله ﷺ: "فصلّى ما قدر له".

٥ - وفيه الإنصات للخطبة[2]. وقد قال النووي تعليقًا على حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((إذا قلت لصاحبك أنْصِتْ يوم الجمعة، و الإمام يخطب، فقد لغوت)) [3].

قال النووي: (ففي الحديث النهي عن جميع أنواع الكلام حال الخطبة، ونبه بهذا على ما سواه، لأنّه إذا قال أنصت وهو في الأصل أمرٌ بمعروف وسماه لغوًا فيسيره من الكلام أولى، وإنما طريقه إذا أراد نهي غيره عن الكلام أن يشير إليه بالسكوت إن فهمه، فإن تعذر فهمه فلينه بكلام مختصر. ولا يزيد على أقلّ ممكن. واختلف العلماء

---

(١) أخرجه مسلم ٨٥٧، ٢٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢٧/٦/٣ .

(٣) أخرجه البخاري ٩٣٤، ومسلم ٨٥١.

في الكلام هل هو حرام أم مكروه كراهة تنزيه. وهما قولان للشافعي، قال القاضي[١]: (قال مالك وأبو حنيفة والشافعي وعامة العلماء: يجب الإنصات للخطبة. وحكى عن النخعي والشعبي وبعض السلف أنه لا يجب إلا إذا تلى فيها القرآن[٢]. وقال[٣]: واختلفوا إذا لم يسمع الإمام هل يلزمه الإنصات كما لو سمعه؟ فقال الجمهور: يلزمه. وقال النخعي وأحمد وأحد قولي الشافعي: لا يلزمه)[٤].

٦ - وقال النووي عن حديث الباب: (وفيه أن الكلام بعد الخطبة قبل الإحرام بالصلاة لا بأس به)[٥].

٧ - قال النووي: (قوله ﷺ: "من مسّ الحصا فقد لغا" فيه النهى عن مسّ الحصا وغيره من أنواع العبث في حالة الخطبة)[٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل وثواب صلاة الجمعة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الوضوء في المنزل والتبكير إلى الجمعة.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الخطبة.

رابعًا: من آداب المدعو: الخشوع والإنصات وعدم اللغو واستماع الخطبة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل وثواب صلاة الجمعة:

إن يوم الجمعة يوم عيد المسلمين، ومن ثم كان لشهود صلاة الجمعة فيه فضل كبير وثواب جزيل، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: (من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام).

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٢/٣.

(٢) وانظر الموسوعة الفقهية ٨٩/٤-٩٠ ومراجعها ومصادرها.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٢/٣، وانظر كذلك: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤١٤/٣-٤١٥ .

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢١/٦/٣ .

(٥) المرجع السابق ٢٣/٦/٣ .

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢٨/٦/٣-١٢٩ .

قال المازري: "ينقدح في نفسي في هذا الحديث أنه ﷺ إنما حدد الزيادة على الجمعة بثلاثة أيام، لأنه يقدر أن يوم الجمعة لما فُعل فيه هذا الخير وكانت الحسنة بعشر أمثالها بلغ هذا التضعيف إلى ما قال: أيام الجمعة سبعة أيام، وتكمل السبعة بثلاثة، وهذا كما يتأول كون صوم شهر رمضان وستة من شوال كصيام الدهر لما كان هذا المقدار يبلغ تضعيفه بعشرٍ جميع أيام السنة"[1].

قال النووي: "قال العلماء: معنى المغفرة له ما بين الجمعتين وثلاثة أيام: أن الحسنة بعشر أمثالها، وصار يوم الجمعة الذي فعل فيه هذه الأفعال الجميلة في معنى الحسنة التي تجعل بعشر أمثالها، قال بعض أصحابنا: والمراد بما بين الجمعتين من صلاة الجمعة وخطبتها إلى مثل الوقت من الجمعة الثانية حتى تكون سبعة أيام بلا زيادة ولا نقصان ويضم إليها ثلاثة فتصير عشرة"[2].

وقال صاحب فتح الملهم: "قال الزبيدي: "والمراد بالمغفرة هنا مغفرة الصغائر، وليس المراد أن تكفير الصغائر مشروط باجتناب الكبائر، إذ اجتناب الكبائر بمجرده يكفر الصغائر كما نطق به القرآن العزيز في قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[3]، أي: كل ذنب فيه وعيد شديد نكفر عنكم سيئاتكم، أي نمح عنكم صغائركم، فإذا لم يكن له صغائر تكفر رجى له أن يكفر عنه بمقدار ذلك من الكبائر، وإلا أعطي من الثواب بمقدار ذلك. وقوله في الحديث: (وبين الجمعة الأخرى)، قال الزبيدي: ويحتمل أن يكون المراد بها الماضية والمستقبلة لأنها تأنيث الآخر - بفتح الخاء لا بكسرها - والمغفرة تكون للمستقبل كما للماضي، قال الله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[4]، لكن رواية أنس عن

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ١/ ٢٤٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢.

الخطيب: (إلى الجمعة الأخرى) تعين المستقبلة، ورواية ابن خزيمة: (ما بينه وبين الجمعة التي قبلها) تعين الماضية، وهذا أصرح، وقوله في الحديث: (وفضل ثلاثة أيام)، أي: بين يوم الجمعة الذي فعل فيه ما ذكر مع زيادة ثلاثة أيام على السبعة لتكون الحسنة بعشر أمثالها"(١).

ولا شك أن هذا يدل على فضل صلاة الجمعة وثوابها، قال ابن القيم: "وصلاة الجمعة من آكد فروض الإسلام، ومن أعظم مجامع المسلمين، وهي أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضه سوى مجمع عرفة، ومن تركها تهاونًا بها طبع الله على قلبه، وقُرب أهل الجنة يوم القيامة، وسبقهم إلى الزيارة يوم المزيد بحسب قربهم من الإمام يوم الجمعة وتبكيرهم"(٢).

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على الوضوء في المنزل والتبكير إلى الجمعة:

إن الرسول ﷺ يحث على التبكير إلى صلاة الجمعة لنيل الأجر كاملاً ويتضح هذا من قوله ﷺ في الحديث: (من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له...).

قال المازري: "ذكر ﷺ خروج الخطايا مع الوضوء ومعنى هذا: أن الخطايا تغفر عند ذلك، لا أن الخطايا في الحقيقة شيء يحل في الماء، وإنما ذلك على وجه الاستعارة الجارية في لسان العرب"(٣).

وقد بيّن النبي ﷺ في الحديث فضل الاغتسال والتبكير يوم الجمعة ففي الحديث عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَن اغْتَسَلَ يومَ الجُمُعَةِ وغَسَّلَ وَبكَّر وابتكَرَ وَدَنا واستمَعَ وأَنْصَتَ كانَ له بكلِّ خُطْوةٍ يَخْطوها أَجرُ سَنَةٍ صيامُها وقيامُها))(٤).

---

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني ٢١٠/٥.

(٢) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية ٣٧٦/١.

(٣) المعلم بفوائد مسلم ١١٤/١.

(٤) أخرجه الترمذي ٤٩٦ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٤١٠).

قال المباركفوري: "قوله: (من اغتسل وغسل)، روي بالتشديد والتخفيف قيل: أراد به غسل رأسه وبقوله: اغتسل: غسل سائر بدنه، وقيل: جامع زوجته فأوجب عليها الغسل فكأنه غسلها واغتسل، وقيل: كرر ذلك للتأكيد ويرجح التفسير الأول ما في رواية أبي داود في هذا الحديث بلفظ: (من غسل رأسه واغتسل)[١]، وما في البخاري عن طاووس: (قلت لابن عباس: ذكروا أن النبي ﷺ قال: اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا رءوسكم) [٢]، ومعنى بكر: راح في أول الوقت وابتكر: أي أدرك أول الخطبة ورجحه العراقي وقيل: كرره للتأكيد وبه جزم ابن العربي"[٣].

وقال ابن الأثير: "بكّر: أتى الصلاة في أول وقتها، وكل من أسرع إلى شيء فقد بكّر إليه. وأما ابتكر، فمعناه: أدرك أول الخطبة وأول كل شيء باكورته وابتكر الرجل إذا أكل باكورة الفواكه، وقيل: معنى اللفظتين واحد، فعّل وافتعل، وإنما كرر للمبالغة والتوكيد، كما قالوا: جادّ مجدّ"[٤].

ويستفاد من هذا فضل الوضوء والاغتسال والتبكير إلى المسجد لحضور الجمعة، لما في ذلك من الفضل الكبير والثواب العظيم، الذي ينال المسلم عند تبكيره إلى صلاة الجمعة ملتزمًا آدابها وسننها وفرائضها.

ثالثًا - من وسائل الدعوة: الخطبة:

إن الوسائل الدعوية متعددة ومتنوعة، ومن هذه الوسائل الخطبة بما لها من خاصية الثبات والاستمرارية، ويستنبط هذا من الحديث من قوله ﷺ: (فاستمع وأنصت)، وهذا يدل على أن الخطبة وسيلة هامة من وسائل الدعوة، "لقد كان تقدير الإسلام للخطبة تقديرًا مبنيًا على الوجوب، وربَأ الإسلام بخطبة الجمعة أن تكون وعظًا معادًا مكرورًا ونغمة رتيبة، فجعلها تدور حول ما يهم الجماعة الإسلامية ويشغل بالها من

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٤٦.

(٢) أخرجه البخاري ٨٨٤.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٧٠/١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٨٦.

الأمور المستحدثة والمسائل الجارية والقضايا التي تتصل بمصالحهم"[١]، ولأهمية الخطبة في الإسلام جعلها الله من شعائر الإسلام، "إن الخطابة في الإسلام مظهر الحياة المتحركة فيه، الحياة التي تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب، ويثب من فكر إلى فكر، وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل، ومع المكان من قطر إلى قطر، وذاك هو السر في أن نبي الإسلام ﷺ كان يخطب كل أسبوع وكل عيد ويخطب أو ينيب عنه أميرًا يخطب في وفود الحجيج عند جبل الرحمة"[٢].

ولقد كانت الخطبة إحدى وسائل نشر الدعوة في عهد النبي ﷺ، "وحين أشرق نور الإسلام وسطع ضوؤه نهضت الخطابة - وبخاصة الخطابة الدينية - وعظم سلطانها، وكان الداعي إلى ذلك نشر الإسلام وتأييد الدعوة الكبرى فكانت الخطابة الدينية وسيلة المصطفى ﷺ في بداية الدعوة الإسلامية إلى القبائل في مواسم الحج وفي الأسواق، ثم كان سفراء الإسلام ورسل رسول الله ﷺ الموفدون إلى الملوك وإلى سائر الجهات النائية، يعتمدون عليها في شرح مبادئ الإسلام وقواعده، وترغيب الناس فيه وحثهم على اعتناقه والاستمساك به، وكان من يدخل الإسلام يدخله عن اقتناع، ثم بعد ذلك يسير فارسًا من فرسان الدعوة إليه، ويستعين على ذلك بالخطابة"[٣].

رابعًا - من آداب المدعو: الخشوع والإنصات وعدم اللغو واستماع الخطبة:

حيث جاء في الحديث: (فاستمع وأنصت)، (ومن مس الحصا فقد لغا)، والمدعو يجب عليه أن يلتزم بهذه الآداب حتى يأخذ الأجر كاملاً، جاء في الموسوعة الفقهية: "إذا صعد الإمام المنبر للخطبة يجب على الحاضرين أن لا يشتغلوا عندئذ بصلاة ولا كلام إلى أن يفرغ من الخطبة، فإذا بدأ الخطيب بالخطبة تأكد وجوب ذلك أكثر"[٤].

قال القاضي عياض: "ذكر الهروي في قوله: (ومن مسّ الحص فقد لغا)، معناه:

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٥٦٢.

(٢) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة، الشيخ/ محمد الغزالي ص ٣٠٧.

(٣) الخطابة الدينية بين المنهج والواقع، د. حسين محمد محمود عبدا لمطلب، ط/١ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دون ذكر دار النشر، ص ٧ - ٨ بتصرف.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٧/٢٠٤.

تكلّم، وقيل: لغا عن الصواب، أي: مال عنه، وقال النضر: أي: خاب، ألغيته: خيبته، قال ابن عرفة: اللغو: الشيء السقط الملغي، وقيل: اللغو واللغا: ما لا ينبغي من الكلام ورديئه وباطله وما لا خير فيه. وفي الحديث حجة على وجوب الإنصات لسماع الخطبة، وهو قول مالك وأبي حنيفة والشافعي وعامة العلماء، وذكر عن الشعبي والنخعي وبعض السلف: أن الإنصات للخطبة غير واجب إلا عند تلاوته القرآن فيها، واختلفوا إذا لم يسمع الإمام هل يلزمه من الإنصات ما لزم من سمعه أم لا؟ فجمهورهم على التسوية"[١].

وفي الحث على الإنصات والتحذير من الإنشغال واللغو جاء في الحديث عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ: أَنْصِتْ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوتَ))[٢].

قال النووي: "وفي الحديث النهي عن جميع أنواع الكلام حال الخطبة، ونبه بهذا على ما سواه لأنه إذا قال أنصت وهو في الأصل أمر بمعروف وسماه لغوًا فيسيره من الكلام أولى، وإنما طريقه إذا أراد نهي غيره عن الكلام أن يشير إليه بالسكوت إن فهمه، فإن تعذر فهمه فلينهه بكلام مختصر. ولا يزيد على أقل ممكن"[٣].

وقال ابن حجر: "وأقوال أهل اللغة في تفسير اللغو متقاربة المعنى، قال العلماء: معناه لا جمعة له كاملة للإجماع على إسقاط فرض الوقت عنه، وحكى ابن التين عن بعض من جوز الكلام في الخطبة أنه تأول قوله (فقد لغوت)، أي: أمرت بالإنصات من لا يجب عليه، وهو جمود شديد، لأن الإنصات لم يختلف في مطلوبيته فكيف يكون من أمر بما طلبه الشرع لاغيًا، بل النهي عن الكلام مأخوذ من الحديث بدلالة الموافقة، لأنه إذا جعل قوله: (أنصت) مع كونه أمرًا بمعروف لغوًا فغيره من الكلام أولى أن يسمى لغوًا، واستدل به على منع جميع أنواع الكلام حال الخطبة، وبه قال الجمهور في حق من سمعها، وكذا الحكم في حق من لا يسمعها عند الأكثر، قالوا: وإذا أراد

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٢٤٢.

(٢) أخرجه البخاري ٩٣٤، ومسلم ٨٥١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٩٩.

الأمر بالمعروف فليجعله بالإشارة"[١].

وقال القاضي عياض: "وفي قول النبي ﷺ: (ومن مس الحصا فقد لغا) لأنه بتحريكه له وشغله به صار لاغيًا مشغلاً غيره عن سماع الخطبة بصوت حركته"[٢].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٨١.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٢٥٣.

الحديث رقم (١١٥١)

١١٥١ - وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّراتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مكفِّرات: ساترات ومطهِّرات للخطايا [2].

الكبائر: جمع كبيرة: الفعلة القبيحة من الذنوب المنهيِّ عنها شرعًا، العظيم أمرُها؛ كالقتل والزنا... وغير ذلك[3].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى فضل الصلوات في تكفير ذنوب العبد، وقوله (الصلوات الخمس) (ال) في الصلوات للعهد أي الصلوات المعهودة المفروضة، ووصفها بالخمس ينص على ذلك وقد جعلها الله تعالى محطات تنقية من الذنوب على مدار اليوم في الصلوات الخمس، وعلى مدار الأسبوع في صلاة الجمعة، وعلى مدار العام (من رمضان إلى رمضان)، وقوله (وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ) فيه إيجاز بالحذف، وصلاة الجمعة إلى صلاة الجمعة، وقوله:(كفارة لما بينهن) أي ستر للذنوب، وما بينهن إشارة لما بين الوقت، والوقت على مدار اليوم، والليلة تفصيلا يتتبع كل ذنب يقع فلا تتراكم على القلب فيقسوا بل كلما وقع في ذنب كفرته صلاة، فينام نقيا يبدأ يومه بصلاة، وينتهي بصلاة ثم إنها صفاء روحي بالوقوف بين يدي الله في موقف يصقل إيمان العبد بشحنة

---

(١) برقم (٢٣٣/١٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٥). تقدم برقم (١٣٠)، و (١٠٤٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ر).

(٣) المرجع السابق في (ك ب ر).

من الخشوع يستكمل بها يومه، ثم إن بقي شيء - ولن يبقى - كفرته الجمعة إجمالاً، وانتقل العبد من نور إلى نور، ثم إن بقي شيء -ولن يبقى- كفره رمضان، ولذلك قال (من رمضان إلى رمضان) ليستوعب العام جملة بعد أن استوعبته الصلوات تفصيلا، وقوله (ما لم تغش الكبائر) لأنها تحتاج إلى توبة يعتزم عندها كف شره عن الناس، لأن كثيرا من الكبائر تتعلق بحقوق الناس، وما يتعلق بالله فمما يمس العقيدة، وهذه النوعية من الذنوب تحتاج إلى وقفة بالتوبة تطهره من دنسها.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

أولاً: حكم أداء الصلاة، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن الصلاة فرض عين على كل مسلم ومسلمة متى كان بالغًا عاقلاً ولا تسقط إلا بالموت فقط.

ثانيًا: حكم صلاة الجمعة، وقد اتفق الفقهاء[2] على أن صلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل مقيم صحيح فلا تجب على المرأة ولا الصبي ولا العبد والمسافر والمريض المعذور.

ثالثًا: حكم صوم رمضان، وقد اتفق الفقهاء[3] أيضًا على أن صوم رمضان لمن

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٨٩/١، البحر الرائق، ابن نجيم ٢٥٦/١، مواهب الجليل، الحطاب ٣٧٨/١، شرح منح الجليل، الشيخ عليش ١٧٧/١، مغني المحتاج، الشربيني ٣١٢/١، نهاية المحتاج، الرملي ٣٧٨/١ وما بعدها، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٢٥/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٢١/١.

(٢) المبسوط ٢١/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٥٦/١، المدونة ٢٣٢/١، أحكام القرآن، ابن العربي ٢١١/٤، الأم، الإمام الشافعي ٢١٨/١، نهاية المحتاج ٢٨٣/٢، المجموع ٢٤٨/٤، الفروع، ابن مفلح٨٧/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٦٤/٢، المغني ٧٠/٢.

(٣) البحر الرائق، ابن نجيم ٢١٧/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٢٥/١، شرح منح الجليل ٣/٢، مواهب الجليل ٢٥٥/٢، نهاية المحتاج ٤٣/٣، مغني المحتاج ٦٢/٢، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٦٦/٢، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٣٦٨/١.

استطاع من المسلمين البالغين العاقلين فرض عين، فمن لم يستطع لمرض أو كِبَرٍ قضى في وقت آخر أو أخرج فدية.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣٠).

الحديث رقم (١١٥٢)

١١٥٢ - وعنه، وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنهما سَمِعَا رسولَ الله ﷺ، يقولُ عَلَى أعْوَادِ مِنْبَرِهِ: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ أوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

وَدْعهم: تَرْكهم[2].

أو ليختمن الله على قلوبهم: ليختمن من الختم ومعناه الطبع والتغطية[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبرق، ويرع بالتهديد، والوعيد بدا ذلك في استهلاله بصيغة الأمر (لينتهين) أمر للتهديد والوعيد ثم إنه أمر عام شامل لجميع المخاطبين قال الطيبي والخطاب العام: وهو ما يخاطب به غير معين للإيذان بأن الأمر لعظمه وفخامته، حقيق بألا يختص بأحد دون أحد[4] وتنكير (أقوام) للستر عليهم من جهة، ولكي يشمل الحكم كل من وافق حالهم في كل زمان، ومكان، وقوله (ودعهم الجمعات) أي تركهم المتكرر لصلاة الجمعة، والتعبير بهذا الفعل الذي هجر استعمال ماضيه لما كان فعلهم بترك الجمع غريبا عبر بفعل غريب قليل الاستعمال كقلة من يتخلف عن الجمعة فهو يوافق هجرهم الجمعة التي لا ينبغي أن يهجرها إلا أصحاب الأعذار، وقوله (أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى

---

(١) برقم (٨٦٥/٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٧٤).

(٢) الوسيط في (و د ع).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٦٥.

(٤) التباين في علم المعانى والبديع والبيان، للطيبي ص ٢٩٢.

قُلُوبِهِمْ) كناية عن تمكن المعصية، وقساوة القلب، والْمَعْنَى أَنَّ أَحَد الْأَمْرَيْنِ كَائِن لَا مَحَالَة إِمَّا الِانْتِهَاء عَنْ تَرْك الْجُمُعَات، أَوْ خَتْم اللَّه تَعَالَى عَلَى قُلُوبهمْ فَإِنَّ اِعْتِيَاد تَرْك الْجُمْعَة يُغَلِّب الرَّيْن عَلَى الْقَلْب وَيُزَهِّد النُّفُوس فِي الطَّاعَات (ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الغَافِلِينَ) وثم للتراخي في الرتبة فإن كونهم من جملة الغافلين، والمشهود فيه بالغفلة أدعى لشقاوتهم وأنطق لخسرانهم من مطلق كونهم مختوما عليهم.

فقه الحديث

قال النووي:

(١ - فيه استحباب اتخاذ المنبر وهو سنة مجمع عليها.

٢ - وفيه أن الجمعة فرض عين)[١].

وقال القاضي عياض: (وقوله: "أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين" حجة بينة في وجوب الجمعة وكونها فرضًا، إذ العقاب والوعيد والطبع والختم إنما يكون على الكبائر)[٢].

وقال المازري: (اختلف الناس في صلاة الجمعة: هل هي فرض على الأعيان أو على الكفاية، فالأكثر أنها على الأعيان، وذهب بعض الشافعية إلى أنها على الكفاية، فتعلق الأولون بقول الله سبحانه: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٣] وهذا خطاب لسائر الناس، فيجب حمله على العموم وبظاهر الخبر الذي قدمناه - وهو حديث الباب - وتعلق الآخرون بقول النبي ﷺ ((صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءًا))[٤].

وصلاة الجمعة تدخل في عموم قوله عليه السلام: "صلاة الجماعة" فقد أثبت فضيلة ما

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٢/٦/٣ ، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٦٤/٣-٢٦٥..

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٦٥/٣.

(٣) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٨، ومسلم ٦٤٩، ٢٤٥.

على ما تقضيه المبالغة[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: المنبر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التحذير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: خطورة ترك صلاة الجمعة وأثر ذلك على القلوب.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان العواقب الوخيمة للمخالفات الشرعية.

أولاً - من وسائل الدعوة: المنبر:

حيث جاء في الحديث عن أبي هريرة، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: (يقول على أعواد منبره)، قال القاضي عياض: "وقوله: (سمعت رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره) فيه اتخاذ المنبر لخطبة الجمعة، وهو سنة مجمع عليها للخليفة، فأما غيره إن شاء خطب على المنبر، وإن شاء على الأرض. واختلف عمل الناس وأهل الآفاق في ذلك، قال مالك: ومن لا يرقى عندنا - أي على المنبر - يقف يسار المنبر ومنهم من يقف عن يمينه وكلٌّ واسع"[٢]، ويعتبر المنبر من وسائل الدعوة، وعليه تؤدى الخطبة وتوجه الموعظة إلى الحاضرين، ولذا اتخذ رسول الله ﷺ منبرًا يخطب عليه، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ أول يوم جلس عليه، وأنه ﷺ أرسل إلى امرأة فقال: ((انظري غُلامَكِ النَّجَّارَ. يَعْمَلُ لِي أَعْوَادًا أُكَلِّمُ النَّاسَ عَلَيْهَا)). فَعَمِلَ هذِهِ الثَّلاثَ دَرَجَاتٍ. ثُمَّ أَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللّهِ. فَوُضِعَتْ هذَا الْمَوْضِعَ. فَهِيَ مِنْ طَرْفَاءِ الْغَابَةِ[٣].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: ((يا رسولَ اللَّهِ، ألا أجعلُ لكَ شيئًا تَقعُدُ عليهِ؟ فإنَّ لي غُلامًا نجارًا. قال: إن شِئتِ.

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٢٣٨/١ ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وانظر المبسوط ٢١/٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٥٦/١، والمدونة ٢٣٣/١، وأحكام القرآن لابن العربي ٢١١/٤، والأم ٢١٨/١، ونهاية المحتاج ٢٨٣/٢، والمجموع ٢٤٤/٤-٢٤، والفروع، ابن مفلح٨٧/٢، والمغني ٢٠٣/٣، ٢٢٢.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٦٤/٣.

(٣) أخرجه البخاري ٩١٧.

فعملتِ المِنبرَ))[١].

"والمنبر هو المكان المرتفع الذي ينطق منه الخطيب بصوته... وتختص المساجد الخاصة بإقامة الجمعة والأعياد بوجود منابر فيها يخطب عليها الإمام، ويجلس بين الخطبتين، ولقد كان ﷺ يقوم على المنبر خطيبًا فَفِعْلُه هذا سُنَّة، وكذلك فعل خلفاؤه من بعده رضي الله عنهم ولا يزال المسلمون على هذا العمل إلى يومنا هذا، فالمنبر كان يستخدم للخطب في الجمع وغيرها وأن النبي ﷺ كان يعظ الناس بالقرآن وهو على المنبر"[٢].

جاء في الموسوعة الفقهية: "المنبر في اللغة: مرقاة يرتقيها الخطيب أو الواعظ ليخاطب الجمع، مشتق من النبر وهو الارتفاع، وسمي منبرًا لارتفاعه وعلوه ويقال انتبر الخطيب أي ارتقى المنبر، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، قال العلماء: إن النبي ﷺ اتخذ منبره سنة سبع من الهجرة، وقيل: ثمان من الهجرة. يقول البهوتي: وكان منبره ﷺ ثلاث درج وكان ﷺ يجلس على الدرجة الثالثة التي تلي مكان الاستراحة ثم وقف أبو بكر رضي الله عنه على الثانية، ثم عمر رضي الله عنه على الأولى تأدبًا ثم وقف عثمان رضي الله عنه مكان أبي بكر رضي الله عنه، ثم علي رضي الله عنه موقف النبي ﷺ، ثم قلعه مروان بن الحكم أمير المدينة في زمن معاوية رضي الله عنه وزاد فيه ست درج فكان الخلفاء يرتقون ستًا، ويقفون مكان عمر رضي الله عنه، أي: على السابعة ولا يتجاوزون ذلك تأدبًا.

وذهب الفقهاء إلى أن اتخاذ المنبر سنة مجمع عليها كما يسن أن تكون الخطبة على المنبر، وكذلك الجلوس على المنبر قبل الشروع في الخطبة، ويستحب أن يكون المنبر على يمين المحراب بالنسبة للمصلين"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٨.

(٢) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، د. إبراهيم الخضيري، سلسلة الكتاب الإسلامي، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة، المملكة العربية السعودية، ، دون ذكر لرقم وتاريخ الطبعة، ٧٣/٢.

(٣) الموسوعة الفقهية ٨٤/٣٩ – ٨٥.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: التحذير:

حيث جاء في الحديث قوله ﷺ: (لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات) حيث حذر رسول الله ﷺ من ترك الجمعات، وأسلوب التحذير من أساليب الدعوة المهمة حيث يبين للمدعو خطورة المحذر منه، وكشف عاقبته، ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب، قول الله تعالى في التحذير من الشرك: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1]، وقوله في التحذير من موالاة الكفار: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[2].

ويعتبر التحذير من أساليب الدعوة التي تجعل المدعو على حذر من الوقوع في مغبة المحذر منه، "والتحذير هو التحرز من إتيان فعل أو امتناع عنه لكونه سببًا في غضب الله تعالى وعذابه، أو سببا في إلحاق ضرر بالأمة والمجتمع المسلم مما يدفع باتجاه الاستعداد والتأهب لتجنب حصول ذلك. ومثل ما ورد التحذير في القرآن الكريم كأسلوب تربوي كذلك ورد على لسان الرسول ﷺ كأسلوب تربوي وتوجيهي منه ما يتعلق بالتحذير من المعاصي واقتراف ما نهى الله عنه، ومنه ما ورد في التحذير مما يسبب في إلحاق الضرر بالأمة والمجتمع، وبصيغ مختلفة كالترهيب والوقاية، وبيان العقوبة المترتبة على عمل فعل أو تركه، والنصيحة، وغيرها ويختلف التحذير عن الموعظة في كونه إنذارًا من خطر قادم، يتضمن وعيدًا وزجرًا ينتج عنه خوف ورهبة بينما الموعظة تذكير بفعل الخير والحق، على الوجه الذي يرق له القلب محفوف بتلطف وتودُّد"[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: خطورة ترك صلاة الجمعة وأثر ذلك على القلوب:

إن صلاة الجمعة فريضة على كل مسلم ومن ثم يأثم تاركها ويكتب من الغافلين ولا أدلّ على ذلك مما جاء في الحديث: (لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين).

---

(١) سورة الزمر، آية: ٦٥.

(٢) سورة الممتحنة، آية: ١.

(٣) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

قال المازري: "اختلف الناس في صلاة الجمعة هل هي فرض على الأعيان، أو على الكفاية؟ فالأكثر أنها على الأعيان، وذهب بعض الشافعية إلى أنها على الكفاية فتعلق الأولون بقول الله سبحانه: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1]، وهذا خطاب لسائر الناس فيجب حمله على العموم، وبظاهر الخبر الذي قدمناه، وتعلق الآخرون بقول النبي ﷺ: ((صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَةِ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ))[2]، وصلاة الجمعة تدخل في عموم قوله ﷺ: (صلاة الجماعة) فقد أثبت فضلها على ما تقتضيه المبالغة"[3].

وقال القاضي عياض: "وفي هذا الحديث حجة بينة في وجوب الجمعة وفي كونها فرضًا إذ العقاب والوعيد والطبع والختم إنما يكون على الكبائر وأصله التغطية - أي غطى عليها ومنعها من الهداية به، حتى لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا، ولا تعي خيرًا قالوا في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[4]، أي: طبع عليها، قالوا: أصل الطبع في اللغة: الوسخ والتدنيس واستعمل فيما يشبهه من الآثام ومثله الرين، وقيل: الرين أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشدها، وقد اختلف المتكلمون في هذا اختلافًا كثيرًا فقيل: هو إعدام اللطف وأسباب الخير، والتمكين من أسباب ضده، وقيل: هو خلق الكفر في قلوبهم، وهو قول أكثر متكلمي أهل السنة، وقال غيرهم: هو الشهادة عليهم، وقيل: هو علم جعله الله في قلوبهم؛ ليعرف به الملائكة الفرق بين من يجب مدحه ومن يجب ذمه"[5].

وقال النووي: "وقوله: (ودعهم) أي: تركهم وفيه أن الجمعة فرض عين، ومعنى الختم: الطبع"[6].

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٨، ومسلم ٦٤٩.

(٣) المعلم بفوائد مسلم ٢٣٨/١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٧.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٦٥/٣.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦٥.

وقال الشيخ شبير أحمد العثماني: "وفي الحديث وعيد شديد على ترك الجمعة، قال العراقي: المراد بالطبع على قلبه أنه يصير قلبه قلب منافق. وقوله: (ثم ليكونن من الغافلين) أي: معدودين من جملتهم، وقال الطيبي: إن كونهم من جملة الغافلين المشهود عليهم بالغفلة أدعى لشقائهم، وأنطق لخسرانهم من مطلق كونهم مختومًا عليهم، قال القاضي البيضاوي: والمعنى أن أحد الأمرين كائن لا محالة: إما الانتهاء عن ترك الجمعات، وإما ختم الله على قلوبهم، فإن اعتياد ترك الجمعة يغلب الرين على القلب، ويزهد النفوس في الطاعة، وذلك يؤدي إلى أن يكونوا من الغافلين"[1].

هذا وقد جاء في أهمية صلاة الجمعة نداء الله على المؤمنين أن يسعوا إلى ذكر الله ويتركوا ما بأيديهم من البيع والشراء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[2].

قال القرطبي: "خاطب الله المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفًا لهم وتكريمًا فقال: (يا أيها الذين آمنوا) ثم خصه بالنداء،وإن كان قد دخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾[3]، ليدل على وجوبه وتأكيد فرضه، وقال بعض العلماء: كَوْن صلاة الجمعة ها هنا معلوم بالإجماع لا من نفس اللفظ وأما السعي عليها ففيه ثلاثة أقوال، أولها: أنه القصد، قال الحسن: والله ما هو بسعي على الأقدام ولكنه سعي بالقلوب والنية، والثاني: أنه العمل والمراد: فاعملوا على المضي إلى ذكر الله، واشتغلوا بأسبابه من الغسل والتطهير والتوجه إليه، الثالث: أن المراد به السعي على الأقدام وذلك فضل وليس بشرط. وفي هذا النداء خطاب للمكلفين بإجماع قال علماؤنا: ولا يتخلف أحد عن الجمعة ممن عليه إتيانها إلا بعذر لا يمكنه معه الإتيان إليها؛ مثل المرض الحابس، أو خوف الزيادة في المرض، أو خوف جور السلطان عليه في

---

(١) فتح الملهم بشرح صحيح مسلم ٣٢٤/٥ - ٣٢٥.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٨.

مال أو بدن دون القضاء عليه بحق، والمطر الوابل مع الوحل عذر إن لم ينقطع. ومن تخلف عنها، مع إمكانه لذلك عاصٍ لله بفعله"[١].

هذا وقد حذر رسول الله ﷺ من ترك صلاة الجمعة والتهاون في أدائها، فعن أبي الجعد الضمري - وكانت له صحبة - قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَرَكَ ثَلاثَةَ جُمَعٍ تَهاوُنًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ طَبَعَ الله تبارك وتعالى عَلَى قَلْبِهِ))[٢]، وعن أبي قتادة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ))[٣].

وأخرج أبو يعلى من طريق محمد بن عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة عن عمه عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلَمْ يَأْتِهَا، ثُمَّ سَمِعَهُ فَلَمْ يَأْتِهَا، ثُمَّ سَمِعَهُ وَلَمْ يَأْتِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ قَلْبَ مُنَافِقٍ))[٤].

وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلاثَ جُمَعٍ مُتَوَالِيَاتٍ، فَقَدْ نَبَذَ الإِسْلامَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ))[٥].

قال الشيخ محمد علي الصابوني: "إن الصلاة صلة بين العبد بربه، وعبادة تشد القلب، وتقوي الإيمان فيه، وهي إلى جانب هذا تزيد المجتمع ترابطًا وتآلفًا، يلتقي فيها أفراده على الخير ويتعاونون على البر والتقوى، وإذا كانت الصلوات الخمس في كل يوم وليلة مفروضة فقد يُشغل المرء عن بعضها في شغله الدنيوي الذي يبعده عن المسجد أو يتساهل في عدم المجيء إليها، لذلك فقد فرض الله صلاة الجمعة في كل أسبوع مرة واحدة ليسرع إلى الصلاة يستمع إلى كلام الله، وحديث المصطفى ﷺ وموعظة الخطيب فيكون له زادًا إيمانيًا ويجتمع بإخوانه المؤمنين جميعًا فيتفقد الغائب ويعين

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٦٣/٢٠ - ٤٦٩.

(٢) أخرجه أحمد ٤٢٥/٣، رقم ١٥٤٩٨، وقال محققو المسند: إسناده حسن، ص ٢٥٥/٢٤، وأخرجه أبو داود ١٠٥٢، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ٩٢٨).

(٣) أخرجه أحمد ٣٠٠/٥، رقم ٢٢٥٥٨، وقال محققو المسند: صحيح لغيره، ٢٥٠/٣٧.

(٤) أخرجه أبو يعلى ٧١٦٧، وحسنه الألباني، (صحيح الترغيب والترهيب ٧٣٥).

(٥) أخرجه أبو يعلى ٢٧١٢، وصححه الألباني، (صحيح الترغيب والترهيب ٧٣٣).

المحتاج ويعود المريض، ويصالح المتخاصمين ويبذل نصحه للمقصرين، كما يتعلم الآداب الإسلامية في الاجتماع، من السلام والاحترام والبشاشة التي تجعل المجتمع في سلام وأمان لهذا كله فرض الله سبحانه صلاة الجمعة على كل مسلم وأمره أن يسعى إليها وحثه على أدائها"(١).

رابعًا- من واجبات الداعية: بيان العواقب الوخيمة للمخالفات الشرعية:

حيث جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: (ليختمن الله على قلوبهم)، ويتضح هذا أن الداعية دائمًا حريص على المدعوين يرشدهم إلى ما ينفعهم ويحذرهم من عواقب الأمور، وهكذا كان رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

وقد جاء في أحاديث رسول الله ﷺ ما يبين مدى حرص الرسول ﷺ - وهو إمام الدعاة - على المدعوين، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا. وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي))(٣)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ...))(٤)، ومما لا شك فيه "أن حرص الداعية على دعوة الناس وهدايتهم واستشعارهم أنه يبذل لأجلهم ويحمل همهم، ويبغى خيرهم، إن ذلك كله عطاء عظيم يكون له أبلغ الأثر عندما لا يكون له تعلق بأي مقابل مادي، أو انتظار لجزاء دنيوي، أو ترقب لمدح بشري، والداعية ينبغي أن يكون للناس كالوالد شفقة بهم وحرصًا عليهم، وبذلاً لهم وتوجيههم وإرشادهم"(٥).

---

(١) تفسير آيات الأحكام ٢/٥٨٦.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٨٥.

(٤) أخرجه أبو داود ٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٦).

(٥) انظر: مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص ١٩٣ - ١٩٤.

الحديث رقم (١١٥٣)

١١٥٣ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى جانب من جوانب التهيؤ الظاهري المعين على التهيؤ الباطني للجمعة؛ لأن المؤمن يحسب للقاء الله تعالى حسابا يكون فيه في قمة الحرص على ما يرضيه تعالى، والحديث قصير جاء في أسلوب مباشر في ثوب الشرط الذي يربط المجيء للجمعة بالغسل حتى يأخذ حكم التلازم، والتكرار كلما تكرر المجيء، ثم إن التعبير بالمجيء أي أراد المجيء عبر عن الإرادة بالمجيء إشارة إلى العزم الجازم، ولفظ أحدكم يعمم الخطاب، وقوله (الجمعة) أي صلاة الجمعة، وقوله (فليغتسل) أمر وقع في جواب الشرط

فقه الحديث

قد ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[٢] والمالكية[٣] والشافعية[٤] والحنابلة[٥] إلى أن غسل الجمعة من الأغسال المسنونة لا الواجبة، فمن فعله كان له ثوابه ومن توضأ فقط

---

(١) أخرجه البخاري (٨٧٧) واللفظ له، ومسلم (٢/٨٤٤).

(٢) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٦٥/١، والعناية، البابرتي ٦٥/١.

(٣) المنتقى ٥٠/١، ١٨٣، وأحكام القرآن، وابن العربي ٢١٦/٤، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٤٣/٢.

(٤) الأم، الإمام الشافعي ٥٣/١ وما بعدها، والمجموع ٢٣٢/٢، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣.

(٥) المغني ٩٨/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، والفروع، ابن مفلح ٢٠٢/١.

أجزأته صلاته، وتأولوا الوجوب في الحديث الثاني على أنه وجوب اختيار لا وجوب فرض، وذهب أهل الظاهر[1] إلى أنه فرض على كل من تلزمه الجمعة وهو ما روي عن الإمام أحمد في رواية[2]، وذكر قولاً لمالك، وقولاً للشافعي في القديم[3]، وروي عن بعض الصحابة والتابعين، كأبي هريرة، وعمر بن الخطاب، وعمار بن ياسر، والحسن البصري وغيرهم[4]، وأوجبه ابن تيمية[5] على من له رائحة كريهة أو عرق يتأذى منه المصلون.

ولكن الراجح ما عليه عامة أهل العلم أن غسل الجمعة سنة لا واجب وقد نقل بعض العلماء كابن عبدالبر وابن المنذر الإجماع عليه[6].

المضامين الدعوية [7]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل وأهمية غسل الجمعة.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على الطهارة ونظافة البدن.

ثالثًا: من خصائص الدعوة: التيسير ورفع الحرج عن المدعوين.

رابعًا: من مهام الداعية: بيان الأحكام الشرعية للمدعوين.

---

(١) المحلى ٢٥٥/١.

(٢) المغني ٩٨/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، والفروع، ابن مفلح٢٠٢/١.

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣.

(٤) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، والفروع، ابن مفلح٢٠٢/١.

(٥) الفتاوى الكبرى ٣٠٧/٥.

(٦) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣، والمغني ٩٨/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، والفروع، ابن مفلح٢٠٢/١، وانظر: المجموع ٢٨٤/٤، وشرح صحيح مسلم للنووي ١١٤/٦/٣-١١٥، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣٥٧/٢-٣٦٤ .

(٧) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١١٥٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٥٤)، (١١٥٥) (١١٥٦).

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل وأهمية غسل الجمعة:

إن الإسلام يدعو إلى النظافة والطهر، ومن ثم حبب إلى أتباعه أن يتطهروا قبل مجيئهم إلى صلاة الجمعة، ومما يدل على ذلك ما جاء في الأحاديث الثلاثة: (إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل)، وقوله: (غسل الجمعة واجب على كل محتلم).

قال المازري: "من الفقهاء من أخذ بظاهر هذا ورأى أن غسل الجمعة يجب. وأكثر الفقهاء على أنه لا يجب تعلقًا بقوله ﷺ: ((مَن توضَّأَ يومَ الجُمعةِ فَبِهَا وَنِعْمتْ. ومَن اغتسلَ فالغُسْلُ أفضلُ))، يفيد جواز الاقتصار على الوضوء، ولو كان ممنوعًا من الاقتصار عليه لم يقل: (فبها ونعمت) وأيضًا فإنه قال: (ومن اغتسل فالغسل أفضل)، فدلّ على أن في الوضوء فضلاً حتى تصح المبالغة"[1].

"قال النووي: "والغسل يستحب لكل مريد للجمعة، ومتأكد في حق الذكور أكثر من النساء لأنه في حقهن قريب من الطيب، ومتأكد في حق البالغين أكثر من الصبيان ومذهبنا المشهور أنه يستحب لكل مريد لها"[2].

وقال الطيبي: "ذهب أكثر الفقهاء إلى أن غسل الجمعة غير واجب وتأولوا الحديث على معنى الترغيب فيه حتى يكون كالواجب على معنى التمثيل والتشبيه"[3].

وقال القرطبي: "وفي قوله ﷺ: (إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل)، وقوله: (غسل الجمعة واجب على كل محتلم)، ظاهر في وجوب غسل الجمعة وبه قال أهل الظاهر، وحكي عن بعض الصحابة وعن الحسن وحكاه الخطابي عن مالك، ومعروف مذهبه وصحيحه أنه سنة وهو مذهب عامة أئمة الفتوى وحملوا تلك الأحاديث على أنه واجب وجوب السنن المؤكدة ودلّهم على ذلك أمور:

أحدها: ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ فَدَنَا وَاستَمَعَ وَأَنْصَتَ غُفِرَ لَهُ))[4]، فذكر فيه الوضوء واقتصر

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ١/٢٣٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥٥٧.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢/١٣٢.

(٤) أخرجه مسلم ٨٥٧.

عليه دون الغسل ورتب الصحة والثواب عليه فدلّ على أن الوضوء كافٍ من غير غسل وأن الغسل ليس بواجب.

ثانيها: قوله ﷺ لهم حين وجد منهم الريح الكريهة: ((لَوِ اغْتَسَلْتُمْ لِيَوْمِكُم هذا))[1]، وهذا عرض وتحضيض وإرشاد للنظافة المستحسنة ولا يقال مثل ذلك اللفظ في الواجب.

ثالثها: إقرار عمر والصحابة لعثمان رضي الله عنهم على صلاة الجمعة بالوضوء من غير غسل ولم يأمروه بالخروج، ولم ينكروا عليه فصار ذلك كالإجماع منهم على أن الغسل ليس بشرط في صحة الجمعة ولا واجب.

رابعها: أنه عليه الصلاة والسلام قد قال: ((غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ واجب عَلَىٰ كُلِّ مُحْتَلِمٍ. وَسِوَاكٌ. وَيَمَسُّ مِنَ الطِّيبِ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ))[2]، وظاهر هذا: وجوب السواك والطيب وليس كذلك بالاتفاق يدل على أن قوله: واجب ليس على ظاهره بل المراد به: ندب المؤكد إذ لا يصح تشريك ما ليس بواجب مع الواجب في لفظ الواو والله تعالى أعلم"[3].

وقد اختار ابن القيم وجوب الغسل يوم الجمعة فقال: "ومن خصائص يوم الجمعة الأمر بالاغتسال في يومها، وهو أمر مؤكد جدًا، ووجوبه أقوى من وجوب الوتر، وقراءة البسملة في الصلاة، ووجوب الوضوء من مس النساء، ومس الذكر. وللناس في وجوب غسل الجمعة ثلاثة أقوال: النفي والإثبات، والتفصيل بين من به رائحة يحتاج إلى إزالتها فيجب عليه، ومن هو مستغن عنه فيستحب له، والثلاثة لأصحاب أحمد"[4].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: الحث على الطهارة ونظافة البدن:

يتضح هذا من سياق الأحاديث بمجموعها حيث فيها التوجيه إلى الغسل، ولا شك أن الإسلام دين النظافة والطهارة، قال الطيبي: "ولما كان القوم عمالاً في مهنة، يلبسون الصوف، وكان المسجد ضيقًا ويتأذى بعضهم من بعض من رائحة عرقهم، ندبهم إلى

---

(١) أخرجه البخاري ٩٠٣، ومسلم ٨٤٧.

(٢) أخرجه البخاري ٨٨٠، ومسلم ٨٤٦.

(٣) المفهم لم أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٤٧٩ - ٤٨٠.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٧٧.

الاغتسال بلفظ الوجوب؛ ليكون أدعى إلى الإجابة، وقد علم ذلك من جملة الأحاديث الواردة، وقد جاء في بعض الأحاديث تخصيص ذكر غسل الرأس والجسد كالوصف المشعر بالعلية للحكم، لأنهما مكان الوسخ والرائحة الكريهة"(١).

وقال ابن حجر: "والحكمة في الأمر بالغسل يوم الجمعة والتنظيف، رعاية الحاضرين من التأذي بالرائحة الكريهة، فمن خشي أن يصيبه في أثناء النهار ما يزيل تنظيفه استحب له أن يؤخر الغسل لوقت ذهابه ولعلّ هذا هو الذي لحظه مالك فشرط اتصال الذهاب بالغسل ليحصل الأمن مما يغاير التنظيف والله أعلم"(٢).

ولقد كان النبي ﷺ يوجه أصحابه ﷺ ويرشدهم إلى الطهارة والنظافة، فعن عائشة ﷺ قالت: كَانَ النَّاسُ يَنْتَابُونَ الْجُمُعَةَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ ومِنَ الْعَوَالِي، فَيَأْتُونَ فِي الْعَبَاءِ. وَيُصِيبُهُمُ الْغُبَارُ، فَتَخْرُجُ مِنْهُمُ الرِّيحُ. فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَوْ أَنَّكُمْ تَطَهَّرْتُمْ لِيَوْمِكُمْ هَذَا))، وفي رواية عنها قالت: ((كَانَ النَّاسُ أَهْلَ عَمَلٍ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ كُفَاةٌ. فَكَانُوا يَكُونُ لَهُمْ تَفَلٌ. فَقِيلَ لَهُمْ: لَوِ اغْتَسَلْتُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ))(٣).

قال القاضي عياض: "والعباء جمع عباءة وهي أكسية خشان فيها خطوط، والكُفافُ: جمع كافٍ أي عبيد وخدم يكفونهم الخدمة والعمل، وقوله: (لهم تفل) أي: رائحة كريهة، فقوله لهم: (لو اغتسلتم يوم الجمعة)، (لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا)، هذا كله يدل على الحض والترغيب، ودليل على تنزيه المساجد عن الريح الكريهة، ولما لم تكن هذه من الكراهة مثل رائحة البصل والثوم، وإنما كانت مثل ريح الضأن كما ذكر في الحديث لم يمنع أهلها من حضور المساجد لكنهم حضّوا على إزالتها والتنظيف جملة، ولأنها كانت من الغالب والأكثر منهم وكثر إلفها لهم والأنس بها، وأمره بالطيب للجمعة من هذا لقطع تلك الروائح، وإدخال المنفعة والمسرة

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢/١٣٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤١٧.

(٣) أخرجه البخاري ٩٠٢، ومسلم ٨٤٧، والتفل: الرائحة الكريهة.

بذلك على من يجالسه من المسلمين، وتعظيم لحرمة المسجد لأجل الملائكة الكاتبين فيه"(١).

جاء في فتح الملهم: "يندب لمن أراد المسجد أو مجالسته الناس أن يجتنب الريح الكريهة في بدنه وثوبه وقوله في الطيب (يمس ما قدر عليه) إرادة التأكيد ليفعل ما أمكنه ويحتمل إرادة الكثرة والأول أظهر"(٢).

إن المسلم دائمًا ينبغي أن يكون على حال من الطهارة والنظافة، ويتأكد هذا في يوم الجمعة خاصة لما له من فضل وخصائص ليست لغيره، "ويستحب للإنسان أن يغتسل ويتنظف ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه، بل يستحب أن يتطيب بأطيب الطيب ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بها الرَّوح والرائحة إلى مشام الحاضرين بجواره في بيت الله، وأحب طيب الرجال ما خفي لونه وظهر ريحه، وأما الكسوة فأحبها البياض كما جاء في السنة، ولبس ما فيه شهرة مكروه ولبس السواد ليس من السنة"(٣).

ثالثًا- من خصائص الدعوة: التيسير ورفع الحرج عن المدعوين:

إن من خصائص الإسلام وخصائص دعوته التيسير على المدعوين ورفع الحرج والمشقة عن الناس ويتضح هذا من الحديث الثالث في قوله ﷺ: (من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل)، ولا شك أن هذا من مظاهر التيسير ورفع الحرج في الشريعة. وهي خصيصة من خصائص الدعوة الإسلامية حيث خيرت بين الوضوء والغسل، قال العظيم آبادي: "قال الخطابي: وفيه البيان الواضح أن الوضوء كافٍ للجمعة، وأن الغسل لها فضيلة لا فريضة، وقال الترمذي: دلّ هذا الحديث على أن غسل يوم الجمعة فيه فضل من غير وجوب يجب على المرء"(٤)، ومما لا شك فيه "أن في التخيير بين الغسل والوضوء، والتفضيل بوجوب الغسل لمن به رائحة كريهة،

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٢٣٣ - ٢٣٥.

(٢) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني ٥/٢٧٩.

(٣) خطب الجمعة، الشيخ عبدالله محمد الخليفي، ط٣ دار الأصفهاني، جدة: ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٩٦-٩٧.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٩٣.

والاستحباب لمن ليس له رائحة، نجمع بين دعوة الإسلام إلى النظافة عمومًا وبين روح السماحة التي تحملها الشريعة المحمدية السمحة لأتباعه، لأنه بترك الغسل قطعًا يترك الأخذ بالأصل الداعي إلى النظافة، وفي إيجابه مطلقًا حرج - كما هو معلوم - والحرج مرفوع في الشريعة"[(١)].

وقد بيّن الله عز وجل في القرآن الكريم أنه يريد لعباده اليسر ورفع الحرج عنهم، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[(٢)]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[(٣)]، قال ابن كثير: "والمراد: يا هذه الأمة، الله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم، وفضلكم وشرفكم وخصّكم بأكرم رسول، وأكمل شرع، ولم يكلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فشقّ عليكم إلا جعل الله لكم فرجًا ومخرجًا، ويظهر من هذا الرخص والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (من حرج: أي من ضيق)"[(٤)].

وللدلالة على التيسير ورفع الحرج قال ﷺ لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهما حين بعثهما أميرين إلى اليمن: ((بشّرا ولا تنفّرا ويسّرا ولا تعسّرا))[(٥)].

رابعًا - من مهام الداعية: بيان الأحكام الشرعية للمدعوين:

يتضح هذا من سياق الأحاديث ولا شك أن مهمة الداعية الأولى البيان، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٦)]، وبين الله سبحانه أن الرسول الكريم مكلف بالتبليغ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[(٧)].

---

(١) فضائل الجمعة، د. محمد ظاهر أسد الله ص ٣٢٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٥٥/٥.

(٥) أخرجه البخاري ٣٠٣٨، ومسلم ١٧٣٢.

(٦) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

قال السعدي: "هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا: كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية، فبلغ ﷺ أكمل تبليغ ودعا وأنذر وبشّر ويسّر وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلّغ بقوله وفعله وكتبه ورسله فلم يبق خير إلا دلّ أمته عليه ولا شر إلا حذرها منه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين"[1].

ومن هنا وجب على الداعية إلى الله أن يقوم بمهمة البيان للأحكام الشرعية حتى لا يقع المدعوون في مخالفة شرعية.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٠١.

الحديث رقم (١١٥٤)

١١٥٤ - وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((غُسْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

واجب: والمراد بالواجب: وجوب اختيار، كقول الرجل لصاحبه: حقك واجب عليّ[٢].

المحتلم: البالغ[٣].

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه يرغب في الغسل لصلاة الجمعة، وهو منهج نبوي راشد في الجمع بين الطهارة الظاهرية بالغسل، وغيره من سنن الجمعة، والطهارة الباطنية بمحو الله خطايا العبد، وتنقيته منها بأدائه للجمعة فيصير ظاهرا أشبه بباطن في صفاء روحي يفتح أمامه آفاق الحياة يعمر دنياه، ويعمر أخراه، والحديث يقرر بأسلوب خبري ضرورة الغسل يوم الجمعة، وقد أعطى الحكم عموما يشمل جميع أفراد الفئة العمرية المستهدفة بالحكم عن طريق لفظ العموم (كل) وإضافته إلى المحتلم تحدد الفئة العمرية المستهدفة بالحكم، وهم من أدركوا الحلم أي سن البلوغ.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) أخرجه البخاري (٨٧٩)، ومسلم (٨٤٦/٧) ولفظهما سواء. تنبيه: الحديث أورده المنذري في ترغيبه (١٠٤٧) مع ذكر الزيادة عند مسلم في آخره: (ويمس من الطيب ما قدر عليه)، وعزاه إلى مسلم فقط. قال الناجي في عجالة الإملاء: وقد رواه هو والبخاري بذكر الغسل وحده من طريق آخر. انتهى. قلتُ: فانتبه لهذه النكتة الإمام النزوي، فعدل عن لفظ المنذري، وأورده بهذا اللفظ وعزاه إلى الصحيحين.

(٢) رياض الصالحين ٤٢٤.

(٣) رياض الصالحين ٤٢٤.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى المطلوب فعله لمن يصلي الجمعة من المكلفين، وذلك بأن يغتسل أو يتوضأ لها ثم يأتي المسجد.

وقد ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[1] والمالكية[2] والشافعية[3] والحنابلة[4] إلى أن غسل الجمعة من الأغسال المسنونة لا الواجبة، فمن فعله كان له ثوابه، ومن توضأ فقط أجزأته صلاته، وتأولوا الوجوب في الحديث الثاني على أنه وجوب اختيار لا وجوب فرض، وذهب أهل الظاهر[5] إلى أنه فرض على كل من تلزمه الجمعة، وهو ما روي عن الإمام أحمد في رواية[6]، وذكر قولاً لمالك، وقولاً للشافعي في القديم[7]، وروي عن بعض الصحابة والتابعين، كأبي هريرة، وعمر بن الخطاب، وعمار بن ياسر، والحسن البصري وغيرهم[8]، وأوجبه ابن تيمية[9] على من له رائحة كريهة أو عرق يتأذى منه المصلون.

ولكن الراجح وما عليه عامة أهل العلم أن غسل الجمعة سنة لا واجب، وقد نقل بعض العلماء كابن عبدالبر وابن المنذر الإجماع عليه[10].

---

(١) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٦٥/١، العناية، البابرتي ٦٥/١.

(٢) المنتقى ٥٠/١، ١٨٣، أحكام القرآن، ابن العربي ٢١٦/٤، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٤٣/٢.

(٣)الأم، الإمام الشافعي ٥٣/١ وما بعدها، المجموع ٢٣٢/٢، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣.

(٤) المغني ٩٨/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، الفروع، ابن مفلح٢٠٢/١.

(٥) المحلى ٢٥٥/١.

(٦) المغني ٩٨/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، الفروع، ابن مفلح٢٠٢/١.

(٧) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣.

(٨) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، الفروع، ابن مفلح٢٠٢/١.

(٩) الفتاوى الكبرى ٣٠٧/٥.

(١٠) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣، المغني ٩٨/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، الفروع، ابن مفلح٢٠٢/١.

الحديث رقم (١١٥٥)

١١٥٥ - وعن سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فبها وَنِعْمَتْ وَمَنِ اغْتَسَلَ فَالغُسْلُ أفْضَلُ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٥٨).

غريب الألفاظ:

فبها ونعمت: ونعمت الفَعْلَةُ والخَصْلَةُ هي، المخصوص بالمدح، والباء في قوله: متعلقة بفعل مضمر، أي: فبهذه الخصلة، يعني الوضوء، ينال الفضل.

وقيل: أي: فالبسنة أخذ[2].

الشرح الأدبي

الحديث في بيان فضل التطهر للجمعة جاء في أسلوب خبري خال من المؤكدات لأن الحديث عن أمور من فضائل الأعمال ليس لدى المخاطب علم مسبق يترتب بناءً عليه رد فعل معين تجاه الموضوع، وقوله (مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فبها وَنِعْمَتْ) التيسير أي فأهلا بتلك الرخصة، أو الفعلة المحصلة للواجب، ونعمت الخصلة هي وهو أسلوب مدح وقوله (اغْتَسَلَ فَالغُسْلُ) جناس يجذب السمع ويؤكد المعنى الفاضل، والتعبير بأفعل التفضيل (أفضل) تَقْتَضِي وُجُودَ الاشْتِرَاكِ فِي الأَصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ؛ وقد فضل الغسل الوضوء؛ لأن الغسل تطهير لجميع البدن.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه ابو داود (٣٥٤)، والترمذي (٤٩٧) واللفظ له. وصحّحه أيضًا ابن خزيمة (١٧٥٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ع م).

(٣) تقدم دمجها مع مضامين الحديث رقم ١١٥٣، ١١٥٤.

الحديث رقم (١١٥٦)

١١٥٦- وعن سَلمَان رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول اللهِ ﷺ : ((لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَومَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِن طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى)) رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

سلمان الفارسي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٢٠).

غريب الألفاظ:

يدَّهنُ: يَطلي نفسه [٢].

الدُّهْنُ: الزيتُ المُطيَّب بالريحان أو نحوه، يُؤتى بالدهن فيُغلى فيه الطيب، كانوا هكذا يستعملونه [٣].

يمسّ: يصيب، أو يأخذ[٤].

الشرح الأدبي

الحديث جاء في أسلوب قصر في جملة طويلة استوعبت أعمال المسلم يوم الجمعة حيث قصر صفة الاغتسال، وما عطف عليها من صفات على مغفرة الذنوب، وهو معنى ضروري يسعى إليه كل مؤمن في الحياة حتى يلقى الله طاهرا منها، وتنكير (رجل) يفيد العموم؛ لأنه في سياق النفي، وبين قوله يتطهر، وبين طهر جناس يؤكد المعنى الذي ينبغي أن يلقى عليه المؤمن ربه، وبين قوله يدهن، ودهنه جناس يؤكد المعنى المراد بما يكون به المؤمن حسن المظهر فيتوافق مع حسن الجوهر، ولأنه يوم اجتماع في وقت

---

(١) برقم (٨٨٣)، وتقدم برقم (٨٢٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٢٣).

(٢) اللسان والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (د هـ ن).

(٣) اللسان والمصباح في (د هـ ن).

(٤) اللسان والوسيط في (م س س).

الظهيرة مع شدة الحر، ومظنة انبعاث روائح العرق التي يمكن أن تشوش على المصلين جاء قوله (يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ) ؛ولأن معنى الجمعة اجتماع المسلمين في محبة، ومودة، وتعاون كيوم عيد لهم كره أي مفرق لهذا الاجتماع، وحذر من كل أشكال لإيذاء في قوله (ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثنَيْنِ) لا تفريقا حسيا، ولا معنويا، ثم أشار إلى الغرض الأساسي للخروج، وهو العبادة، ونبه إلى أن ما يبلغه فيها هو من توفيق الله مكتوب مقدر في قوله (ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ) أي ما كتب الله له، ثم أشار إلى الوحدة الصغرى خلف إمام الصلاة في خضوع، وإنصات يمهد للموعظة، والتي توطن المسلم على الوحدة الكبرى في أمة واحدة قوية - نسأل الله تعالى أن يجمعها على مرضاته.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم الاغتسال لصلاة الجمعة، وقد سبق القول في الحديث السابق أن جمهور الفقهاء من الحنفية[1] والمالكية[2] والشافعية[3] والحنابلة[4] ذهبوا إلى أن غسل الجمعة من الأغسال المسنونة لا الواجبة فمن فعله كان له ثوابه ومن توضأ فقط أجزأته صلاته.

الثاني: حكم التطيب لصلاة الجمعة، وقد اتفق الفقهاء[5] على أنه يسن لمن يذهب

---

(١) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٦٥/١، العناية، البابرتي ٦٥/١.

(٢) المنتقى ٥٠/١، ١٨٣، أحكام القرآن، ابن العربي ٢١٦/٤، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٤٣/٢.

(٣)الأم، الإمام الشافعي ٥٣/١ وما بعدها، المجموع ٢٣٢/٢، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣.

(٤) المغني ٩٨/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، الفروع، ابن مفلح٢٠٢/١.

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٦٩/١، الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ١٤٩/١، الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري، أبو بكر الحوازي اليمني ٩٢/١، المنتقى ٢٠٣/١، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٣٥/٢، أحكام القرآن، ابن العربي ٢١٣/٤، الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى زكريا الأنصاري ٢٧/٢، حاشيتا قليوبي وعميرة ٣٣٣/١، مغني المحتاج ٥٦٣/١، الفروع، ابن مفلح١٠٤/٢، المغني ١٠٠/٢.

لصلاة الجمعة أن يلبس ثيابًا حسنة، وأن يكون في هيئة حسنة، وأن يضع بعضًا من الطيب على جسمه وثيابه حتى يكون له ريح طيب لا يؤذي برائحته أحدًا من المسلمين، فإن لم يجد فلا إثم عليه، وخالف في ذلك الظاهرية[1] فحملوا الأمر بالتطيب على ظاهره وقالوا بوجوب التطيب يوم الجمعة، ومن لم يفعل فقد خالف أمرًا واجبًا وعليه إثمه.

الثالث: حكم الإنصات لسماع خطبة الجمعة، وقد سبق ذكره في الحديث رقم (١١٤٨).

المضامين الدعوية[2]

(١) المحلى، ابن حزم ٣/٢٨٥ وما بعدها.

(٢) تقدم دمجها مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١١٥٣.

الحديث رقم (١١٥٧)

١١٥٧ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((مَن اغْتَسَلَ يَومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ (فِيْ السَّاعَةِ الأُوْلَى) [١] فَكَأنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعة الثَّالِثَةِ، فَكَأنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإذَا خَرَجَ الإمَامُ، حَضَرَتِ المَلائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

غسل الجنابة: أي غسلاً كغسل الجنابة في الصِفَة[٣].

البدنة: البعير ذكرًا كان أو أنثى، والمراد بها هنا الناقة بلا خلاف، والهاء فيها للوحدة لا للتأنيث[٤].

الساعة: جزءٌ قليل من الليل أو النهار[٥].

أقرن: أي طويل القرنين، وإنما وصف الكبش بأنه أقرن لأنه أكمل وأحسن صورة، ولأن القرن ينتفع به [٦].

الذكر: والمراد به ما في الخطبة من المواعظ وغيرها[٧].

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عندهما، وإنما هي عند مالك في الموطأ (١٠١/١، رقم ١)، تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه، حيث عزاه إلى مالك والبخاري ومسلم وغيرهم، وهذا لفظ مالك.

(٢) أخرجه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠/١٠) ولفظهما سواء، إلا الزيادة. أورده المنذري في ترغيبه (١٠٤٩).

(٣) رياض الصالحين ٤٢٤.

(٤) اللسان في (ب د ن)، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٢٦.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س و ع).

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٢٧.

(٧) المرجع السابق ٢/٤٢٧.

الشرح الأدبي

الحديث يتحدث عن مقدار ثواب المسلم المصلي للجمعة، وبيان التفاوت في هذا الأجر نظرا للتبكير، أو التأخير في الحضور إليها، وهو أمر غيبي لا يستطيع عقل تصوره لذلك استخدم الرسول ﷺ التشبيه في تقريب حجم الثواب، وبيان مقداره عن طريق التصوير في جمل الحديث في قوله: (مَن اغْتَسَلَ يَومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ) تشبيه لبيان هيئة الغسل بأركانه، وسننه أي كغسل الجنابة بشروطه، وأركانه، كما صوَّر التفاوت بين أجر الذي يحضر الجمعة في أول ساعة عن غيره بالذي تصدق بالبدنة، والتعبير بالبدنة وهي الناقة أو الجمل لعظم بدنها، وقوله، وذكر الساعة ليس المراد من الساعات على اختلاف الوجوه الأربع، والعشرين التي قسم اليوم، والليلة عليها، وإنما المراد ترتيب الدرجات، وفضل السابق على الذي يليه وقوله (وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً) تشبيه لأهل الدرجة الثانية في الحضور بمن تصدق ببقرة، والتعبير بالتقريب لأن فيه دلالة على التصدق، وفيه إشارة إلى الغرض من التصدق، وهو التقرب لله مما يدل على صدقة في إخلاص كما شبَّه الذاهب في الساعة الثالثة بمن قرب كبشا أقرن، ووصف الكبش بالأقرن مبالغة في تمامه، وهو تعظيم للأجر في جانب المشبه كما شبه صاحب الدرجة الرابعة بمن قرب دجاجة، ومن حضر في الخامسة بمن قرب بيضة، فتأمل عظمة التفاوت في الأجر بين رجل تصدق بناقة، ورجل تصدق ببيضة كم مسكين يطعم من لحم الناقة؟! وكم مسكين تطعم البيضة؟! هذا التفاوت بين رجلين صلى كل منهما الجمعة فعاد أحدهما بالبدنة، وعاد الآخر بالبيضة، فهل سألت نفسك بما ستعود من صلاة الجمعة هذا الأسبوع؟

فقه الحديث

١ - قال النووي: (قوله ﷺ: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة" معناه كغسل الجنابة في الصفات. هذا هو المشهور في تفسيره وقال بعض أصحابنا في كتب الفقه: المراد غسل الجنابة حقيقة. قالوا: ويستحب له مواقعة زوجته ليكون أغض للبصر

وأسكن لنفسه. وهذا ضعيف أو باطل، والصواب ما قدمناه[١].

٢ - التبكير إلى الجمعة: ذكر العلماء أن للسعي إلى الجمعة وقتان، وقت وجوب، ووقت فضيلة:

أما وقت الوجوب: فيكون عند النداء الثاني، إلا لمن بَعُد منزله، فعليه أن يسعى في الوقت الذي يكون به مدركًا للجمعة، لأن ما لا يتم الواجب إلا به يكون واجبا[٢].

وأما وقت الفضيلة والاستحباب: فقد اختلف الفقهاء في ذلك على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء منهم الثوري[٣]، وأبو حنيفة[٤]، وبعض الشافعية[٥]، ويرون أنه يستحب التبكير إلى صلاة الجمعة من وقت طلوع الشمس، للحديث.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الشافعي[٦]، ويرى أنه يستحب التبكير إلى صلاة الجمعة وقت طلوع الفجر للحديث.

قال الشافعي في الأم: (وأُحِبّ لكل من وجبت عليه الجمعة أن يبكر إلى الجمعة جهده، فكلما قدم التبكير كان أفضل)[٧].

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الإمام مالك، ويرى أنه يستحب التبكير إلى صلاة الجمعة قبل الزوال، وهو ما يسمى بالتهجير، لأن الصحابة كانوا يأتون المسجد وقت الهاجرة.

وقد كره مالك السعي للجمعة بعد طلوع الشمس، لأن الرسول ﷺ لم يفعله، ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم، ولخوف الرياء والسمعة[٨].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١١٨/٦/٣ .

(٢) المغني، ابن قدامة ١٦٣/٣، ١٦٤ ، والكافي في فقه الإمام أحمد ٢٢٥/١.

(٣) الاستذكار، ابن عبدالبر ٦/٢ دار الكتب العلمية.

(٤) حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح ٣٣٥/١.

(٥) المهذب ١١٤/١.

(٦) المهذب، السابق الموضع نفسه، وإعانة الطالبين ٧٤/٢.

(٧) الأم، الإمام الشافعي ص ١٤١ .

(٨) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٦٤/١، وحاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني ٤٧٩/١، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٣٨١/١، وبلغة السالكة ٢٢٢/١.

هـذا ومما تجدر الإشارة إليه والتنبيه عليه، هو أن من يستحب له التبكير هو غير الخطيب الذي يخطب الجمعة، أما هو فيستحب له التأخير إلى وقت الخطبة[1] والله أعلم.

٣ - الأفضل في الهَدْي والتضحية:

قال النووي: (وأما البدنة فقال جمهور أهل اللغة وجماعة من الفقهاء يقع على الواحدة من الإبل والبقر والغنم، سميت بذلك لعظم بدنها. وخصّها جماعة بالإبل. والمراد هنا الإبل بالاتفاق لتصريح الأحاديث بذلك ... وفيه [أي في الحديث] أن التضحية بالإبل أفضل من البقرة، لأن النبي ﷺ قدّم الإبل وجعل البقرة في الدرجة الثانية. وقد أجمع العلماء على أن الإبل أفضل من البقر في الهدايا واختلفوا في الأضحية، فمذهب الشافعي وأبي حنيفة والجمهور أن الإبل أفضل ثم البقر ثم الغنم كما في الهدايا، ومذهب مالك أن أفضل الأضحية الغنم ثم البقر ثم الإبل. قالوا: لأن النبي ﷺ ضحى بكبشين[2]. وحجة الجمهور ظاهر هذا الحديث والقياس على الهدايا. وأما تضحيته ﷺ فلا يلزم منها ترجيح الغنم، لأنه محمول على أنه ﷺ لم يتمكن ذلك الوقت إلا من الغنم أو فعله لبيان الجواز، وقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ ضحّى عن نسائه بالبقرة[3])[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الغسل يوم الجمعة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التبكير يوم الجمعة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التمثيل.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الغسل يوم الجمعة:

يتضح هذا من الحديث: (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة)، وهذا يدل على

---

(١) إعانة الطالبين ٢/٦٤.

(٢) أخرجه البخاري ٥٥٥٨، ومسلم ١٩٦٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢٩٤، ومسلم ١٢١١، ١١٩.

(٤) شرح صحيح مسلم ٣/٦/١٢٠ .

أهمية وفضل الاغتسال يوم الجمعة كما سبق بيانه في الأحاديث السابقة، قال النووي: "معناه غسلاً كغسل الجنابة في الصفات، هذا هو المشهور في تفسيره، وقيل: المراد: غسل الجنابة حقيقة، قالوا: ويستحب له مواقعة زوجته ليكون أغض للبصر وأسكن للبصر وهذا ضعيف أو باطل والصحيح ما قدمناه"[1].

وقال القرطبي: "وقوله ﷺ: (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة)، يعني: في الصفة، والأغسال الشرعية كلها على صفة واحدة وإن اختلفت أسبابها، وهكذا رواية الجمهور ووقع عند ابن ماهان: (غسل الجمعة)، مكان (غسل الجنابة)، وفي كتاب أبي داود من حديث أوس بن أوس مرفوعًا: ((مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ واغْتَسَلَ ثُمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا))[2]، روى مُخفَّف السين، وروايتنا: التشديد واختلف في معناه: فقيل معناه: جامع يقال: غسل وغسّل أي: جامع قالوا: ليكون أغض لبصره في سعيه إلى الجمعة، وقيل في التشديد أوجب الغسل على غيره أو حمله عليه، وقيل: غسّل للجنابة واغتسل للجمعة، وقيل: غسّل رأسه واغتسل في بقية جسده وقيل: غسّل بالغ في النظافة والدلك. واغتسل: صبّ الماء عليه، وأنسب ما في هذه الأقوال: قول من قال: حمل غيره على الغسل بالحث والترغيب والتذكير والله تعالى أعلم"[3].

وقال الشيخ السيد سابق: "ويستحب لكل من أراد حضور صلاة الجمعة أو مجمع من مجامع الناس سواء كان رجلاً أو امرأة، أو كان كبيرًا أو صغيرًا، مقيمًا أم مسافرًا أن يكون على أحسن حال من النظافة والزينة: فيغتسل ويلبس أحسن الثياب ويتطيب بالطيب ويتنظف بالسواك"[4].

قال الطيبي: "وأما الاغتسال يوم الجمعة فيكون لذاته ولكرامته، وقد قام الدليل

---

(١) شرح صحيح مسلم ص ٥٥٨.

(٢) أخرجه ابو داود ٣٤٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٣).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٤٨٤/٢.

(٤) فقه السنة ٢٩٨/١.

على أنه ﷺ كان يفعله ويأمره استحبابًا"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على التبكير يوم الجمعة:

حيث جاء في الحديث: (ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة..)، قال النووي: "وفي الحديث الحث على التبكير إلى صلاة الجمعة، وأن مراتب الناس في الفضيلة فيها وفي غيرها بحسب أعمالهم وهو من باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٢]، وأما قوله: (حضرت الملائكة يستمعون)، قالوا: هؤلاء الملائكة غير الحفظة وظيفتهم كتابة حاضري الجمعة"[٣]، وقال ابن حجر: "وقوله: (فكأنما قرب بدنة)، أي: تصدق بها متقربًا إلى الله، وقيل: المراد إن للمبادرة في أول ساعة نظير ما لصاحب البدنة من الثواب ممن شرع له القربان، لأن القربان لم يشرع لهذه الأمة على الكيفية التي كانت على الأمم السابقة وقيل المراد بالحديث: بيان تفاوت المبادرين إلى الجمعة. وفي هذا الحديث من الفوائد: الحض على الاغتسال يوم الجمعة وفضله وفضل التبكير إليها، وأن الفضل المذكور إنما يحصل لمن جمعهما"[٤].

وقال البدر العيني: "قوله: (ثم راح) أي ذهب أول النهار وقوله: (ومن راح في الساعة الثانية) قال مالك: المراد بالساعات هنا لحظات لطيفة بعد زوال الشمس وبه قال القاضي حسين وإمام الحرمين، والرواح عندهم بعد زوال الشمس، وادعوا أن هذا معناه في اللغة، وقال جماهير العلماء باستحباب التبكير إليها أول النهار، وبه قال الشافعي وابن حبيب المالكي، والساعات عندهم من أول النهار والرواح يكون أول النهار وآخره.

وقال الأزهري: "لغة العرب أن الرواح الذهاب سواء كان أول النهار، أو آخره أو في الليل، وهذا هو الصواب الذي يقتضيه الحديث والمعنى، لأن النبي ﷺ أخبر أن الملائكة تكتب من جاء في الساعة الأولى وهو كالمُهْدِي بَدَنَةً ثم جاء في الساعة

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٣٤/٢.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ص ٥٥٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٦/٢.

الثانية ثم راح في الثالثة ثم في الرابعة ثم في الخامسة، وفي رواية النسائي السادسة فإذا خرج الإمام طَوَوْا الصحَف ولم يكتبوا بعد ذلك، ومعلوم أن النبي ﷺ كان يخرج إلى الجمعة متصلاً بالزوال وهو بعد انقضاء الساعة السادسة فدلّ على أنه لا شيء من الفضيلة لمن جاء بعد الزوال، ولأن ذكر الساعات إنما كان للحث على التبكير إليها والترغيب في فضيلة السبق وتحصيل الصف الأول وانتظارها والاشتغال بالتنفل والذكر ونحو ذلك وهذا كله لا يحصل بالذهاب بعد الزوال، ولا فضيلة لمن أتى بعد الزوال لأن النداء يكون حينئذ ويحرم التخلف بعد النداء قلت: الحاصل أن الجمهور حملوا الساعات المذكورة في الحديث على الساعات الزمانية كما في سائر الأيام وقد روى النسائي أنه ﷺ قال: ((يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً))[1].

وأما أهل علم الميقات، فيجعلون ساعات النهار وابتداءها من طلوع الشمس، ويجعلون الحصة التي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس من حساب الليل، واستواء الليل والنهار عندهم إذا تساوى ما بين المغرب وطلوع الشمس، وما بين طلوع الشمس وغروبها فإن أريد الساعات على اصطلاحهم فيكون ابتداء الوقت المرغب فيه لذهاب الجمعة من طلوع الشمس وهو أحد الوجهين للشافعية، وقال الماوردي: إنه الأصح ليكون قبل ذلك من طلوع الفجر زمان غسل وتأهب، وقال الروياني: إن ظاهر كلام الشافعي أن التبكير يكون من طلوع الفجر، وصححه الروياني وكذلك صاحب المهذب قبله ثم الرافعي والنووي ولهم وجه ثالث أن التبكير من الزوال كقول مالك حكاه البغوي والروياني وفيه وجه رابع حكاه الصيدلاني أنه من ارتفاع النهار وهو وقت الهجير، وقال الرافعي ليس المراد من الساعات على اختلاف الوجوه الأربع والعشرين التي قسم اليوم والليلة عليها، وإنما المراد ترتيب الدرجات وفضل السابق على الذي يليه قوله: (قرب بدنة) أي تصدق ببدنة متقربًا إلى الله تعالى، وقيل: المراد أن للمبادر في أول ساعة نظير ما لصاحب البدنة من الثواب ممن شرع له القربان لأن القربان لم يشرع لهذه الأمة على

---

(١) أخرجه النسائي ١٣٨٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٣١٦).

الكيفية التي كانت عليها الأمم الماضية، وقيل ليس المراد بالحديث إلا بيان تفاوت المبادرين إلى الجمعة وأن نسبة الثاني من الأول نسبة البقرة إلى البدنة في القيمة مثلاً ويدل عليه أن في مرسل طاووس رواه عبدالرزاق كفضل صاحب الجزور على صاحب البقرة، والبدنة تطلق على الإبل والبقر وخصصها مالك بالإبل، ولكن المراد ههنا من البدنة الإبل بالاتفاق لأنها قوبلت بالبقرة، وتقع على الذكر والأنثى، وقال بعضهم: المراد بالبدنة هنا الناقة بلا خلاف، قلت: فيه نظر فكان لفظ الهاء فيه غره وحسب أنه للتأنيث، وليس كذلك فإنه للوحدة كقمحة وشعيرة ونحوهما من أفراد الجنس سميت بذلك لعظم بدنها وقال الجوهري البدنة ناقة أو بقرة تنحر بمكة سميت بذلك لأنهم كانوا يَسِمُونها وحكى النووي عن الأزهري أنه قال: البدنة تكون من الإبل والبقر والغنم، قلت: هذا غلط، الظاهر أنه من النساخ لأن المنقول الصحيح عن الأزهري أنه قال: البدنة لا تكون إلا من الإبل، وأما الهدي فمن الإبل والبقر والغنم قوله (بقرة) التاء فيها للوحدة، قال الجوهري: البقر اسم جنس والبقرة تقع على الذكر والأنثى وإنما دخله الهاء على أنه واحد من جنس والبقرات جمع بقرة، والباقر جماعة البقر مع رعاتها والبقور والبقر، قوله: (كبشًا أقرن) الكبش هو الفحل وإنما وصف بالأقرن لأنه أكمل وأحسن صورة، ولأن القرن ينتفع به وفيه فضيلة على الأجَمّ، قوله: (دجاجة) بكسر الدال وفتحها لغتان مشهورتان وحكى الضم أيضًا، وعن محمد بن حبيب أنها بالفتح من الحيوان وبالكسر من الناس والدجاجة تقع على الذكر والأنثى، وسميت بذلك لإقبالها وإدبارها وجمعها دجاج ودجائج ودجاجات، ذكره ابن سيده وفي المنتهى لأبي المعالي فتح الدال في الدجاج أفصح من كسره، ودخلت الهاء في الدجاجة لأنه واحد من جنس مثل حمامة وبطة ونحوهما، وكما جاءت الدال مثلثة في المفرد فكذلك يقال في الجمع: الدجاج، وقوله: (بيضة) والبيضة واحدة من البيض والجمع بيوض وجاء في الشعر بيضات وقوله: (حضرت الملائكة) بفتح الضد وكسرها والفتح أعلى، وفي الحديث استحباب الغسل يوم الجمعة، وفيه فضيلة التبكير، وقد ذكرنا حَدَّه عن قريب وفيه أن مراتب الناس في الفضيلة على حسب أعمالهم وفيه أن القربان والصدقة

تقع على القليل والكثير"[١].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: التمثيل:

حيث جاء في الحديث: (فكأنما قرب بدنة)، قال القاضي عياض: "هذا ضرب من التمثيل للأجور ومقاديرها لا على تمثيل الأجور وتشبيهها حتى تكون أجرها كأجر هذا، وتكون الدجاجة في التمثيل والتدريج والبيضة بقدر أجريهما من أجر البدنة لو كان هذا مما يهدى، وقوله: (فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر)، وفي رواية البخاري: (طَوَوْا صحفهم) قالوا: هذا يدل على أنهم غير الحفظة"[٢]، ومما لا شك فيه أن أسلوب التمثيل من أساليب الدعوة التي تقرب الصورة في الأذهان لدى المدعوين، من خلال تمثيل وتشبيه الصورة المعنوية بصورة محسوسة ملموسة مما يثبت المعنى لدى المدعو، "ومن أهم الأهداف التربوية للتشبيه وضرب المثل هو تقريب المعنى إلى الأفهام فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبية"[٣].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يتضح هذا من الحديث: (من اغتسل.. ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة)، حيث رغب في الاغتسال والتبكير في الذهاب إلى صلاة الجمعة، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعوين في الخير، "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"[٤].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٧١/٦ - ١٧٣.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤١/٣.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ٣٣١.

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۝ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾[2].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٣.

(٢) سورة ص، الآيات: ٤٩ – ٥١.

الحديث رقم (١١٥٨)

١١٥٨ - وعنه أنَّ رسول الله ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: ((**فِيهَا**[١] **سَاعَةٌ لا يُوافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا، إلاَّ أعْطَاهُ إيّاهُ**)) وَأشَارَ بيَدِهِ يُقَلِّلُهَا. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يوافقها : يصادفها[٣].

يقللها : يزهدها. أي: يبين أنها لحظة لطيفة خفيفة : وهي ساعة خفيفة[٤].

الشرح الأدبي

الحديث دور حول معنى فضل يوم الجمعة وقد ورد في أسلوب القصر الذي يقصر موافقة الساعة المذكورة على الإجابة لا يتعداها إلى الرد ، وقوله (فيها ساعة) تقديم الجار والمجرور يفيد التخصيص أي ليس في غيرها من الأيام على الوجه الذي هي عليه يوم الجمعة ، وقوله (وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئاً) يصور حال العبد بين العبادة ، والدعاء الذي يشير إلى الخضوع، والذل، والانكسار، وكلما كان العبد أكثر انكسارا ، وذلا لله كلما كان أقرب للإجابة ، فالذل لله عز بين خلقه ، وقوله ، (وأشار بيده يقللها) أي أن وقتها قليل مما يستلزم تحريها ، والحرص عليها ، والاجتهاد في العبادة ، والدعاء يوم الجمعة.

---

(١) عندهما بلفظ: (فيه)، تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه، وزاد المنذري: النسائي وابن ماجه، وعند الجميع بلفظ: (فيه).

(٢) أخرجه البخاري ٩٣٥ واللفظ له، ومسلم ٨٥٢/١٣. أورده المنذري في ترغيبه ١٠٣٦.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤٨٣/٢ ، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٠٤.

(٤) المرجع السابق ٤٨٢/٢.

فقه الحديث

قال النووي: (ويستحب الإكثار من الدعاء يوم الجمعة بالإجماع، ودليله حديث أبي هريرة "أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه اياه وأشار بيده يقللها".

واختلف العلماء في تعيين هذه الساعة على أحد عشر قولاً:

الأول: أنها ما بين طلوع الفجر، وطلوع الشمس.

الثاني: عند الزوال.

الثالث: من الزوال إلى خروج الإمام.

الرابع: من الزوال إلى أن يصير الظل نحو ذراع.

الخامس: من خروج الإمام إلى فراغ صلاته.

السادس: ما بين خروج الإمام وصلاته.

السابع: من حين تقام الصلاة حتى يفرغ.

الثامن: ما بين جلوس الإمام على المنبر إلى فراغه من صلاة الجمعة.

التاسع: من العصر إلى غروب الشمس.

العاشر: أنها آخر ساعة من النهار.

الحادي عشر: أنها مخفية من اليوم كليلة القدر.

وقد رجح الإمام النووي الثامن، فقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ إِلَى أَنْ يَقْضِيَ الصَّلَاةَ))، فهذا صحيح صريح لا ينبغي العدول عنه[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل يوم الجمعة والدعاء فيه.

---

(١) المجموع، النووي ٤٦٩/٤، وانظر: في تفصيل الكلام عن هذه الساعة: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤١٦/٢ وما بعدها، شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن يوسف الزرقاني ٢٢٣/١ وما بعدها.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٥٨ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١١٥٩.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والإشارة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على تحري ساعة الإجابة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل يوم الجمعة والدعاء فيه:

إن النبي ﷺ لم يترك خيرًا إلا دلّ أمته عليه، ومن ذلك بيان فضل يوم الجمعة ويتضح هذا من الحديث: (ذكر يوم الجمعة فقال: فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه)، وهذا يدل على فضل يوم الجمعة وفضل الدعاء فيه قال ابن القيم: "ومن فضائل يوم الجمعة أن فيه ساعة الإجابة، وهي الساعة التي لا يسأل اللهَ عبدٌ مسلمٌ فيها شيئًا إلا أعطاه"[1]، هذا وقد جاء في سنن ابن ماجه عن أبي لبابة بن عبدالمنذر، قال: قال النبي ﷺ: ((إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الأَيَّامِ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ. وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ الأَضْحَى وَيَوْمِ الْفِطْرِ. فِيهِ خَمْسُ خِلاَلٍ. خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ. وَأَهْبَطَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الأَرْضِ. وَفِيهِ تَوَفَّى اللَّهُ آدَمَ. وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ. مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا. وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ. مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلاَ سَمَاءٍ وَلاَ أَرْضٍ وَلاَ رِيَاحٍ وَلاَ جِبَالٍ وَلاَ بَحْرٍ إِلاَّ وَهُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ))[2].

قال الطاهر بن عاشور": "جعل الله يوم الجمعة للمسلمين عيد الأسبوع، فشرّع لهم اجتماع أهل البلد في المسجد، وسماع الخطبة ليعلموا ما يهمهم في إقامة شؤون دينهم وإصلاحهم، قال القفال: لما جعل الله الناس أشرف العالم السفلي، لم يخف عظم المنة وجلالة قدر موهبته لهم فأمرهم بالشكر على هذه الكرامة في يوم من الأيام السبعة ليكون في اجتماعهم في ذلك اليوم تنبيه على عظم ما أنعم الله به عليهم، ولكل أهل ملة معروفة يوم من الأسبوع معظّم، فلليهود يوم السبت، وللنصارى الأحد، وللمسلمين يوم الجمعة. ولما جُعل يوم الجمعة يوم شكر وتعظيم نعمة احتيج فيه إلى الاجتماع الذي تقع به شهرته فجمعت الجماعات لذلك، واحتيج فيه إلى الخطبة تذكيرًا بالنعمة وحثًا

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٨٧/١.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٠٨٤، وحسنه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٨٨٨).

على استدامتها، ولما كان مدار التعظيم إنما هو على الصلاة جعلت الصلاة لهذا اليوم وسط النهار، ليتم الاجتماع ولم تجز هذه الصلاة إلا في مسجد واحد ليكون أدعى للاجتماع"[١].

وقال الشيخ أبو بكر جابر الجزائري: "إن يوم الجمعة هو اليوم الفاضل الذي فازت به أمة الإسلام وحَرِمَه اليهودُ لعنادهم وحُرِمَه النصارى لجهلهم وضلالهم إذ هو أفضل الأيام، فيه خلق الله آدم، وأدخله الجنة وأخرجه منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها مؤمن يصلي ويسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه، وطلب الله من المؤمنين أن يبادروا بالسعي لأداء صلاة الجمعة، وهذا السعي والمشي يسبقه أمور منها: الغسل، ولبس الثياب الجديدة أو النظيفة الخاصة بها، ومنها مس الطيب ومنها السواك، وحضور ذكر الله فيه العون الكبير، والوقاية العظمى من الخيبة والخسران، وفلاح المؤمن لا يقصر على الدنيا بل هو في الدنيا والآخرة، وفلاح الآخرة معناه الفوز بالجنة بعد النجاة من النار"[٢].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب والإشارة:

إن الأساليب الدعوية تتنوع تبعًا لاختلاف المدعوين وأحوالهم، والداعية الناجح هو الذي يستخدم من الأساليب ما يتناسب مع حالة المدعوين وفي الحديث الأول جاءت الإشارة إلى أسلوبي الترغيب والإشارة.

١ - **الترغيب:** حيث جاء في الحديث: (يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة التي تؤثر في المدعوين وتشجعهم على الإقبال على الطاعة، قال الشيخ علي محفوظ: "ومن الطرق التي ينبغي أن يسلكها الداعي في إرشاد الناس الترغيب وهو يعني حمل الناس على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة، وهو إما ترغيب في جنس الطاعات وإما ترغيب في أنواع الطاعات"[٣].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢٢/٢٨/١١.

(٢) انظر: نداءات الرحمن لأهل الإيمان ص ٢٣١ - ٢٣٣.

(٣) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ ص ١٩٢.

٢ - الإشارة: حيث جاء في الحديث: (وأشار بيده يقللها)، والإشارة من أساليب الدعوة التي تقرب المعنى لدى المدعوين، وتوضح لهم الصورة، ومن ناحية أخرى تلفت انتباه المدعوين إلى ما يقوله الداعية.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث الثاني سؤال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لأبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (أسمعت أباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ساعة الجمعة؟ - جوابه - قال: قلت: نعم)، وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تفتح حوارًا بين الداعية والمدعو وتحقق الارتباط بينهما، وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

قال الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني: "إن مجالس السؤال والجواب لها قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين، فمن طبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم عادة على من يحترمونه ويقدرونه ويثقون بعلمه وأمانته العلمية وبقدرته على فهم أسئلتهم فهمًا دقيقًا، وإذا تلقوا منه الجواب تلقفوه تلقفًا لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه، ومن عادة السائل أن يكون متلهفًا لمعرفة الحل الأمثل لسؤاله"[2].

ومن هنا وجب على الداعية استخدام هذا الأسلوب مع المدعوين باعتبار أن ذلك أسلوب هام من أساليب الدعوة إلى الله.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على تحري ساعة الإجابة:

إن الله عز وجل خص بعض الأوقات بفضائل ليست لغيرها، ورحمته عز وجل واسعة، لكنه سبحانه جعل في بعض الأوقات إجابة الدعاء فيها أرجى، ومن ذلك ساعة الإجابة يوم الجمعة، ومن حكمته سبحانه أن موعدها غير معروف حتى يتحراها المسلم

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) فقه الدعوة إلى الله تعالى ٢/٥٨.

في كل وقت، ويشغل وقته كله بالعبادة والطاعة، ومما يدل على ذلك من قوله ﷺ في الحديث الأول عند ذكر يوم الجمعة: "فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي.. إلخ الحديث"، وقوله ﷺ في الحديث الثاني: "هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة"، ولا شك أن من خصائص يوم الجمعة وجود ساعة الإجابة فيه.

قال النووي: "قال القاضي: اختلف السلف في وقت هذه الساعة ومعنى (قائم يصلي)، فقال بعضهم: هي من بعد صلاة العصر إلى الغروب، قالوا: ومعنى يصلي يدعو ومعنى: قائم ملازم ومواظب، وقيل: هي من حين خروج الإمام إلى فراغ الصلاة، وقيل: من حين تقام الصلاة حتى يفرغ والصلاة عندهم على ظاهرها، وقيل: آخر ساعة من يوم الجمعة، قال القاضي: وليس معنى هذه الأقوال أن هذا كله وقت لها، بل معناه أنها تكون في أثناء ذلك الوقت لقوله وأشار بيده يُقَلِّلها"[1].

قال ابن القيم: "واختلف الناس في ساعة الإجابة يوم الجمعة وأرجح هذه الأقوال: قولان تضمنتهما الأحاديث الثابتة. الأول: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، والثاني: أنها بعد العصر وهذا أرجح القولين وهو قول أبي هريرة وعبدالله بن سلام والإمام أحمد وهذا هو قول أكثر السلف وعليه أكثر الأحاديث ويليه القول: بأنها ساعة الصلاة وبقية الأقوال لا دليل عليها. وعندي أن ساعة الصلاة ساعة ترجى فيها الإجابة أيضًا فكلاهما ساعة إجابة، وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر، فهي ساعة معينة من اليوم لا تتقدم ولا تتأخر، وأما ساعة الصلاة فتابعة للصلاة تقدمت أو تأخرت لأن لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم إلى الله تأثيرًا في الإجابة، فساعة اجتماعهم ساعة ترجى فيها الإجابة وعلى هذا تتفق الأحاديث كلها"[2].

وقال السيوطي: "وقد اختلف أهل العلم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم في هذه الساعة على أكثر من ثلاثين قولاً، وقد قيل: إنها أخفيت في جميع اليوم كما أخفيت

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦٠.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٨٨ - ٣٩٤، بتصرف.

ليلة القدر في العشر، والحكمة في إخفائها بعث العباد على الاجتهاد في الطلب واستيعاب الوقت بالعبادة"[١].

وقال القرطبي: "وقوله: (إن في الجمعة ساعة)، اختلف في تعيينها: فذهبت طائفة من السلف إلى أنها من بعد العصر إلى الغروب، وقالوا: إن معنى قوله ﷺ: (وهو قائم يصلي) أنه بمعنى ملازم ومواظب على الدعاء. وذهب آخرون إلى أنها فيما بين خروج الإمام إلى أن تقضى الصلاة. وذهب آخرون إلى أنها وقت الصلاة نفسها وقيل: من وقت الزوال إلى نحو الذراع، وقيل: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وقيل: هي مخفية في اليوم كله كليلة القدر، قلت: وحديث أبي موسى نص في موضع الخلاف فلا يلتفت إلى غيره وفيه: (هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة)، والله أعلم. وقوله: (وهي ساعة خفيفة) أي قصيرة غير طويلة كما قال في الرواية الأخرى: (يُزهِّدها) أي: يقللها وهذا يدل على أنها ليست من بعد العصر إلى غروب الشمس لطول هذا الوقت"[٢].

وقال أبو حامد الغزالي: "واختلف في الساعة الشريفة من يوم الجمعة فقيل: إنها عند طلوع الشمس، وقيل: عند الزوال، وقيل: مع الأذان، وقيل: إذا صعد الإمام المنبر وأخذ في الخطبة، وقيل: إذا قام الناس إلى الصلاة، وقيل: آخر وقت العصر أعني وقت الاختيار، وقيل: قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت، وتأمر خادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب الشمس، وتخبر بأن تلك الساعة هي المنتظرة، وتؤثره عن أبيها ﷺ. وقال بعض العلماء: هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها، وقيل: إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الأشبه، فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرضًا لها، بإحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع إلى وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات. وكان كعب الأحبار مائلاً إلى

---

(١) نور اللمعة في خصائص الجمعة، الإمام السيوطي، ط/١ دار ابن القيم، الدمام: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٧٨ -٧٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٤٩٣ - ٤٩٤.

أنها رحمة من الله سبحانه للقائمين بحق هذا اليوم، وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة فهذا وقت شريف مع وقت صعود الإمام المنبر فليكثر الدعاء فيهما"[1].

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٤٣/١ - ١٤٤.

الحديث رقم (١١٥٩)

١١٥٩ - وعن أَبي بُرْدَةَ بن أَبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أَسَمِعْتَ أبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فِي شَأنِ سَاعَةِ الجُمُعَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((هِيَ مَا بَيْنَ أنْ يَجْلِسَ الإمَامُ إِلَى أنْ تُقْضَى الصَّلاةُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يقرر ساعة الإجابة في يوم الجمعة، ويزيد عن سابقه أنه يتضمن تحديدا لهذه الساعة من بين ساعات اليوم، وقد جاء المعنى في أسلوب الحوار بين أَبي بُرْدَةَ بن أَبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه، وبين عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إثر سؤال عبد الله رضي الله عنه لأبي بردة (أَسَمِعْتَ أبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فِي شَأنِ سَاعَةِ الجُمُعَةِ؟) وهو استفهام تقرير للتحقيق، والتثبيت، على اعتبار أنه سمع، ولم يتأكد فأراد أن يستوثق منه، وقد يكون على حقيقته أي أنه لا يعلم أي ساعة هي، ولم يسمعه من أبي موسى فأجابه ابنه بالإثبات نقلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسماع المؤكد لصدق الخبر (هِيَ مَا بَيْنَ أنْ يَجْلِسَ الإمَامُ إِلَى أنْ تُقْضَى الصَّلاةُ) أي في فترة الخطبة، والصلاة طالت، أو قصرت؛ لأنه ربطها بجلوس الإمام، وحدد بدايتها به، وحدد نهايتها بالفراغ من الصلاة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٨٥٣/١٦). وأخرجه أبو داود (١٠٤٩) وقال: يعني: على المنبر. قال المنذري في ترغيبه (٥٥٤/١): وإلى هذا القول ذهب طوائفٌ من أهل العلم. أورده المنذري في ترغيبه (١٠٣٧).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٦٠)

١١٦٠ - وعن أوس بن أوسٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ مِنْ أفْضَلِ أيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَأكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ؛ فَإنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أَوْس بن أَوْس الثقفي: له صُحبة برسول الله ﷺ، نزل الشام وسكن دمشق، ومات بها، وداره ومسجده بها في درب القِلي.

وقد روى عن النبي ﷺ في فضلِ يوم الجمعة والاغتسال فيه.

وقيل إن أوْس بن أوْس الثقفي وأوْس بن أبي أوْس واحد. والصواب كما ذكر صاحب الإصابة أنهما اثنان، فأوس بن أبي أوس هو والد حذيفة[2].

غريب الألفاظ:

صلاتكم: الصلاة على النبي قول: اللهم صلِّ على محمد[3].

الشرح الأدبي

من المعلوم أَنَّ لَفْظَةَ "أَفْعَلُ" تَقْتَضِي وُجُودَ الاشْتِرَاكِ فِي الأَصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ الأمر الذي يدل أولا على أن أيام المؤمنين كلها فاضلة لأنها أيام عامرة بطاعة

---

(١) برقم (١٥٣١). وصحّحه ابن خزيمة (١٧٣٣)، وابن حبان (الإحسان ٩١٠). وقال الحاكم (٢٧٨/١): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٠٣٠). وسيكرره المؤلف برقم (١٤٠٩).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٥٧)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣١٢/١-٣١٣)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٩٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢٩٧/١)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٩٣/١).

(٣) معجم لغة الفقهاء ٢٤٦.

الله تعالى، ثانيا تدل على أفضلية يوم الجمعة على هذه الأيام، وقد رتب الرسول ﷺ على هذه الأفضلية الأمر بالإكثار من الصلاة عليه لما هو معلوم من فضل الصلاة على رسول الله ﷺ فالعمل الفاضل في اليوم الفاضل نوع من تقدير الزمان بقدره ثم علل لهذا الأمر، ورغب فيه بقوله (فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيّ) أي على جهة القبول، والجناس بين (الصلاة)،وبين (صلاتكم) يقرر المعنى المراد من العبد، والذي يحقق له تضاعف الأجر، والتعبير بالاسم (معروضة) دون الفعل (تعرض) الدال على التجدد للإشارة إلى الدوام، والثبات المفهوم من الاسمية أي: أنها دائمة العرض عليه، وتختص في الجمعة بمزيد القبول، وصلاة المؤمن على الرسول ﷺ تتضمن ذكر الله، وذكر رسوله ﷺ، والعرفان بفضل الله بالإنعام عليهم بالنبي ﷺ، وعرفان بفضل هذا الرسول ﷺ، وكثرة الصلاة عليه تعود على المؤمن مع أجر الآخرة العظيم بذكر الله للعبد، وصلاته عليه مع ذكره عند الرسول ﷺ بعرض صلاته عليه، ثم إنها للعبد معافاة في بدنه، وسمعه، وبصره، وبصيرته، وذهاب لهمه، وغمه، وحزنه، وسعة في رزقه فعلى كل مؤمن أن يحرص على أن يكون له ورد من الصلاة عليه كل يوم يكون وسيلة تعارف بينه، وبين الرسول ﷺ.

فقه الحديث

قال النووي: (يستحب الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ في يومها وليلتها، ودليل ذلك ظاهر لوهو حديث الباب وقد ساقه أبو إسحاق الشيرازي في المهذب)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التأكيد على فضل يوم الجمعة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) المجموع شرح المهذب ٢٩٤/٤-٢٩٥ .

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

جاء في الحديث: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة)، حيث أكد على فضل يوم الجمعة، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تساعد على إقناع المدعو من خلال التوكيد على ما يقوله الداعية وهذا يدل أيضًا من جانب آخر على مدى تمكن وثقة الداعية فيما يقوله ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب التوكيد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾(١)، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾(٢)، وقوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾(٣).

قال د. فاضل صالح السامرائي: "من المعلوم أنه يؤتى بالألفاظ المؤكدة بحسب الحاجة إليها فقد يكون الكلام لا يحتاج إلى توكيد، وقد يحتاج إلى مؤكد واحد أو أكثر بحسب ما يقتضيه المقام، وقد راعى القرآن الكريم ذلك أدق المراعاة في جميع ما ورد من مواطن التوكيد فهو في غاية الدقة في اختيار الألفاظ المؤكدة في وضعها في الموضع المناسب بحسب طريقة فنية متقنة. إن التوكيد القرآني كله وحدة متكاملة منظور إليه نظرة شاملة، وقد روعيت في ذلك جميع مواطنه فهو يؤكد في موطن ما مراعيًا موطنًا آخر قَرُب أو بَعُد، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به لانعدام موجبه، وترى أنه هنا أكد بمؤكدين وأكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به بمؤكد واحد لسبب دعا إلى استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له"(٤).

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التأكيد على فضل يوم الجمعة:

يتضح هذا من الحديث: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة)، وهذا مزيد بيان

---

(١) سورة القمر، الآية: ٥٤.

(٢) سورة النبأ، الآية: ١٧.

(٣) سورة الانفطار، الآية: ١٣.

(٤) التعبير القرآني ص ١٢٥.

للتأكيد على فضل يوم الجمعة فهو من أفضل الأيام، هذا وقد دلت الأحاديث الكثيرة على فضل هذا اليوم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَكَتَبُوا مَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ طَوَتِ الْمَلَائِكَةُ الصُّحُفَ))(١).

وفي فضل الخُطَا إلى صلاة الجمعة جاء في الحديث عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَغَسَّلَ وَغَدَا وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ وَأَنْصَتَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ صيامها وقيامها))(٢).

ويكفي في فضل يوم الجمعة أن الله عز وجل هدى الأمة الإسلامية إليه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((نَحْنُ الآخِرُونَ وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. بَيْدَ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أُوتِيَتِ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا. وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ. ثُمَّ هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْنَا. هَدَانَا اللهُ لَهُ. فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ. الْيَهُودُ غَدًا. وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ))(٣).

قال القاضي عياض: "وقوله: (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة) قيل: الآخرون في الزمن السابقون بالفضل، وأول من يقضى بينهم يوم القيامة، ويدخل الجنة قبل سائر الأمم فمفهوم الحديث أنه أخبر عن تأخرهم في الزمان والوجود وإعطاء الكتاب، وسبقهم بيوم الجمعة على الأيام بعدها التي هي تبع له، وفضلنا بها لقبول أمره وطاعته.

والظاهر أنه فرض عليهم يوم الجمعة يعظمونه بغير تعيين ووكل إلى اختيارهم تعينه ليقيموا فيه شريعتهم، فاختلف اجتهادهم ولم يهدهم الله ليوم الجمعة، وذكره لهذه الأمة وبينه لهم ولم يكله إلى اجتهادهم ففازوا بفضيلته"(٤).

وجاء في فتح الملهم: "وقوله: (فهدانا الله له) أي لهذا اليوم بقبوله والقيام بحقوقه، وفيه إشارة إلى سبقنا المعنوي كما أن في قوله: (بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا)

---

(١) أخرجه النسائي ١٣٨٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٣١٢).

(٢) أخرجه النسائي ١٣٨١، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٣١١).

(٣) أخرجه البخاري ٢٣٨، ومسلم ٨٥٥.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٩/٣ - ٢٥٠.

إشعارًا إلى سبقهم الحسي وإيماء إلى قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦ﴾[1]، وهذا كله ببركة وجوده ﷺ، وقال الشيخ ولي الله الدهلوي: والحاصل أن أحق الأوقات بأداء الطاعات هو الوقت الذي يتقرب فيه الله إلى عباده، ويستجاب فيه أدعيتهم، لأنه أدنى أن تقبل طاعتهم، وتؤثر في صميم النفس وتنفع نفع عدد كثير من الطاعات، وإن لله وقتًا دائرًا بدوران الأسبوع يتقرب فيه إلى عباده، وهو الذي يتجلى فيه لعباده في جنة الكثيب، وإن قرب مظنة لهذا الوقت هي يوم الجمعة، فإنه وقع فيه أمور عظام، وقد حدث النبي ﷺ بهذه النعمة كما أمره ربه. وبالجملة فتلك فضيلة خصّ الله بها هذه الأمة"[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة:

حيث جاء في الحديث: (فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ)، ولا ريب أن الصلاة على النبي ﷺ مطلوبة في كل وقت، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[3].

قال ابن القيم: "إن الله سبحانه أمر بالصلاة عليه عقيب إخباره بأنه وملائكته يصلون عليه، والمعنى أنه إذا كان الله وملائكته يصلون على رسول الله ﷺ فصلوا أنتم - أيضًا - عليه، فأنتم أحق أن تصلوا عليه وتسلموا تسليمًا لما نالكم ببركة رسالته ويمن سفارته من خير الدنيا والآخرة، فالصلاة المأمور بها فيها: هي الطلب من الله تعالى ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته وهي ثناء عليه وإظهار لفضله، وشرفه، وإرادة تكريمه، وتقريبه، فهي تتضمن الخبر والطلب، وسمي هذا السؤال والدعاء منا نحن صلاة عليه، لوجهين:

أحدهما: أنه يتضمن ثناء المصلى عليه الإشارة بذكر شرفه وفضله والإرادة والمحبة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، الشيخ: شبير أحمد العثماني ٣٠٣/٥ - ٣٠٤.

(٣) الأحزاب، الآية: ٥٦.

لذلك من الله تعالى فقد تضمنت الخبر والطلب.

الوجه الثاني: أن ذلك سمي منا صلاة، لسؤالنا من الله أن يصلي عليه، فصلاة الله عليه ثناؤه، وإرادته لرفع ذكره وتقريبه وصلاتنا نحن عليه: سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به"(١).

وقال القاسمي: "تدل الآية على وجوب الصلاة على النبي ﷺ مطلقًا لأن الأصل في الأمر للوجوب فذهب قوم إلى وجوبها في المجلس مرة ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس، وآخرون إلى وجوبها في العمر مرة واحدة، ثم هي مستحبة في كل حال، وآخرون إلى وجوبها كلما ذكر، وبعضهم إلى أن محل الآية على الندب وعلى كل فتستحب الصلاة على النبي ﷺ ومن آكد ذلك دعاء القنوت ومنه يوم الجمعة وليلتها فيستحب الإكثار منها فيهما، ومنه في خطبة يوم الجمعة يجب على الخطيب في الخطبتين الإتيان بها، وهو مذهب الشافعي وأحمد. ومنه عند زيارة قبره ﷺ. وقد استحب أهل الكتابة أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي ﷺ كلما كتبه"(٢).

وتتأكد الصلاة عليه يوم الجمعة لمزيد فضل هذا اليوم، قال العظيم آبادي: "والصلاة على النبي ﷺ من أفضل العبادات وهي فيها أفضل من غيرها لاختصاصها بتضاعف الحسنات إلى سبعين على سائر الأوقات، ولكون إشغال الوقت الأفضل بالعمل الأفضل هو الأكمل والأجمل ولكونه سيد الأيام فيصرف في خدمة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، وقوله: (فإن صلاتكم معروضة عليّ)، يعني على وجه القبول فيه وإلا فهي دائمًا تعرض عليه بواسطة الملائكة إلا عند روضته فيسمعها بحضرته، وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل الصلاة يوم الجمعة وليلتها وفضيلة الإكثار منها على سيد الأبرار ﷺ"(٣).

وقال ابن القيم: "ورسول الله ﷺ سيد الأنام، يوم الجمعة سيد الأيام، فللصلاة

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٢) انظر: محاسن التأويل ٣٠١/١٣ - ٣٠٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٥٠٠.

عليه ﷺ في هذا اليوم مزية ليست لغيره مع حكمة أخرى وهي أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة، فإنما نالته على يده فجمع الله لأمته به بين خيري الدنيا والآخرة، فأعظم كرامة تحصل لهم، فإنما تحصل يوم الجمعة فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو يوم عيد لهم في الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم، ولا يرد سائلهم وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده، فمن شكره وحمده وأداء القليل من حقه ﷺ أن تكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته"[1].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (فإن صلاتكم معروضة عليّ)، وهذا ترغيب للمسلمين في الإكثار من الصلاة عليه ﷺ، فكل مسلم يرغب في عرض صلاته على النبي ﷺ، ومما لا شك فيه أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تدفع بالمدعو إلى فعل الخير وترك الشر أملاً في ثواب الله ووعده، وطمعًا في جنة الله ورحمته، "والترغيب هو تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة وحثهم على قبول الحق فمن النفوس من ترغب في الخير، وتهفو إلى الهدى، وتشتاق إلى النور، وذكر الخير يرغبها، ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها"[2].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾[4].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٧٦/١.

(٢) الدعوة إلى الله "الرسالة - الوسيلة - الهدف"، د. توفيق الواعي ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٣) سورة مريم، آية: ٦٣.

(٤) سورة النبأ، الآيتان: ٣١ - ٣٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على اغتنام الأوقات الفاضلة:

إن التربية على اغتنام الأوقات الفاضلة من أهم ما يُعنى به القائمون على أمور التربية، لأن هذه التربية تولد في النفوس الحرص على تحصيل الأجر العظيم المترتب على حسن الإفادة من تلك الأوقات العظيمة وهذا ما يجعل المسلم في حالة يقظة واستمرار على طاعة الله، فما أكثر هذه الأوقات على مستوى الليالي والأيام والشهور مما يُعد من أبرز الدوافع لنيل رضوان الله تعالى، وهذا ما يستنبط من عدد من أحاديث باب فضل يوم الجمعة ومما يبين هذا الفضل ما يلي:

أ- وصف يوم الجمعة بأنه خير يوم طلعت عليه الشمس: "خير يوم طلعت عليه الشمس...".

ب- الإخبار عن صلاة الجمعة بأنها من مكفرات الذنوب: "... والجمعة إلى الجمعة.. مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر".

ج- ذكر الثواب على التبكير إلى صلاة الجمعة، وأنه كلما كان أسبق كان الثواب أعظم: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة...".

د- ذكر أن فيها ساعة يستجيب الله فيها لمن سأله سبحانه: "فيها ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه".

كما أن النبي ﷺ حضّ على أفعال تفعل في هذا اليوم الفاضل منها:

أ- الغسل أو على الأقل الوضوء: "من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل".

ب- الادهان ووضع الطيب: "ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته".

ج- عدم التفرقة بين اثنين من المصلين: "ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين".

د- الإنصات والاستماع للخطبة: "ثم ينصت إذا تكلم الإمام".

هذا فيما يتعلق بصلاة الجمعة، أما فيما يفعل في يوم الجمعة في أي وقت فيه فهو:

هـ- الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ: "فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه".

نخلص من ذلك كله إلى أن هذه الأحاديث فيها حضّ وحث على اغتنام هذه الأوقات الفاضلة.

وإذا كان هذا يصدق على هذه الأوقات فإنه يصدق على غيرها من الأوقات الفاضلة، فينبغي أن يربي الناشئة وغيرهم على اغتنامها وشغلها بالعمل الصالح المفيد النافع الجالب للخير في الدنيا والآخرة، وذلك لأن الوقت هو عمر الإنسان وهو حياته، فالمرء أيام، كلما مضى يوم مضى بعضه، كما قال الحسن البصري، والمسلمون اليوم يعانون من إهمال الوقت وتضييعه ويديرون أوقاتهم بطريقة سيئة، وللصالحين وطلبة العلم نصيب من ذلك.

إننا قد لا نبالغ إذا قلنا: إن الرجل الجاد في تعامله مع وقته ينتج أضعاف ما ينتج أقرانه، ومن ثمّ فالتربية التي تعنى بغرس احترام الوقت وحسن اغتنامه ستخرج جيلاً يؤدي أضعاف ما يؤديه غيره، ومما يعين على ذلك:

أ - معرفة أحوال السلف في حرصهم على أوقاتهم واغتنامهم لها، ففيها عبر عظيمة، فهي تعلي الهمة وتزيد العزيمة، وتجعل المرء يحتقر نفسه وجهده.

ب - الاستفادة من الأساليب الحديثة في إدارة الوقت والتعامل معه.

ج - التعويد على استغلال أوقات الانتظار، وعدم بقائه في المنزل ينتظر صاحبه وهو فارغ غير مستفيد من وقته.

د - التعويد على القراءة، لتصبح سجية وطبيعة له، فمن لا يقرأ يصعب عليه أن يستفيد من وقته.

هـ - الانضباط قدر الإمكان في المواعيد والأوقات وتعويد الشباب على احترام أوقات غيره.

و - ترك أوقات فراغ للشاب، وعدم إشغاله طيلة الوقت، وتوجيهه إلى أنشطة يمكن أن يستثمر فيها وقته، فمن لم يكن لديه وقت فراغ يتعامل فيه بمفرده فلن يعتد على اغتنام وقته"[1].

---

(١) تربية الشباب الأهداف والوسائل، ص ١٦٤-١٦٥.

ثانيًا- التربية الجمالية:

هذا مستمد من مجموعة من أحاديث الباب التي تحضّ على الاغتسال يوم الجمعة، وإلا فالوضوء، والادهان والتطيب، ولاشك أن ذلك يضفي جمالاً على صاحبه، فبالاغتسال يزول ما به من رائحة كريهة، وبالتطيب يشم منه رائحة طيبة ترتاح لها الأنفس، وهذا وإن كان جمالاً حسيًا، فإنه يجمع إليه جمالاً معنويًا، بأنه لا يفرق بين اثنين، حتى تظلّ نفوس المصلين ناحيته طيبة لا تحمل إلا شعورًا جميلاً له. إذًا يمكن الاستئناس بهذه الأحاديث على التربية الجمالية، التي هي نوع من أنواع التربية، "والتربية الإسلامية تولي عنايتها بتربية الجانب الجمالي من شخصية المسلم، مهتمة في ذلك بحثه على النظافة واحترام النظام والعمل به، وبتوجيهه للإحساس بالجمال وبالنظام الكوني والتمتع به، ويمكن تلخيص هذه العناية في النقاط التالية:

أ - الاهتمام بالنظافة، فيهتم ديننا الحنيف بالنظافة والطهارة اهتمامًا بالغًا إلى الحد الذي يجعلها جزءًا من الإيمان، ومطلبًا تقوم عليه العبادة.

وديننا الإسلامي حريص على صحة وسلامة المسلم فلا يقصر النظافة على نظافة البدن فحسب، بل يتعدى ذلك أيضًا إلى نظافة كل ما من شأنه أن يجلب نفعًا أو يدفع ضررًا، تمشيًا مع القاعدة العامة: لا ضرر ولا ضرار، فنظافة الظاهر ونظافة الباطن، ونظافة المأكل والمشرب، ونظافة الملبس والبدن. ونظافة المكان والبيئة والمجتمع ونظافة الجو واليابسة والماء، ونظافة كل شيء كَبُر أو صَغُر. كل ذلك أمر يطالبنا به ديننا الإسلامي ويحثنا عليه، لما لذلك من انعكاسات إيجابية، صحية وجمالية، على المستوى الفردي والجماعي والإنساني.

ب- احترام النظام والعمل به:

فالإسلام يخدم النظام ويأمر باتباعه، كما يأبى الفوضى ويعاقب عليها، فالصلاة تتم وفق نظام معين، والصلوات الجماعية منها تقوم على انتظام الجماعة في صفوف وانضباطهم خلف الإمام، وللزكاة نظامها وحساباتها الدقيقة وللصيام نظامه وضابطه في الإمساك والإفطار، وكذلك للحج نظامه وقواعده، كل ذلك وغيره

ليربي المسلم على النظام والانضباط، والبعد عن الفوضى والعشوائية... وهكذا فالمسلم مأمور بأن يحترم النظام ويعمل به، في منزله ومع أسرته، وفي عمله ومع زملائه وفي بيئته ومجتمعه، وفي المجتمع الإنساني بأكمله.

ج - توجيه المسلم للإحساس بالجمال وبالنظام الكوني للتبصير والتمتع بهما، فالجمال سمة بارزة من سمات هذا الكون، فالخالق سبحانه وتعالى صنع الكون وأحسن صنعه، وأمرنا سبحانه أن ننظر ونتبصر ونتدبر خلقه، في السموات والأرض وفي عالم البحار وعالم النبات وعالم الحيوان وفي عالم الطيور وعالم الحشرات، وذلك لإدخال السرور والبهجة إلى النفس بجانب تقوية العقيدة في قدرة الخالق المبدع، وليعتبر الإنسان ويتعود النظام والإتقان في العمل والدقة في الصنعة، كما أن المسلم مأمور بأن يكون مهندمًا وجميلاً في مظهره وملبسه بعيدًا عن التبرج والكبر والخيلاء"[1].

ثالثًا- من وسائل التربية: الخطب والمواعظ:

هذا مستمد من بعض أحاديث الباب: "فاستمع وأنصت" "ثم ينصت إذا تكلم الإمام" "أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره" "فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذِّكر".

فهذه الأحاديث نص في الاستماع والإنصات إلى الخطبة التي يلقيها الخطيب والإمام، وما ذلك إلا لأن الخطبة مقصودة من الشرع، لأن فيها تذكيرًا بالله والحض على تقواه والأمر بالمأمورات والنهي عن المنهيات، فكان في الخطبة -بالإضافة إلى الزاد الدعوي التي تحمله- زاد تربوي مهم جدًا، يحسن الاستفادة منه قدر الاستطاعة والجهد، والخطبة من أنواع الوعظ، بل أهم أنواعه[2]، وذلك لأن (الوعظ هو النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل)[3] وللوعظ

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ٥٤-٥٦ بتصرف.

(٢) قال ابن حجر: والمراد به ما في الخطبة من المواعظ وغيرها. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٦٤/١ .

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ص ٤٠٣، ط١، ١٣٤٦هـ، نقلاً عن أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي، ص ٢٢٦.

نتائج تربوية مهمة، إذ أنه يعتمد على أمور أهمها:

أ- إيقاظ عواطف ربانية كانت قد ربيت في نفس الناشئين بطريق الحوار أو العمل والعبادة والممارسة أو غير ذلك كعاطفة الخضوع لله والخوف من عذابه أو الرغبة في جنته. وكذلك يربي الوعظ هذه العواطف وينميها وقد ينشئها من جديد.

ب- الاعتماد على التفكير الرباني السليم الذي الموعوظ قد ربي عليه وهو التصور السليم للحياة الدنيا والآخرة، ودور الإنسان أو وظيفته في هذا الكون ونعم الله وأنه خلق الكون والموت والحياة.

ج- الاعتماد على الجماعة المؤمنة فالمجتمع الصالح يوجد جوًّا يكون فيه الوعظ أشد تأثيرًا وأبلغ في النفوس، لذلك جاءت معظم المواعظ القرآنية والنبوية بصيغة الجماعة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[1] وكالحديث: ((وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ مَوْعِظَةً ، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا...))[2].

د- ومن أهم آثار أسلوب الموعظة تزكية النفس وتطهيرها وهو من الأهداف الكبرى للتربية الإسلامية، وبتحقيقه يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات وعن الفحشاء فلا يبقى أحد على أحد ويأتمر الجميع بأمر الله، بالمعروف والعدل والصلاح والبر والإحسان، وقد جمعت هذه المعاني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3])[4].

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٢) أخرجه أحمد ٤/١٢٦، وأبو داود ٤٦٠٧، والترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجه ٤٢، ٢٣ من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وقال محققو المسند: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص ٢٢٩.

رابعًا- من أساليب التربية: التشبيه:

هذا مستمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ..."، قال ابن حجر: (في هذا الحديث من الفوائد الحضّ على الاغتسال يوم الجمعة وفضله وفضل التبكير إليها، وأن الفضل المذكور إنما يحصل لمن جمعهما ... وأن التقرب بالإبل أفضل من التقرب بالبقر وهو بالاتفاق في الهدي)[1].

أي أن الحديث النبوي الشريف قائم على استخدام أسلوب التشبيه، ليبين فضل التبكير إلى الجمعة، والملاحظ على هذا التشبيه ما يلي:

أ - أنه منتزع من بيئة المخاطبين، فكلُّهم يعرفه حق المعرفة، وكلهم يفهم المراد منه لذا كان المعنى واضحًا جدًا غاية في الوضوح.

ب - التشبيه فيه ملمح لطيف فهو قائم على البذل والإعطاء وهذا شيء محبب إلى نفس المخاطبين، فكل واحد منهم يحب أن يكون من الباذلين الفضل المعطين له، وهذا ما يوضحه حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب مثل الجمعة ثم التبكير كناحرِ البدنة كناحرِ البقرة كناحرِ الشاة حتى ذكر الدجاجة[2].

ج- التشبيه قائم على الترتيب من الأعلى إلى الأدنى، وذلك للطيفة وهي الحض والترغيب على فعل الأعلى والأفضل، فالنفس تحبّ أن تنال النصيب الأوفى.

والخلاصة أن الحديث قائم على التشبيه، والتشبيه - كما يذكر علماء التربية - يؤثر تأثيرًا عميقًا في العواطف ويلعب دورًا في سلوك الإنسان في الحياة اليومية فيما لو استعمل بحكمة وفي الظروف المناسبة[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٦٦٤ .

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٠٩٣.

(٣) انظر: فلسفة التربية في الحديث الشريف، ص ٣٤٤.

٢١١- باب استحباب سجود الشكر

عِنْدَ حصول نعمة ظاهرة أو اندفاع بلية ظاهرة

الحديث رقم (١١٦١)

١١٦١ - عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ مِنْ مَكَّةَ نُريدُ المَدِينَةَ، فَلَمَّا كُنَّا قَرِيبًا مِنْ عَزْوَرَاءَ نَزَلَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَدَعَا الله سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا، فَمَكَثَ طَوِيلاً، ثُمَّ قَامَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا - فَعَلَهُ ثَلاثًا - وقال: ((إنِّي سَأَلتُ رَبِّي، وَشَفَعْتُ لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا[١]، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأسِي، فَسَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأسِي، فَسَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي الثُّلُثَ الآخَرَ، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي)) رواه أبو داود[٢].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

غريب الألفاظ:

عَزْوَرَاء: الطريق من المدينة إلى مكة[٣].

شفعت: من الشفاعة وهي السؤال عن التجاوز عن الذنوب والجرائم[٤].

خَرَرْتُ: سقطتُ وهَويتُ[٥]، وذلك تصوير لشدة خضوعه ﷺ لله عز وجل.

الشرح الأدبي

قوله: (نَزَلَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَدَعَا الله سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِداً، فَمَكَثَ طَوِيلاً، ثُمَّ قَامَ

---

(١) عند أبي داود: (شكرًا لربي).

(٢) برقم (٢٧٧٥). فيه يحيى بن الحسن بن عثمان، مجهول الحال. وشيخه أشعث بن إسحاق: مقبول.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ز و ر)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١٨٤.

(٤) المرجع السابق في (ش ف ع).

(٥) الوسيط في (خ ر ر).

فَرَفَعَ يَدَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِداً - فَعَلَهُ ثَلاثاً) حال الرسول ﷺ في النزول ثم التهيؤ للدعاء برفع اليدين مع طول الزمن المذكور ثم التعبير بالخرور الذي يشير إلى سرعة في قوة في النزول أمر ملفت للنظر محير للعقل الذي يرغب في معرفة سر الدعاء، وسر هذه الحالة في هذا الموقف، وقوله (فعله ثلاثا) يصعِّد الشعور بالرهبة حال رؤية الرسول ﷺ على هذه الحالة، وقول الرسول ﷺ (إنِّي سَأَلتُ رَبِّي، وَشَفَعْتُ لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي) وعبارة الرسول ﷺ مؤكدة بعدة مؤكدات لتعظيم الخبر، وإضافة الرب لياء المتكلم تشريف، وتقريب للرسول ﷺ، وإضافة الأمة لضمير الرسول ﷺ تشريف للأمة، والتعبير بالشفاعة يوحي بالخلاص من مكروه، والتعبير بالعطية يوحي بخير ينتظر، وذكر الثلث تأكيد للعطية، وقوله (فَخَرَرْتُ سَاجِداً لِرَبِّي شُكْراً) يدل على فرط التهالك في الشكر كما دلت العبارة سابقا على فرط التهالك في الدعاء ليس لنفسه، بل لأمته ﷺ وقوله (ثُمَّ رَفَعْتُ رَأسِي) كناية عن الاستعداد للدعاء إذ السماء قبلة الدعاء ثم كرر ما فعل ﷺ حتى أعطاه الثلث الثاني، والثالث، وهو ما يدل على عظيم فضل الله تعالى من ناحية، ومن ناحية أخرى يدل على شدة محبة الرسول ﷺ لأمته، وتهالكه على ما يحقق الرحمة، والفلاح له، وتكرار الدعاء، والإلحاح في استغراق الأمة بالمغفرة، والرحمة دليل بيِّن على ذلك.

فقه الحديث

١ - رفع اليدين في الدعاء خارج الصلاة:

يرى الحنفية والمالكية في قول، والشافعية والحنابلة أن من آداب الدعاء خارج الصلاة رفع اليدين بحذا صدره... ويرى المالكية في قول أن الداعي لا يرفع يديه عند الدعاء خارج الصلاة[1].

---

(١) الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٣١٨/٥، ومغني المحتاج ١٦٧/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٦٧/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٣٠/٢، والمنتقى ٢٨٩/١، والمدونة ٦٨/١ (عن الموسوعة الفقهية ٢٦٦/٤٥-٢٦٧).

٢ - سجود الشكر:

قال النووي: (في مذاهب العلماء في سجود الشكر: مذهبنا أنه سنة عند تجدد نعمة أو اندفاع نقمة. وبه قال أكثر العلماء وحكاه ابن المنذر عن أبي بكر الصديق وعلي وكعب بن مالك ﷺ وعن إسحاق وأبي ثور، وهو مذهب الليث وأحمد وداود. قال ابن المنذر: وبه أقول. قال أبو حنيفة: يكره وحكاه ابن المنذر عن النخعي وعن مالك روايتان أشهرها: الكراهة ولم يذكر ابن المنذر غيرها. والثانية أنه ليس سنة[1]).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على الخروج مع النبي ﷺ ومرافقته.

ثانيًا: من صفات الداعية: محبة المدعوين والشفقة عليهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على الشفاعة لأمته وسؤاله المتكرر لربه سبحانه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: سجود الشكر لله على نعمه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على الخروج مع النبي ﷺ ومرافقته:

إن الصحابة ﷺ كانوا يحرصون على مجالسة النبي ﷺ ومرافقته وملازمته ليتعلموا منه، ويهتدوا بهديه، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: (خرجنا مع رسول الله ﷺ من مكة نريد المدينة)، ولا شك أن هذا يدل على مدى حرص الصحابة ﷺ على ملازمة النبي ﷺ والخروج معه ذلك لأنهم يعلمون أنه القدوة والأسوة في كل شيء، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

---

(١) المجموع ٣/٣٩٠، وانظر: المغني ٢/٣٧١-٣٧٢، وانظر كذلك: الموسوعة الفقهية ٢٤/٢٤٦-٢٤٨ ومراجعها ومصادرها.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل - صلوات الله وسلامه عليه - إلى يوم الدين، ولهذا قال تعالى للذين تقلقلوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)، أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله"[١].

ومما يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كُنَّا قُعُودا حَوْلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ. مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فِي نَفَرٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا. فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا. وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا. وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللّهِ. حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّار. فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابا. فَلَمْ أَجِدْ.فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ (وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ) فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ: ((أَبُو هُرَيْرَةَ؟)) فَقُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللّهِ. قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا. فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا. فَفَزِعْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَأَتَيْتَ هذَا الْحَائِطَ. فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. وَهؤُلاءِ النَّاسُ وَرَائِي فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» (وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ) قَالَ: ((اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاء هذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ. مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ)) فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ. فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلاَنِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟! فَقُلْتُ: هَاتَيْنِ نَعْلاَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. بَعَثَنِي بِهِمَا. مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ. فَخَرَرْتُ لاِسْتِي. فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً. وَرَكِبَنِي عُمَرُ فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((مَالَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟)) قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ. فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً. خَرَرْتُ لاِسْتِي. قَالَ:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٩١/٦.

ارْجِعْ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((يَا عُمَرُ! مَا حَمَلك على ما فَعَلْتَ؟)) قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَلاَ تَفْعَلْ. فَإِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا. فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ. قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((فَخَلِّهِمْ))[1].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ، عِشَاءً. وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَىٰ أُحُدٍ. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرّ» قَالَ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: ((مَا أُحِبُّ أَنَّ أُحُدًا ذَاكَ عِنْدِي ذَهَبٌ. أَمْسَىٰ ثَالِثَةً عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ. إِلاَّ دِينَارًا أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ. إِلاَّ أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللّهِ. هٰكَذَا حَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهٰكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَهٰكَذَا عَنْ شِمَالِهِ)) قَالَ: ثُمَّ مَشَيْنَا فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرّ» قَالَ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: ((إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. إِلاَّ مَنْ قَالَ هٰكَذَا وَهٰكَذَا وَهٰكَذَا)) مِثْلَ مَا صَنَعَ فِي الْمَرَّةِ الأُولَىٰ. قَالَ: ثُمَّ مَشَيْنَا. قَالَ: ((يَا أَبَا ذَرّ كَمَا أَنْتَ حَتَّىٰ آتِيَكَ)) قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ تَوَارَى عَنِّي. قَالَ: سَمِعْتُ لَغَطًا وَسَمِعْتُ صَوْتًا. قَالَ فَقُلْتُ: لَعَلَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ عُرِضَ لَهُ. قَالَ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَتَّبِعَهُ. قَالَ: ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَهُ: «لاَ تَبْرَحْ حَتَّىٰ آتِيَكَ» قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ. فَلَمَّا جَاءَ ذَكَرْتُ لَهُ الَّذِي سَمِعْتُ. قَالَ فَقَالَ: ((ذَاكَ جِبْرِيلُ. أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لاَ يُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ)). قَالَ قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: ((وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ))[2].

ثانيًا - من صفات الداعية: محبة المدعوين والشفقة عليهم:

إن الداعي لا بدّ أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة على الناس وإرادة الخير والنصح لهم، ومن محبته لهم وشفقته عليهم دعوتهم إلى الإسلام، لأن في هذه الدعوة نجاتهم من النار وفوزهم برضوان الله تعالى، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، وأعظم ما يحبه لنفسه الإيمان والهدى والنجاة من النار، إن الوالد من شفقته على أولاده يحرص

(١) أخرجه مسلم ٣١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٣٨٨، ومسلم ٩٤.

على إبعادهم عن الهلكة ويتعب نفسه في سبيل ذلك[1]، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الداعي إلى الله، وله في ذلك الأسوة والقدوة في إمام الدعاة محمد ﷺ الأنموذج المضيء، والقدوة المثلى في محبته لأمته وشفقته عليهم.

وتتجلى هذه المحبة والشفقة في هذا الحديث في دعائه، ﷺ وسجوده، وطلبه الشفاعة لأمته وتكرار الطلب من الله ثلاثًا، حتى أعطاه الشفاعة بجميع أمته، وهذا ما ذكره راوي الحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حيث قال: "خرجنا مع رسول الله ﷺ من مكة نريد المدينة، فلما كنا قريبًا من عَزْوراء نزل ثم رفع يديه فدعا الله ساعة، ثم خرّ ساجدًا، فمكث طويلاً، ثم قام فرفع يديه ساعة، ثم خرّ ساجدًا - فعله ثلاثًا - وقال: إني سألت ربي وشفعت لأمتي، فأعطاني ثُلُث أمتي.. إلخ الحديث" ويتراءى لنا في هذا الحديث: حب النبي ﷺ لأمته ورفقه بهم وحرصه عليهم[2]، وقد قال الله فيه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

قال السعدي: (يمتن الله تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم "عزيز عليه ما عنتم" أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم.

"حريص عليكم" فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه "بالمؤمنين رؤوف رحيم" أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم من والديهم)[4].

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٥٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٩٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣٥٦ - ٣٥٧.

ومن محبته وشفقته لأمته ﷺ دلالته لأمته على ما يبعدهم عن النار، وقد مُثل ذلك بمثل بليغ، قال ﷺ: ((إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ. فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ))(١).

وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام رحماءَ بمن أرسلوا إليهم، مشفقين عليهم من العذاب، قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(٢).

فقوله عليه السلام: "إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم" لا يصدر إلا عن قلب رحيم وشفقة ظاهرة عليهم، وكذلك قوله عليه السلام وقد رموه بالضلالة: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٣).

فجواب نوح عليه السلام مشحون بالرحمة والشفقة عليهم واللطف في مخاطبتهم، ولم يغضبه كلامهم لأنهم قوم يجهلون، ولأن الداعي لا يغضب لنفسه قط، وهكذا كان خلق رسولنا محمد ﷺ، فما كان يغضب لنفسه، وإنما يغضب إذا انتهكت حرمات الله، ثم في جواب نوح عليه السلام أنه ينصح لهم، أي: يخلص في القول النافع المفيد لهم، وبالرغم من قولهم الباطل فيه ويبين لهم أنه رسول من رب العالمين ليعلموا أن ما يخبرهم به هو الحق الصريح الواجب قبوله، وفي قبوله رحمة بهم ودليل على ما كان في قلبه من عظيم الرحمة بقومه(٤).

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٣٦، ومسلم ٢٢٨٤ واللفظ له.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٩.

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ٦١ – ٦٣.

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٥٧.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على الشفاعة لأمته وسؤاله المتكرر لربه سبحانه:

حيث تكرر في الحديث ثلاثًا (ثم رفع يديه فدعا الله ساعة ثم خرّ ساجدًا فمكث طويلاً ثم قام فرفع يديه ساعة ثم خرّ ساجدًا فعله ثلاثا، وقال: (إني سألت ربي وشفعت لأمتي) وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على الشفاعة لأمته.

قال شرف الحق العظيم آبادي: "وقوله: فأعطاني الثلث الآخر، قال التوربشتي: أي فأعطانيهم فلا يجب عليهم الخلود وتنالهم شفاعتي فلا يكونون كالأمم السالفة فإن من عذب منهم وجب عليهم الخلود، وكثير منهم لعنوا لعصيانهم أنبيائهم فلم تنلهم الشفاعة والعصاة من هذه الأمة من عوقب منهم نقي وهذب، ومن مات منهم على الشهادتين يخرج من النار وإن عذب بها وتناله الشفاعة وإن اجترح الكبائر ويتجاوز عنهم ما وسوست به صدورهم ما لم يعملوا أو يتكلموا إلى غير ذلك من الخصائص التي خصّ الله تعالى بها هذه الأمة كرامة لنبيه ﷺ"[1].

قال الإمام السفاريني: "والشفاعات المختصة به ﷺ عِدَّة أولها: وهي أعظمها وأعمها شفاعته ﷺ لفصل القضاء بين الورى بعد التردد إلى الأنبياء عليهم السلام وتدافعها بين أخيار الملأ إلى أن تصل لصاحب الحوض المورود وهي المقام المحمود، وقد عمّ العالم زيادة القلق وتصاعد العرق وقاسوا من ذلك ما يذيب الأكباد وينسي الأولاد، وهذه مجمع عليها لم ينكرها أحد. ثانيها: يشفع عند ربه في إدخال قوم من أمته الجنة بغير حساب فإن هذه خاصة به ﷺ كما قال القاضي عياض والإمام النووي. ثالثها: شفاعته ﷺ في قوم استوجبوا النار بأعمالهم فيشفع فيهم فلا يدخلونها. ورابعها: في رفع درجات أناس في الجنة. خامسها: الشفاعة في إخراج عموم أمته من النار حتى لا يبقى منهم أحد. ذكره السبكي. وبالشفاعة في جماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات"[2].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١٨٤.

(٢) لوامع الأنوار البهية ٢/٢١١ - ٢١٢.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: سجود الشكر لله على نعمه:

إن نعم الله لا تعد ولا تحصى، ولذا كان من واجب المسلم أن يقابل النعمة بالشكر، ومن صور التعبير عن شكر الله السجود له سبحانه، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: (فخررت ساجدًا لربي شكرًا)، وهذا يدل على سجود الشكر عند حدوث النعمة، قال ابن القيم: "وكان من هديه ﷺ وهدي أصحابه رضي الله عنهم سجود الشكر عند تجدد نعمة تسر، أو اندفاع نقمة، وقد سجد ﷺ عندما كتب إليه علي بن أبي طالب بإسلام همدان، وسجد كعب بن مالك لما جاءته البشرى بتوبة الله عليه، وسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين وجد ذا الثُّديَّة في قتلى الخوارج وسجد أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين جاءه قتل مسيلمة الكذاب"[١].

قال الشوكاني بعد أن سرد جملة أحاديث في سجود الشكر: "وهذه الأحاديث تدل على مشروعية سجود الشكر وإلى ذلك ذهبت العترة وأحمد والشافعي، ومما يؤيد ثبوت سجدة الشكر قوله ﷺ في حديث سجدة سورة "ص" (هي لنا شكر ولداود توبة)[٢]، وليس في أحاديث الباب ما يدل على اشتراط الوضوء والطهارة للثياب والمكان وليس في أحاديث الباب أيضًا ما يدل على التكبير في سجود الشكر"[٣].

والمسلم مطالب بشكر الله عز وجل على نعمه وآلائه، وأفضاله وخيراته، قال الفيروزآبادي: "الشكر أعلى منازل السائرين، وفوق منزلة الرضا فإنه يتضمن الرضا وزيادة، والرضا مندرج في الشكر إذ يستحيل وجود الشكر بدونه، وهو نصف الإيمان ومبناه على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره. فمتى فقد منها واحدة اختلت قاعدة من قواعد الشكر"[٤].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٦٠ - ٣٦١.

(٢) أخرجه النسائي ٩٥٦ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ سجد في "ص" وقال: ((سجدها داود توبة، ونسجدها شكرًا))، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٩٧١).

(٣) نيل الأوطار ١٢٩/٣/٢.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣٣٤/٣.

وقال الراغب الأصفهاني: "والشكر على ثلاثة أضرب: شكر القلب وهو تصور النعمة، وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم، وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه، وقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾[١]، معناه: اعملوا ما تعملونه شكرًا لله وقيل: شكرًا مفعول لقوله (اعملوا) وذكر اعملوا ولم يقل اشكروا لينبه على التزام الأنواع الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان وسائر الجوارح وقوله سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[٢]، ففيه تنبيه: أن تَوْفية شكر الله صعب ولذلك لم يُثْن بالشكر من أوليائه إلا على اثنين قال في إبراهيم عليه السلام: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾[٣]، وقال في نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[٤]، وإذا وصف الله بالشكر في نحو قوله: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[٥]، إنما يعنى به إنعامه على عباده"[٦].

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.
(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٢١.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣.
(٥) سورة التغابن، الآية: ١٧.
(٦) المفردات ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية بالدعاء:

وهذا واضح من الحديث: "نزل ثم رفع يديه، فدعا الله ساعة ثم خرّ ساجدًا فمكث طويلاً، ثم قام فرفع يديه ساعة ثم خرّ ساجدًا، فعله ثلاثًا" إن النبي ﷺ فعل أمام أصحابه رضي الله عنهم ما فعل من الدعاء ثم النزول ساجدًا وذلك ثلاث مرات، كل ذلك أمام أصحابه رضي الله عنهم وهم يشاهدونه بقلوب ملأها روعة هذا الموقف وهذا المشهد الجليل: رسول الله يدعو ثم يسجد، ثم يدعو ثم يسجد، ثم يدعو ثم يسجد، لذا فإنهم رضوان الله عليهم ملأهم السكينة والخضوع والتذلل، وانتقل إليهم ما كان عليه النبي ﷺ من الإقبال على رب العالمين، وإظهار العبودية له سبحانه والافتقار إليه، لذا لم يسألوه عما فعل مع أن الموقف كان يستدعي أن يسألوه عن ذلك، لأن جلال الموقف أخذهم وشغلهم وجعلهم يتقلبون في رحاب التوجه إلى الله والخضوع له، فكانت التربية فيه واضحة جدًا، إن النبي ﷺ بفعله هذا ربّى أصحابه رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم إلى يوم الدين على أن يتوجهوا بالدعاء إلى رب العالمين ويطلبوا منه العون والمدد ويظهروا افتقارهم وذلهم بين يديه عز وجل، وفي ذلك تمام الغنى والعز لهم، لأنه سبحانه العزيز فأولياؤه أعزاء، وهو الغني فأحباؤه أغنياء وهو القوي فأحباؤه أقوياء[1].

وكثيرة هي المواقف التربوية التي كانت تقوم على الدعاء، ولكن نكتفي بذكر واحد منها حتى نعطي فكرة بسيطة عن الدعاء وأثره التربوي المهم، فهذا النبي ﷺ في يوم بدر، يوم الفرقان، والمشركون ثلاثة أمثال المسلمين مع كثرة عتادهم وقلة عتاد المسلمين إن لم يكن عدمه، فيلجأ النبي ﷺ إلى الدعاء ويناشد ربه النصر، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ! أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! آتِ مَا

---

(١) وانظر: منهج القرآن في التربية، محمد شديد ٢٢٥.

وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ. ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1] فَأَمَدَّهُ اللّهُ بِالْمَلاَئِكَةِ))[2].

قال النووي: (قال العلماء: هذه المناشدة إنما فعلها النبي ﷺ ليراه أصحابه بتلك الحال فتقوى قلوبهم بدعائه وتضرعه مع أن الدعاء عبادة، وقد كان وعده الله تعالى إحدى الطائفتين، إما العير وإما الجيش، وكانت العير قد ذهبت وفاتت، فكان على ثقة من حصول الأخرى، ولكن سأل تعجيل ذلك وتنجيزه من غير أذى يلحق المسلمين)[3].

نخلص من هذا كلّه، إلى أن الدعاء وسيلة تربوية ذات فائدة عالية في التأثير على النفوس، لذا يجدر استخدامها من قبل المربين وخاصة أن هناك مواقف كثيرة جدًا تقتضي الدعاء، مع ملاحظة أن ذلك يكون وفق ضوابط الشرع وأسسه.

ثانيًا - التربية على الشكر:

لقد استجاب الله لرسوله ﷺ فسجد ﷺ شكرًا له سبحانه، لأنه سبحانه أنعم عليه بأن قبل دعاءه ورجاءه، وكلما استجاب له سجد، حتى وقع ذلك ثلاث مرات، وقد رأى منه ذلك صحابته الكرام رضي الله عنهم، الذين نقلوه بدورهم لمن جاء بعدهم، فكان هذا فيه تربية على القيام بواجب الشكر، والملاحظ أن النبي ﷺ عبّر عن شكره لله تعالى بالسجود، وهذا منتهى القيام بالشكر، لأن الإنسان أكرم ما فيه وجهه، فإذا سجد على الأرض أعلن خضوعه وتذلله لله رب العالمين بالإضافة

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٦٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١١٣٤ .

إلى شكره سبحانه وتعالى عما أفضل من النعم - ونعمه كثيرة لا تحصى - وما أعطى من المنن، وما منع من البلايا والمصائب والنقم، قال البغوي: (سجود الشكر سنة عند حدوث نعمة طالما كان ينتظرها أو اندفاع بلية ينتظر انكشافها، أو رؤية مبتلىً بعلة أو معصية، ويخفى سجوده عن المعلول حتى لا يحمله ذلك على الكفران، ويظهر للعاصي لعله يتوب)[1].

إذن سجود الشكر لا يقتصر على حصول النعم فقط، بل يكون أيضًا عند اندفاع النقم، وفي فعل سجود الشكر عدة فوائد تربوية منها:

أ - تعويد الناشئة دائمًا ودومًا على شكر المنعم سبحانه الذي أنعم بالنعم وتفضل بها، من غير حول منّا ولا قوّة، وفي ذلك إقرار واعتراف بأنه صاحب المنة والفضل بذلك، إن شاء أعطى وإن شاء منع، وهذا يخرج من الناشئة وغيرهم الكبر والبطر والتعالي على الناس، بخلاف ما إذا نسي الإنسان أن ما يرفل فيه من نعمٍ كان تفضلاً منه سبحانه لم يكن له فيه سبب ولا حيلة.

ب - تكثير الفضائل ومكارم الأخلاق وطيب الشمائل، لأن مقتضى الشكر القيام بواجبه من استعمال النعم في طاعة الله والإذعان له، لا مخالفته ومحاربته بها وبالمعاصي. فمن أعطاه الله مالاً وظفه في الخير والطيبات وقام بحق الفقراء والمساكين فأعطاهم ما يُعين على سد حاجتهم وخلتهم، وفي هذا تكافل اجتماعي مطلوب، ويكون نحو هذا في المجالات الأخرى.

ج - تعويد الناشئة على شكر من أسدى نعمة إليهم من الناس، ومحاولة مكافأته قَدْر الجهد والطاقة والاستطاعة، وبذلك يزداد فعل المعروف والطيّب من الأفعال والأقوال، لأنه كلما ازداد الشكر ازدادت صنائع المعروف.

وغير ذلك من الفوائد التربوية للشكر ولسجود الشكر، مما يجعل القائمين على التوجيه والتربية يركزون على بيان أهمية الشكر بالنسبة للفرد والمجتمع لأن الشكر

---

(١) شرح السنة ٣/٣١٦.

سبب في الزيادة والنماء قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[١] ولما كان الشكر، والذي من مظاهره سجود الشكر، يغفل عنه الكثيرون كان لزامًا على أهل التربية أن يهتموا بهذا الأمر الاهتمام المتناسب مع أثره في حياة الأفراد والأسر والمجتمعات.

ثالثًا- التربية على الاستكثار من الخير:

إن المتأمل في هذا الحديث يجد أن النبي ﷺ لحبه لأمته ولشفقته عليهم، دعا ثم سجد ولم يكتف بذلك بل دعا ثم سجد، ولم يقف عند هذا الحد بل طمع فيما عند المولى عز وجل فدعا فلما استجيب له سجد، كل ذلك والنبي ﷺ راغب في الازدياد فيما عند الله، مولاه، مستكثر منه، فلم يكتف بمرة ولا مرتين، بل ظلّ على حاله هذه حتى أناله الله -بفضله وكرمه- ما يتمنى ويرغب، وذلك والنبي يسأل الخير لأمته لا لنفسه، فصلّى الله عليه وسلم.

ومن هذا المنطلق يمكن أن يستأنس بهذا الحديث بأنه على المربي أن يستكثر من الخير ويعلّم أتباعه ذلك ويغرسه فيهم، وليكن شعارهم في حياتهم قول موسى عليه السلام وهو يستكثر من الخير: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[٢] قال الطاهر ابن عاشور: (جاء بجملة جامعة للشكر والثناء والدعاء، والفقير: المحتاج، فقوله "إني لما أنزلت إلي من خير" شكرٌ على نِعَم سلفت، وثناء على الله بأنه معطي الخير، والخير ما فيه نفع وملاءمة لمن يتعلق هو به، فمنه خير الدنيا، ومنه خير الآخرة، الذي قد يرى في صورة مشقة فإن العبرة بالعواقب، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[٣] وقد أراد النوعين كما يرمز إلى ذلك التعبير عن إتيانه الخير بفعل "أنزلت" المشعر برفعة المعطى: فأول

(١) سورة إبراهيم، جزء من الآية ٧.

(٢) سورة القصص، آية: ٢٤.

(٣) سورة التوبة، آية: ٥٥.

ذلك إيتاء الحكمة والعلم ومن الخير إنجاؤه من القتل وتربيته الكاملة في بذخة الملك وعزته، وحفظه من أن تتسرب إليه عقائد العائلة التي ربي فيها، فكان منتفعًا بمنافعها مجنبًا رذائلها وأضرارها، ومن الخير أن جعل نصر قومه على يده، وأن أنجاه من القتل الثاني ظلمًا، وأن هداه إلى منجى من الأرض، ويسر له التعريف ببيت نبوءة، وأن آواه إلى ظلّ... فقوله "فقير" أي فقير لذلك النوع من الخير، أي لأمثاله. وأحسن خير للغريب وجود مأوى له يطعم فيه ويبيت، وزوجة يأنس إليها ويسكن، فكان استجابة الله له بأن ألهم شعيبًا أن يرسل وراءه لينزله عنده ويزوجه ابنته كما أشعرت بذلك فاء التعقيب في قوله ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾[1] عرفت أن الفاء تؤذن بأن الله استجاب له فقيض شعيبًا أن يرسل وراء موسى ليضيفه ويزوجه بنته، فلذلك يضمن له أنسًا في دار غربة، ومأوى وعشيرًا صالحًا، وتؤذن الفاء أيضًا بأن شعيبًا لم يتريث في الإرسال وراءه فأرسل إحدى البنتين اللتين سقى لهما فجاءته ولم يزل عن مكانه في الظل)[2].

أي أن موسى عليه السلام ألح على الله في الاستكثار من الخير فأعطاه الله المزيد منه سبحانه، وعلى ذلك ينبغي أن يربى الناشئة حتى يمن الله عليهم بمزيد عطائه وفضله هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنهم يعوَّدون على أن يكثروا من فعل الخير ولا يقفون عن حدٍ يمكن أن يتجاوزوه ويفعلوا أفضل منه.

رابعًا- من مهام المربي: بيان أفعاله وتفسيرها:

هذا مستمد من تفسير النبي ﷺ لدعائه ثم سجوده ثلاث مرات، ففسّر ذلك بقوله: "إني سألت ربي وشفعت لأمتي، فأعطاني ثُلث أمتي فخررت ساجدًا لربي شكرًا ثم رفعت رأسي، فسألت ربي لأمتي، فأعطاني ثلث أمتي فخررت ساجدًا لربي شكرًا ثم رفعت رأسي، فسألت ربي لأمتي، فأعطاني الثلث الآخر فخررت ساجدًا" وإنما وضح النبي ﷺ فعله هذا، ليبينه لأصحابه رضي الله عنهم هذا من ناحية، ومن ناحية

---

(١) سورة القصص، آية: ٢٥.

(٢) التحرير والتنوير ٨/٢١/١٠٢-١٠٣.

أخرى يقتدي به أتباعه في ذلك، وعلى ذلك فإن المربي عليه أن يفسر ويوضح أفعاله لمن يقوم بتربيتهم إذا اقتضى الأمر ذلك، فيحقق عدة فوائد تربوية منها:

أ - جعل العلاقة بينه وبين أتباعه أكثر حميمية وقربًا وتوددًا، مما يجعلهم أكثر تقبلاً لما يربيهم عليه وأشد إقبالاً على ذلك.

ب - العمل على تثبيت المبادئ التي يربى عليها أتباعه، لأن الفعل إذا وقع وجاء مشفوعًا بالتفسير إن اقتضى المقام ذلك ازداد رسوخًا في الذهن وثباتًا في الأفئدة.

ج - حماية أتباعه من التفسيرات الخاطئة التي قد يفسرون بها بعض أفعاله، وفي ذلك حماية لهم ولأفكارهم من الدخول في مداخل غير حميدة ولا طيبة، وهذا ما يبين قول النبي ﷺ لاثنين من الصحابة عندما رأياه مع امرأة هي أم المؤمنين صفية رضي الله عنها، فقال لهما: ((عَلَىٰ رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيَ))[1]. قال النووي: (الحديث فيه فوائد منها بيان كمال شفقته على أمته ومراعاته لمصالحهم وصيانة قلوبهم وجوارحهم ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[2] فخاف ﷺ أن يُلْقِيَ الشيطانُ في قلوبهما فيهلكا، فإن ظَنّ السوْء بالأنبياء كفر بالإجماع والكبائر غير جائزة عليهم... وفيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان وطلب السلامة والاعتذار بالأعذار الصحيحة، وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق وقد يخفى، أن يبين حاله ليدفع ظن السوء)[3].

❁ ❁ ❁

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري ٣٥، ومسلم ٢١٧٥ من حديث صفية بنت حيي رضي الله عنها.

(٢) سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٤٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٣٦١ .

٢١٢- باب فضل قيام الليل

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[الإسراء: ٧٩]، وقال تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[السجدة: ١٦] الآية، وقال تَعَالَى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[الذاريات: ١٧].

الحديث رقم (١١٦٢)

١١٦٢- وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ يَقومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصنَعُ هَذَا، يَا رَسُولَ الله، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: ((أفَلاَ أكُونُ عَبْدًا شَكُورًا!)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بن شُعبة نَحْوهُ متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٨).

غريب الألفاظ:

تتفطر: تَتَشقَّق[٣].

الشرح الأدبي

رأى الرسول ﷺ الجنة بنعيمها، ورأى النار بجحيمها، ورأى ما رأى عند سدرة المنتهى، وما كشف له من أهوال القبور، والحشر والنشر[٤]، وزوى الله له الأرض؛ فرأى

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٧) واللفظ له، ومسلم (٨١/٢٨٢٠). وتقدم برقم (٩٨)، وأورده المنذري في ترغيبه (٩٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٨٠/٢٨١٩) وتقدم برقم (٩٨). وأورده المنذري في ترغيبه (٩٠٢) لفظه بتمامه.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ط ر).

(٤) قال ﷺ: (إنه عرض على كل شيء تولجونه) أي تدخلونه من جنة ونار وقبر وحشر. قال القاضي عياض: قال العلماء: تحتمل أنه رآهما رؤية عين -كشف الله تعالى عنهما وأزال الحجب بينه وبينهما-....، وتحتمل أن تكون رؤية علم وعرض وحي بإطلاعه وتعريفه من أمرهما ما لم يعرفه قبل ذلك... والتأويل الأول أولى وأشبه بألفاظ الحديث) ينظر شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٧/٦. ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ.

مشارقها ومغاربها[1] واختصه الله بمعارف بصرية، وقلبية، وجمع له بين علم اليقين، وعين اليقين مع الخشية القلبية، واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لغيره [2] وهو أعظم الخلق قلبا، وأكثرهم لله تعالى شكرا بكل شكل من أشكال الشكر، ومنها الصلاة التي جُعلت قرة عينه فيها، فكان كما يحكي الحديث يقوم حتى تتفطر قدماه واستفهام أم المؤمنين عائشة (: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا، يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟) استفهام يحمل إشفاقا، ورحمة لحاله مع تورم قدميه، وتعجبا لكونه مغفورا له، فجاء قوله (أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً!؟) تقريراً بالاستفهام لأم المؤمنين بفضل الله عليه ووجوب القيام بشكره اعترافاً بفضله، وافتخاراً في ذل لله، وعز بين خلقه دون غرور، والفاء فيه للسببية، بيانه أن الشكر سبب للمغفرة، والتهجد، والشكر فلا يتركه، وفيه أن الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان.

فقه الحديث

١-أَخْذُ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة:

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة وإن أضر ذلك ببدنه، لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لا يعلم بذلك فضلاً عمن لم يأمن أنه استحقّ النار، انتهى. ومحلّ ذلك ما إذا لم يفضِ إلى الملال لأن حال النبي ﷺ كانت أكمل الأحوال، فكان لا يملّ من عبادة ربه وإن أضرّ ذلك ببدنه. بل صحّ أنه قال: "وجعلت قرة عيني في الصلاة" كما أخرجه النسائي من حديث أنس[3]. فأمّا غيره ﷺ فإذا خشي الملل لا ينبغي له أن يكره نفسه، وعليه يحمل قوله ﷺ: ((خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يملّ حتى تملّوا))[4])[5].

---

(١) قال رسول الله ﷺ: (إن الله زوى لي الأرض فرايت مشارقها ومغاربها ...) ينظر صحيح مسلم ٤/٣٣١٥، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٥٢٧، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.

(٣) أخرجه النسائي ٧/٦١، ٣٣٩١، ٣٣٩٢ بلفظ :حبب إليّ من الدنيا النساء والطيب، وجعلت قرّة عيني في الصلاة" وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٣٦٨٠، ٣٦٨١).

(٤) أخرجه البخاري ٥٨٦١، ومسلم ٧٨٢، ٢١٥ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/١٥ .

٢- مشروعية الصلاة للشكر: قال ابن حجر: (قيل أخرج البخاري هذا الحديث [حديث المغيرة][1]، لينبه على أن قيام جميع الليل غير مكروه ولا تعارضه الأحاديث الآتية بخلافه، لأنه يجمع بينها بأنه ﷺ لم يكن يداوم على قيام جميع الليل، بل كان يقوم وينام كما أخبر عن نفسه[2]، وأخبرت عنه عائشة رضي الله عنها أيضًا[3])[4].

المضامين الدعوية[5]

(١) برقم ١١٣٠.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤١٠ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري ١١٤١، ومسلم ١١٥٨، ١٨٠، وفيه "وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليًا إلا رأيته، ولا نائمًا إلا رأيته، وهذا لفظ البخاري أما عند مسلم فمختصر وليس فيه هذه اللفظة.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٦/٣ ، وانظر: شرح صحيح مسلم، النووي ٤/٨/٣٣-٣٤ .

(٥) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٩٨).

الحديث رقم (١١٦٣)

١١٦٣- وعن علي ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ لَيْلاً، فَقَالَ: ((أَلاَ تُصَلِّيَانِ؟)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(طَرَقَهُ): أتَاهُ لَيْلاً.

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

طرقه: أتاه ليلاً[2].

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب من الرسول ﷺ لحبيبيه على، وفاطمة -رضي الله عنهما- لقيام الليل، وقوله (طرقه) أي أتاه ليلا قوله (ليلا) أي ليلة من الليالي، وفائدة ذكر ليلة بعد أن عبر بما يدل عليها، وهو الطروق أي: الإتيان بالليل للتأكيد، وقوله (ألا تصليان ؟) استفهام خرج عن حقيقته التي هي طلب الفهم إلى معنى الحث، والتحضيض، والخطاب لعلي، وفاطمة ﷺ لتشجيعهم على قيام الليل، وهكذا يجب أن يكون حال المؤمن لأهله، وجيرانه، وكل من حوله مفتاح خير يدعوهم إلى ما ينفعهم، وينهاهم عن كل ما يضرهم في معاشهم، ومعادهم.

فقه الحديث

قال النووي: (فيه الحث على صلاة الليل وأمر الإنسان صاحبه بها وتعهد الإمام والكبير رعيته بالنظر في مصالح دينهم ودنياهم)[3] وقال ابن حجر: (قال الطبري: لولا

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٧) واللفظ له، ومسلم (٧٧٥/٢٠٦).

(٢) رياض الصالحين ٦٦٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٧/٦/٣ .

ما علم النبي ﷺ من عظم فضل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكنًا، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾[1] الآية)"[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: حث المدعوين على قيام الليل خاصة الأقربين إليه.

ثانيًا: من آداب المدعو: الحرص على صلاة الليل وتحصيل فضلها.

أولاً - من مهام الداعية: حث المدعوين على قيام الليل خاصة الأقربين إليه:

إنّ مما ينبغي على الداعية حثّ المدعوين على فضائل الأعمال، والتي من أعلاها شأنًا وأعظمها أجرًا قيام الليل، فهي أفضل الصلوات بعد الصلوات المفروضة، ودليل ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ. وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلاَةُ اللَّيْلِ))[3]، قال النووي: "وفيه دليل لما اتفق عليه العلماء من أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار"[4]، لذا كان على الداعية دلالة المدعوين على الخير، ومن ذلك حثّهم على قيام الليل خاصة الأهل والأقربين، وليكن له في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة، وكما جاء في الحديث من إيقاظه لابنته وزوجها، فعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة ليلاً، فقال: "ألا تصليان؟"

قال ابن حجر: "قال الطبري: لولا ما علم النبي ﷺ من عظم فضل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكنًا، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدَّعَة والسكون امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ

---

(١) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/١١ .

(٣) أخرجه مسلم ١١٦٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٧٢٢.

بِٱلصَّلَوٰةِ﴾[1]"[2].

وقال القاضي عياض: "وفي الحديث فضل الصلاة بالليل والحض عليها، قال أبو جعفر الطبري: وإيقاظ النبي ﷺ لهما من نومهما في وقت جعله الله سكونًا ودعة لما علم من ثواب الله في ذلك، وفيه أمر قيّم لمن يقوم عليهم بفعل الخيرات ووجوه البر وحضهم على الرغائب وما ليس بواجب"[3].

وقال النووي: "وفي هذا الحديث الحث على صلاة الليل وأمر الإنسان صاحبه بها، وتعهد الإمام والكبير رعيته بالنظر في مصالح دينهم ودنياهم"[4]، فكم كان نبي الهدى ﷺ حريصًا على إيقاظ أهله وأقربائه لصلاة التهجد، فلا ينبغي لمسلم ينصب نفسه للدعوة إلى الله أن ينشغل عن أهله وأولاده والأقربين منه[5]، استجابة لأمر الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[6].

"أي سببها، وذلك بترك المعاصي، وفعل الطاعات، والقيام على تأديب الأهل وأخذهن بما تأخذون به أنفسكم"[7]، وقال السعدي في تفسير الآية: "(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا)، أي: يا من منَّ الله عليهم بالإيمان قوموا بلوازمه وشروطه فـ (قوا أنفسكم وأهليكم نارًا) موصوفة بهذه الأوصاف الفظيعة ووقاية الأنفس، بإلزامها أمر الله امتثالاً، ونهيه اجتنابًا، والتوبة عما يسخط الله ويوجب العذاب، ووقاية الأهل والأولاد بتأديبهم وتعليمهم وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه وفيمن تحت ولايته وتصرفه"[8].

---

(١) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/١٤.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/١٤١.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٢٧.

(٥) انظر: ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ١٤٩.

(٦) سورة التحريم، آية: ٦.

(٧) محاسن التأويل، الإمام القاسمي ٩/١٦/٢٢٧.

(٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٨٠٩.

ثالثًا - من آداب المدعو: الحرص على صلاة الليل وتحصيل فضلها:

من الآداب والفضائل التي ينبغي للمدعو أن يحرص عليها وألا يحرم نفسه من أجرها وثوابها قيام الليل، فذلك من صفات المؤمنين، كما ذكر ذلك القرآن، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]، فقوله: (تتجافى جنوبهم)، جيئ فيه بالمضارع (تتجافى) لإفادة تكرر ذلك وتجدده منهم في أجزاء كثيرة من الأوقات المعدة للاضطجاع، وهي الأوقات التي الشأن فيها النوم، والتجافي: التباعد والمتاركة، والمعنى: أن تجافي جنوبهم عن المضاجع يتكرر في الليلة الواحدة أي: يكثرون السهر بقيام الليل والدعاء لله[2]، وامتدح الله عباد الرحمن بوصفه لهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾[3]، ولقد امتدح الله تعالى من يحيون ليلهم بالصلاة والذكر والاستغفار وميّزهم على غيرهم من الغافلين عن هذا الفضل بالذكر، ومَنْ هم في غفلة، فقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

وقد جعل الله قيام الليل من زاد المسافر إلى ربه في الطريق الشاق الطويل قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[5]، وبيّن أنّ صلاة المؤمنين بالليل أكثر من نومهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾

(١) سورة السجدة، الآيتان: ١٥ - ١٦.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٨/٢١/٢٣٠ - ٢٣١.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٤.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٥) سورة المزمل الآيات: ١ - ٦.

ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾(١).

ومن الأحاديث ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ))(٢).

ولقد كان سلفنا الصالح حريصين كل الحرص على قيام الليل سواء كان ذلك على مستوى الأسر أم على مستوى الأفراد، روي عن سالم ابن عمر رضي الله عنهما: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، إِذَا رَأَى رُؤْيَا، قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقُصُّهَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم. قَالَ: وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا عَزَبًا. وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ. فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ. وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ الْبِئْرِ. وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ. فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ. أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ. أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ. فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ. فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَقَالَ النَّبِيُّ: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ)).

قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ، بَعْدَ ذَلِكَ، لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً(٣).

وعن أبي عثمان قال: تَضَيَّفتُ أبا هريرةَ سَبعًا، فكان هو وامرأتُه وخادمُهُ يَعتقبونَ الليلَ أثلاثًا: يُصلِّي هذا، ثم يُوقِظُ هذا. وسمعتُهُ يقول: ((قسمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينَ أصحابِهِ تمرًا. فأصابَني سبعُ تَمراتٍ إحداهنَّ حَشَفَة))(٤).

بل كان الصحابة رضي الله عنهم لا يفوتهم قيام الليل حتى في الجهاد، روي عن جابر رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم - يَعْني فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ - فَأَصَابَ رَجُلٌ امْرَأَةَ رَجُلٍ

---

(١) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ - ١٨.

(٢) أخرجه البخاري ١١٤٥، ومسلم ٧٥٨.

(٣) أخرجه البخاري ١١٢١، ١١٢٢، ومسلم ٢٤٧٩.

(٤) أخرجه البخاري ٥٤٤١.

مِنَ المُشْرِكِينَ، فَحَلَفَ أنْ لاَ أنْتَهِي حَتَّى أُهْرِيقَ دَمًا فِي أصْحَابِ مُحمَّدٍ، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أثَرَ النَّبي ﷺ فَنَزَلَ النَّبي ﷺ مَنْزِلاً، فقال: ((مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا))[١]، فَانْتُدِبَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ فقال: كُونَا بِفَمِ الشِّعْبِ. قال: فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلاَنِ إلَى فَمِ الشِّعْبِ اضْطَجَعَ المُهَاجِرِيُّ وَقَامَ الأنْصَارِيُّ يُصَلِّي وَأتَى الرَّجُلُ، فَلَمَّا رَأى شَخْصَهُ عَرَفَ أنَّهُ رَبِيئَةٌ لِلْقَوْمِ[٢]، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ حَتَّى رَمَاهُ بِثَلاَثَةِ أسْهُمٍ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ثُمَّ انْتَبَهَ صَاحِبُهُ فَلَمَّا عَرَفَ أنَّهُمْ قَدْ نَذِرُوا بِهِ هَرَبَ: فَلَمَّا رَأى المُهَاجِرِيُّ مَا بِالأنْصَارِيِّ مِنَ الدَّمِ قال: سُبْحَانَ الله ألا أنْبَهْتَنِي أوَّلَ مَا رَمَى؟ قال: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أنْ أقْطَعَهَا[٣].

لهذا كله، أي: لعظيم أجر قيام الليل كان حثّ النبي ﷺ لأحب الناس إليه فاطمة وزوجها علي رضي الله عنهما على قيام الليل، كما في حديث الباب حيث قال علي رضي الله عنه: إن النبي ﷺ طرقه وفاطمة ليلاً فقال: "الا تصليان؟"، ليحصلا على ثواب وأجر قيام الليل، فينبغي على المسلم أن يحرص على قيام الليل، حتى ينال الأجر والثواب العظيم الذي أعده الله للمؤمنين الذين يحيون الليل بالقيام والقرآن.

---

(١) من رجل يكلؤنا: أي من يحفظنا ويحرسنا، يقال كلأه الله كلاءة بالكسر أي حفظه وحرسه، انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١٥.

(٢) ربيئة للقوم: الربيئى والربيئة الطليعة والجمع، الربايا، يقال: ربأن القوم ربأ وارتبأتهم أي رقبتهم، وذلك إذا كنت لهم طليعة فوق شرف، عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١٦.

(٣) أخرجه أبو داود ١٩٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٨٢).

الحديث رقم (١١٦٤)

١١٦٤- وعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، عن أبيه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ)) قَالَ سالِم: فَكَانَ عَبدُ اللهِ بَعْدَ ذَلِكَ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيلِ إِلاَّ قَلِيلاً. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

بداية الرسول ﷺ بأسلوب المدح (نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ) من براعة الاستهلال التي تجذب السمع، وتحقق التشويق، لأن المخاطب يتشوق إلى معرفة سبب المدح لا سيما إن كان المادح رسول الله ﷺ، وتحقيق يقظة المخاطب، وتشويقه لمتابعة الخبر أمر يحرص عليه كل متكلم في خطابه لكي يحقق الغرض منه، وقوله (لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ) أسلوب شرط جوابه محذوف لدلالة السابق عليه أي: لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ فهو نعم الرجل، وترغيب الرسول ﷺ لعبد الله رضي الله عنه بهذا الطريقة من عبقريته ﷺ لأنه مدحه، وأثنى عليه. وما أدراك ما أثر مدح النبي ﷺ؟. ثم علَّق استحقاق هذا المدح على قيامه الليل حتى يتم جانب النقص في الفضيلة بطول القيام، ويمكنك أن تدرك أثر الأسلوب النبوي على حال عبد الله رضي الله عنه مع القيام من تعبير الراوي في قوله: (فَكَانَ عَبدُ اللهِ بَعْدَ ذَلِكَ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيلِ إِلاَّ قَلِيلاً).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ ابن عمر رضي الله عنهما على قيام الليل، وشدة امتثال ابن عمر لإرشاد النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قيام الليل.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٢)، ومسلم (٢٤٧٩/١٤٠) واللفظ له.

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ ابن عمر رضي الله عنهما على قيام الليل، وشدة امتثال ابن عمر رضي الله عنهما لإرشاد النبي ﷺ:

جاء في الحديث حث النبي ﷺ لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما على إحياء الليل وقيامه، فقال ﷺ: (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل)، وسبب ذلك ما جاء في رواية البخاري عن سالم بن عبدالله عن أبيه رضي الله عنه قال: كانَ الرجلُ في حياةِ النبيِّ ﷺ إذا رأى رُؤيا قصَّها على رسولِ الله ﷺ، فتَمنَّيتُ أن أرى رُؤيا فأقُصَّها على رسولِ الله ﷺ، وكنتُ غُلامًا شابًّا، وكنتُ أنامُ في المسجدِ على عهدِ رسولِ الله ﷺ، فرأيتُ في النومِ كأنَّ مَلَكينِ أخذاني فذَهَبا بي إلى النار، فإذا هيَ مَطْوِيَّةٌ كطيِّ البئرِ، وإذا لَها قَرنانِ، وإذا فيها أُناسٌ قد عرفتهم، فجعلتُ أقولُ: أعوذُ باللهِ منَ النار. قال: فلقِينا مَلَكٌ آخَرُ فقالَ لي: لم تُرَعْ فقَصَصتُها على حَفْصةَ، فقصَّتْها حفصة على رسولِ الله ﷺ فقال: ((نعمَ الرجلُ عبدُاللهِ لو كانَ يُصلِّي منَ الليلِ))[1].

قال ابن حجر: "قال القرطبي: إنما فسر الشارع من رؤيا عبدالله ما هو ممدوح لأنه عرض على النار ثم عوفي منها، وقيل له لا روع عليك، وذلك لصلاحه، غير أنه لم يكن يقوم من الليل فحصل لعبدالله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يتقي به النار والدنو منها، وأشار المهلب إلى أن السر في ذلك كون عبدالله كان ينام في المسجد ومن حق المسجد أن يتعبد فيه فنبه على ذلك بالتخويف بالنار"(٢)، واستجاب عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لذلك كما قال سالم: فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً.

فلقد ظلت كلمة الصادق الصدوق ﷺ: (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل) شعارَ عبدالله بن عمر المُحب، فلا يكاد يترك إحياء الليالي إلا وهو قائم بالصلاة ومناجاة العليم الخبير واستغفاره[3].

فلقد كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يضرب به المثل في اقتدائه برسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري ١١٢١، ١١٢٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/١٠.

(٣) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٨٦.

واقتفاء أثره، فكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أسوته كاملة بكل أعمال رسول الله ﷺ وأقواله فقد كان يتّبع آثار الحبيب محمد ﷺ.

والآثار في ذلك كثيرة منها ما روي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((ما أَتَيْتُ على الركن، منذ رأَيت رسول الله ﷺ يمسحه - في شدة ولا رخاء - إلاّ مَسَحْتُهُ))[1].

"وشهد لابن عمر رضي الله عنهما بحسن اقتفائه للآثار المحمدية، شاهد من أهل البيت النبوي، هذا الشاهد من فقهاء الصحابة رضي الله عنهم، ومن علماء الأمة، بل أفقه نساء الأمة على الاطلاق، أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث قالت: ((ما كان أحد يتبع آثار النبي ﷺ في منازله كما كان يتبعه ابن عمر رضي الله عنهما))"[2].

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه: "كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يحفظ ما يسمع من رسول الله ﷺ، وإذا لم يحضر، يسأل من يحضر عما قال رسول الله ﷺ وفعل. وكان يتتبع آثار رسول الله ﷺ في كل مسجد صلى فيه، وكان يعترض براحلته في كل طريق مرّ بها رسول الله ﷺ، فيقال له في ذلك فيقول: أتحرى أن تقع أخفاف راحلتي على بعض أخفاف راحلة رسول الله ﷺ"[3].

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قيام الليل

إن لقيام الليل فضل لا يُدانى، وشرف لا يُضاهى، وقد جاء في الحديث ما يدل على فضله وذلك في قوله ﷺ: (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل)، قال ابن حجر: "ومقتضاه أن من كان يصلي من الليل يوصف بكونه نعم الرجل"[4]، وإن قيام الليل أفضل النوافل، وفيه يكون العبد أقرب ما يكون من ربه، وفي أوقات التهجد تفتح أبواب السماء وتستجاب الدعوات وتستعرض حوائج السائلين[5]، وقد مدح الله

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٤٠، رقم ٤٩٨٦، وقال عنه محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٩/٤٠.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤/١٤٥.

(٣) تاريخ بغداد ٢/١٧٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٩.

(٥) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٨٨.

تعالى المستيقظين بالليل لذكره ودعائه واستغفاره ومناجاته، فقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[2]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[3].

إن قيام الليل والاجتهاد في التقرب إلى الله تعالى من أقوى أسلحة المؤمن، وذلك لأن للطاعات نورًا ينعكس على وجه أصحابها وفيه استرواح وخلوص من مشاغل الحياة وعنائها، ليقف المؤمن بين يدي الله في خشوع وخضوع وركوع وسجود، وصلاة الليل مصدر متجدد للطاقة الروحية والزاد[4].

وقد رغّب القرآن في الصلاة في جوف الليل، وأن المحافظين على الصلاة في الليل مستحقون لخيره ورحمته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[5].

فوصفهم الله تعالى بالإحسان في قوله: (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) ومن أفضل أنواع الإحسان عبادة الخالق، ومنها صلاة الليل الدالة على الإخلاص وتواطؤ القلب واللسان، ولهذا قال: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون) ي كان هجوعهم أي نومهم بالليل قليلاً.

وأما أكثر الليل فإنهم قانتون لربهم، ما بين صلاة وقراءة وذكر ودعاء وتضرع (وبالأسحار) التي هي قبيل الفجر (هم يستغفرون) الله تعالى، فمدوا صلاتهم إلى

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٢) سورة الذاريات، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٤) انظر: صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٢٧، ٢٨.

(٥) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ – ١٨.

السحر ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل يستغفرون الله تعالى استغفار المذنب لذنبه، وللاستغفار بالأسحار فضيلة وخصيصة ليست لغيره، كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان والطاعة: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[(١)(٢)].

والحكمة في الترغيب بصلاة قيام الليل هي أن النفس تصفو في هذا الوقت وترنو إلى اجتلاء الطبيعة في مجتلاها الرحب، وقد لفّها السكون وتراءت النجوم في سمائها متألقة وضاءة مما يطلق النفس من قيودها التي سببها ضجة العمل وزحمة العيش، ويجعلها تهفو إلى خالقها مقدسة له مسبحة بحمده ممجدة لعظمته وما يستتبع ذلك من إصلاح النفس، وتزكيتها وإسباغ الطمأنينة عليها.

وقد روي أن الرسول ﷺ كان يقوم للصلاة في الليل تارة إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، فكان عندما يستيقظ يستاك ويتوضأ ويقرأ هذه الآيات التي فيها الدلائل على وجود الله تعالى وقدرته والتي تفجر الإحساس الروحي في قلب الإنسان[(٣)].

روي عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((بتُّ عند خالتي ميمونة، فتحدَّثَ رسولُ الله ﷺ مع أهله ساعةً ثم رَقَدَ. فلما كان ثُلثُ الليل الآخِرُ قعدَ فنَظَرَ إلى السماء فقال: ﴿إنَّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب﴾[(٤)]، ثم قام فتوضَّأ واستنَّ فصلى إحدَى عشرةَ ركعةً، ثم أَذَّنَ بلالٌ فصلى ركعتَين، ثم خرج فصلى الصبحَ))[(٥)].

وفي رواية عن كريب مولى ابن عباس أن ابن عباس رضي الله عنهما أخبره أنه ((باتَ عند مَيمونَةَ زوج النبيِّ ﷺ ـ وهيَ خالتُهُ ـ قال: فاضطجعتُ فِي عَرضِ الوِسادة واضطَجَعَ

(١) سورة آل عمران، آية: ١٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٥١ ، ٧٥٢.

(٣) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٣٥.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

(٥) أخرجه البخاري ٤٥٦٩.

رسولُ اللّه ﷺ وأهلُهُ في طولِها، فنامَ رسول اللّه ﷺ حتى انتصفَ الليلُ أو قبله بقليل أو بعده بقليل، ثم استيقظَ رسول اللّه ﷺ فجعلَ يَمسحُ النومَ عنْ وَجهه بيدَيه، ثم قرأ العشرَ الآيات الخواتمَ من سورةِ آل عَمرانَ، ثم قام إلى شَنٍّ مُعلَّقةٍ فتوضأ منها فأحسنَ وُضوءَه ثم قامَ يُصلّي. فصنَعتُ مثل ما صنَعَ، ثم ذهبتُ فقمتُ إلى جَنبِهِ، فوضع رسولُ اللّه ﷺ يَدَهُ اليمنى على رأسي، وأخذَ بأُذني اليمنى يَفتِلُها، فصلى رَكعتَين، ثم ركعَتين، ثم ركعتين، ثم ركعَتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوترَ، ثم اضطجَعَ حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعَتين خَفيفَتين، ثم خرجَ فصلى الصُّبح))[١].

ثالثًا – من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث حيث رغّب النبي ﷺ عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في قيام الليل بالنجاة من النار والثناء عليه بقوله: (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل)، وأسلوب الترغيب من أرجى الأساليب الدعوية نفعًا وأشدها في نفوس المدعوين أثرًا، وذلك لما جبلت عليه النفوس البشرية وطبعت عليه من حب الخير وفعله، الأمر الذي يجعل أصحابها يتقبلون كل ما يحقق لهم ذلك، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات، كبيان الأجر والثواب على العمل في الدنيا والآخرة، وكلما كان الداعية مجيدًا لعرض أسلوب الترغيب كلما كان التأثير كبيرًا[٢]، وقد ورد استعمال الترغيب في القرآن كثيرًا وذلك مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣].

إن القرآن الكريم وهو أساس المنهج الإسلامي يحتوي على كثير من الآيات التي تتخذ أسلوب الترغيب والترهيب – وهو أحد ركني الوعظ – منطلقًا لعلاج أمراض الشخصية وإصلاحها، والمتتبع لآيات القرآن يجد ظاهرة الأسلوب الوعظي حقيقة

(١) أخرجه البخاري ٤٥٧٢.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٤١.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٧.

ملموسة فيها، تارة بالتذكير بالتقوى، وأخرى بالحض على النصح، وثالثة باتباع سبيل الرشاد، ورابعة بالإغراء بالترغيب، وخامسة باستعمال أسلوب التهديد. وهذا يدلنا على أن للوعظ في القرآن الكريم أهمية بالغة في تكوين الشخصية الإسلامية وفي إزالة الأمراض التي تعتريها(١).

يقول ابن تيمية عن القرآن الكريم: "... وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب، والقصص التي فيها عبرة، ما يوجب صلاح القلب، فيرغب القلب في ما ينفعه، ويرغب عما يضره، فيبقى القلب محبًا للرشاد مبغضًا للغي، بعد أن كان مريدًا للغي مبغضًا للرشاد"(٢).

فالوعظ والإرشاد والدعوة إلى الفضيلة بالترغيب والترهيب من أفضل الوسائل التي تؤثر على الشخصية الإنسانية. فالترغيب والترهيب يجعلان الإنسان يسلك راضيًا مختارًا السلوك الحسن، وينبذ السلوك السيئ. والمنهج الإسلامي قد تضمن مواعظ كثيرة ليثير نفس الإنسان ويدفعها إلى التخلق بأحسن الصفات. فالموعظة من شأنها أن تطرق قلبه وتشد رغائبه، وترتقي به إلى أعلى منزلة، وتهديه إلى الخير، وتبين له مزاياه إلى جانب أنها تنبه مشاعره وتضعه في موقف الخوف والرهبة، وتذكره بما ينتظره يوم القيامة إذا ما اقترف معصية وأصر عليها(٣).

وهكذا فالترغيب والترهيب في المنهج الإسلامي يعتمد على ضبط انفعالات الإنسان وعواطفه بحيث لا يطغى التخويف على الأمل والرجاء فيقنط من عفو الله تعالى، ولا ينبغي أن يصل به الرجاء إلى الأمن من مكر الله تعالى، بل يكون بينهما توازن. "لقد استخدم الإسلام الترغيب والترهيب كوسيلة تربوية استخدامًا لا يمكن أن يصل إليه منهج من مناهج البشر، لأنه توجيه ينبني على حاجة النفس الفطرية وما ترغبه النفس وترهبه، وهذا أمر خفي على بني الإنسان"(٤).

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان ٢/٦٨٧ – ٦٨٨.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/٩٥.

(٣) انظر: منهج القرآن في تربية المجتمع، د. عبدالفتاح عاشور ص ٢٤٩.

(٤) معالم في التربية، د. عجيل جاسم النشمي ص ٢٠٧.

فالمنهج الإسلامي لم يَدَعْ فضيلة إلا حثّ الشخصية الإسلامية عليها، وأضاء لها طريق الوصول إليه، ولم يَدَعْ رذيلة إلا حذرها إياها ووضع العقبات في طريقها وبين لها العاقبة الأليمة التي تكون جزاء من يقترفها.

ومع ذلك فهناك طائفة من الناس يشيعون أن طريق المنهج الإسلامي في التخويف من الله تعالى ومن الحساب يوم القيامة يتنافى تربية الشخصية الحرة. ويُرَدّ على هؤلاء بأن تجريد التربية من عنصر الخوف مطلقًا إنما هو وهم وخيال وإنكار لواقع الإنسان الذي خلق عليه من الخوف والرجاء، وإذا كان الأمر كذلك فليكن الخوف من الله الخالق العادل، وهو مع هذا خوف مشوب بالرجاء في عفوه[1].

---

(١) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٢٤٩.

الحديث رقم (١١٦٥)

١١٦٥- وعن عبد الله بن عَمرو بن العاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((يَا عَبدَ اللهِ، لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ؛ كَانَ يَقُومُ اللّيلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللّيلِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

والحديث كسابقه من باب الترهيب من نوم الإنسان إلى الصباح، وترك قيام الليل جاء فيه نهي الرسول ﷺ لعبد الله (لا تكن) بمعنى الحث على المداومة على قيام الليل، والاتصاف بصفة المتهجدين لينال منزلتهم، وحث الرسول ﷺ بهذا الأسلوب يوحي للمخاطب بأنه على الصواب الذي لا يجب تركه كحال غيره مما يعطيه شعورا بالارتياح يدفعه إلى مزيد من التمسك بصفة قيام الليل التي أوجبت له ذلك وترك الغفلة، والكسل الذي أوجب لغيره هذه الحال فلا يكون مثله، وقوله (مثل فلان) إبهام مثل هذا لقصد الستر عليه. .ويحتمل أن يكون النبي ﷺ لم يقصد شخصا معينا وإنما أراد تنفير عبد الله بن عمر من الصنيع المذكور)[٢].

فقه الحديث

بوّب البخاري على هذا الحديث: باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه[٣].

ثم قال ابن حجر: (قال ابن العربي: في هذا الحديث دليل على أن قيام الليل ليس بواجب؛ إذ لو كان واجبًا لم يكتف لتاركه بهذا القدر بل كان يذمه أبلغ الذم.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩/١٨٥) ولفظهما سواء، وتقدم برقم (١٥٤)، و (٦٩٢). أورده المنذري في ترغيبه (٩٤٣).

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٤٦/٣.

(٣) الحديث رقم ١١٥٢.

وقال ابن حبان: فيه جواز ذكر الشخص بما فيه من عيب إذا قصد بذلك التحذير من صنيعه.

وفيه استحباب الدوام على ما اعتاده المرء من الخير من غير تفريط.

ويستنبط منه كراهة قطع العبادة وإن لم تكن واجبة، وما أحسن ماعقب المصنف [أي البخاري] هذه الترجمة بالتي قبلها[1]، لأن الحاصل منهما الترغيب في ملازمة العبادة والطريق الموصل إلى ذلك الاقتصاد فيها، لأن التشديد فيها قد يؤدي إلى تركها وهو مذموم)[2].

المضامين الدعوية[3]

(١) وهي: باب ما يكره من التشديد في العبادة، الحديثان ١١٥٠، ١١٥١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٨ .

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١٥٤.

الحديث رقم (١١٦٦)

١١٦٦- وعن ابن مسعود ﷺ، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أصْبَحَ، قَالَ: ((ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيطَانُ فِي أُذُنَيْهِ - أَوْ قَالَ: فِي أُذُنِهِ-)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الحديث من باب التحذير من نوم الليل كله وترك قيامه، أو بعضه استخدم فيه الرسول ﷺ التصوير البياني في التنفير من نوم الليل كله في قوله ﷺ (ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيطَانُ فِي أُذُنَيْهِ) الإشارة في بداية العبارة للذم، وبول الشيطان في أذن الإنسان قِيلَ هُوَ عَلَى حَقِيقَته قَالَ الْقُرْطُبِيّ، وَغَيْره لا مَانِع مِنْ ذَلِكَ إِذْ لا إِحَالَة فِيهِ لأَنَّهُ ثَبَتَ أَنَّ الشَّيْطَان يَأْكُل، وَيَشْرَب، وَيَنْكِح فَلا مَانِع مِنْ أَنْ يَبُول وَقِيلَ: هُوَ كِنَايَة عَنْ سَدّ الشَّيْطَان أُذُن الَّذِي يَنَام عَنْ الصَّلاة حَتَّى لا يَسْمَع الذِّكْر وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّيْطَان مَلأَ سَمْعه بِالأَبَاطِيلِ فَحَجَبَهُ عَنْ الذِّكْر، وَقِيلَ هُوَ كِنَايَة عَنْ ازْدِرَاء الشَّيْطَان لَهُ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّيْطَان اِسْتَوْلَى عَلَيْهِ، وَاسْتَخَفَّ بِهِ حَتَّى اِتَّخَذَهُ كَالْكَنِيفِ الْمُعَدّ لِلْبَوْلِ إِذْ مِنْ عَادَة الْمُسْتَخِفّ بِالشَّيْءِ أَنْ يَبُول عَلَيْهِ قَالَ الطِّيبِيُّ خَصَّ الأُذُن بِالذِّكْرِ، وَإِنْ كَانَتْ الْعَيْن أَنْسَب بِالنَّوْمِ إِشَارَة إِلَى ثِقَل النَّوْم فَإِنَّ الْمَسَامِع هِيَ مَوَارِد الانْتِبَاه، وَخَصَّ الْبَوْل لأَنَّهُ أَسْهَل مَدْخَلاً فِي التَّجَاوِيف وَأَسْرَع نُفُوذًا فِي الْعُرُوق فَيُورِث الْكَسَل فِي جَمِيع الأَعْضَاء[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على عرض أحوالهم على رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٧٠)، ومسلم (٧٧٤/٢٠٥) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٩٤١).

(٢) شرح سنن النسائي حديث (١٥٩٠).

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من ترك قيام الليل والتكاسل.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: تقوية الصلة بالله تعالى.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﵃ على عرض أحوالهم على رسول الله ﷺ:

لقد كانت شيمة الصحابة ﵃ والصفة العامة التي كانت تغلب عليهم أنهم كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن كل ما يعنُّ لهم في شؤون الدين، بل في الكثير من شؤون الدنيا[1]، ومن ذلك ما جاء في الحديث: (ذُكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح، فقال: "ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه)، وقد انتهج الصحابة ﵃ هذا النهج القويم في رجوعهم إلى النبي ﷺ استجابة منهم لما أمروا به من الرد والعرض للأمور والقضايا على رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[2].

إن مما يؤكد صدق الاتباع لرسول الله ﷺ تحكيم سنته والتحاكم إليها وجعلها الميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال والأحكام.

ولقد أمر الله المؤمنين برد قضاياهم وما تنازعوا إليه إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ وأعلمهم أن ذلك خير لهم في الدنيا وأحسن عاقبة في الأخرى، وفي الأمر بالرد إلى كتاب الله وسنة رسوله دلالة صريحة على أنهما كافيان لفصل النزاع وتقديم الحل لكل مشكلة تقع بين المسلمين. وإن إيمان المؤمن ليحمله على الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله حينًا بعد حين لمعرفة حكم الشرع في كل ما يجد له من أمور الحياة.

وفائدة هذا الأمر عظيمة جدًا، إذ يظل المسلم على جادة الاتباع لا يحيد عن الصراط المستقيم طالما أحسن الرجوع إلى الكتاب والسنة، وقد أمر الله بتحكيم نبيه

---

(١) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

-في حياته وسنته بعد مماته- في كافة أنواع النزاع للفصل فيها فقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].

فأقسم سبحانه بذاته على أنه لا يثبت للمؤمنين الإيمان، حتى يحكموا رسول الله ﷺ في موارد النزاع في كافة الأمور، وأن هذا التحكيم غير كافٍ حتى يجتمع إليه الرضى بحكمه والتسليم لأمره، مع انشراح صدورهم وطيب نفوسهم بقضائه وحكمه.

وأصل ذلك أن المسلم متبع لرسول الله ﷺ في كافة أحواله فإذا عرض له أمر أو تنازع مع أخيه المسلم في أي شأن من شؤون الدين أو الدنيا فزع عند ذلك إلى سنة رسول الله ﷺ، حتى يجد فيها جوابًا شافيًا كما كان حال الصحابة معه ﷺ في حياته، يفزعون إليه يسألونه في كافة أمورهم، ويحتكمون إليه في كل شؤونهم، فإذا حكم بشيء قبلوا حكمه وسلّموا به عن طيب نفس ورضى"[2]. وذلك استجابة منهم لما أمرهم به من الرد.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من ترك قيام الليل والتكاسل:

رهبّ النبي ﷺ من ترك قيام الليل وذمّ هذا التكاسل في قوله ﷺ عن الرجل الذي ذكر له بأنه نام ليلة حتى أصبح، فقال رسول الله ﷺ: (ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه، أو قال: أذنه).

قال القاضي عياض: "وقول النبي ﷺ للذي نام حتى أصبح: (بال الشيطان في أذنيه) قال المُهلب: هذا على سبيل الإخبار بتحكم الشيطان في العقد على رأسه بالنوم الطويل، وقال ابن قتيبة: يقال بال في كذا إذا أفسده، وتأتي كلمة بال بمعنى استخف به واستحقره واستعلى عليه، كما قال تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾[3]، وقد يقال لمن استخف بالإنسان وخدعه: بال في أذنه.

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع بتصرف، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ١٢٨.

(٣) سورة المجادلة، آية: ١٩.

وقال أبو بكر: ويجوز أن يكون معناه: أخذ بسمعه عن نداء الملك ثلث الليل (هل من داع فيستجاب له) وشغله بوسوسته وتزيينه له النوم وبحديثه بذلك في أذنه كالبول فيهما، لأنه قذر نجس خبيث وأفعاله كلها قذرة خبيثة.

وقال الحربي: بال هنا معناه: ظهر عليه وسخر منه.

وقال الطحاوي: هو استعارة لا على الحقيقة، وعبارة عن الطوع وفعل أقبح الفعل بالنوّام ومن يذله ويقهره.

قال القاضي: ولا يبعد أن يكون على وجهه وقصد الشيطان بذلك إذلاله ونهاية طاعته له، وتَأَتِّي ما أراد منه من استغراق في نومه حتى فعل به كذلك، وقد يكون (بال في أذنه) كناية عن ضرب النوم واستغراقه وخص ذلك بالأذن كما خصها في قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[1]، ولأن الأذن حاسة المنتبه بكل حال وموقظة النائم بما يطرأ عليه من الأصوات"[2].

وعلى كل حال فترك قيام الليل يمكّن الشيطان من الإنسان، فينبغي على المسلم ألا يمكّن الشيطان منه، بعد ترك الليل.

ثالثًا – من أهداف الدعوة: تقوية الصلة بالله تعالى:

يستنبط ذلك من عموم الحديث؛ إذ أن من أهداف الدعوة الرئيسة تقوية صلة العبد بربه عز وجل، وتوطيد علاقته به، فإن العبد لا يتأتى أن يصحبه توفيق الله ونصرته ونجاحه، ما لم يكن على صلة وثيقة بربه وعلاقة وطيدة بمولاه ولله در القائل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده[3]

ومن أهم سبل تقوية العلاقة بالله تعالى قيام الليل وإحياؤه بالصلاة التي هي أعظم

---

(١) سورة الكهف، آية: ١١.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٣٩/٣، شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٢٧.

(٣) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ٢٩. والبيت في: نفح الطيب قافية الهاء ١٧٧/٦.

النعم، فهي كفارة لذنوبنا ورفع لدرجاتنا عند ربنا، ثم هي علاج عظيم لمآسينا ودواء ناجع لأمراضنا، تسكب في ضمائرنا مقادير زاكية من اليقين وتملأ جوانحنا بالرضا، أما الذين جانبوا المسجد وتركوا الصلاة، فمن نكد إلى نكد، ومن حزن إلى حزن، ومن شقاء إلى شقاء: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾(١)"(٢).

إن الصلاة صورة من الصور التي يقوم بها الإنسان لعبادة خالقه، وهي صلة بين العبد وربه، ومنزلتها في الإسلام بمنزلة الرأس من الجسد، والصلاة مظهر للإسلام وعلامة للإيمان، وقرة العين وراحة الضمير، روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ))(٣).

إن قيام الليل وإعماره بالصلاة وكذلك الصلوات عامة - في أوقاتها - تحقق دوام الذكر لله تعالى ودوام الاتصال به، وتمثل تمام الطاعة والاستسلام لله والتجرد لله وحده وتربي النفس وتهذب الروح وتنير القلب بما تغرس فيه من جلال الله وعظمته، وتحلي المرء وتجمله بمكارم الأخلاق، فهي عمل من صميم التدين، ولذلك كانت سنة مطردة على تعاقب الرسل عليهم السلام بعد التوحيد، بها تتوثق أسباب الاتصال بالله ويتزود العبد من خلالها بطاقة روحية تعينه على مشقة التكليف.

لقد شرع الله للمسلمين الصلوات للثناء عليه بما يستحقه وليذكرهم بأوامره وليستعينوا بها على تخفيف ما يلقونه من أنواع المشقة والبلاء في الحياة الدنيا، فيها يقف الإنسان بين يدي ربه في خشوع وخضوع مستشعرًا بقلبه عظمة المعبود مع الحب والخوف من جمال وجلال المعبود، طامعًا فيما عنده من الخير وراغبًا في كشف الضر، وَجِلاً من عقابه الشديد.

يقف المسلم في الصلاة في رحاب الله ليس بينه وبين الله واسطة، فيشعر بالقرب من الله ويشعر بمعية الله فتمتلئ جوانحه بالأمن والطمأنينة والثقة واليقين فيخشع راكعًا

---

(١) سورة محمد، آية: ٨.

(٢) لا تحزن، د. عائض بن عبدالله القرني، ط/٣ دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩، ص ٤١.

(٣) أخرجه النسائي ٣٥٩٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ٣٦٨١).

ويخشع ساجدًا ويستمد العون والتأييد[١]، ويكتب له الفوز ويُعدُّ من الفالحين، قال تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾[٢].

(١) انظر: الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ١٨ - ٢٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١ - ٢.

الحديث رقم (١١٦٧)

١١٦٧- وعن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ، قالَ: ((يَعْقِدُ الشَّيطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأسِ أحَدِكُمْ، إذَا هُوَ نَامَ، ثَلاَثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإن اسْتَيقَظَ، فَذَكَرَ اللهَ تَعَالَى انحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإنْ تَوَضّأ، انْحَلّتْ عُقدَةٌ، فَإنْ صَلَّى، انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا، فَأصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإلاَّ أصْبحَ خَبيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

قافية رأس أحدكم: قافية الرأس: آخره [٢].

يضرب على كل عقدة: تأكيدًا وإحكامًا لها، وقيل: معنى يضرب: يحجب الحس عن النائم حتى لا يستيقظ ومنه قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾[الكهف: ١١] أي حجبنا الحس أن يلج في آذانهم فينتبهوا[٣].

الشرح الأدبي

يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَقْدُ بِمَعْنَى السِّحْرِ لِلإِنْسَانِ وَالْمَنْعِ لَهُ مِنْ الْقِيَامِ إِلَى الصَّلاةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) وَالْقَافِيَةُ مُؤَخَّرُ الرَّأْسِ، وَقَافِيَةُ كُلِّ شَيْءٍ آخِرُهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَتْ قَافِيَةُ الْبَيْتِ مِنْ الشِّعْرِ لأَنَّهَا آخِرُهُ وَلَمَّا قَالَ ﷺ: (إِذَا هُوَ نَامَ) كَانَ ظَاهِرُهُ إِنْ عَقَدَهُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ النَّوْمِ وَمَعْنَى قَوْلِهِ يَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ عُقْدَةٍ (عَلَيْك لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ) إِنَّ ذَلِكَ مَقْصُودُ ذَلِكَ

---

(١) اخرجه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦/٢٠٧). والسياق للمنذري في ترغيبه (٨٩٣، ٩٤٤).

(٢) رياض الصالحين ٦٦٢.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣١/٣.

الْعَقْدِ وَمُرَادُ الشَّيْطَانِ مِنْهُ يَعْنِي بِقَوْلِهِ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ تَسْوِيفُهُ بِالْقِيَامِ وَالإِلْبَاسِ عَلَيْهِ لأَنَّ فِي بَقِيَّةِ اللَّيْلِ مِنَ الطُّولِ مَا لَهُ فِيهِ فُسْحَةٌ، والحديث صور بأسلوب الأمر في عبارة (عليك ليل طويل فارقد) الشيطان، وهو يعقد عقده فجسد صورة الشيطان كساحر كريه ماكر يدبر مؤامرته ليضيع على الإنسان بالنصب على الإغراء.... وقال القرطبي الرفع أولى من جهة المعنى، لأنه الأمكن في الغرور من حيث أنه يخبره عن طول الليل ثم يخبره بالرقاد بقوله، وإذا نصب على الإغراء لم يكن فيه إلا الأمر بملازمة طول الرقاد وَقَوْلُهُ ﷺ: (فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ) يُرِيدُ أَنَّ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِالْوُضُوءِ، وَبِالصَّلاةِ تَنْحَلُّ عُقَدُ الشَّيْطَانِ كُلُّهَا، وَيَنْجُو الْمُسْلِمُ مِنْ كَيْدِهِ وَمِنْ شَرِّ عُقَدِهِ فَيُصْبِحُ نَشِيطًا قَدْ انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقَدُ الشَّيْطَانِ الَّتِي تُكَسِّلُهُ طَيِّبَ النَّفْسِ بِمَا عَمِلَ فِي لَيْلِهِ مِنْ عَمَلِ الْبِرِّ(وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ) يُرِيدُ مُتَغَيِّرًا قَدْ تَمَكَّنَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ وَثَبَّتَ عَلَيْهِ عُقَدَهُ وَكَسَّلَهُ عَنْ النَّشَاطِ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ[1].

فقه الحديث

١-حكم صلاة الليل:

قال ابن حجر: (ادعى ابن العربي أن البخاري أومأ هنا إلى وجوب صلاة الليل، لقوله ﷺ "يعقد الشيطان"، وفيه نظر، فقد صرح البخاري في خامس ترجمة من أبواب التهجد بخلافه حيث قال: "من غير إيجاب"[2] وأيضًا في تقدم تقريره من أنه حمل الصلاة هنا على المكتوبة يدفع ما قاله ابن العربي أيضًا. ولم أر النقل في القول بإيجابه إلا عن بعض التابعين. قال ابن عبدالبر: شذ بعض التابعين فأوجب قيام الليل ولو قدر حلب شاة. والذي عليه جماعة العلماء أنه مندوب إليه)[3].

٢- قال ابن حجر: (إنما خصّ الوضوء بالذكر؛ لأنه الغالب. وإلا فالجنب لا يحلّ عُقْدَته إلا الاغتسال. وهل يقوم التيمم مقام الوضوء أو الغسل لمن ساغ له ذلك محل بحث.

---

(١) المنتقى شرح موطأ الإمام مالك حديث (٢٨٣).

(٢) هو: باب تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب، الأحاديث ١١٢٦-١١٢٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٢٧ .

والذي يظهر إجزاؤه، ولا شك أن في معاناة الوضوء عونًا كبيرًا على طرد النوم لا يظهر مثله في التيمم)[١].

٣-وقال ابن حجر: (لا يتعين للذكر شيء مخصوص لا يجزئ غيره، بل كل ما صدق عليه ذكر الله أجزأ. ويدخل فيه تلاوة القرآن وقراءة الحديث النبوي والاشتغال بالعلم الشرعي. وأولى ما يذكر به ما سيأتي بعد ثمانية أبواب في "باب فضل من تعارّ من الليل"[٢] ويؤيده ما عند ابن خزيمة من الطريق المذكورة "فإن تعار من الليل فذكر الله")[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان عداوة الشيطان للإنسان وتثبيطه عن القيام للصلاة.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: الحث على ذكر الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة الليل والحرص عليها.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على النشاط في العبادة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان عداوة الشيطان للإنسان وتثبيطه عن القيام للصلاة:

جاء في كثير من آيات القرآن التصريح بعداوة الشيطان للإنسان ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[٤]، وفي الحديث صورة من صور تجسيد الشيطان لهذه العداوة وذلك بتثبيط الإنسان عن القيام للصلاة، فقال ﷺ: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة)، أي: يضرب بيده على العقدة تأكيدًا وإحكامًا لها، وقيل

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢٨/٣ .

(٢) أخرج البخاري ١١٥٤ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا: "من تَعَارّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: اللهم اغفر لي -أو دعا- أستجيب، فإن توضأ قبلت صلاته".

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢٨/٣ .

(٤) سورة فاطر، آية: ٦.

معنى يضرب يحجب الحس عن النائم حتى لا يستيقظ، قائلاً: عليك ليل طويل فارقد، أي يخبره عن طول الليل ثم يأمره بالرقاد، ومقصود الشيطان بذلك تسويفه بالقيام والإلباس عليه[١].

قال القاضي عياض: "وقوله: (يقول: عليك ليل طويل فارقد)، أن ذلك مقصود العقد، وقيل: هو من عقد القلب وتصميمه، وقد فسّر هذا العقد بقوله: (عليك ليل طويل) كأنه يقولها إذا أراد النائم القيام لحزبه فيؤثر ذلك في نفسه ويعقد صرفه حتى يصبح ويفوتُه حزبُه، وقيل: هو مجاز كُنّي به عن حبس الشيطان وتثبيطه عن قيام الليل"[٢].

وذلك مظهر من مظاهر عداوة الشيطان لبني آدم، وقد حذرنا الله منه ومن الوقوع في شباكه وبراثنه في كثير من آي القرآن، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[٤]، وجاءت آية فاطر مؤكدة لهذه العداوة بكثير من المؤكدات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[٥].

وفي ذلك بيان من الله تعالى لعداوة إبليس لابن آدم فقال: (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدو)، أي: هو مبارز لكم بالعداوة فعادوه أنتم أشد العداوة وخالفوه وكذبوه

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١/٣.
(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٤٢/٣.
(٣) سورة يس، الآيات: ٦٠ - ٦٢.
(٤) سورة الكهف، آية: ٥٠.
(٥) سورة فاطر، آية: ٦.

فيما يغركم به (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) أي: إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير فهذا هو العدو المبين[١]، من قديم الأزل فهو الذي أخرج أبانا آدم من الجنة، وأوقعه في الزَّلة، وهو الذي أقسم على إغوائنا وإضلالنا ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾[٢]، وقال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[٣][٤]، ولضراوة عداوة الشيطان وضرورة أخذ الإنسان الأهبة والاستعداد التام والحذر الدائم من ذلك العدو اللدود المعلن للعداوة المبارز بها، لذا كان الحذر من الشيطان وإغوائه من مراتب الجهاد، وقد قسم الإمام ابن القيم الجهاد إلى أربع مراتب، جعل المرتبة الثانية منها جهاد الشيطان، فقال: "فالجهاد أربع مراتب: جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الكفار وجهاد المنافقين.. وأما جهاد الشيطان فمرتبتان:

إحداهما: جهاده على دفع ما يُلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

الثانية: جهاده على دفع ما يُلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات.

فالجهاد الأول يكون بعده اليقين والثاني يكون بعده الصبر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٥]، فأخبر أن إمامة الدين إنما تُنَال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٣٤/٦.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١١٨ - ١١٩.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٤) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٦٤/٢٢/٣.

(٥) سورة السجدة، آية: ٢٤.

الشكوك والشبهات"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على ذكر الله تعالى:

جاء في الحديث بيان أن ذكر الله والوضوء والصلاة إنقاذ للإنسان من الشيطان وحل لعقده التي يعقدها على قافية رأس الإنسان وهو نائم، وإخبار رسول الله ﷺ عن ذلك يحمل في نفس الأمر حثًا على ذكر الله تعالى، وحثًا على صلاة الليل، فقال ﷺ: "فإن هو استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عُقَدُه فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان).

يبين ابن القيم منزلة الذكر وأهميته[٢] فيقول: "وهي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون والذكر منشور الولاية الذي مَنْ أعطيه اتصل، ومن مُنعه عُزل، وهو قوت قلوب القوم، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا، والذكر هو السبب الواصل والعلاقة التي بين العباد وربهم، به يستدفعون وتهون عليهم به المصيبات"[٣]، وقد أمرنا الله بذكره والإكثار من ذلك فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٤]، ومدح الله عباده أولي الألباب والنهى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[٥].

وذكر ابن القيم أكثر من مائة فائدة للذكر منها: "أنه يطرد الشيطان ويجلب للقلب الفرح والسرور والبسط وينور الوجه والقلب ويقوي البدن والقلب ويجلب الرزق"[٦]،

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣/١٠.

(٢) موسوعة نضرة النعيم، ٥/١٩٦٢.

(٣) مدارج السالكين ٢/٤٥١.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ - ٤٢.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

(٦) انظر: صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط/١ مكتبة ابن الجوزي، الدمام: ١٩٨٩م، ص ٨٣ - ١٥٣.

وذلك ما يستطيع القارئ أن يلمحه في قوله ﷺ: (فإذا هو استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقده).

والدعوة إلى ذكر الله لا تقتصر عند مجرد الاستيقاظ من النوم بل إن الذكر مطالب به الإنسان في جميع الأحوال والأحايين، لذا جاءت النصوص مرشدة إلى ختم الأعمال بذكر الله تعالى ومصاحبته لها.

يقول ابن القيم مبينًا مشروعية ختم الأعمال الصالحة بالذكر ومصاحبته لها وبيان فضل الذاكرين: "وأما ختم الأعمال الصالحة به، فكما ختم به عمل الصيام بقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، وختم به الحج في قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[2]، وختم به الصلاة كقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[3]، وختم به الجمعة كقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]، ولهذا كان خاتمة الحياة الدنيا. وإذا كان آخر كلام العبد أدخله الله الجنة.

وأما اختصاص الذاكرين بالانتفاع بآياته، وهم أولو الألباب والعقول، فكقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[5].

وأما مصاحبته لجميع الأعمال، واقترانه بها، وأنه روحها فإنه سبحانه قرنه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

بالصلاة، كقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[(١)]، وقرنه بالصيام وبالحج ومناسكه؛ بل هو روح الحج ولبه ومقصوده، قال تعالى: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٩٩ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾[(٢)].

وقرنه بالجهاد وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران، ومكافحة الأعداء، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[(٣)].

والذاكرون هم أهل السبق كما روى مسلم في صحيحه من حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ. فَمَرَّ عَلَىٰ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ. فَقَالَ: ((سِيرُوا. هٰذَا جُمْدَانُ. سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ)) قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ))[(٤)].

(والمفردون) إما الموحدون، وإما الآحاد الفرادى.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟)) قَالُوا: وَمَا ذاك؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: ((ذِكْرُ اللّهِ))[(٥)].

---

(١) سورة طه، آية: ١٤.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٩٨ - ٢٠٠.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٣٧٩٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٥٧).

وروى شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت الأغر قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ قال: ((لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))(١).

ويكفي في شرف الذكر أن الله يباهي ملائكته بأهله، كما في صحيح مسلم عن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ . فَقَالَ: ((مَا أَجْلَسَكُمْ؟)) قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: ((آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟)) قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ. قَالَ: ((أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ. وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ))(٢).

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة الليل والحرص عليها:

يستنبط ذلك من بيانه ﷺ لأثر الصلاة في رفع سيطرة الشيطان على النائم، فقال ﷺ: (فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطًا طيب النفس)، وذلك لما لصلاة الليل من فضل، ولما فيها من مجاهدة للنفس، قال ابن رجب الحنبلي: "فترك النوم مع ميل النفس إليه مجاهدة عظيمة، قال بعضهم: أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس، ولأن القراءة في صلاة الليل أقرب إلى التدبر فإنه تنقطع الشواغل بالليل، ويحضر القلب ويتواطأ هو واللسان على الفهم"(٣)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾(٤).

قال ابن كثير: "والغرض أن ناشئة الليل هي: ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٠٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٠١.

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٨٨.

(٤) سورة المزمل، الآية: ٦.

ناشئة وهي الآنات، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة، ولهذا قال: (هي أشد وطئا وأقوم قيلا) أي: أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش"[1].

إن قيام الليل شرف المؤمن، فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ))[2].

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ))[3].

رابعًا - من أهداف الدعوة: الحث على النشاط في العبادة:

يتضح ذلك من حث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث على أسباب النشاط من ذكر الله تعالى والوضوء والصلاة، فقال صلى الله عليه وسلم: (فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان)، والنشاط كما جاء في الحديث ضد الكسل والنشاط هو الأمر الذي تنشط له وتخف إليه وتؤثر فعله[4]، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضرب المثل في الحيوية والنشاط، روي عن البراء رضي الله عنه قال: ((رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلِن سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٢/٨.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ٢٩٧/٢، وأبو نعيم في الحلية ٢٥٣/٣، وحسنه الألباني، (الصحيحة ٨٣١).

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥٧٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٣).

(٤) لسان العرب، ابن منظور في (ن ش ط).

إِنَّ الأُلَى قَد بَغَوْا عَلَيْنَا وإن أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا))[1]

والنشاط دليل اليقين والإيمان، وعلامة من علامات إزهاق الشيطان، وهو دليل رضا الله وعلامة القرب منه كما أنه يكسب المرء حب الله ورضا الناس ويرفع ذكره في العالمين إلى غير ذلك من الفوائد[2].

ولقد أرشد النبي ﷺ الأمة إلى اغتنام الأوقات التي يتزايد فيها نشاط الإنسان ومنها أوقات الصباح، ودعا النبي ﷺ للأمة بالبركة فيها فقال: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتي فِي بُكُورِهَا))[3]، وإننا فعلاً نجد بركة اليوم كله حينما نغتنم هذه الساعات بالعمل فتطيب أنفسنا وننشط طوال نهارنا خلافًا لحالنا حينما نمضي تلك الساعات في النوم وهذا مصداق لقول الرسول ﷺ فيمن بدأ يومه بصلاة الفجر"[4].

والفارق عظيم بين من اغتنم بركة يومه وبين من ضيعها، فإن الأول نتيجته نشاط وإنتاج، والثاني نتيجته كسل وفشل، قال د. يوسف القرضاوي معلقًا على هذا الحديث: "وما أعظم الفارق بين المسلم الذي انحلت عُقَد الشيطان كلُّها من نفسه، فاستقبل يومه من الصباح الباكر بالذكر والطهارة والصلاة وانطلق إلى معترك الحياة، نشيط الجسم، طيب النفس، منشرح الصدر، وبين من ظلت عُقَد الشيطان فوق رأسه، فأصبح نؤوم الضحى، بطيء الخطا، خبيث النفس، ثقيل الجسم، كسلان!"[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٣٧، ومسلم ١٨٠٢.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٣٤٨٨/٨. [البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٩٦/٤]

(٣) أخرجه أبو داود ٢٦٠٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٠).

(٤) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

(٥) الوقت هو حياة المسلم ص ١٣.

الحديث رقم (١١٦٨)

١١٦٨- وعن عبد الله بن سلام ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((أيُّهَا النَّاسُ: أفْشُوا السَّلامَ، وَأطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ[1] وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن سلام: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٤٩).

غريب الألفاظ:

أفشوا: انشروا[3].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بنداء عام (يَا أَيُّهَا النَّاس) وهو خطاب للجنس يفيد المبالغة، والتوكيد؛ لأن به أوجهاً من التوكيد :منها التوكيد والتنبيه في (يا) والتنبيه في (ها) والتدرج من الإبهام إلي التوضيح في (أي) والاسم المعرف بعدها، وتكرار المذكر، واختيار لفظ البعيد، وتأكيد معناه تناسباً مع المقامات في إفادة المبالغة، والتوكيد؛ لأن كل ما نادي الرسولُ ﷺ به أمته من أمر، ونهي، وعظات وزواجر، ووعد، ووعيد، وغير ذلك أمور عظام، وخطوب جسام، ومعان واجب عليهم أن يتيقظواْ لها، فاقتضي الحال أن ينادواْ بالأوكد الأبلغ، ثم تبعها بمجموعة من الأوامر (أفشوا، أطعموا، صلوا) حثاً، وترغيباً في هذه الخصال التي تحقق التواصل بين المسلمين فيما بينهم، والصلة بينهم، وبين ربهم، ثم يكون في الجنة اجتماعهم جزاءً من جنس العمل لمن أطاع نبيه، وقد بدأ بإفشاء السلام؛ لأنه ليس فيه كلفة فهو في متناول الجميع، بالإضافة إلى عظيم الأثر

---

(١) قوله: (بالليل) لا يوجد عند الترمذي، وإنما عند ابن ماجه (١٣٣٤).

(٢) برقم (٢٤٨٥). إلا قوله: (بالليل). والسياق للمنذري في ترغيبه (٣٩٨٣). وقال الحاكم (٣/١٣): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وتقدم برقم (٨٤٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ش و).

المترتب عليه، ثم عقب بالأمر بإطعام الطعام لمن يستطيع ثم قيام الليل ؛لأنه دأب الخواص، وقد أراد الرسول ﷺ أن تكون هذه الخصال ملأ الأسماع، والأبصار يتناقلها الركبان، وتصل إلى كل زمان، ومكان، لذلك صاغها بعبقرية تأخذ بالألباب فقد وردت العبارات مسجوعة دون تكلف مما جعل لها جرساً عذباً في السمع، وقبولا في النفس، وتمكناً في العقل، ثم الجناس اللطيف بين (أطعموا - الطعام) ثم الإرصاد بين السلام الذي أفشوه في أول الحديث، والسلام الذي دخلوا به الجنة في نهاية الحديث، وكأنه يريد أن يجعل منه نشيداً للصالحين في كل زمان، ومكان، محبة بينهم، وقربة لربهم، لذلك صدَّره بالنداء العام، ووصل أفعال الحديث كلها بواو الجماعة لتشملهم في مظلة الحكم يحيطهم السلام، ويفيض بينهم الطعام في صلة بينهم، ورضواناً من ربهم في صورة أقرب ما تكون إلى جنة تنتظرهم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨٤٩).

الحديث رقم (١١٦٩)

١١٦٩- وعن أَبي هريرة ﷺ ، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : ((افْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَافْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلاَةُ اللَّيْلِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ابوهريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يدور معناه حول الترغيب في التطوع في الصيام، وفي الصلاة جاء في أسلوب خبري دون مؤكدات بدأه بلفظ أفعل التفضيل الذي يحقق التشويق رغبة في معرفة الفاضل، والمفضول، وما يتبعه من بيان سر الأفضلية، ومن المعلوم أَنَّ لَفْظَةَ " أَفْعَلُ " تَقْتَضِي وُجُودَ الاشْتِرَاكِ فِي الأَصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ الأمر الذي يدل أولا على أن العبادات كلها فاضلة، لأنها تقرب من الله تعالى، ثانيا تدل على أفضلية صيام شهر محرم، وقوله (بعد رمضان)احتراس يخرج الفرض من جملة المفضول؛ لأن التطوع لا يفضل الفريضة حتى لا يظن أحد أنه أفضل من صيام شهر رمضان، ثم عاد بصيغة أفعل التفضيل ليقرر أفضلية الصلاة في الليل على كل صلاة في غيره، وقوله (إلا الفريضة) احتراس يخرج الفريضة من جملة المفضول؛ لأنها من الفاضل بحسب رتبتها وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي (وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيهِ)[2].

فقه الحديث

١- الصوم في شهر المحرم:

قال النووي: (قوله ﷺ: "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم" تصريح بأنه أفضل الشهور للصوم)[3].

---

(١) برقم (١١٦٣/٢٠٢). أورده المنذري في ترغيبه (٨٩٥، و١٥٠٠). وسيكرره المؤلف برقم (١٢٥٤).

(٢) رياض الصالحين جزء من الحديث (٣٩١).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٤/٨/٤ .

وقال النووي كذلك: (وقولها [أي عائشة]: كان يصوم شعبان كله، كان يصومه إلا قليلاً)[١] فكيف أَكْثَر من الصيام في شعبان دون المحرم؟ فالجواب: لعله لم يعلم فضل المحرم إلا في آخر الحياة قبل التمكن من صومه.

أو لعله كان يعرض فيه أعذار تمنع من إكثار الصوم فيه كسفر ومرض وغيرهما. قال العلماء: وإنما لم يستكمل غير رمضان لئلا يظن وجوبه[٢].

٢- صلاة الليل: قال النووي: (قوله ﷺ: "وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل" فيه دليل لما اتفق العلماء عليه أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار. وفيه حجة لأبي إسحاق المروزي من أصحابنا ومن وافقه أن صلاة الليل أفضل من السنن الراتبة، وقال أكثر أصحابنا: الرواتب أفضل؛ لأنها تشبه الفرائض، والأول أقوى وأوفق للحديث، والله أعلم)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان أفضل الصيام والصلاة بعد الفريضة.

ثانيًا: من فقه الداعي: بيان أفضل العبادات للمدعوين وحثهم على ذلك.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان أفضل الصيام والصلاة بعد الفريضة:

جاء في صريح الحديث بيان أفضل الصيام بعد رمضان، وأفضل الصلاة بعد الصلوات المكتوبات، فقال ﷺ: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)،وهذا تصريح بأن شهر المحرم أفضل الشهور للصوم بعد رمضان[٤]، ودليل لما اتفق عليه العلماء من أن تطوع الليل أفضل من تطوع

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٦٩، ١٩٧٠، ومسلم ١١٥٦، ١٧٦ وهذا لفظه.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٣٠/٨/٤ .

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٥/٨/٤ .

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي ص ١٠٦٥.

النهار[١]، لأنه وقت الخشوع والسكون والخضوع، مع ما فيه من البعد عن الرياء[٢].

قال القرطبي: "وقوله: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم)، هذا إنما كان - والله تعالى أعلم - من أجل أن المحرم أول السنة المستأنفة التي لم يجيء بَعْدُ رمضانُها، فكان استفتاحُها بالصوم الذي هو من أفضل الأعمال، والذي أخبر عنه ﷺ بأنه ضياء، فإذا استفتح سَنَتَه بالضياء مشى فيه بقيتها"[٣].

"وفضل صلاة الليل لما فيها من السكون والخشوع والبعد عن الرياء، وقوة المقاومة وشدتها"[٤]، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾[٥].

وفي ذلك بيان من الله تبارك وتعالى لفضل صلاة الليل على صلاة النهار وأن الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما أمكن أعظم للأجر وأجلب للثواب، وقوله: (إن ناشئة الليل) أي: أوقاته وساعاته (أشد وطئا) أي أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الأصوات والحركات، وقال ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه أي: يواطئ السمع القلب، قال الله تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾[٦]، أي ليوافقوا، وقيل: المعنى أشد مهادًا للتصرف في التفكر والتدبر، وقيل: أشد وطئًا أي أشد ثباتًا من النهار، فإن الليل يخلو فيه الإنسان بما يعمله فيكون ذلك أثبت للعمل وأنفى لما يلهي ويشغل القلب.

وقوله: (وأقوم قيلا) أي القراءة بالليل أقوم منها بالنهار، أي أشد استقامة واستمرارًا على الصواب، لأن الأصوات هادئة والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه، وقال قتادة ومجاهد: أي: أصوب للقراءة وأثبت للقول لأنه زمان التفهم، وقال أبو علي

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٧٢٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٣.

(٣) المفهم ٢٣٥/٣.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٩٥.

(٥) سورة المزمل، الآية: ٦.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٣٧.

(أقوم قيلا) أي أشد استقامة لفراغ البال بالليل، وقيل: أي أعجل إجابة للدعاء"[١].

وقال القاسمي: "(إن ناشئة الليل) أي نشأته وطبيعة خَلْقِه ومَظْهَره (هي أشد وطئا) أي موافقة لما يراد منها من جمع الهم وهدوء البال (وأقوم قيلا) أي أسدّ مقالاً وأصوبه.

ونقل السيوطي عن الجاحظ قال: ناشئة الليل هي المعاني المستنبطة من القرآن بالليل أشد وطأ أي أبين أثرًا وأقوم قيلا، أي أصح مما تخرجه الأفكار بالنهار لخلو السمع والبصر عن الاشتغال"[٢].

ثانيًا - من فقه الداعي: بيان أفضل العبادات للمدعوين وحثهم على ذلك:

ما من شك أن الأعمال تتفاوت في الأجر والفضل، وأن منها الفاضل ومنها ما هو الأفضل، لذا كان من فقه الداعية دلالة مدعويه على الأفضل لتحصيلهم على مزيد الفضل وجزيل الثواب، وليكن قدوته في ذلك رسول الله ﷺ الذي كان دائمًا يتطلع لأمته دائمًا بالأحسن والأفضل، وكما هو واضح في الحديث من دلالته ﷺ على أفضل النوافل من الصيام والصلاة، فقال: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)، فرسول الله ﷺ دائمًا ما يريد أن يغرس في نفوس الأمة التطلع على أعظم الأجر وأفضل الأعمال، والاهتمام بالأهم دائمًا وتقديمه على المهم، وإن ذلك لمن فقه الداعية، فإذا ما نفذه الداعية وسار على نهج رسول الله ﷺ كان من الدعاة المرموقين الذين لهم في مجال الإصلاح أثر، وفي ميدان الدعوة تغيير[٣].

إن مما ينبغي عى الدعاة أن يبينوا لنا ثواب الأعمال وتفاضلها واغتنام الأوقات والأماكن التي تزيد من مزية الأعمال وترفع من درجات صاحبها.

إن الله عز وجل جعل لعباده مواسم تضاعف فيها أجور الأعمال، كرمضان وأيام العشر من ذي الحجة، وأخرى تكون إجابة الدعوة فيها من غيرها، كثلث الليل الآخر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٠/١٩/١٠ -٤١.

(٢) محاسن التأويل ٣٢٠/١٦/٩.

(٣) انظر: كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ٤٦ - ٥٣.

من كل يوم، وعند الفطر بالنسبة للصائم وليلة القدر في رمضان وغير ذلك.

هذا على صعيد الأعمال التعبدية، أما على الصعيد الدنيوي وسعي الإنسان فيها لإصلاح معاشه، فقد جعل الله التبكير في أداء الأعمال من أسباب النجاح والفلاح، فجاء عن النبي ﷺ: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتي في بُكُورِهَا))[١]، فعلى المسلم أن يحرص على التعرض لهذه المواسم والاستزادة منها بما يصلح له دينه ودنياه"[٢].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث ظاهرًا بينًا، حيث رغّب النبي ﷺ في صيام المحرم وصلاة الليل ببيانه أنهما أفضل الصيام بعد رمضان، فقال: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية النافعة وذلك لما جبل عليه الإنسان من حب الخير والسعي في الحصول عليه، لذا فإن أسلوب الترغيب فيه بيان الأفضل والتشويق إلى ما عند الله من أجر عظيم تهفو إليه النفس البشرية وتسعد به وتنصت له[٣]، ولما كان للترغيب من تأثير بالغ في النفوس، أكثر القرآن من استعماله في حض الناس على العبادة والعمل الصالح، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٤].

إن طبيعة الحياة أن يكون فيها الخير والشر، وطبيعة البشر أن يكون منهم الأخيار والأشرار، وإذا تصارع الخير والشر امتلأت الحياة بالحركة والنشاط والعمل والأمل والسعادة والشقوة والتسابق والتنافس، فتتضح المعالم وتدور عجلة الحياة إما إلى حضارة واثبة وإما إلى تخلف قاعد، وإذا عاش الأخيار بجانب الأشرار تبين الرشد من الغي،

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٦٠٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٠).

(٢) إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري، د. خالد بن عبدالرحمن الجريسي، ط/٢ مؤسسة الجريسي، الرياض: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٤٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٢.

والمصلح من المفسد، وقد وهب الله الإنسان عقلاً يميز به الخبيث من الطيب، فلا عذر له إن اتبع غير الهدى سبيلاً ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[1]، وصراع الحياة واختلاف الطباع، يوجب أن يكون للخير ثواب وللشر عقاب ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[2]، وهذا عدل الله، ولا يظلم ربك أحدًا، والقرآن الكريم يوضح الطريق، ويحكم العقل ويبرز النتيجة، حتى إذا أقدم الإنسان على عمل كان أعلم بعاقبته، وقد أعذر من أنذر، وسبحان من يقول وقوله الحق: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[3].

ومن آيات الترغيب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝١٠٨ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[4].

فما أكرم هذا الجزاء، وما أعدل هذا الحكم، إيمان سليم وعمل صالح، لا يكلف المؤمن عناءً ولا يقتضيه نصبًا وجنة لا حدود لنعيمها ومن دخلها فهو خالد فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[5].

فالتوبة الخالصة تمحو السيئات وتدخل الجنات، يسير موكب الرسول ﷺ

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١٥.

(٤) سورة الكهف، الآيات: ١٠٧ - ١١٠.

(٥) سورة التحريم، آية: ٨.

والمؤمنون في هالة من نور ووجوههم تشع بالفرحة وإذا تميز وجه المؤمن في الدنيا بنور الإيمان لا تخطئه عين، فكيف به يوم الجزاء الأوفى؟"[1].

(١) التربية الإسلامية، محمد أحمد جاد صبح ص ١٥٣ - ١٥٥.

الحديث رقم (١١٧٠)

١١٧٠- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإذَا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

مثنى مثنى: اثنين اثنين[٢].

الشرح الأدبي

الحديث بيان لكيفية صلاة التطوع في الليل، قوله (صلاة الليل مثنى مثنى) أي صلوا في الليل ركعتين ركعتين، وتكرار مَثْنَى للتَّأْكِيد وَالْمَقْصُود أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُصَلِّي أَنْ يُصَلِّيَهَا كَذَلِكَ فَهُوَ خَبَرٌ بِمَعْنَى الأَمْرِ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ كُلُّ رَكْعَتَيْنِ مِنْهَا صَلاةً وَلا تَكُونُ صَلاةً إلاَّ بِأَنْ يَفْصِلَهَا عَمَّا بَعْدَهَا بِالسَّلامِ بأن يصلي ركعتين ثم يسلم ثم يصلي ركعتين حتى يصلي ما شاء على هذه الهيئة، ثم يوتر أي يصلي ركعة منفردة.

فقه الحديث

١- قال النووي: (قوله ﷺ: "صلاة الليل مثنى مثنى" هكذا هو في صحيح البخاري ومسلم، وروى أبو داود والترمذي بالإسناد الصحيح: ((صلاة الليل والنهار مثنى مثنى))[٣] هذا الحديث محمول على بيان التسليم، وهو أن يسلّم من كل ركعتين وسواء نوافل الليل والنهار، يستحبّ أن يسلّم من كل ركعتين، فلو جمع ركعات بتسليمة أو تطوّع بركعة واحدة جاز عندنا)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣٧)، ومسلم (٧٤٩/١٤٧) واللفظ له

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٥٥٦.

(٣) أخرجه أبو دود ١٢٩٥، والترمذي ٥٩٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٦/٢٧ دار الكتب العلمية، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٧٨-٤٨٠ .

وقال النووي في المجموع: (فرع: في مذاهب العلماء في ذلك: قد ذكرنا أنه يجوز عندنا أن يجمع ركعات كثيرة من النوافل المطلقة بتسليمة، وأن الأفضل في صلاة الليل والنهار أن يسلّم من كل ركعتين، وبهذا قال مالك وأحمد وداود وابن المنذر. وحكى عن الحسن البصري وسعيد بن جبير. وقال أبو حنيفة: التسليم من ركعتين أو أربع في صلاة النهار سواء في الفضيلة، ولا يزيد على ذلك. وصلاة الليل ركعتان وأربع وست وثمان بتسليمة ولا يزيد على ثمان. وكان ابن عمر يصلّي بالنهار أربعًا، واختاره إسحاق)[1].

٢- قال النووي: (قوله ﷺ: "فإذا خشي أحدكم الصبح صلّى ركعات توتر له ما قد صلّى" وفي الحديث الآخر ((أوتروا قبل الصبح))[2] دليل على أن السنة جعل الوتر آخر صلاة الليل، وعلى أن وقته يخرج بطلوع الفجر وهو المشهور من مذهبنا، وبه قال جمهور العلماء. وقيل يمتد بعد الفجر حتى يصلي الفرض)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: البيان والإيضاح.

ثانيًا: من فقه الداعية: الموازنة ومراعاة الأولويات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاة الليل والوتر.

أولاً - من صفات الداعية: البيان والإيضاح:

إن من صفات الداعية الملازمة له والممزوجة بشخصيته الإيضاح والتبيين وهذا ما أمر الله به الأنبياء وأتباعهم من توضيح الحق وتبيينه[4]، ومن ذلك ما ورد في الحديثين من تبيينه ﷺ لصلاة الليل، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة)، وعنه رضي الله عنه يخبر عن النبي ﷺ:

---

(١) المجموع ٣٧٥/٣ .

(٢) أخرجه مسلم ٧٥٤، ١٦١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٧/٦/٣ ، وانظر فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٨٠-٤٨١ .

(٤) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦.

كان النبي ﷺ يصلي من الليل مثنى مثنى، ويوتر بركعة)، قال النووي: "وهذا دليل على أن السنة جعل الوتر آخر صلاة الليل"[١].

لقد أخذ الله على العلماء تبيين الحق وتوضيحه، قال تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[٢]، وفي هذه الآية دليل على أنه مأخوذ من العلماء أن يبينوا الحق للناس، وما علموه وأن لا يكتموا منه شيء لغرض فاسد، من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارِّهم أو لجر منفعة وحطام دنيا أو لتقية، مما لا دليل عليه ولا أمارة، أو لبخل بالعلم وغيره أن ينسب إليه غيرهم[٣]، ولقد حذر النبي ﷺ من كتم العلم فقال ﷺ: ((مَنْ كَتَمَ عِلْمًا عَنْ أَهْلِهِ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِجَامًا مِنْ نَارٍ))[٤].

وقد ذم الله فعل أهل الكتاب من قبل ناهيًا علماء المسلمين أن يحذوا حذوهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[٥]، أي: وإذا أخذ الله الميثاق على علماء اليهود والنصارى، لتظهرن جميع الأحكام والأخبار ونهاهم عن الكتمان بعد الأمر بالبيان مبالغة في إيجاب المأمور به، فطرحوا الميثاق وراء ظهورهم ولم يراعوه، ونبذ الشيء وراء الظهر مثلٌ في الاستهانة به والإعراض عنه بالكلية، كما أن جعله نصب العين عَلَمٌ في كمال العناية به، (واشتروا به ثمنًا قليلاً)، أي: استبدلوا به ثمنًا قليلاً أي شيئًا حقيرًا من طعام الدنيا.

قال بعض المفسرين: ثمرة الآية وجوب إظهار الحق وتحريم كتمانه فيدخل فيه بيان الدين والأحكام والفتاوى والشهادات، وغير ذلك مما يجب إظهاره - وإن المراد بذلك

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٣) الكشاف، الزمخشري ص ٢١٠.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٦٥٨، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابي داود ٣١٠٦).

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

إذا لم يؤد إلى مفسدة - ويدخل في الكتم منع الكتب المنطوية على علم الدين حيث تعذر الأخذ إلا منها"[١].

ثانيًا - من فقه الداعية: الموازنة ومراعاة الأولويات:

يتضح لنا ذلك في الحديث في بيان سنته ﷺ لكيفية صلاة الوتر من التسليم لكل ركعتين وجعل الوتر آخر الليل وغير ذلك لكن مع بيان فضل صلاة الليل إذا خشي الإنسان طلوع الفجر يقطع صلاة الليل ويختم بالوتر وذلك استعدادًا لأداء الفريضة - صلاة الصبح - فيقول ﷺ: صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة)، فيحسن بالداعية أن يراعي الموازنة بين الأمور والأحكام وأن يراعي فقه الأولويات بأن يعنى بالأهم فالمهم فالأقل أهمية، فينبغي على الداعية أن يعنى بتقديم ما هو أصل على ما هو فرع، فيقنع الناس به ويحملهم على قبوله، فإذا ما استقر في القلوب واستجابت له النفوس انتقل إلى ما هو دون ذلك متأسيًا برسول الله ﷺ حينما أنفق ثلاث عشرة سنة من عمره في معالجة قضايا العقيدة وبعض العبادات، لينتقل بعد ذلك إلى معالجة ما هو فرع من السلوك العملي وهذا الأمر يتجلى في وصية النبي الكريم ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن، فقال له: ((إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فادْعُهُمْ إلى شَهَادَةِ أَنْ لا إلهَ إلاَّ الله وأَنِّي رَسُولُ الله، فإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُم أن الله افترَضَ عَلَيْهِم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في اليَوْمِ واللَّيْلَةِ، فإن هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ فأَعْلِمْهُمْ أنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِم صَدَقَةً في أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وتُرَدُّ على فُقَرائِهِمْ، فإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فإِيَّاكَ وكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ. واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ فإنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وبَيْنَ الله حِجَابٌ))[٢]"[٣].

ولقد بيّن النبي ﷺ ووضح الأولويات في حديثه الذي ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلهَ إِلاَّ

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي ٢١٧/٤/٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٩٥، ومسلم ١٩.

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ١١٩ - ١٢٠.

الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ))[١].

إن الداعية الحكيم هو الذي يراعي الأولويات من جهة ويراعي عدم ملالة الناس من جهة أخرى، روي عن شقيق قال: ((كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ بَابِ عَبْدِ اللّهِ بن مسعود رضي الله عنه نَنْتَظِرُهُ. فَمَرَّ بِنَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّخَعِيُّ. فَقُلْنَا: أَعْلِمْهُ بِمَكَانِنَا. فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللّهِ. فَقَالَ: إِنِّي أُخْبَرُ بِمَكَانِكُمْ. فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ إِلاَّ كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ. إِنَّ رَسُولَ اللّهِ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ. مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا))[٢].

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة، فإنه كان يركّز في دعوته - وخاصة مع المدعوين الجدد - على العناية بترتيب الأولويات.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم عن شَيْءٍ، فكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يأتِيَهُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ، فَيَسْأَلَهُ، ونَحْنُ نَسْمَعُ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فقال: يا محمدُ، أتانَا رَسُولُك، فَزَعَمَ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ الله أرْسَلَكَ، قالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَمنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قال: «اللَّهُ»، قال: فمنْ خَلَقَ الأرضَ؟ قال: «اللَّهُ»، قال: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الجِبَالَ؟ فقال: «اللَّهُ»، قال: فمنْ جَعَلَ فيها هَذِهِ المَنَافعَ؟ قال: «اللَّهُ»، قال: فبالّذي خلق السماءَ وَالأرضَ، وَنَصَبَ الجِبَالَ وجعل فيها هذه المَنَافِعِ، آللَّهَ أرْسَلَكَ؟ قالَ: «نَعَمْ». قال: زَعَمَ رَسولُكَ أنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ في يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا، قال: «صدَقَ». قال: فَبِالّذي أرسَلَكَ، آللَّهَ أَمَرَكَ بهذا؟ قال: «نَعَمْ». قال: زَعَمَ رسولُكَ أَنْ علينا صدقةً في أموالنا، قال: «صدق». قال: فبالذي أَرْسَلَكَ آللَّهَ أَمَرَكَ بهذا؟ قال: «نعم». قال: زَعَمَ رسولُكَ أنَّ علينا صومَ شهرٍ في سنتنا. قال: «صَدَقَ»، قال: فبالذي أرسلك، آللَّهَ أَمَرَكَ بهذا؟ قال: «نعم». قال: زَعَمَ رسُولُك أنَّ عَلَيْنا حَجَّ البَيْتِ مَن استَطَاعَ إِلَيْهِ سبيلا، قال: «صَدَقَ»، قال: فبالذي أرسلَكَ، آللَّهَ أَمَرَكَ بهذا؟ قال: «نَعَمْ». قال: وَالذي بَعَثَكَ بالحَقِّ لا أزيدُ عليهنَّ، ولا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ

---

(١) أخرجه البخاري ٩، ومسلم ٣٨ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٢١.

شَيْئًا. فلما قفَّى، قال رَسُولُ اللَّهِ: «لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ))[1].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاة الليل والوتر:

شاء الله تعالى أن يجعل محمدًا ﷺ قدوة للمسلمين في كل عمل ولذا بعثه سبحانه معلمًا ومربيًا وقدوة لنا وأمرنا بالاقتداء به فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]، ومن ذلك ما ورد في الحديثين من الاقتداء به ﷺ في كيفية صلاة الليل والوتر، فقال ﷺ: (صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة)، كما أنه ﷺ كان يصلي من الليل مثنى مثنى، ويوتر بركعة، كما أخبر ابن عمر رضي الله عنهما في الحديث الثاني؛ فيقتدى به ﷺ بالفصل بين كل ركعتين، وتأخير الوتر لمن طمع أن يقوم آخر الليل"[3].

إن القدوة الحسنةَ سبيلُ للانضباط السلوكي والتجافي والبعد عن الوقوع في الزلل، ولقد وجه القرآن المسلمين إلى الاقتداء بأهل التقوى والصلاح، قال تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ...﴾[4]، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ...﴾[5].

إن على المرء أن يقتدي برسول الله ﷺ ولا يبالي بما يأتيه من نقد على ذلك، دَافِعُه حبُّ رسول الله ﷺ والرغبة في المثوبة.

روي عن أبي عون قال: سمعت جابر بن سمرة قال عمر لسعد: ((قَدْ شَكَوْكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَمُدُّ فِي الأُولَيَيْنِ وَأَحْذِفُ فِي الأُخْرَيَيْنِ، وَمَا

(١) أخرجه مسلم ١٢.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٥٦٤/٢.

(٤) سورة الأنعام، ية: ٩٠.

(٥) سورة الممتحنة، آية: ٤.

آلُو مَا اقْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ صَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ، أَوْ ذَاكَ ظَنِّي بِكَ))[1].

وعن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ((دَعَا أَخَاهُ عُبَيْدَ اللَّهِ يَوْمَ عَرَفَةَ إِلَى طَعَامٍ قَالَ إِنِّى صَائِمٌ. قَالَ إِنَّكُمْ أَئِمَّةٌ يُقْتَدَى بِكُمْ قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا بِحِلاَبٍ فِى هَذَا الْيَوْمِ فَشَرِبَ". وَقَالَ يَحْيَى مَرَّةً: "أَهْلُ بَيْتٍ يُقْتَدَى بِكُمْ))[2].

(١) أخرجه البخاري ٧٧٠، ومسلم ١٥٩.

(٢) أخرجه أحمد ٣٤٦/١، رقم ٣٢٣٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٢٩١/٥.

الحديث رقم (١١٧١)

١١٧١- وعنه، قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُصلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ.متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

مثنى مثنى: اثنين اثنين[٢].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابق، ولفظه مع اختلاف من عدة وجوه أولها أن هذا الحديث جاء في صورة الخبر عن رسول الله ﷺ فيتلقاه المؤمنون من جهة المحبة لرسول الله ﷺ ومتابعته في سنته، وفي الحديث السابق جاء قوله (صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى) يحتمل أن يكون خبرا لفظا، وإنشاء معنى على سبيل الأمر أي: صلوا في الليل، فيتلقاه الناس من جهة الأمر النبوي على اعتباره من هديه ﷺ، وقوله (يصلي) فعل في صيغة المضارع يفيد التجدد، والاستمرار مع كل ليلة، وقوله من الليل أي في بعض الليل، والحديث مع بيانه لكيفية صلاة النبي ﷺ بالليل فيه حث، وترغيب لاتباع سنته عملا بمقتضى المتابعة، والمحبة.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩٥)، ومسلم (٧٤٩/١٥٧، كتاب صلاة المسافرين، باب ٢٠) ولفظهما سواء، وتقدم برقم (١١٠٨).

(٢) الوسيط في (ث ن ي).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١١٠٨).

الحديث رقم (١١٧٢)

١١٧٢- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أنْ لاَ يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أنْ لاَ يُفْطِرَ مِنْهُ شَيْئًا ، وَكَانَ لاَ تَشَاءُ أنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيلِ مُصَلِّيًا إِلاَّ رَأَيْتَهُ، وَلاَ نَائِمًا إِلاَّ رَأَيْتَهُ. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول عبادة النبي، واجتهاده في طاعة الله تعالى قام على الطباق مع أسلوب القصر فقد طابق بين قوله يفطر، ويصوم دلالة على العبادة مع الرفق الذي يشير إلى الوسطية، وعدم التكلف في إتيان النوافل، كما طابق بين الفعلين المنفيين (لا يصوم، ولا يفطر) فأكد المعنى السابق، ودل على تقلّبه بين الراحة، والطاعة، وبين متعة العبادة، ومتعة الراحة حتى لا تنقطع النفس عن العمل، أو يصيبها الملل، وتنكير (شيئا) للتقليل مبالغة في بيان تماديه على هذه الحال، وأسلوب القصر، لقصر الرغبة في رؤية النبي مصليا على التحقق لهذه الرؤية، والمقصود بالصلاة النافلة؛ لأن الأمر فيها قائم على الاختيار بعكس الفريضة، ولأنه قابل الصلاة بالنوم مما يدل على أنها من قيام الليل، وقصر معنى الرغبة في رؤيته نائما على تحققها أيضا، وهو يؤكد المعنى السابق في تقلب الرسول ﷺ بين العبادة، والراحة، بين الصيام، والفطر، وبين الصلاة، والنوم مما يشير إلى أخذ النفس بالتطوع وقت إقبالها.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (إن حاله [أي حال النبي ﷺ] في التطوع بالصيام والقيام كان يختلف، فكان تارة يقوم من أول الليل وتارة في وسطه وتارة في آخره، كما كان

---

(١) برقم (١١٤١).

يصوم تارة من أول الشهر وتارة من وسطه وتارة من آخره، فكان من أراد أن يراه في وقت من أوقات الليل قائمًا أو في وقت من أوقات الشهر صائمًا فراقبه المرة بعد المرة فلا بدّ أن يصادفه قام أو صام على وفق ما أراد أن يراه. هذا معنى الخبر. وليس المراد أنه كان يسرد الصوم ولا أنه كان يستوعب الليل قيامًا. ولا يشكل على هذا قول عائشة رضي الله عنها في الباب قبله ((وكان إذا صلّى صلاة داوم عليها))[1] وقولها في الرواية الأخرى الآتية بعد أبواب ((كان عمله دِيمَةً))[2] لأن المراد بذلك ما اتخذه راتبًا لا مطلق النافلة، فهذا وجه الجمع بين الحديثين وإلا فظاهرهما التعارض، والله أعلم... وفي حديثي الباب[3] استحباب التنفل بالصوم في كل شهر، وأن صوم النفل المطلق لا يختص بزمان إلا ما نهى عنه. وأنه ﷺ لم يصم الدهر ولا قام الليل كله. وكأنه ترك ذلك؛ لئلا يقتدى به فيشق على الأمة، وإن كان قد أعطى من القوّة ما لو التزم ذلك لاقتدر عليه، لكنه سلك في العبادة الطريقة الوسطى، فصام وأفطر وقام ونام. أشار إلى ذلك المهلب[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على صيام التطوع والإكثار من صلاة النافلة.

ثانيًا: من خصائص الإسلام: الوسطية واليسر وعدم الغلو.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرحمة بالمسلمين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على صيام التطوع والإكثار من صلاة النافلة:

جاء في الحديث بيان تطوعه ﷺ وتنفله في الصيام والصلاة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن أنه لا يصوم منه، ويصوم حتى نظن أنه لا يفطر منه شيئا، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليًا إلا رأيته ولا نائمًا إلا رأيته)، وفعله ﷺ حثٌّ على صيام التطوع والإكثار من صلاة الليل لما لهما من فضل،

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٧٠ وهذا لفظه، ومسلم ٧٨٢، ٢١٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٨٧، ومسلم ٧٨٣، ٢١٧.

(٣) هما حديث ابن عباس عند البخاري ١٩٧١، وحديث أنس عند البخاري ١٩٧٢، ١٩٧٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢١٦-٢١٧ .

فقد عدهما الله ممن وعدهم بالمغفرة والأجر العظيم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾[2].

قال مجاهد وغيره: "نزلت في الصُّوام من ترك لله طعامه وشرابه وشهواته عوّضه الله طعامًا وشرابًا لا ينفدُ وأزواجًا لا تموت"[3]، أما عن القيام فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[4]، وجعل من صفات المؤمنين قيام الليل فقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾[5].

يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة[6]، وذلك من صفات المؤمنين، إنهم يبتعدون عن الفراش الوثير ويهرعون إلى الصلاة يدعون ربهم خوفًا من عقابه وطمعًا في ثوابه.

إن القيام بالليل والتهجد فيه لون من العبادة عالٍ وتوفيق من الله كبير، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد ورد فيه مع هذه الآيات، آيات وأحاديث كثيرة كلها تهدف إلى بيان فضله وجزيل مثوبته، ومن ذلك ما روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كُنْتُ مَعَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُني

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٢) الحاقة، الآية: ٢٤.

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٨٣.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٥) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٣٦٣.

الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عنِ النَّارِ، قَالَ: ((قَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ وَلاَ تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوفِ اللَّيْلِ، قَالَ: ثُمَّ تَلاَ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾[1] حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾[2] ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الاسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ. ثمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّه قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: ((كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا)). فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ((ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))[3].

إن هؤلاء المؤمنين الذين قاموا الليل، والناس نيام قد أخفوا أعمالهم، وطهروا نفوسهم من الرياء والنفاق لهم جزاء من جنس أعمالهم فلا تعلم نفس عظمة ما أخفي لهم، وأعد في الجنات من النعيم المقيم والثواب الجزيل على سبيل التفضيل، لما أخفوا أعمالهم أخفى الله ثوابها جزاءا وفاقًا، قال الحسن البصري: "أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر"، روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((يقولُ اللهُ تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحينَ ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطَرَ على قلبِ بشر، ذُخرًا من بَلْهِ ما أُطلِعتُم عليه. ثم قرأ ﴿فلا تَعلمُ نفسٌ ما أُخفِيَ لهم من قُرَّةِ أعينٍ جَزاءً بما كانوا يعلمون﴾))[4][5].

"أولئك الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا، وهم الذين

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

(٤) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٥) أخرجه البخاري ٤٧٨٠.

يتقبل الله عنهم أحسن ما عملوا، ويتجاوز عن سيئاتهم وعد الصدق الذي كانوا يوعدون، ولا غرابة فالعبد يعمل سرًا أسره إلى الله لم يعلم به الناس فأسر الله له يوم القيامة قرة أعين، ولعل التقييد بقوله: (عن المضاجع) لمزيد مدحهم وبيان قوة إيمانهم، لأن المضجع إذا كان مفروشًا كان النوم فيه ألذ، والنفس إليه أميل، فإذا هجره المؤمن والحالة هذه لأجل الصلاة، ومناجاة ربه كان ذلك أمدح له وأدل على كمال يقينه"[١].

ولقد كان رسول الله ﷺ - كما جاء في الحديث - أحرص ما يكون على قيام الليل مع ما غفر له من ذنب، ورفع له من درجة. قال ابن القيم: "فإن قيام الليل في حقه ﷺ زيادة في درجاته وفي أجره، وفي حق غيره مباح ومكفر للسيئات وأما النبي ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فهو يعمل في زيادة الدرجات وعلو المراتب وغيره في التكفير، قال مجاهد: فكانت طاعته ﷺ نافلة له أي زيادة في الثواب ولغيره كفارة لذنوبه"[٢].

ثانيًا - من خصائص الإسلام: الوسطية واليسر وعدم الغلو:

يلاحظ ذلك في الحديث في جمعه ﷺ في التطوع بين الصيام والإفطار وبين الصلاة والنوم: (كان ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه، ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئًا، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليًا إلا رأيته، ولا نائمًا إلا رأيته)، قال ابن حجر: "أي: أن صلاته ونومه كان يختلف بالليل ولا يرتب وقتًا معينًا بل بحسب ما تيسر له القيام"[٣]، وقال ابن علان: "وهذه الطريقة المشار إليها بحديث أنس رضي الله عنه أعلى طبقات العبادة وأسناها، وهناك طرائق أخر، فمنهم من شدد على نفسه بالمرة فمنعها حقها وحظها، ومنهم من أعطاها كليهما، وخير الأمور أوسطها إعطاؤها حقها وحظها واستعمالها في خدمة ربها"[٤]، فهذا الحديث وأمثاله يرسم لنا

---

(١) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٣/٢١/٦٣ - ٦٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٢٢/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٢٩.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٥.

منهج الوسطية في العبادة[١].

وقد جاءت النصوص الكثيرة التي ترشد إلى التوسط في العبادة والتجافي عن التغالي، فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[٢]، قال ابن كثير: "فاقرؤوا ما تيسر من القرآن أي: من غير تحديد بوقت، ولكن قوموا من الليل ما تيسر وعبر عن الصلاة بالقراءة"[٣]، وقال القرطبي في قوله: (فتاب عليكم)، أي: فتاب عليكم من فرض القيام إذ عجزتم، وأصل التوبة الرجوع، فالمعنى: رجع لكم من تثقيل إلى تخفيف ومن عسر إلى يسر"[٤].

"فبعد أن كان قيام الليل واجبًا انتقل الأمر من الواجب إلى المباح، فلقد خفف الله عن الأمة الإسلامية حيث اتسع العدد وأصبح فيها المريض وذو الحاجة والمسافر والمقاتل، وهؤلاء بلا شك لا يطيقون القيام فجعله مندوبًا، من شاء فعله فاستحق ثوابه، ومن شاء ترك هذا الفضل الكبير والله هو العالم بكل شيء.

إن ربك يعلم أنك قمت وامتثلت أمر ربك أنت وطائفة من قومك. قمتم أدنى من ثلثي الليل، وقمتم نصفه، وقمتم ثلثه، وكان معك صحبك والمراد بالعلم أن الله سبحانه سيجازيك على ذلك أحسن الجزاء.

والله وحده هو الذي يقدر الليل والنهار، وهو الذي يعلم المصلحة، وقد علم أن المدة السابقة كافية للتربية الإسلامية، وقد جاء معكم أناس لا يستطيعون ذلك العمل، فالله علم أنكم كجماعة لن تطيقوا قيام الليل على سبيل الواجب أما كأفراد فمنكم من يقدر وأكثركم لا يقدر، والأحكام الشرعية تبنى على الأعم الأغلب.

---

(١) الوسطية في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلابي ص ٣٦١.

(٢) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٢٨١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤/٧/٣٥٥.

فالله قد رجع عليكم بالتيسير والتخفيف منذ رجعتم إليه بالشكوى والدعاء، فاقرءوا ما تيسر من القرآن في قيام الليل أو في الصلاة في ساعة من ساعات الليل. علم الله أن الحال والشأن سيكون منكم مرضى ضعاف، لا يستطيعون قيام الليل، وآخرون منكم مسافرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله بالتجارة والسعي على تحصيل الرزق من طريق الحلال وآخرون يقاتلون في سبيل الله، هؤلاء لا يستطيعون قيام الليل، فالله خفف عنكم فاقرءوا ما تيسر منه"[١].

ثالثًا - من صفات الداعية: الرحمة بالمسلمين:

إن توسط النبي ﷺ في العبادة كما جاء في الحديث يعطينا دلالة قوية على ما ينبغي أن يتصف به الداعية من التزام صفة الرحمة والتيسير على المسلمين، وذلك مما يساعد الدعاة على ترغيب المدعوين وتبشيرهم ومعالجة الأمور باليسر والتيسير لا بالعسر والتعسير، وقد كان من سماحة الإسلام أن جعل أحكامه وتشريعاته مبنية على التيسير ورفع المشقة والحرج عن الأمة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٢]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٣].

أي: ما جعل عليكم في الدين من حرج ومشقة في جميع أمور الدين من ضيق بتكليف ما يشق القيام به"[٤]، "إن من مميزات التشريع الإسلامي رفع الحرج وهذا ظاهر للمتبع لأحكام الشريعة الإسلامية، فرفع الحرج أصل مقطوع به في الشريعة، ومن مظاهره:

أ/ اعتبار المرض والسفر والإكراه والخطأ والنسيان أعذارًا لتخفيف الأحكام وتشريع الرخص. والقاعدة الشرعية (الضرورات تبيح المحظورات) بنيت على أصل رفع الحرج دفعًا للمشاق والضيق عن أصحاب الأعذار والضرورات.

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ١٢٢/٢٩/٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٤) محاسن التأويل، القاسمي ٦٨/١٢/٧ بتصرف.

ب/ قلة التكاليف في الشريعة: فالتشريع الإلهي في هذا العصر لم يأت بتكاليف كثيرة ترهق المكلفين لأن في الإرهاق حرجًا وضيقًا، والحرج مرفوع كما قدمنا. كما أن المقصود من التكاليف إيصال المكلف إلى الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة فلا يأتي التشريع إلا بالقدر اللازم الذي تطيقه الطبيعة البشرية. ومما يدل على أن رغبة الشارع تقليل التكاليف ما أمكن التقليل ما جاء في السنة من أحاديث"[1] منها:

ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطَبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: ((يا أَيُّها النَّاسُ ! قد فُرِضَ عليكم الحَجُّ فحُجُّوا)) فقال رجلٌ: أكُلَّ عامٍ يا رسولَ الله ؟ فسكَتَ حتى قالَها ثلاثًا. فقال: ((لو قلتُ: نعم لوَجَبَتْ ولما استَطَعتُم))، ثمَّ قال: ((ذَروني ما تركتُكم، فإنما هَلَكَ منْ كانَ قبلَكم بكثرةِ سؤالهم، واختلافِهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيءٍ فأْتوا منهُ ما استَطَعتُم، وإذا نهيتُكم عن شيءٍ فدَعُوه))[2].

"إن سماحة الداعية ولينه ورحمته وسهولة معشره ودعوته إلى بيان مقاصد الإسلام من رفع للحرج والتيسير على الناس تفتح مغاليق القلوب وتنفذ به إلى أعماق النفوس يلامسها بالهداية فتقبل ويدعوها إلى الخير فتستجيب"[3].

---

(١) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان ص ٩٥.

(٢) أخرجه مسلم ١٣٣٧.

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٧٥ - ٧٦.

الحديث رقم (١١٧٣)

١١٧٣- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً - (تَعْنِي فِي اللَّيلِ) [1]- يَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً قَبْلَ أنْ يَرْفَعَ رَأسَهُ، وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الفَجْرِ، ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى شِقِّهِ الأيْمَنِ حَتَّى يَأتِيَهُ المُنَادِي للصَلاَةِ. رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

يدور الحديث حول عمل الرسول ﷺ في ليله بدأ بأسلوب خبري دون مؤكدات لأنه يتناول فضائل العمال، وهي لا تقابل بشك أو اعتراض غالبا، وتعبير أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بـ(كان) عن صلاة الرسول ﷺ في الليل، وعددها المحدد يشير إلى أنها عادة غالبة في قيامه أن يصلي هذا العدد، وقولها (يصلي) يحدد نوع هذه العبادة، وقولها (إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً) يحدد عدد هذه النوافل، وهذا العدد يؤكد أن المقصود صلاة الليل؛ لأنه ليس هناك ركعة منفردة إلا في صلاة الليل، وهي الوتر، وقد نص عليه الراوي بقوله (تعني في الليل) وقولها (يسجد سجدة) جناس يؤكد المعنى المقصود، وقولها (قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً قَبْلَ أنْ يَرْفَعَ رَأسَهُ) أي كقدر تشبيه لتقريب المدى الزمني الذي تستغرقه سجدة الرسول ﷺ وهو يشير إلى طول سجوده في صلاة القيام، وقولها (ويركع ركعتين) جناس يؤكد صلاة الركعتين، والتعبير بالركوع عن الصلاة من المجاز بالتعبير عن الكل بجزئه تنبيها على معنى فيه، وهو دلالته على الخضوع، والذل الذي يثني قامة الشامخ المتكبر، والظرف قبل المضاف لصلاة الفجر

---

(١) هذا التفسير من المؤلف، وعند مسلم زيادة: (كانت تلك صلاته).

(٢) برقم (١١٢٣).

يقرر أن المقصود سنة الفجر(ثم يضطجع على شقه الأيمن) وهو ما يسمح لجسمه بقدر من الراحة تعينه على أداء الفريضة.

فقه الحديث

١- بوّب البخاري على هذا الحديث في صحيحه: باب طول السجود في قيام الليل[١]، قال ابن حجر: (أورد فيه حديث عائشة رضي الله عنها وفيه: "كان يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية" وهو دالٌّ على ما ترجم له)[٢].

٢- استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر على جنبه الأيمن. وقد تقدم في الباب ١٩٨، الأحاديث ١١١٢-١١١٤[٣].

٣- قولها: "حتى يأتيه المنادي للصلاة" دليل على استحباب اتخاذ مؤذن راتب للمسجد، وفيه جواز إعلام المؤذن الإمام بحضور الصلاة، وإقامتها واستدعائه لها)[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الإطالة في السجود والدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

ثانيًا: من صفات الداعية: التواضع.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الإطالة في السجود والدعاء والتضرع إلى الله تعالى:

جاء في الحديث بيان مدى إحسان رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة وإطالة السجود والقراءة في قيام الليل، فعن عائشة رضي الله عنها: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي إحدى عشرة ركعة - يعني في الليل - يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسهُ.."، وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى إطالة السجود والإكثار فيه من الدعاء[٥]،

---

(١) الحديث ١١٢٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٨ .

(٣) وانظر: شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٦/١٧-١٨ .

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٦/١٨ .

(٥) انظر: الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي القحطاني ص ١٠٠٩.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ))[1]، فالصلاة روضة من رياض العبادات، فيها من كل زوج بهيج، قرآن وذكر ودعاء وتسبيح وتكبير، ولهذا كانت أفضل العبادات بعد التوحيد[2].

كما ينبغي ألا تقف الصلاة عند مجرد الحركات والأقوال وإطالتها، بل لا بد من تزيينها وتجميلها وإتمامها بالخشوع والخضوع لله رب العالمين، فإن الخشوع من أعظم المؤهلات وأكبر المسببات في فلاح العبد في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[3]، ولنصغي آذاننا لتلك النصائح الغالية من ابن الجوزي وهو يرشدنا إلى خطوات عملية لكيفية تحصيل الخشوع والخضوع لله رب العالمين فيقول: "ينبغي للمصلي أن يحضر قلبه عند كل شيء من الصلاة، فإذا سمع نداء المؤذن، فليمثل النداء للقيامة، ويشمر للإجابة، ولينظر ماذا يجيب، وبأي بدن يحضر؟ وإذا ستر عورته، فيعلم أن المراد من ذلك تغطية فضائح بدنه عن الخلق، فليذكر عورات باطنه، وفضائح سره التي لا يطلع عليها إلا الخالق، وليس لها عنه ساتر، وأنها يكفرها الندم والحياء والخوف. وإذا استقبل القبلة، فقد صرف وجهه عن الجهات إلى جهة بيت الله تعالى، فصرف قلبه إلى الله تعالى أولى من ذلك، فكما أنه لا يتوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها، كذلك القلب لا ينصرف إلى الله تعالى إلا بالانصراف عما سواه.

إذا كَبّرت أيها المصلي، فلا يكذبن قلبُك لسانك، لأنه لو كان في قلبك شيء أكبر من الله تعالى فقد كذبت، فاحذر أن يكون الهوى عندك أكبر، بدليل إيثارك موافقته على طاعة الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٣٦٥.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١، ٢.

فإذا استعذت، فاعلم أن الاستعاذة هي ملجأ إلى الله سبحانه، فإذا لم تلجأ بقلبك كان كلامُك لغوًا. وتفهم معنى ما تتلو، وأحضر التفهم بقلبك عند قولك: (الحمد لله رب العالمين)، واستحضر لطفه عند قولك: (الرحمن الرحيم)، وعظمته عند قولك: (مالك يوم الدين)، وكذلك في جميع ما تتلو. واستشعر في ركوعك التواضع... وفي سجودك الذل. لأنك وضعت النفس موضعها، ورددت الفرع إلى أصله بالسجود على التراب الذي خلقت منه. وتفهم معنى الأذكار بالذوق. واعلم أن أداء الصلاة بهذه الشروط، سبب لجلاء القلب من الصدأ وحصول الأنوار فيه التي بها تتلمح عظمة المعبود، وتطلع على أسراره، وما يعقلها إلا العالمون. فأما من هو قائم بصورة الصلاة دون معانيها فإنه لا يطلع على شيء من ذلك، بل ينكر وجوده"[١].

ثانيًا - من صفات الداعية: التواضع:

نرى ذلك واضحًا في مدى تواضع رسول الله ﷺ وتذلله لربه وذلك في تطوعه لله بالليل وإطالته السجود تواضعًا وتقربًا إلى الله تعالى وانشغالاً بدعائه: (كان يصلي إحدى عشرة ركعة يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه)، وذلك من الأخلاق التي ينبغي أن تغرس في نفوس الدعاة، فإذا رزق الداعية الإخلاص في دعوته كان متواضعًا لله تعالى ولعباد الله المؤمنين، وللتواضع دور بارز في الدعوة فبقدر ما يلين الداعية جانبه يألفه الناس ويحبون دعوته، أما إن تعالى الداعية وتكبر على مَنْ حوله فإذا الناس تنفر منه وتنفض الجموع من حوله[٢]، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٣]، والتواضع بهذا المعنى ينافي الذلة والمهانة، فإن الله سبحانه وتعالى يحب التواضع ويبغض الضعة والمهانة[٤].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ٢٨ ، ٢٩.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ٧٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم ٢/٢٤٥.

إن التواضع من خير الخلال وأحب الخصال إلى الله وإلى الناس، وهو موجب للرفعة، وباعث على التآلف، ومحقق للحب والود وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يتواضع للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)]، وبيّن أن ذلك من أسباب جمع القلب عليه فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[(٢)]"[(٣)].

والتواضع في الحقيقة هو إلانة الجانب مع عزة في النفس وإباء للضيم، ومن التواضع عدم الافتخار بالآباء والأجداد، ومن التواضع عدم البغي والاعتداء.

والتواضع يمكّن الدعاة من جمع الأنصار ويحببهم إلى الناس فيستمعون إليهم ويتأثرون بهم، ويتأسون بأفعالهم، ويجب أن يكون التواضع من جميع الناس مع الكبير والصغير والرئيس والمرؤوس والغني والفقير، والضعيف والقوي، ومع العالم والجاهل وكل أصناف المجتمع.

فمن التواضع: طيب الحديث، والتبسّم في وجه الناس، والرفق بهم وعدم مؤاخذتهم بزلاتهم، وتهدئة روعهم إذا فزعوا"[(٤)].

"ولقد كان نبي الرحمة ﷺ وهو قدوة الدعاة قمة في التواضع مع جميع الناس مع علو منصبه ورفعة رتبه وحسبنا أن الله تعالى خيّره بين أن يكون نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدًا فاختار أن يكون نبيًا عبدًا"[(٥)].

وكان ﷺ كثيرًا ما يعظ قومه ويقول: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ))[(٦)].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٥٧.

(٤) انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل ص ٨١ – ٨٢.

(٥) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا ٣٠١/٣.

(٦) أخرجه مسلم ٩١.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التأسي بالنبي ﷺ في قيام الليل:

لقد أرشدنا الحق سبحانه وتعالى إلى الاقتداء برسول الله ﷺ واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه[1]، يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2]، وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[3]، ومن ذلك ما ورد في الحديث عن حاله ﷺ في قيام الليل: (كان يصلي إحدى عشرة ركعة يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه)، وذلك بيان لكيفية قيامه بها ولاستحباب إطالتها ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر - أي سنته القبلية[4]، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادي للصلاة، قال ابن القيم: "وفي اضطجاعه على شقه الأيمن سر، وهو أن القلب معلق في الجانب الأيسر فإذا نام الرجل على الجنب الأيسر استثقل نومًا لأنه يكون في دعة واستراحة، فيثقل نومه، فإذا نام على شقه الأيمن فإنه يقلق ولا يستغرق في النوم لقلب القلب وطلبه مستقره وميله إليه، ولذا فإن صاحب الشرع يستحب النوم على الجانب الأيمن لئلا يثقل نومه فينام عن قيام الليل"[5].

"إن من تمام الإيمان وكمال الإحسان أن يقتدي المسلم ويتأسى برسول الله ﷺ ظاهرًا وباطنًا بحيث يجرد العبد متابعته لرسول الله ﷺ ويكتفي بالتلقي والأخذ عنه والعمل بما جاء عملاً بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[6]، فلا اعتقاد ولا عبادة ولا معاملة ولا خلق ولا أدب ولا نظام اجتماعي ولا اقتصادي أو سياسي.. إلخ إلا عن طريقه، وعلى وفق ما جاء به من

---

(١) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرءوف محمد عثمان ص ٦٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٥.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٢١ - ٣٢٢.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

أحكام وتعاليم في الكتاب الكريم والسنة الصحيحة، بحيث تكون شريعته هي المهيمنة والرائدة"[١].

قال ابن القيم في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[٢]: "وهو دليل على أن من لم يكن الرسول ﷺ أولى به من نفسه فليس من المؤمنين، وهذه الأولوية تتضمن أمورًا منها أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً، بل الحكم على نفسه للرسول ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده، فليس له على نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول ﷺ الذي هو أولى به منها"[٣].

---

(١) اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل بن علي البعداني، بحث في كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ١١٦.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٦.

(٣) بدائع التفسير ٣/٤٢٢.

الحديث رقم (١١٧٤)

١١٧٤- وعنها، قالت: مَا كَانَ رسولُ الله ﷺ يَزيدُ - فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ- عَلَى إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً: يُصَلِّي أرْبَعًا فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أرْبَعًا فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ[١]، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاثًا. فَقُلتُ: يَا رسولَ اللهِ، أتَنَامُ قَبْلَ أنْ تُوتِرَ؟ فَقَالَ: ((يَا عَائِشَة، إنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث ينص على المعنى الذي أشار إليه سابقه، وهو أنه ﷺ كان يصلي في نافلة الليل أحد عشر ركعة، وقد نصت على ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن طريق أسلوب النفي الذي ينفي الزيادة عن هذا العدد (مَا كَانَ رسول الله ﷺ يَزيدُ - فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ - عَلَى إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً) ثم وصفتها بما يسهل على المؤمنين الحريصين متابعتها (يُصَلِّي أرْبَعاً فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ) النهي للتعظيم، والتفخيم معناه أنهن في نهاية من كمال الحسن، والطول مستغنيات بظهور حسنهن، وطولهن عن السؤال عنه، ووصفهن بالحسن يشير إلى تمام الأداء، والخشوع وقولها (ثم يُصَلِّي أرْبَعاً فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ) الربط ب(ثم) بين الجملتين يشير إلى فاصل بين الأربع الأولى، والأربع الثانية، والاستفهام كسابقه للتعظيم، والتفخيم الذي يشير إلى حسن الأداء، والاجتهاد في الطاعة، وقوله (يَا عَائِشَة، إنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي) يشير إلى خصيصة للنبي ﷺ والجناس بين تنامان، وبين، ولا ينام يؤكد المعنى، وفيهما طباق سلب ينفي الغفلة المؤدية لانقطاع الذكر الذي يمثل شعاع النور الذي يربطه بخالقه.

---

(١) عندهما زيادة: (ثمَّ يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهنّ، ثمَّ يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهنّ وطولهنّ).

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨/١٢٥) ولفظهما سواء.

فقه الحديث

قال ابن حجر:

(١- في الحديث دلالة على أن صلاته كانت متساوية في جميع السنة.

٢- وفيه كراهة النوم قبل الوتر، لاستفهام عائشة رضي الله عنها عن ذلك، كأنه تقرّر عندها منع ذلك فأجابها بأنه صلى الله عليه وسلم ليس في ذلك كغيره)[١].

٣- وقال النووي: (قولها: "كان يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن" وفي هذا الحديث مع الأحاديث المذكورة بعده في تطويل القراءة والقيام، دليل لمذهب الشافعي وغيره ممن قال: تطويل القيام أفضل من تكثير الركوع والسجود، وقال طائفة: تكثير الركوع والسجود أفضل. وقال طائفة: تطويل القيام في الليل أفضل وتكثير الركوع والسجود في النهار أفضل)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان صلاة الليل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الليل ووتره.

ثالثًا: من خصائصه صلى الله عليه وسلم: نوم عينيه ويقظة قلبه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان صلاة الليل:

لقد أرشد الله سبحانه عباده إلى الإحسان، وذلك في كل شيء، فعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللّهِ. قَالَ: ((إنَّ اللّهَ كَتَبَ الإحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ..))[٣]، وأداء العبادة أولى الأمور بالإحسان، وفي الحديث ما يدلّ صراحة على إحسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبادته ربه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٣٣ .

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٦/١٨ .

(٣) أخرجه مسلم ١٩٥٥.

وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن) قال النووي: "معناه: هن في نهاية من كمال الحسن والطول مستغنيات بظهور حسنهن وطولهن عن السؤال عنه والوصف"[١]، وذلك لكمال اشتمالهن على الآداب المطلوبة فيها وطولهن، وإن ظهور ذلك يغني عن السؤال[٢].

إن حرص المسلم على إحسانه العبادات - فرائض ونوافل - يؤدي به إلى كون الإحسان ملازمًا له في حياته ويمتد ليشمل كافة أحواله.

إن الله سبحانه وتعالى عندما نشر أبناء آدم فوق الثرى وناط بهم رسالة الحياة كلفهم - كي يكونوا ربانيين - أن يحسنوا العمل وأن يبلغوا به درجة الكمال، وإذا غلبتهم طباعهم الضعيفة فلم يصلوا إلى هذا الشأن كرروا المحاولات، ولم يستريحوا إلى نقص أو قصور، وعليهم أن يجاهدوا حتى يبلغوا بأعمالهم درجة الكمال المستطاع[٣].

إن الإحسان ليس من نوافل الأعمال وإنما هو فريضة افترضها الله على الناس وأولاهم بها المؤمنون، كما في الحديث الذي روي عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ. وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ. وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ. وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ))[٤].

"إن الإحسان يقتضي من المسلم اتقان العمل المنوط به، اتقان من يعلم علم اليقين أن الله عز وجل ناظر إليه مطلع على عمله، وبهذا الاتقان تنهض الأمم وترقى المجتمعات"[٥].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاة الليل ووتره:

إخبار أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بصفة صلاة رسول الله ﷺ ليست لمجرد النقل

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٥.

(٣) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، الشيخ محمد الغزالي ص ١٩١.

(٤) أخرجه مسلم ١٩٥٥.

(٥) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، الشيخ محمد الغزالي ص ١٩٢.

والإخبار وإنما زيادة على ذلك الاقتداء والاعتبار، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[١]، ومن ذلك ما جاء في الحديث من إحسان رسول الله ﷺ وتطويله القيام في رمضان، فتقول عائشة رضي الله عنها: (ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا)، إذ أنه من لوازم الاقتداء والمحبة لرسول الله ﷺ الوقوف على هديه ﷺ وتدبر سنته والاقتداء به في كل أمر من أمور الدين حتى يكون المسلم على بصيرة ويقين من أنه على جادة الاتباع[٢].

إن اتباع رسول الله ﷺ والاقتداء به دليل على محبة المسلم لرسول الله ﷺ واستحقاق المسلم لثمرة هذه المحبة من محبة الله للعبد ومغفرته له، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

قال ابن تيمية: "ومما ينبغي التفطن له أن الله سبحانه قال في كتابه: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ...) قال طائفة من السلف: ادَّعى قوم على عهد النبي ﷺ أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ....). فبين سبحانه أن محبته توجب اتباع الرسول ﷺ، وأن اتباع الرسول ﷺ يوجب محبة الله للعبد، وهذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله، فإن هذا الباب تكثر فيه الدعاوي والاشتباه"[٤].

وقال ابن كثير: "هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.
(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٧.
(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.
(٤) مجموع الفتاوى ٨١/١٠.

الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين المحمدي في جميع أقواله وأفعاله"(١).

وقال ابن القيم: "(يحببكم الله) إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة ومحبته لكم منتفية"(٢).

ويقول: " وثباتها إنما يكون بمتابعة الرسول ﷺ في أعماله وأقواله وأخلاقه فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وقوتها وبحسب نقصانه يكون نقصانها"(٣).

ثالثًا – من خصائصه ﷺ: نوم عينيه ويقظة قلبه :

إن للحبيب ﷺ خصائص اختصه الله تعالى بها، لكماله الذاتي والروحي ولم تكن لغيره من أفراد أمته، والتي منها نوم العينين دون القلب، فهذه خصوصية من خصوصياته ﷺ(٤)، وقد جاء التصريح بذلك في الحديث: (فقلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟) وذلك استفهام لبيان حكمة النوم قبله مع أن النوم ربما يغلب على النائم فيؤدي النوم قبله إلى فواته فقال ﷺ مرشدًا للفرق بينه وبين باقي الأمة: (يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي)، وهذا من خصائص الأنبياء عليهم السلام ولذا لا ينتقض وضوؤهم بالنوم(٥).

قال البغوي: "ونومه ﷺ، وقيامه إلى الصلاة من خصائصه ﷺ، لأن عينه كانت تنام ولا ينام قلبه، فيقظة قلبه تمنعه من الحدث، وإنما منع النوم قلبه ليعي

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٥٨/١.

(٢) مدارج السالكين ٢٢/٣.

(٣) المرجع السابق ٣٧/٣.

(٤) هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، أبو بكر جابر الجزائري ص ٣٨٧.

(٥) انظر: إكمال المعلم، القاضي عياض ٨٥/٣، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٦.

الوحي إذا أوحي إليه في منامه، قال عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وحي ثم قرأ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾[1]"[2].

(١) سورة الصافات، آية: ١٠٢.

(٢) شرح السنة ٤/٦.

الحديث رقم (١١٧٥)

١١٧٥- وعنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَنَامُ أوّلَ اللّيلِ، وَيَقُومُ آخِرَهُ فَيُصلِّي. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تشير أم المؤمنين رضي الله عنها عن عادة الرسول ﷺ في تقسيم ليله بين حق الجسم في الراحة التي تعينه على طاعة الله، ومواصلة الدعوة، وأعباء الحياة، وبين العبادة التي يجد فيها قرة عينه، ويتقرب فيها إلى ربه، وتقوي روحه، وقد دلت على العادة في عبادته بالليل عن طريق فعل الكينونة الماضي (كان) ثم أشارت عن طريق الطباق بين أول، وآخر إلى بداية كل عمل، ونهايته كما أشارت بالطباق بين ينام، ويقوم إلى تقلبه بين العبادة، والراحة بما يضمن الاستمرار في العبادة، وعدم هلاك الجسم الذي هو الوسيلة لأداء تلك العبادة.

فقه الحديث

فيه تفضيل تأخير الوتر، لكن ذلك في حق من طمع أن ينتبه[٢]، فإذا خاف غلبة النوم استحب له أن يصلي قبل أن ينام ليكون عاملاً بالسنة "ونوم على وتر".

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: اليسر وعدم المشقة وإرهاق النفس والبدن.

ثانيًا: من خصائص الدعوة: الوسطية.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٦) واللفظ له، ومسلم (٧٣٩/١٢٩).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٣١ ، وانظر كذلك: شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٦/٢٢ .

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٧٥ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٧٩).

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التأسي بالنبي ﷺ في قيامه الليل ونومه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: اليسر وعدم المشقة وإرهاق النفس والبدن:

إن اليسر مطلب من مطالب الشريعة الإسلامية، ولذلك كان رسول الله ﷺ بلسان مقاله وحاله يدعو إلى الوسطية والموازنة بين العبادة وحق الجسد، والحديث ينقل لنا صورة من صور دعوته ﷺ العملية إلى اليسر ومجانبة المشقة، فعن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي ﷺ كان ينام أول الليل ويقوم آخره فيصلي) وذلك أداء لكلٍ من العين والنفس حقها، وذلك أن الجسد يصيبه الكلال من مزاولة الأعمال[1]، ثم إن ذلك أدعى إلى الإقبال على العبادة بهمة ونشاط[2]، والمداومة على الأمر والقدرة على الاستمرار وعدم الانقطاع[3].

ومن الشواهد على أهمية اليسر في العبادة وعدم إرهاق النفس قول النبي ﷺ: "أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً"[4].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَه))[5]، صدق رسول الله ﷺ، ومعنى هذا الحديث أن العبادة ميسرة والمبالغة فيها لا تعني أن المرء يستطيع بلوغ حد الكمال.

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ هذَا الدينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فيهِ بِرِفْقٍ))[6].

وبهذا يتميز الإسلام عن غيره من التشريعات بأنه دين الحنيفية السمحة، وقال

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٦.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٩.

(٣) موسوعة نضرة النعيم ٤/١٤١٩.

(٤) أخرجه البخاري ١١٣١.

(٥) أخرجه البخاري ٣٩.

(٦) أخرجه أحمد ٣/٩٩، رقم ١٣٠٥٣، وقال عنه محقق المسند: حسن بشواهده٢٠/٣٤٦.

رسول الله ﷺ: ((إنّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَةٍ سَمْحَةٍ))[١]، فلو ثبت وجود الحرج في الشرع لم تكن الشريعة حنيفية سمحة بل كانت حرجية عسرة، وهذا باطل لتكذيبه خبر الرسول ﷺ، فبطل ما أدى إليه وثبت أنه لا حرج في الشرع.

وللشرع مقاصد، منها المقاصد العامة وهي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، ويدخل في المقاصد العامة أوصاف الشريعة (مثل الفطرة، والسماح واليسر)، وغايتها العامة (درء المفاسد وجلب المصالح).

فالشريعة حنيفية سمحة، حنيفية في التوحيد، لأن مبناها على عبادة الله وحده لا شريك له، ومن المبادئ التي راعاها الإسلام في أمر العبادة هو اليسر ورفع الحرج ووضع الآصار، الآصار التي عرفت في بعض الديانات كاليهودية وغيرها. وذلك أن التشديد قد يصلح علاجًا في ظروف خاصة لجماعة معينة ولمرحلة مؤقتة، وقد خصّ الله الشريعة الإسلامية بالسماحة والسهولة واليسر، لأنه أرادها رسالة للناس كافة والأقطار جميعًا ورسالة هذا شأنها من العموم والخلود لا بد أن يجعل الله الحكيم في أثنائها من التيسير والتخفيف والرحمة ما يلائم اختلاف الأجيال وحاجات العصور، وشتى البقاع، وهذا واضح في شريعة الإسلام عامة، وفي العبادات خاصة[٢].

ثانيًا - من خصائص الدعوة: الوسطية:

إن ما جاء في الحديث من بيان حاله ﷺ في العبادة من التوسط وإعطاء البدن حقه، إشارة إلى ما اختصت به الدعوة من التوسط في العبادة، فعن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي ﷺ كان ينام أول الليل ويقوم آخره فيصلي)، وقوله ﷺ: "أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوما"، وذلك مظهر من مظاهر الوسطية والسماحة في الإسلام، يقول ابن القيم: "جمع الله عز وجل في هذه الشريعة بين كونها حنيفية

---

(١) أخرجه أحمد ١١٦/٦، رقم ٢٤٨٥٥، وقال محققو المسند: حديث قوي وإسناده حسن ٣٤٩/٤١.

(٢) اليسر في القرآن الكريم، رافت كامل عيد السيوري ص ٨٩.

وكونها سمحة، فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل"[١]، وأمرنا الله بالعمل قدر استطاعتنا، فقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[٢]، قال ابن كثير: "أي: جهدكم وطاقتكم، وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٣]، لأنه لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم، وتقرحت جباههم فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفًا للمسلمين ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[٤][٥]، ودلالة الوسطية على هذا القول واضحة جلية"[٦]، والوسطية في الإسلام دليل الخيرية ومظهر الفضل والتمييز، فالإسلام وسط في الاعتقاد والتصور وسط في التعبد والتنسك، وسط في الأخلاق الآداب، وسط في التشريع والنظام[٧].

"وقد وردت نماذج عملية في السنة النبوية تبين دعوة الإسلام إلى الوسطية في الأمور كلها، وفي مقدمتها العبادات، منها ما روي عن أنس ﷺ قال: جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى بيوتِ أزواج النبيِّ ﷺ يسألونَ عن عبادةِ النبيِّ ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تَقالُّوها، فقالوا: وأينَ نحنُ منَ النبيِّ ﷺ؟ قد غَفَرَ اللهُ لهُ ما تقدَّمَ من ذنبهِ وماتأخَّر. قال أحدُهم: أما أنا فأنا أصلِّي الليلَ أبدًا. وقال آخر: أنا أصومُ الدهرَ ولا أُفطر. وقال آخر: أنا أعتزِلُ النساء فلا أتزوَّجُ أبدًا. فجاء رسولُ الله ﷺ فقال: ((أنتُم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما واللهِ إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصومُ وأُفطر، وأصلِّي وأرقُد،

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ١٥٨/١.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٤) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٣٨/٨.

(٦) الوسطية في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلابي ص ٣٦٧.

(٧) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ١٣٣ - ١٣٥.

وأتزوجُ النساء، فمن رغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مني))[1].

فما بدر من بعض الصحابة رضي الله عنهم في الحديث موقف من مواقف الغلو، يجلي لنا سبب هذه النزعة، وهو الرغبة الصادقة في التزود من الخير، التي دفعتهم للسؤال عن أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في عبادته، فلما علموا رأوا أن ذلك قليل فقالوا ما قالوا.

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقر هذا الاتجاه فبادر بعلاجه، وصحح نظرتهم لتحصيل خشية الله وتقواه؛ فبيّن أنها ليست بالتضلع من أعمال والتفريط في أخرى، ولكنها تحصل بالموازنة بين جميع مطالب الله، وهذا هو عين الوسطية والحكمة والاستقامة والاعتدال والعدل"[2].

وما سبق على مستوى النهج الجماعي أو العددي، كذلك أنكر النبي صلى الله عليه وسلم الغلو على مستوى الأفراد، فروي أن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينَ سَلمانَ وأبي الدَّرداءِ، فزارَ سَلمانُ أبا الدَّرْداءِ، فرأى أمَّ الدَّرداءِ متَبذِّلةً فقال لها: ماشأنُك؟ قالت: أخوكَ أبو الدَّرداءِ ليسَ لهُ حاجةٌ في الدُّنيا. فجاءَ أبو الدَّرداءِ فصنَعَ لهُ طَعامًا فقال له: كُلْ، قال: فإني صائمٌ، قال: ما أنا بآكِلٍ حتى تأْكُلَ. قال: فأَكلَ. فلمّا كان الليلُ ذَهبَ أبو الدرداءِ يقومُ، قال: نَمْ، فنام. ثم ذَهبَ يقومُ، فقال: نَمْ. فلمّا كانَ مِن آخِرِ الليلِ قال سَلمانُ: قُمِ الآنَ، فصلّيا. فقال له سَلمانُ: إنَّ لِربِّك عليكَ حقًا، ولنفْسِك عليكَ حقًا ولأهلِكَ عليكَ حقًا فأعْطِ كلَّ ذي حَقّ حقّه. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذَكرَ ذلكَ له، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((صَدَقَ سَلمانُ))[3].

وروي عن أنس رضي الله عنه قال: دَخَلَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَسْجِدَ. وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ فَقَالَ: «مَا هذَا؟» قَالُوا: لِزَيْنَبَ تُصَلّي. فَإِذَا كَسِلَتْ أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ. فَقَالَ: ((حُلُّوهُ. لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ. فَإِذَا كَسَلَ أَوْ فَتَرَ قَعَدَ))[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٦٣.

(٢) الوسطية في القرآن، د. علي الصلابي ص ٤٩٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٣٩.

(٤) أخرجه البخاري ١١٥٠، ومسلم ٧٨٤.

فهذا الحديث يدل على أن النساء لم يكنَّ أقل حرصًا من الرجال على التزود من الخير، والتنافس في أعمال البر، وقد تجلى ذلك في هذه النزعة الجامحة نحو العبادة، ولكن الرسول ﷺ لم يقر هذا الجموح الضار، فعمد إلى الزجر عنه، وأمر بالوسط النافع.

ولنستمع الآن إلى تعليق الإمام النووي حيث يقول: "فيه دليل على الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصًا بالصلاة بل هو عام في جميع أعمال البر.. وفي الحديث كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته؛ لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم، وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر، فتكون النفس أنشط والقلب منشرحًا، فتتم العبادة ..."[1].

ويلاحظ في النماذج السابقة التحذير من الغلو والإفراط، وأنه قد ينتهي بصاحبه إلى الانقطاع والتوقف، أو الزيادة على ما لم يشرعه الله عز وجل، وبالتالي يصبح مردودًا على صاحبه[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: التأسي بالنبي ﷺ في قيامه الليل ونومه:

إن المسلم مطالب بالتأسي بالنبي ﷺ في جميع أقواله وأفعاله ومنها ما جاء في الحديث من بيان حاله ﷺ في قيامه الليل ونومه، فعن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي ﷺ كان ينام أول الليل ويقوم آخره)، وقد أمر الله تعالى بالاقتداء به ﷺ في شؤونه عامة إلا ما كان خاصًا به فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3]، وقد استفاضت نصوص الكتاب والسنة في تعظيم شأن الاتباع وبيان أهميته، وأن سعادة المسلم في الدارين موقوفة على متابعة النبي ﷺ، وأن متابعته ﷺ أقوى مظهرٍ وأوضح شاهد على صدق المحبة لرسول الله ﷺ وبدونه

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٢١.

(٢) وكذلك جعلناكم أمة وسطًا، عبدالعزيز بن ناصر الجُليل ص ١٤٠.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

تصبح المحبة دعوى مجردة عن الدليل وقولاً لا يصدقه عمل[١]، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

---

(١) محبة الرسول ﷺ الاتباع والابتداع، عبدالرعوف محمد عثمان ص ٦٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣١.

الحديث رقم (١١٧٦)

١١٧٦- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سوءٍ! قيلَ: مَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أنْ أجلِسَ وَأدعَهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ أعظم الخلق شكرا لله تعالى وأكثرهم اجتهادا في العبادة، وهذا أمر بيِّن لصاحب خير القلوب، وأعظمها، وأتقاها عن ابن مسعود ﷺ قال: [إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء][2]، وهذا الحديث يشير إلى التفاوت بين النبي ﷺ وبين أفراد أمته، وإن كانوا من المجتهدين في العبادة، فالفارق كبير بين القلبين الحاملين للجسدين على الطاعة، ولذلك وجدنا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه يخبر بهذا الإحساس بالضعف مع تطاول فترة الوقوف عليه عن الحد الذي يعتاده مثله، والذي عبَّر عنه بقوله (فَلَمْ يَزَلْ قائِماً) والفعل الدال على الاستمرار يحكي تمطي الزمان على ابن مسعود، ويؤكده اسم الفاعل الدال على الاستمرار في القيام حتى تعب، وكلٌّ، دل على ذلك بيان الغاية التي وصل إليها في قوله (حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سوءٍ !) كناية عن عزمه على ترك الصلاة خلف النبي ﷺ، والذي فسره في رده على سؤال السائل (قيلَ: مَا هَمَمْتَ ؟

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٣/٢٠٤) الشطر الأول بلفظ البخاري، والشطر الثاني بلفظ مسلم، وتقدم برقم (١٠٣).

(٢) مسند الإمام أحمد ٣٧٩/١، كتاب: مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند عبد الله بن مسعود، حديث: ٣٦٠٠ ، مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط، ط/ مؤسسة قرطبة – القاهرة .

قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجلِسَ وَأَدَعَهُ) والتعبير بالهم يوحي بالفكرة التي جالت في ذهنه في أثناء الصلاة من طول القيام وهو ما يدل على عزيمة الرسول ﷺ واجتهاده في الطاعة، والعبادة.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم القراءة في صلاة الليل والتطويل فيها كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

وقد سبق القول في الحديث رقم (١١٧١) أنه قد اتفق الفقهاء[1] على أنه يستحب لمن قام صلاة الليل أن يفتتح التهجد بركعتين خفيفتين ثم يطول في القراءة بعد ذلك كيف يشاء، وأن التطويل في القراءة والقيام أفضل من كثرة الركوع والسجود في هذه الصلاة لفعله ﷺ في هذا الحديث حتى هم ابن مسعود رضي الله عنه بأن يجلس ويدعه من طول القراءة.

المضامين الدعوية[2]

(١) المبسوط ١٥٨/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٥/١، أحكام القرآن، الجصاص ٢٦/١، ٣١١/٣، شرح معاني الآثار ٢٨٣/١، المجموع ٥٣٦/٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٥٦/١، ٢٠٠، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٢٤٧/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٦/١.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٠٣).

الحديث رقم (١١٧٧)

١١٧٧- وعن حذيفة رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المئَةِ، ثُمَّ مَضَى، فقلتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى، فقلتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقرأُ مُتَرَسِّلاً: إِذَا مَرَّ بآيةٍ فِيهَا تَسبيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ((سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ)) فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: ((سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، (رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ)[1])) ثُمَّ قَامَ طَويلاً قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: ((سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى)) فَكَانَ سجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في الدلالة على قيام الرسول صلى الله عليه وسلم ومع غيره في مجاراته، وهو يطيل إذا صلى لنفسه ما شاء غير أن الراوي، وصاحب القصة في هذا الحديث هو حذيفة رضي الله عنه، وقد رواه بشيء من التفصيل الذي يفصح عن إحساسه بالتعب شيئا فشيئا مع تطاول القيام عليه، وقوله (فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المئَةِ، ثُمَّ مَضَى) فقوله يركع عند المائة يحكي خاطره، ويوضح رغبته، وقوله ثم مضى يشير إلى طول انتظاره ليركع، وتكرار ثم في الربط بين جمل يشير إلى طول الوقت وتمطيه في إحساسه مع تجاوز الرسول صلى الله عليه وسلم لسورة البقرة ثم النساء ثم آل عمران وقوله (يَقرأُ مُتَرَسِّلاً: إِذَا مَرَّ بآيةٍ فِيهَا تَسبيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ) مما يدل على طول الصلاة الذي فاق قدرة حذيفة رضي الله عنه على التحمل لاسيما أن ركوعه، وسجوده كان قريبا من قيامه، قال الشيخ ابن العثيمين (فجمع عليه الصلاة والسلام بين القراءة، وبين

---

(١) هذه الزيادة في رواية جرير عند مسلم.

(٢) برقم (٧٧٢/٢٠٣)، وتقدم برقم (١٠٢).

الذكر، وبين الدعاء، وبين التفكر؛ لأن الذي يسأل عند السؤال، ويتعوّذ عن التعوذ، ويسبح عن التسبيح، لا شك أنه يتأمل قراءته ويتفكر فيها، فيكون هذا القيام روضة من رياض الذكر؛ قراءة وتسبيحاً ودعاءً وتفكراً، والنبي - عليه الصلاة والسلام - في هذا كله لم يركع. فهذه السور الثلاث: البقرة والنساء، وآل عمران أكثر من خمسة أجزاء، وربع، إذا كان الإنسان يقرؤها بترسل، ويستعين عند فتح الوعيد، ويسأل عند آية الرحمة، ويسبح عند آية التسبيح، كم تكون المدة ؟ لا شك أنها تكون طويلة، ولهذا كان - عليه الصلاة والسلام - يقوم حتى تتورم قدماه وتتفطر)[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم التطويل في قيام الليل، وقد جاء بيانه في الحديث رقم (١١٧١).

الثاني: حكم فرائض الصلاة وكيفية إتمامها بركوعها وسجودها وما فيها من قراءة وأنه ﷺ يطيل ما كان هناك داع ويقصر ما كان هناك داع له.

وقد اتفق الفقهاء[2] على أن فرائض الصلاة التي لا تصح إلا بها النية وتكبيرة الإحرام والقيام والقراءة والركوع والرفع منه والسجود والرفع منه والتشهد والسلام عن اليمين وعن اليسار، وقد اختلفوا في عددها فمنهم قال هي ستة كالحنفية، ومنهم من جعلها ثلاثة عشر أو أربعة عشر وهم جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، لابن العثيمين حديث (١٠٢).

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٠٦/١ وما بعدها، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٦/١ وما بعدها، مواهب الجليل ٥١٤/١ وما بعدها، شرح منح الجليل ٢٤١/١ وما بعدها، مغني المحتاج ٣٤٠/١ وما بعدها، نهاية المحتاج ٤٤٩/١ وما بعدها، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٣٠/١ وما بعدها، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ١٨٣/١ وما بعدها.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٠٢).

الحديث رقم (١١٧٨)

١١٧٨- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ أيُّ الصَّلاَةِ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((طُولُ القُنُوتِ)) رواه مسلم[1].

المراد بـ (القنوتِ): القيام.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

القنوت: صلاة القيام[2].

الشرح الأدبي

الحديث قصير يتناول بالبيان أفضلية أجزاء الصلاة، والسؤال الذي وُجِّه للرسول ﷺ (أيُّ الصَّلاَةِ أفْضَلُ ؟) أي الصلاة استفهام عن أفضل أركانها أي: أي أركانها أو كيفياتها أفضل أي أكثر ثوابا، وفضلا قال (طول القنوت) أي: القيام، أو القراءة، أو الخشوع، وأفعل التفضيل تقتضي الاتفاق في الأصل، والتفاوت في الصفة بمعنى أنها تدل أولا على أن جميع أجزاء الصلاة فاضلة، وثانيا :أن أفضلها، وأكثرها ثوابا طول القيام.

فقه الحديث

قال النووي: (فيه دليل للشافعي ومن يقول كقوله: إن تطويل القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود)[3].

وقد اختلف الفقهاء فيما إذ كان التطويل في القراءة أفضل أم كثرة الركوع والسجود عل خمسة آراء:

---

(١) برقم (٧٥٦/١٦٥). تنبيه: هذا الحديث أورده المنذري في ترغيبه (٣٩٢٩) بلفظ أطول عن عمير بن قتادة، أخرجه الطبراني في الأوسط (٨١٢٣)، ولكن المؤلف عدل عن ذلك بإيراده عن مسلم مختصرًا.

(٢) رياض الصالحين ٤٢٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٣١/٦/٣ .

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة(١)، والمالكية(٢) في قول عندهم، والشافعية(٣)، وأحمد في رواية(٤)، ويرون أن طول القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود.

واستدلوا على ذلك: بحديث الباب، وفيه أن "أفضل الصلاة طول القنوت" والمراد بالقنوت في الحديث: القيام(٥).

ولأن فيه جمعًا بين فرضين: القيام، والقراءة، وكل واحد منهما فرض(٦).

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه بعض المالكية(٧)، وأحمد في رواية(٨)، ويرون أن كثرة الركوع، والسجود أفضل من طول القيام.

لقول رسول الله ﷺ: ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد))(٩).

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه إسحاق بن راهوية(١٠)، ويرى أنه إذا كان في النهار فكثرة الركوع والسجود أفضل، وإذا كان في الليل فطول القيام أفضل.

الرأي الرابع: وهو ما ذهب إليه الإمام أبو يوسف من الحنفية(١١)، ويرى أنه إذا كان له ورد يقرؤه، فكثرة السجود أفضل، لأنه يقرأ ورده لا محالة وإن لم يكن فطول القيام أفضل.

---

(١) المبسوط ١٥٨/١، البدائع ٢٩٥/١، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٣/١.

(٢) التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٨١/٢، ومواهب الجليل ٨١/٢، والشرح الكبير، الدردير ٢١٩/١.

(٣) المجموع ٢٣٠/٣.

(٤) المغني، ابن قدامة ٤٤٢/١، ومنار السبيل ١١٢/١.

(٥) المجموع ٢٣٠/٣.

(٦) المبسوط ١٥٨/١.

(٧) التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٨١/٢.

(٨) المغني، ابن قدامة ٤٤٢/١.

(٩) أخرجه مسلم ٤٨٢.

(١٠) المجموع ٢٣٠/٣، ٢٣١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٨١/٢.

(١١) المبسوط ١٥٨/١.

الرأي الخامس: وهو ما ذهب إليه الإمام أحمد في رواية[١]، ويرى أنهما سواء نظرًا لتعارض الأخبار الواردة في ذلك. وقال ابن حجر: (والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على طول القيام والقراءة في الصلاة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من صفات المدعو: الحرص على السؤال عما يحتاج إليه في أمور الصلاة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على طول القيام والقراءة في الصلاة:

جاء حث النبي ﷺ على طول القيام في صريح الحديث، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: (سئل رسول الله ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت)، قال القاضي عياض: "للقنوت سبعة معان: الصلاة والقيام والخشوع والعبادة والسكوت والدعاء والطاعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾[٣]، أي: اعبديه. وقيل: صلّي، وقيل في قوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾[٤]، وفي قوله: ﴿قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ﴾[٥]، أي: قيّمات بحقوق أزواجهن وقيل: مُصلّيات، وقيل: يقع على الإقرار والعبودية وعلى الإخلاص، والمراد بقوله في الحديث: (طول القنوت): القيام"[٦].

وقال النووي: "المراد بالقنوت هنا: القيام باتفاق العلماء"[٧]، وفيه دليل لمن فضل تطويل القيام على تطويل السجود والركوع، وهو مذهب الشافعي وجماعة لهذا

---

(١) المغني، ابن قدامة، ٤٤٢/١، ومنار السبيل ١١٢/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٩/٣ .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٣.

(٤) سورة الاحزاب، الآية: ٣١.

(٥) سورة التحريم، الآية: ٥.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٠٧/٣.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٥.

الحديث، ولأن ذكر القيام القراءة، وذكر السجود التسبيح، والقرآن أفضل، ولأن المنقول عن النبي ﷺ أنه كان يطول القيام أكثر من تطويل السجود، وفي المسألة مذاهب أخر[1].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في صريح الحديث، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: (سئل رسول الله ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت)، وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية ومن وسائل الأداء البياني النافعة ولهذه الوسيلة قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين، فهم إذا تلقوا منه الجواب تلقفوه تلقفًا لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقى الإجابة عنه، إضافة إلى ما يعيشون من حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، لذا ينبغي على الداعية أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[2].

ولقد استخدم رسول الله ﷺ السؤال بكثرة في تربية المخاطبين وتوجيههم وإعدادهم إعدادًا إسلاميًا صحيحًا، وهو أسلوب يدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم، والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهو طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبيًا أو مصدقًا لما يسمعه دون فهم وإدراك، وقد توجه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة[3]، وذلك أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابًا يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موقعه، وهذا يحمل المخاطب إلى توجيه كل اهتمامه لما يلقى إليه، ليتمكن من فهمه، ثم الإجابة عليه، فإذا كان الاستفهام تقريرًا فمعنى ذلك أنه يحمل المخاطب على الاعتراف، وينزع منه

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٨.

(٢) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة الميداني ٢/٥٨ - ٥٩.

(٣) فلسفة التربية في الحديث النبوي، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٢٣.

الإجابة بعد التدبر والأناة التي يقتضيها أسلوب الاستفهام[١].

ومن أمثلة استخدام النبي ﷺ، ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُط وَرَقُها، وإنَّها مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحدِّثُوني ما هِيَ؟ فوَقَعَ الناسُ في شَجَرِ البَوادي. قال عبدُ اللهِ: وَوَقَعَ في نَفسِي أنَّها النَّخْلَةُ، فاستَحْيَيْتُ. ثمَّ قالوا: حَدِّثْنا ما هِيَ يار سولَ الله. قال: هيَ النَّخْلة))[٢].

"إن رسول الله ﷺ أراد من خلال شحذ الأذهان، وتطلعهم إلى الجواب الصحيح، أن يُرسخ في نفوسهم أن المسلم عطاء دائم وربيع مستمر، وأنه لا يصدر منه إلا الخير، كالنخلة التي لا يسقط ورقها، وفائدتها موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعًا، ثم بعد ذلك يُنْتفع حتى من النوى كعلف للدواب والليف في الحبال، وغير ذلك مما لا يخفى وكذلك بركة المسلم وفائدته عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته"[٣].

ثالثًا من صفات المدعو: الحرص على السؤال عما يحتاج إليه في أمور الصلاة:

جاء في الحديث ما يدل ويدعو إلى حرص المدعو على السؤال والاستيضاح عما أشكل عليه ومن ذلك ما يتعلق بالصلاة، كما جاء في الحديث فعن جابر رضي الله عنهما قال: (سئل رسول الله ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت)، وذلك من توفيق الله للمدعو إلى الحق والخير، حتى يكون على بينة من أمر دينه، وقد أمرنا الله بالسؤال والرجوع إلى أهل العلم والرأي، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤]، فالأصل في المسلم أن يسأل عما لا يعلم، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله ﷺ عن كل ما يعنُّ لهم في شؤون الدين[٥]، وذلك لما علموه من

---

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ١٧٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٩٣.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٥) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٧ - ١٨.

رسول الله ﷺ أن في السؤال شفاء للجهل وجلاءً للإلباس، قال ﷺ: ((فإنَّما شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[١].

أي: أن شفاء الجهل السؤال[٢]، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالعلم والتفقه في الدين حتى تكون العبادة لله تعالى على أساس من الصحة واليقين، "ومن لوازم التثبت في العلوم الشرعية حتى يكون علم الإنسان على تحقيق ويقين فإن السؤال والتثبت والتفقه هو الطريق اللائق للعلم"[٣]، وقد أمرنا الإسلام بالعلم في الدين والتفقه في الدين، وذلك فيما لا تصح العبادة إلا به، أما ما زاد على ذلك من استخراج الأحكام واستنباطها فقد أوجب الله على الأمة أن تخصص جماعة منها لتقوم بهذا الواجب، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٤].

ولقد ضرب لنا الصحابة رضي الله عنهم مثلاً عظيمًا يُحتذى به في التفقه والسؤال والرجوع إلى أهل الذكر، فروي عن ابن أبي مليكة أنَّ عائشةَ زوجَ النبيِّ ﷺ كانتْ لاتَسمَعُ شيئًا لاتَعرِفُهُ إلاّ راجَعَتْ فيه حتى تَعرِفَهُ، وأنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ)) قالتْ عائشةُ فقلتُ: أوَليسَ يَقولُ اللهُ تعالى: ﴿فسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابًا يَسيرًا﴾[٥] قالت: فقال: ((إنَّما ذلك العَرضُ، ولكنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسابَ يَهلِكْ))[٦].

فإن بالسؤال والعلم يكون الإنسان على بصيرة من أمره وتصحح الأفكار الخاطئة وتُقوّم المفاهيم المعوجة.

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٨٦.

(٣) بهجة النفوس، ابن أبي جمرة ٢٣٦/٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٥) سورة الانشقاق، الآية: ٨.

(٦) أخرجه البخاري ١٠٣، ومسلم ٢٨٧٦.

روي عن أسلم أبي عمران قال: (كُنَّا بِمَدِينَةِ الرومِ فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنَ الرومِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ المُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ أَوْ أَكْثَرُ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بنُ عَامِرٍ وَعَلَى الْجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بنُ عُبَيْدٍ فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ المسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرومِ حَتَّى دَخَلَ عَلَيهِمْ فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا سُبْحَانَ الله يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتُأَوِّلُونَ هَذِهِ الآيَة هَذَا التَّأْوِيلُ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ الله الإِسْلاَمَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ. فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ الله ﷺ: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ وَإِنَّ الله قَدْ أَعَزَّ الإِسْلاَمَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا، فَأَنْزَلَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...﴾[1] فَكَانَتْ التَّهْلُكَةُ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ وَإِصْلاَحَهَا وَتَرْكَنَا الغَزْوَ. فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ)[2].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٥١٢، والترمذي ٢٩٧٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢١٩٣).

الحديث رقم (١١٧٩)

١١٧٩- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((أحَبُّ الصَّلاةِ إلَى اللهِ صَلاةُ دَاوُدَ، وَأحَبُّ الصِّيَامِ إلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَيَصُومُ يومًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

البداية بأفعل التفضيل من البدايات التي تحقق براعة الاستهلال، وتحقق التشويق للخبر، والرغبة في متابعته للوقوف على الفاضل، والمفضول، وسر الأفضلية لاسيما إذا كان هذا الفعل (أحب) الذي يداعب النفس بمرغوبها، ويمنيها بمطلوبها بوجه من الوجوه، كما أنه من المعلوم أَنَّ لَفْظَةَ " أَفْعَلُ " تَقْتَضِي وُجُودَ الاشْتِرَاكِ فِي الأَصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ، ومعناه أن الصلوات جميعا تشترك في صفة المحبة، وتفوقها صلاة داود عليه السلام، وكذلك في الصيام، ثم أشار إلى سر التفضيل بقوله (كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَيَصُومُ يَوماً وَيُفْطِرُ يَوْماً) التعبير بكان يشير إلى أن تلك الطريقة هي عادته في الصلاة في الليل الذي قسمه قسمة صائبة بين النوم الذي يحقق متطلبات الجسد، وبين الصلاة التي تحقق متطلبات الروح، والقلب باتصالها بالله في الصلاة، كما يقسم في الصيام فيصوم يوما فيقوي قلبه، ويفطر يوما فيقوي جسده، ويستمر بين القوتين في موازنة تحفظ القلب، والعقل؛ ولذلك كان صيامه أفضل الصيام، وصلاته في النافلة أفضل الصلاة.

فقه الحديث

الوقت الأفضل لقيام الليل:

لا خلاف بين الفقهاء في أن قيام الليل لا يكون إلا بعد صلاة العشاء، سواء سبقه نوم أو لم يسبقه، وأن كونه بعد النوم أفضل.

واختلفوا بعد ذلك في أفضل الأوقات لقيام الليل على أقوال: فذهب الجمهور إلى أن

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣١ واللفظ له، ومسلم ١١٥٩/١٨٩. أورده المنذري في ترغيبه ٩٠٥.

الأفضل مطلقًا، السدس الرابع والخامس من الليل، لحديث الباب.

وأما لو أراد أن يجعل الليل نصفين: أحدهما للنوم والآخر للقيام، فالنصف الأخير أفضل، لقلة المعاصي فيه غالبًا. ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟))[1].

ولو أراد أن يجعله أثلاثًا فيقوم ثلثه، وينام ثلثيه، فالثلث الأوسط أفضل من طرفيه، لأن الغفلة فيه أتمّ، والعبادة فيه أثقل، والمصلين فيه أقلّ.

ويرى المالكية أن الأفضل قيام ثلث الليل الآخر لمن تكون عادته الانتباه آخر الليل، أما من كان غالب حاله أن لا ينتبه آخره، فالأفضل أن يجعله أول الليل احتياطًا[2].

استحباب صوم يوم وإفطار يوم:

من صيام التطوع صوم يوم وإفطار يوم، وهو أفضل صيام التطوع[3]، لحديث الباب، ولقول النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: ((صُمْ يومًا وأفْطر يومًا، فذلك صيام داود عليه السلام، وهو أفضل الصيام. فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك، فقال النبي ﷺ: لا أفضل من ذلك))[4].

قال البهوتي: (لكنه مشروع بأن لا يضعف البدن حتى يعجز عما هو أفضل من الصيام، كالقيام بحقوق الله تعالى وحقوق عباده اللازمة، وإلا فتركه أفضل)[5].

المضامين الدعوية[6]

---

(١) أخرجه البخاري ١١٤٥، ومسلم ٧٥٨.

(٢) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٦٠/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٣٤/١ دار المعرفة، وحاشية الجمل ٤٩٥/١، ونهاية المحتاج للرملي ١٦٢/٢، والمغني لابن قدامة ١٣٦/٢، ونيل المآرب ١٦٢/١ (عن الموسوعة الفقهية ١١٩/٣٤).

(٣) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، ٣٥١، ومغني المحتاج ٤٤٨/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٣٧/٢ (عن الموسوعة الفقهية ٨٩/٢٨).

(٤) أخرجه البخاري ١٩٧٦، ومسلم ١١٥٩، ١٨١.

(٥) الروض المربع ١٤٥/١.

(٦) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١١٧٥).

الحديث رقم (١١٨٠)

١١٨٠- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((إنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لاَ يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ الله خَيْرًا مِنْ أمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إلاَّ أعْطَاهُ إيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في قيام الليل بجعله ظرفا لساعة الإجابة التي يرى فيها الإنسان تحقيق ما يتمنى بين الدنيا، والآخرة (إنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً) فهو ترغيب يشبه الترغيب في البحث عن الكنز المفقود في مكان محدود غير أن البحث عن ساعة الإجابة ليس في المكان، بل في الزمان والبحث في الزمان أيسر غير أن فيه خطر الفوت؛ لأنه ليس له ثبات بعكس المكان فإنه ثابت، وقوله (لاَ يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ الله تَعَالَى خَيْراً مِنْ أمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إلاَّ أعْطَاهُ إيَّاهُ) أسلوب قصر يقصر موافقة المسلم لساعة الإجابة على إعطائه ما سأل، وهو يعطي الأسلوب توكيدا يحقق الإقناع مع كثافة المؤكدات التي بدأت بها العبارة (إنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً) من التوكيد ب(إن) ثم تقديم الجار، والمجرور المفيد للاختصاص، أو الاهتمام، ثم اللام ثم أسلوب القصر لكي يحقق الإقناع الوجداني لمن يستعظم أمنياته، ويراها لشدة تعلقه بها بعيدة التحقق فيجعل له الرسول ﷺ وسيلة لتحقيقها مدعومة بجملة من المؤكدات تزيل أي تردد، أو شك مهما بلغت أمنيات الداعي، والمقابلة بين الدنيا، والآخرة في قوله (يَسْأَلُ الله تَعَالَى خَيْراً مِنْ أمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) تستوعب أمنيات العبد في الدنيا، والآخرة، ثم أعطى الحكم اطرادا على المدى في قوله (وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ).

---

(١) برقم (٧٥٧/١٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (٩٠٦).

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى فضل الدعاء والتضرع لله سبحانه ليلاً حتى جعلت فيه ساعة استجابة متى وافقت دعوة مسلم استجيب له فيها.

وقد ذكر الفقهاء[1] أنه يندب لمن قام في الليل أن يذكر الله تعالى ثم يدعو بالخير لنفسه ولغيره من المسلمين، فقد يصادف ساعة الإجابة فيكتب من الفائزين، وخير ما يدعو به لنفسه أن يقول: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا، فخير ما يفوز به المرء من الدنيا عفو الله سبحانه وغفرانه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى أوقات الإجابة وحثهم على اغتنام ذلك.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على تحري ساعة الإجابة والتضرع إلى الله تعالى.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل قيام الليل والدعاء فيه.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: (إن في الليل لساعة)، في هذا الحديث استخدم النبي ﷺ أسلوب التوكيد لبيان أهمية قيام الليل وبيان ثوابه وما يفيض الله على عباده المؤمنين من إجابة لسؤلهم وتلبية لرجائهم، جزاء وفاقًا لتجافيهم عن المضاجع والفرش وتوجههم إليه تبارك وتعالى، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

---

(١) انظر في ذلك: المجموع، النووي ٥٣٨/٣، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٤٣٥/٢، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣٦٩/٢.

(٢) سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧.

إن أسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المجدية، لما يوحي هذا الأسلوب من ثقة الداعي من دعوته وحمل المدعو على قبولها، إضافة إلى ما فيه من "الصدق في التعبير عن الحقيقة أو عن المشاعر والأحاسيس أو عن الآمال والرغائب"[١]، وذلك من الأسباب التي تجعل الدعوة تقع في قلب المدعو موقع القبول والتسليم.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث جليًا، حيث رغّب النبي ﷺ في تحري أوقات الإجابة بإجابة الله وإعطاء الداعي سؤاله فقال: (إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك في كل ليلة)، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة، لأن الإنسان مجبول على حب ما ينفعه وتقر به عينه، وتطمئن به نفسه، كان لأسلوب الترغيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله، وأصبح الطريق ممهدًا بعض الشيء أمام الداعية لاستثمار هذه الفرصة لدى المدعو وتخوله بها[٢]، وقد حفل القرآن والسنة المطهرة بالعديد من المرغبات ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣]، وذلك أن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة، أمر مطلوب حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه[٤].

إن الترغيب من أبرز الأساليب الدعوية وأجداها، وذلك لموافقته لطبيعة الإنسان التي فطر عليها من محبته الخير لنفسه وسعيه الحثيث في جلبه إليها.

إن النفوس البشرية مختلفة الطباع، منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه

---

(١) انظر: مبادئ في الأدب والدعوة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٩٦.

(٢) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٤) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن، د. عبدالوهاب الديلمي ص ٥٤٣.

الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالأسلوبين، قال تعالى: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗا﴾[١]، وقال ﷺ: ((سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ...))[٢]، وقال: ((...وإنَّ العبدَ ليَتَكلَّمُ بالكلمةِ من سَخَطِ الله لا يُلْقِي لَهَا بالاً، يَهْوَى بِهَا في جَهَنَّمَ..))[٣]، والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس، كل حسب ما يناسبه، على أن يقدموا الترغيب، لأنه فعل إيجابي، ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٤]، فقدم التبشير على الإنذار.

وللترغيب أدوات كثيرة منها بيان فضل قول: لا إله إلا الله، وبيان فضل ذكر الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتكبيره وسائر الأذكار المندوبة امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[٥]، وقوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٦]، كما إننا مدعوون لبيان فضل المحافظة على الصلاة في وقتها وجماعاتها، وبيان فضل المشي إلى المساجد، وبيان فضل الخشوع،وبيان فضل صلاة الضحى وبقية النوافل، وصلاة الليل وصلاة الحاجة والاستخارة واتباع الجنائز والصلاة عليها، والإحسان إلى الوالدين وصلة الرحم والجيران وغير ذلك كثير[٧].

ثالثًا- من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى أوقات الإجابة وحثهم على اغتنام ذلك:

إن من أهم صفات الداعية الحرص على تبليغ هذا الدين، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾[٨]، وكفى بهذه الآية دليلاً على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٢٣.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٨، ومسلم ١١٧.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

(٧) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦، ٨٧.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيئًا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم، واستجلاب لمسارهم أو لجر منفعة وحطام دنيا، أو لتقية مما لا دليل عليه ولا إمارة، أو لبخل بالعلم وغيره أن ينسب إليه غيره"[١].

إن تعليم الناس وتفقيههم لأمور دينهم ودنياهم وترغيبهم في عمل الطاعات والأعمال الصالحات [٢]، وتحري أفضل أزمانها وأماكنها من أهم أولويات الدعوة ومن ذلك ما جاء في الحديث من تحري ساعة الإجابة في الليل، فقال ﷺ: (إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة)، قال النووي: "ويتضمن الحديث الحثّ على الدعاء في جميع ساعات الليل رجاء مصادفتها"[٣].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على تحري ساعة الإجابة والتضرع إلى الله تعالى:

إن من فقه المسلم في دعائه أن يغتنم الفرص في دعائه وذلك بتحري أوقات الإجابة والمبادرة لاغتنام الأحوال والأوضاع والأماكن التي هي مظان إجابة الدعاء[٤]، وقد جاء في الحديث اشتمال الليل على ساعة إجابة لا يرد الله فيها دعوة لمسلم، فقال ﷺ: (إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك في كل ليلة)، وفي ذلك حث على الدعاء في الليل وحضٌّ عليه، وأبهم الساعة في جميعه، طلبًا لعمارته بالتوجه للمولى وعدم الغفلة فيه بالنوم وإراحة الجسم عنه، ويمكن أن تكون الساعة المطلقة في هذا الخبر محمولة على ما جاء من التقييد في رواية بأنها بعد مضي الثلث من الليل، وفي أخرى أنها النصف الأخير، وفي أخرى أنها في الثلث الأخير[٥]، فعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي

---

(١) الكشاف، الإمام الزمخشري ص ٢١٠.

(٢) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٢٥ - ٢٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٥.

(٤) الدعاء، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٨٧.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٩.

تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ))[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِر لَهُ))[2].

إن الدعاء في أوقات الليل خاصة في السحر منه من أرجى الأدعية في الإجابة لازدياد الإخلاص فيه وإخفاء الدعاء والبعد عن الرياء ونحوه، فإن في إخفاء الدعاء الفوائد الجمة وقد أشار ابن القيم إلى بعض الفوائد لإخفاء الدعاء فذكر منها:

أ/ أن إخفاء الدعاء أعظم إيمانًا لعلم صاحبه أن الله يسمع الدعاء الخفي.

ب/ أنه أعظم في الأدب والتعظيم.

ج/ أنه أبلغ في التضرع والخشوع.

د/ أنه أبلغ في الإخلاص.

هـ/ أنه أبلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء.

و/ أنه دليل على قرب الداعي من مولاه القريب منه، وليس من مسألة البعيد للبعيد.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بعينه في الحديث الصحيح عندما رفع الصحابة رضي الله عنهم أصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر بخفض أصواتهم، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنّا مع النبيِّ ﷺ في سفرٍ، فكنّا إذا علونا كبّرنا، فقال: ((أربعوا على أنفسِكم، فإنكم لا تَدْعون أصمَّ ولا غائبًا تدْعون سميعًا بصيرًا قَريبًا. ثمَّ أتى عليَّ وأنا أقولُ في نفسي: لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا باللّه، فقال لي: يا عبدَ اللّه ابن قيسٍ، قل: لا حولَ ولا قوةَ إلا باللّه، فإنها كنزٌ من كنوز الجنة؛ أو قال: ألا أدُلكَ به))[3].

وذلك ما يوافقه قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[4]، وهذا القرب إنما هو قرب خاص وليس قربًا عامًا من كل أحد، فهو سبحانه

(١) أخرجه مسلم ٨٣٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣٢١، ومسلم ٧٥٨.

(٣) أخرجه البخاري ٧٣٨٦ واللفظ له، ومسلم ٢٧٠٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

قريب من داعيه، وقريبٌ من عابديه، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

ز/ أنه - أي إخفاء الدعاء - أدعى إلى دوام الطلب والسؤال.

ح/ أنه أبعد للداعي من القواطع والمشوشات.

ط/ أن فيه إخفاء للنعمة -أي نعمة الإقبال والتعبد- عن أعين الحاسدين.

ي/ أن الدعاء نوع من الذكر متضمن للطلب منه، والثناء عليه بأسمائه الحسنى وأوصافه العلى فهو ذكر وزيادة، وقد قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[١]. فأمر الله نبيه في هذه الآية أن يذكره في نفسه، قال مجاهد وابن جريج: أمر أن يذكر في الصدر بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت أو الصياح"[٢].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: فضل قيام الليل والدعاء فيه:

إن من آداب الدعاء التي ينبغي على المسلم مراعاتها أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة[٣]، والتي منها ما جاء بيانه في الحديث: (إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة)، وذلك بيان لفضل الدعاء في الليل، قال النووي: "فيه إثبات ساعة الإجابة في كل ليلة ويتضمن الحث على الدعاء في جميع ساعات الليل رجاء مصادفتها"[٤]، قال ابن بطال: "وعد الله على لسان نبيه ﷺ أن من استيقظ من نومه لَهِجًا لسانُه بتوحيد ربه، والإذعان له بالملك والاعتراف بنعمه، يحمده عليها وينزهه عما لا يليق به، بتسبيحه والخضوع له بالتكبير والتسليم له بالعجز عن القدرة إلا بعونه أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلى قبلت صلاته"[٥].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

(٢) انظر: التفسير القيم، ابن القيم ص ٢٤٦ - ٢٥٠.

(٣) موسوعة نضرة النعيم ١٩٠٤/٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١١/١٤٥.

ولله در الشافعي حين قال:

أَتَهْـــزَأُ بالـــــدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيــــهِ وَمَـــا تَـــدْرِي بِمـــا صَـــنَعَ الـــدُّعَاءُ

سِـــهَامُ اللَّيــلِ لا تُخْطِـــي ولكـــن لَهَـــا أَمَـــدٌ وَلِلأَمَـــدِ انْقِـــضَاءُ

فيمـــسكها إذا مـــا شـــاء ربـــي ويرســـلها إذا نفـــد القـــضاء [1]

---

(١) ديوان الشافعي، تقديم ومراجعة: د. إحسان عباس، ط/١ دار صادر، بيروت: ١٩٩٦م، ص ١١. قافية الهمزة، بحر: وافر تام.

الحديث رقم (١١٨١)

١١٨١- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا قَامَ أحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَلْيَفْتَتِحِ الصَّلاَةَ بركْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يدور المعنى في هذا الحديث، وسابقه حول تهيئة النفس للقيام بأخذها بالسهل الميسور الذي يجعلها تقبل على القيام شيئا، فشيئا حتى تستغرق في العبادة فيمضي الليل ما يمضي، والعبد في روضة الرحمن لا يبالي للعناء بالا بل يصير في متعة من القرب يصطبغ بها كل أعضاء بدنه فيخف للقيام، وقد قام الأسلوب في الحديثين على الشرط، فالأول ربط قيام المسلم للصلاة بالليل بالأمر النبوي بالافتتاح بركعتين خفيفتين، والتعبير بالخفة يوافق طبيعة النفس البشرية التي تميل إلى الراحة، وتتفر من الثقل، والحديث الثاني يربط فيه أسلوب الشرط قيام الرسول ﷺ بافتتاح الصلاة بركعتين خفيفتين، فالشرط في الحديث الأول يشير إلى العادة التي يوجه الرسول ﷺ المسلم إلي التزامها في قيامه من خلال التوجيه القولي، وهو بذلك سنة قولية، وأسلوب الشرط في الحديث الثاني يشير إلى عادة الرسول ﷺ في البداية في القيام بركعتين خفيفتين، فهو بذلك سنة فعلية.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث والذي سبقه إلى حكم التطويل في قيام الليل، وأن المستحب في هذه الصلاة أن يبدأها بركعتين خفيفتين ثم ليطول بعد ذلك ما شاء كما كان يفعل

---

(١) برقم (٧٦٨/١٩٨).

النبي ﷺ في هذا الحديث[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان كيفية افتتاح النبي ﷺ لصلاة الليل.

ثانيًا: من خصائص الدعوة: التيسير والتخفيف.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: مراعاة حال النشاط في العبادة والتماس أسبابها.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان كيفية افتتاح النبي ﷺ لصلاة الليل:

جاء في الحديث الإرشاد إلى افتتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين، وذلك قولاً وفعلاً من رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين)، وحكت عائشة رضي الله عنها ذلك من فعله ﷺ فقالت: (كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين)، قال النووي: "هذا دليل على استحبابه لينشط بهما لما بعدهما"[٣]، وذلك لإذهاب ما قد يبقى في الجسد من كسل النوم فتشتد الأعصاب وتقوى الأعضاء من فتورها، فتتوجه بكمال النشاط لصلاة الليل[٤].

وفي ذلك نصيحة غالية من رسول الله ﷺ لمن يقومون الليل أو يريدون قيامه والتمتع بذلك، وهي أن يبدؤوا عبادتهم الشاقة بركعتين خفيفتين لإذهاب ما قد يبقى في الجسد من كسل النوم، فتشد الأعصاب وتقوى الأعضاء من فتورها فتتوجه للعبادة

---

(١) المبسوط ١٥٨/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٥/١، أحكام القرآن، الجصاص ٢٦/١، ٣١١/٣، شرح معاني الآثار ٢٨٣/١، المجموع ٥٣٦/٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٥٦/١، ٢٠٠، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٢٤٧/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٦/١.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٨١ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٨٢).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٢٣.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢٠.

بكمال النشاط، أو ليكمل التنبيه إذا كان مستيقظًا من النوم[1]، فإن اتباع ذلك من الأسباب الميسرة لقيام الليل والمداومة عليه.

وقد ذكر العلماء كثيرًا من الأسباب الميسرة والمعينة على قيام الليل، منها ما ذكره ابن قدامة، فقال: "اعلم أن قيام الليل صعب إلا على مَنْ وفق للقيام بشروطه الميسرة له. فمن الأسباب ظاهر، وباطن:

فأما الظاهر: فأن لا يكثر الأكل، كان بعضهم يقول: يا معشر المريدين، لا تأكلوا كثيرًا، فتشربوا كثيرًا، فتناموا كثيرًا فتخسروا كثيرًا.

ومنها: أن لا يتعب نفسه بالنهار بالأعمال الشاقة.

ومنها: أن لا يترك القيلولة بالنهار، فإنها تعين على قيام الليل.

ومنها: أن يجتنب الأوزار. قال الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته.

وأما الميسرات الباطنة:

فمنها: سلامة القلب للمسلمين، وخلوه من البدع، وإعراضه عن فضول الدنيا.

ومنها: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل.

ومنها: أن يعرف فضل قيام الليل.

ومن أشرف البواعث على ذلك الحب لله تعالى، وقوة الإيمان بأنه إذا قام ناجى ربه، وأنه حاضره ومشاهده، فتحمله المناجاة على طول القيام.

قال أبو سليمان: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا"[2].

ثانيًا - من خصائص الدعوة: التيسير والتخفيف:

إن الدعوة قائمة على التيسير ورفع الحرج وإزالة المشقة، وتلك هي إرادة الله، يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[3]، قال قتادة: "تفسير هذه الآية:

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٩٩.

(٢) مختصر منهاج الصالحين ص ٧٠، ٧١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

فأريدوا لأنفسكم الذي أراد الله لكم"[1]، وفي الحديث صورة من صور هذا التيسير وذلك بإرشاده ﷺ إلى افتتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين تيسيرًا على النفس وإدخالاً للنشاط عليها، فقال ﷺ: (إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين)، وذلك من مظاهر التيسير في الشريعة الإسلامية التي بعث بها رسول الله ﷺ.

قال ابن كثير: "إن النبي ﷺ جاء بالتيسير والسماحة، وقد كانت الأمم التي قبلنا في شرائعهم ضُيّقَ عليهم فوسّع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم"[2].

لقد كانت حياة رسول الله ﷺ وعباداته ودعوته نماذج حية للتيسير والتخفيف والتجافي عن التعسير والمشقة، وفي ذلك المثل المحتذى للأمة جميعًا والدعاة خاصة، فقد كان من هديه ﷺ ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا))[3].

أراد النبي ﷺ تعليم أمته الالتزام باليسر في حياتهم وكان ﷺ يلاحظ الحالة النفسية لأتباعه، ومدى استعدادهم لتقبل الوعظ، ويقلل من أوقات ذلك خشية الملل وكراهية التشريع[4]، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((كَانَ النبي ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ. كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا))[5].

وقد تضافرت الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ، الدالة على شفقته بأمته ودعوته - قوليًا وعمليًا - إلى التيسير ورفع الحرج والمشقة، منها:

ما روي عن عائشة رضي الله عنها: ((أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ ذَاتَ لَيْلَةٍ. فَصَلَّى بِصَلاَتِهِ نَاسٌ. ثُمَّ صَلَّى مِنَ الْقَابِلَةِ. فَكَثُرَ النَّاسُ. ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ. فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ . فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: «قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ. فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ

---

(١) تفسير ابن جرير ٧٦/٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٤/٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٨١٣.

(٤) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري ص ١٢٥.

(٥) أخرجه مسلم ٢٨٢١.

الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلاَّ أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ)) وفي رواية: ((فَتَعْجِزُوا عَنْهَا))[١].

بل كان ﷺ يخفف الصلاة ويتجوز فيها وهي قرة عينه، وفيها الراحة التي ينشدها، رفقًا بحال المأمومين ومراعاة لضعفائهم وانشغال بالهم، ودفعًا لكل ما يدخل المشقة عليهم.

قال ﷺ: ((إِني لأقومُ إلى الصلاةِ وأَنا أُريدُ أَن أُطوِّلَ فيها، فأَسمعُ بكاءَ الصبيِّ فأتجوَّزُ في صلاتي كراهيةَ أَنْ أَشُقَّ على أُمِّه))[٢].

وقال ﷺ: ((لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ))[٣].

والأحاديث في هذا الشأن من باب المثال لا من باب الحصر.

بل كان النبي ﷺ يأمر أصحابه رضي الله عنهم بالتخفيف، وينهاهم عن سلوك سبيل التعمق والغلو والتشدد، ويوجههم إلى طريق اليسر والاعتدال، وهذه مجموعة من الأحاديث التي توضح هذا وتبينه:

كَانَ مُعَاذٌ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَأْتِي فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ، فَصَلَّى لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَأَمَّهُمْ، فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَانْحَرَفَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى وَحْدَهُ وَانْصَرَفَ. فَقَالُوا لَهُ: أَنَافَقْتَ يَا فُلاَنُ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ! وَلآتِيَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلأُخْبِرَنَّهُ. فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا أَصْحَابُ نَوَاضِحَ. نَعْمَلُ بِالنَّهَارِ، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى مَعَكَ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى مُعَاذٍ فَقَالَ: ((يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟ اقْرَأْ بِكَذَا)) وفي الرواية الأخرى: ((سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالضُّحَى))[٤].

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ، مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي

---

(١) أخرجه مسلم ٧٦١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٧٥.

(٣) أخرجه مسلم ٥٥٨.

(٤) أخرجه مسلم ٤٦٥.

مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ))(١).

بل لقد بلغ الحال ببعض الصحابة ﷺ أن أرادوا الأخذ بعزائم الأمور ومخالفة الرسول ﷺ في بعض ما كان يترخص فيه ظنًا منهم أنه طريق التقوى والخشية، وأن ترخصات النبي ﷺ خاصة به لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وكأن هؤلاء القوم فهموا أن الأخذ بالأشد هو الأتقى وهو الأقرب إلى الله سبحانه وتعالى، لكن الرسول ﷺ أوضح لهم أن الطريق الصحيح هو في الاتباع والاقتداء، وأن اتباع اليسر والسهولة والأخذ برخص الله هو منهج رسول الله ﷺ فهو أعلم الناس بشرعه وأشدهم له خشية(٢).

ويوضح ذلك: ما روته عائشة ﷺ قالت: كانَ رسولُ اللّهِ ﷺ إذا أمَرَهمْ، أمَرَهمْ مِنَ الأعمالِ بما يُطيقونَ. قالوا: إنّا لَسْنا كهَيْئَتِكَ يا رسولَ اللّهِ، إنَّ اللّهَ قد غَفَر لكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تَأخَّر. فيَغْضَبُ حتى يُعْرَفَ الغَضَبُ في وَجْهِهِ ثمَّ يقول: ((إنَّ أتْقاكُمْ وأعْلَمَكمْ باللّهِ أنا))(٣).

فها هو ﷺ الجامع للقوتين العلمية والعملية، وعمله ومنهجه هو المنهج المستقيم، وفي هذا الحديث بيانُ أن الطريقَ الصحيح والمنهجَ السليم هو الوقوف عندما حدده الشارع من عزيمة أو رخصة، واعتقاد أن الأخذ بالأرفق الموافق للشرع أولى من الأشق المخالف له، كما أعلمهم ﷺ أنه وإن كان الله قد غفر له، لكنه مع ذلك أخشى الناس لله وأتقاهم فما فعله ﷺ من عزيمة أو رخصة فهو في غاية التقوى والخشية، ومن هنا ندرك غضبه ﷺ على هؤلاء الذين حاولوا سلوك منهج التعمق والتشدد ظنًا منهم أن ذلك طريق النجاة، وإذًا فلا غرابة أن رأيناه ﷺ يتعقب الذين يلتزمون التشديد والأخذ بالأشق(٤).

---

(١) أخرجه مسلم ٤٦٦.

(٢) انظر: رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبدالله بن حميد ص ٨٢، ٨٣.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠.

(٤) انظر: رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبدالله بن حميد ص ٨٣.

فقد روي عن أنس رضي الله عنه: دَخَلَ نبيُّ الله ﷺ المسجدَ فإذَا حَبْلٌ ممدودٌ بينَ ساريتينِ، فقال: «ما هَذَا»، فقالوا: هَذَا الحَبْلُ لزَيْنَبَ تُصلِّي، فإذَا فَتَرَتْ تَعلَّقَتْ بِهِ، فَقَالَ النبيُّ: ((حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نشاطه، فإذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ))[1].

وفي السنن عن عقبة بن عامر أن أخته نذرت أن تمشي إلى البيت فقال النبي ﷺ: ((إنَّ الله لا يَصنَعُ بِشَقَاءِ أُخْتِكَ شيئًا فلْتَرْكَبْ))، وفي رواية: ((الله لَغَنيٌّ عن مَشْيِهَا، مُرُوهَا فَلْتَرْكَبْ))[2].

هذه هي سنة رسول الله ﷺ وطريقته: سلوك الوسط واتباع اليسر، فالسهولة والرفق والأخذ بالأيسر ومراعاة الأحوال ديدنه عليه أفضلِ الصلاة والسلام، مما يؤكد سير الشريعة على الطريق السهل وعلى السماحة التامة والبعد عن التكلف[3].

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: مراعاة حال النشاط والتماس أسبابها:

جاء في الحديث ما يدل على أهمية النشاط في أداء العبادات وتسهيله العبادة على النفس، وذلك في إرشاده ﷺ إلى افتتاح الصلاة في الليل بركعتين خفيفتين: (إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح الصلاة بركعتي) قال ابن الأثير: "النشاط هو الأمر الذي تنشط له وتخف إليه وتؤثر فعله، ومن ثمَّ يكون النشاط هو أن يخف الإنسان إلى الأمر ويؤثر فعله [4]"، ومن ثم دعا النبي ﷺ إلى التماس أسباب النشاط في صلاة الليل وذلك بافتتاحها بركعتين خفيفتين لما للنشاط من أثر إيجابي ودافع إلى الاجتهاد في الطاعات، وبلوغ أعلى المقامات إضافة إلى ما في النشاط من دليل على رضا الله وعلامة القرب منه[5]، وقد قيل: إياك والكسل والضجر فإنك إن كسلت لم تؤد حقًا، وإن ضجرت لم تصبر على الحق[6].

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٩٩.

(٢) أخرجه أبو داود ١٣١٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١١٦٤).

(٣) انظر: اليسر في القرآن، رأفت كامل عيد السيوري ص ١٢٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٦٧٥.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٣٤٨٦/٨.

(٦) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ط/١ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٥م، ص ٣٨٣.

إن مما يعين على قيام الليل تحيّن الإنسان أوقات نشاطه وتقوية هذا النشاط باتباع منهج رسول الله ﷺ فيه بافتتاحه بركعتين خفيفتين.

ومما يعين على قيام الليل البعد عن مواطن النوم والراحة، وعلو همة المسلم، فمما لا شك فيه أن النوم في الثلث الأخير من الليل موطن راحة أي إنسان، لكن الذي يسمو إلى العلا، قد يأبى نوم هذا الوقت، بل يفضّل إجبار نفسه وجسده على قيام ذلك الوقت تعبدًا لله وتزكية لنفسه، وفي ذلك نيله لموطن يصبو إليه كل مسلم وهو الجنة ونعيمها[1].

---

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة ص ٤٠٧.

الحديث رقم (١١٨٢)

١١٨٢- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ[1] افْتَتَحَ صَلاَتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

يدور المعنى في هذا الحديث، وسابقه حول تهيئة النفس للقيام بأخذها بالسهل الميسور الذي يجعلها تقبل على القيام شيئا، فشيئا حتى تستغرق في العبادة فيمضي الليل ما يمضي، والعبد في روضة الرحمن لا يبالي للعناء بالا بل يصير في متعة من القرب يصطبغ بها كل أعضاء بدنه فيخف للقيام، وقد قام الأسلوب في الحديثين على الشرط، فالأول ربط قيام المسلم للصلاة بالليل بالأمر النبوي بالافتتاح بركعتين خفيفتين، والتعبير بالخفة يوافق طبيعة النفس البشرية التي تميل إلى الراحة، وتنفر من الثقل، والحديث الثاني يربط فيه أسلوب الشرط قيام الرسول ﷺ بافتتاح الصلاة بركعتين خفيفتين، فالشرط في الحديث الأول يشير إلى العادة التي يوجه الرسول ﷺ المسلم إلي التزامها في قيامه من خلال التوجيه القولي، وهو بذلك سنة قولية، وأسلوب الشرط في الحديث الثاني يشير إلى عادة الرسول ﷺ في البداية في القيام بركعتين خفيفتين، فهو بذلك سنة فعلية.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) عند مسلم زيادة: (ليصلي).

(٢) برقم (٧٦٧/١٩٧).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٨٣)

١١٨٣- وعنها رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاةُ مِن اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشَرَةَ رَكْعَةً. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الأحاديث السابق تناولت فضل قيام الليل، وبيان عدد الركعات، وكيفياتها بما يجعلها في تمام الوضوح للمقتدين برسول الله ﷺ من أمته إلى يوم القيامة، وهذا الحديث يتمم الفائدة ببيان كيفية تدارك الفائتة حتى يتدارك ثوابها، وبذلك يغلق باب ضياعها، وهذا الاهتمام ببيان كل ما يتعلق بقيام الليل يشير من قريب إلى فضله، وأثره على درجات العبد عند الله، وقربه منه، وقد جاء المعنى في الحديث في ثوب الشرط الذي يدل على الاعتياد، والتلازم بين فعل الشرط وجزائه، وقد سبقته أم المؤمنين عائشة بما يدل على ذلك، وهو التعبير بـ(كان) التي تشير إلى الاعتياد في الغالب وفعل الشرط (فاتته) يدل على خروج وقتها، وقولها من (وجع أو غيره) يشير إلى العلة التي تسببت في ضياعها؛ لأن الرسول الله ﷺ لا يتركها اختيارا أبدا، وقوله (صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشَرَةَ رَكْعَةً) جملة جواب الشرط التي تضع الحل لمشكلة فوات السنة بالليل بتداركها بسنة القضاء في النهار، والطباق بين الليل، والنهار يقرر عدم خلو أحدهما عن صلاة هذه النافلة الجليلة، وفاءً، أو قضاءً.

فقه الحديث

وفي الحديثين من الفقه: مشروعية اتخاذ وِرْد في الليل، وعلى مشروعية قضائه إذا فات لنوم، أو مرض، أو غير ذلك من الأعذار[2].

---

(١) برقم (٧٤٦/١٤٠)، وتقدم برقم (١٥٥).

(٢) نيل الأوطار ٤٩/٣، شرح صحيح مسلم، النووي ٢٧/٦، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٠/٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على قضاء ركعات صلاة الليل إذا فاتته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في الحرص على قضاء صلاة قيام الليل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على قضاء ركعات صلاة الليل إذا فاتته:

جاء في الحديث ما يدل على حرص النبي ﷺ على قضاء صلاة الليل الفائتة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة) إذ أنه ﷺ لم يكن يدع قيام الليل حضرًا ولا سفرًا، وكان - كما جاء في الحديث- إذا غلبه نوم أو وجع صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة[1]، بمعنى إذا فاتته من مرض أو غيره كاشتغاله بأهم منه قضاها بالنهار[2].

قال ابن عثيمين: "وهذا يدل على أن الإنسان إذا فاته قيام الليل فإنه يقضيه من النهار، ولكنه لا يوتر، لأن الوتر تختم به صلاة الليل، وقد انتهت، كما دل على ذلك في الحديث: (صلى ثنتي عشرة ركعة)، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يواظب في أكثر أحيانه على إحدى عشرة ركعة، فكان يقضي ما هو الأكمل والأكثر، يقضي ثنتي عشرة ركعة"[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في الحرص على قضاء صلاة قيام الليل:

إن من سمات المسلم التي لا تنفك عنه بحال من الأحوال، اقتداؤه برسول الله ﷺ، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[4]، ومن صور هذا الاقتداء ما جاء في الحديث من قضائه ﷺ لصلاة الليل إذا فاتته، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من

---

(١) جامع الفقه، ابن القيم ٢/٢٢٥.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٦٨.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة)، قال النووي: "هذا دليل على استحباب المحافظة على الأوراد، وأنها إذا فاتت تقضى"(١)، واستحباب تدارك النفل المؤقت وأن ما ترك لعذر وقضي كتب بمحض الفضل كثواب المؤدى(٢)، وذلك في صلاة الليل وغيرها، كقراءة القرآن وغيرها، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ))(٣).

قال القاضي عياض: "وقوله: (من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه) وهذا تفضلٌ من الله عليه به، ودليلٌ على أن صلاة الليل والذكر فيها أفضل من صلاة النهار وعمله، إذا لم يُجعل له هذه الفضيلة إلا لغلبة نومه عليه، وقد ذكر مالك في مُوَطّئه عنه عليه السلام: ((مَا مِن أمرئٍ تَكُونُ لَهُ صَلاَةٌ بلَيْلٍ يَغْلِبُهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ صَلاَتِهِ وَكَانَ نَوْمُهُ عَلَيْهِ صَدَقَةً))(٤)، وهذا أتم في التفضل ومجازاته بنيته، وهذا لمن كانت عادته كذلك"(٥).

وقال ابن عبدالبر: "وفي هذا الحديث ما يدل على أن المرء يجازى على ما نوى من الخير وإن لم يعمله كما لو أنه عمله، وإن النية يُعْطَى عليها كالذي يُعْطَى على العمل إذا حيل بينه وبين ذلك العمل، وكانت نيته أن يعمله ولم تنصرف نيته حتى غلب عليه بنوم أو نسيان أو غير ذلك من وجوه الموانع، فإذا كان ذلك كتب له أجر ذلك العمل وإن لم يعمله، فضلاً من الله ورحمة جازى على العمل، ثم على النية أن حال دون العمل حائل"(٦).

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١١.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢٠.

(٣) أخرجه مسلم ٧٤٧.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ٢٥٥، وأحمد فس مسنده ١٨٠/٦، رقم ٢٥٤٦، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٢٩٣/٣٢.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٩٨/٣.

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٧١/٥، ٧٢.

الحديث رقم (١١٨٤)

١١٨٤- وعن عمر بن الخطاب ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فيما بَيْنَ صَلاَةِ الفَجْرِ وصلاة الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

الحِزْبُ: ما يجعله الرجل على نفسه من صلاة أو قراءةٍ كالوِرد[2].

الشرح الأدبي

الحديث السابق جاء بيانا عمليا لكيفية قضاء النافلة التي خرج وقتها، عن طريق السنة الفعلية المنقولة عن تصرف النبي ﷺ وعادته في قضاء فائت السنن لأنه كان يعمل بما يقول، ويرونه يطبقه عمليا ثم يوجههم إليه، وهذا الحديث فيه توجيه نبوي إلى ذلك جاء في ثوب الشرط المرغب في تدارك الفائت والذي يربط قراءة الفائت من حزب الليل، فيما بين صلاة الفجر، وصلاة الظهر بكتابة أجره كمن صلاه بليل، واستخدام أداة التشبيه (كأن) يشير إلى التقارب إلى حد التماثل في الأجر، وقوله (مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ) يشير إلى أن المؤمن لا يتعمد تضييع حزبه، وإنما غلبه النوم عليه، وقوله (أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ) يشير إلى عدم التفريط في قليل من أو كثير، والتعبير بالكتابة يوحي بثبات الأجر، وتوثيقه.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٧٤٧/١٤٢)، وتقدم برقم (١٥٣).أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ز ب).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٣).

الحديث رقم (١١٨٥)

١١٨٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِن أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ المَاءَ)) رواه أبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

نضح في وجهها الماء: أي رشّ وجهها بالماء[2].

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في صلاة القيام ورد في صورة دعاء حنون من الرسول ﷺ عن طريق الخبر اللفظي في قوله (رحم الله رجلاً) بمعنى اللهم ارحم، ويحتمل أن يكون خبرا لفظا، ومعنى، والغرض منه الإشادة به، وترغيب السامعين في مثل العمل بمثل عمله الذي استحق به إشادة الرسول ﷺ، وإن كان خبراً، فهو خبر صدق، وإن كان دعاءً فهو مقبول؛ ولذا يقول العلماء: ينبغي للإنسان أن يتعرض لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله (فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ) يشير إلى المشاركة الفاعلة في دروب الخير التي تدعم المحبة بين الأهل، وقوله (فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ) الأسلوب شرطي يشير استخدام (إن) فيه إلى عدم توقع الحدوث إي :عدم رفض المرأة القيام للصلاة مع زوجها، وقوله (في وجهه) يشير إلى تمكن نضح الماء حتى يحقق الغرض ويطرد شبح النوم مما يشير إلى الجدية في الفعل، كما تشير العبارة إلى روح التعاون على التقوى التي يجب أن تسود بين أفراد الأُسر المؤمنة، ثم إنه بث هذه الروح الخيرة في القطب الثاني للأسرة

---

(١) برقم (١٣٠٨). وصحّحه ابن خُزيمة (١١٤٨)، وابن حبان (الإحسان٢٥٦٧)، وقال الحاكم (٣٠٩/١): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٩٠٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط في (ن ض ر).

وهي المرأة كشريك معين على طاعة الله في البيت المسلم فخصها بما خص به زوجها، ودعا لها كما دعا له، وانتدبها لتكون داعية لزوجها إلى معالي الأمور، وفضائل الأعمال حتى يتحقق التكامل في الأسرة.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى أحد الأمور المستحبة في صلاة الليل، حيث يندب لمن قام لصلاة الليل أن يوقظ من يرجى قيامه للتهجد من زوجة أو غيرها.

ونص الشافعية[1] على أنه يستحب للرجل متى قام لصلاة الليل أن يوقظ زوجته للصلاة معه وكذا المرأة أن توقظ زوجها لتلك الصلاة فإن أبى الرجل أو المرأة القيام كان للآخر أن ينضح في وجهه الماء ليوقظه، على سبيل الندب لا الوجوب ويراعي الإيذاء، وطبيعة العمل نهارًا، ووقت النوم وحال القائم، مع العلم برضاه حتى لا يكون سبيلاً للفتنة.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على تعاون الزوجين على طاعة الله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل إعانة الرجل زوجته وإعانة المرأة زوجها على طاعة الله تعالى.

ثالثا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من أهداف الدعوة: تعليم وتعميق الالتزام بقيام الليل في الأسرة المسلمة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على تعاون الزوجين على طاعة الله تعالى:

إن صلاح الأسرة طريق لأمان المجتمع بأسره، لذا ينبغي على أفرادها العمل على تطبيق شرع الله واقتفاء هدي رسوله ﷺ والعمل على تماسك الأسرة وقوة روابطها وإغلاق منافذها عن الشيطان، وقد جاء في الحديث حث النبي ﷺ على غرس روح

(١) المجموع، النووي ٥٣٧/٣، نيل الأوطار ٦٣/٣.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١١٨٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١١٨٦.

التعاون على البر والتقوى بين الأزواج، ومن صور هذا التعاون ما جاء في الحديث من تعاونهما على الاستيقاظ لصلاة الليل، فقال ﷺ: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت الماء في وجهه)، وذلك تعاونًا على البر والتقوى وإيثارًا لاتباع الأمر الإلهي على الهوى النفسي[١]، والمراد من الحديث تلطف كل من الزوجين مع الآخر والسعي في قيامه لطاعة ربه مهما أمكن، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[٢]، وفيه بيان حسن المعاشرة وكمال الملاطفة والموافقة[٣]. وذلك سبب من أهم أسباب الألفة والمحبة بين الأزواج[٤].

ولإيجاد الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة والمحبة بين الأزواج وحصول خير الدنيا والآخرة لهما، شرع الإسلام كثيرًا من الحقوق المشتركة بينهما وأرشد إلى ربط الأسرة وحمايتها بسياج من التناصح والتعاون على البر والتقوى، ومن ذلك:

التناصح بينهما في كل ما فيه خيرهما وسعادتهما في الدنيا والآخرة، فدين الإسلام دين الخير والحق والفضيلة، ودين يسعى بأهله إلى أن يسعدوا في دينهم ودنياهم وآخرتهم، ودين يحث على التعاون على البر والتقوى، ودين يرشد أهله إلى أن يتمتعوا بالخيرية المطلقة التي جعلها الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة، هذا هو دين الإسلام، وهذه صفة المسلم الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فكيف إذا كان الآخر هو الزوج أو الزوجة؟ فيجب أن تقوم العلاقة بينهما على أساس من هذه المحبة والمودة التي تُورث حب النصيحة في الحق والخير والإرشاد إلى ما فيه الصلاح.

ومن صور التعاون على ذلك: التعاون على طاعة الله وما يقرب إلى مرضاته كما

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢١.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦١٩.

(٤) موسوعة نضرة النعيم ٣/١٠٢٧.

جاء في الحديث: (رحم الله رجلاً قام من الليل، فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل، فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء)

فهذه صورة من صور التناصح والتعاون، التي تَجُرّ هذا البيت إلى السعادة والراحة، والأجر والثواب العظيم عند الله تعالى.

ومن صور التناصح أيضًا: التعاون بينهما على تربية الأولاد وتنشئتهم النشأة الصالحة الحقة، فهما القدوة لمن في البيت، فلا يسمع الأبناء والبنات إلا قولاً طيبًا، ولا يرون إلا عملاً صالحًا، ولا ينظرون إلا إلى سلوك حسن.

ومن صور التعاون والتناصح: تشجيع كل منهما للآخر على ما فيه خير وهدى، كتشجيع الزوجة زوجها على بر والديه والقيام بحقوقهما وعدم عقوقهما، ورعاية شؤونهما، وتفقد أحوالهما، والاهتمام بهما، وعدم الغفلة عنهما، والسعي في مصالحهما، وكذا صلة أرحامه وأقاربه، وحثه على ذلك، وكذا تشجيعه على القيام بوظيفته ومهنته التي يقوم بها، وتهيئة السبل والوسائل لإنجاحه في عمله ووظيفته، فإن نجاحه في ذلك نجاح لها، وأجر وخير في الدنيا والآخرة، ومردود ذلك لها ولأولادها.

ومن صور التناصح والتعاون بينهما: إرشاد الزوج لزوجته في كل ما هو خير لها، وعدم الوقوف أمام رغباتها إذا لم تخالف شرع الله عز وجل، وتشجيعها على صلة والديها وأقاربها بالمعروف.

هذه بعض الصور التي تدل على ضرورة التناصح والتعاون، والبيت الذي يسوده هذا الجو بيت سعيد - بإذن الله تعالى- في دنياه وآخرته.

إن صلاح الأسرة طريق لأمان المجتمع كله، وهيهات أن يصلح مجتمع وَهَت فيه حبال الأسرة، وانقطعت أو ضعفت، وإن الشيطان حين يفلح في فك روابط الأسرة فهو لا يهدم بيتًا واحدًا، ولا يحدث شرًا محدودًا، وإنما يوقع المجتمع بأسره في أذى مستعر وشر مستطير[1].

---

(١) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح الصغير ص ١٣١ - ١٣٣.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل إعانة الرجل زوجته وإعانة المرأة زوجها على طاعة الله تعالى:

جاء في صريح الحديث ما يدل على فضل إعانة الزوجين كل منهما للآخر على عبادة الله، وأن ذلك سبب من أسباب رحمة الله والاندراج في طائفة الذاكرين والذاكرات، فقال ﷺ: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته... ورحم الله امرأة قامت...)، قال العظيم آبادي: "رحم الله أي: وفق للسبق والخير"[١]، وقال ابن علان: "(رحم الله) جملة خبرية لفظًا دعائية مَعْنى عدل عنها إلى الخبرية تفاؤلاً بالإجابة كأنها حصلت وأخبر عنها بما يخبر به عن الحاصل"[٢]، كما بين الحديث أن تعاون الزوجين على طاعة الله دخولهما في الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، فقال ﷺ: (إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعًا، كتب في الذاكرين والذاكرات)، أي من المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[٣]، وهؤلاء من الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤]، قال ابن كثير: "أي: هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجرًا عظيمًا وهو الجنة"[٥].

وقد أرشد الله عباده المؤمنين أن يُولُوا أهليهم العناية والرعاية وحثهم على التمسك بالدين والأخلاق ووقايتهم من النيران، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[٦].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦١٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٢١/٦.

(٦) سورة التحريم، الآية: ٦.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (يقول: أدبوهم وعلموهم).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (قوا أنفسكم وأهليكم نارًا، اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله ومروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار).

وقال قتادة: (يأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معصية الله وأن يقوم عليهم بأمر الله ويأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية نهيتهم وزجرتهم عنها)[1].

"وفي الآية تنبيه للمؤمنين لعدم الغفلة عن موعظة أنفسهم وموعظة أهليهم وأن لا يصدهم استبقاء الود بينهم عن إسداء النصح لهم وإن كان في ذلك بعض الأذى.

وعبر الله عن الموعظة والتحذير بالوقاية من النار على سبيل المجاز، لأن الموعظة سبب في تجنب ما يفضي إلى عذاب النار، أو على سبيل الاستعارة بتشبيه الموعظة بالوقاية من النار على وجه المبالغة في الموعظة"[2].

وقد أمر الله رسوله بقوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[3]، وقال عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾[4].

ثالثًا – من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد في الحديث أسلوب الترغيب واضحًا جليًا، حيث رغّب النبي صلى الله عليه وسلم الأزواج بالتعاون على طاعة الله تعالى بأن ذلك سبب من أسباب رحمة الله عز وجل، والكتابة في الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، فقال صلى الله عليه وسلم: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ أهله..)، وقال: (إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعًا كتب في الذاكرين والذاكرات) وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٦٧/٨.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٣٦٥/٢٨/١١.

(٣) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٤) سورة مريم، آية: ٥٥.

نفعًا وذلك لأن النفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وأسلوب الترغيب يجعل العبد يتوق إلى ما أعده الله للطائعين فيزداد طاعة وتقوى، فهو أسلوب يحبب إلى المسلم الطاعات وينأى به عن المعاصي، ويدفع به إلى مقاومة الشيطان"[1].

إن الترغيب والترهيب دافعان قويان إلى عبادة الله وطاعته والعمل والاجتهاد الدءوب على القرب من الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل والنأي عن النار وما يقرب إليها من قول وعمل، وقد وصف الله عباده المؤمنين وفي مقدمتهم الأنبياء بتوجيههم إلى الله ولجوئهم إليه طمعًا في رحمته وثوابه ورهبًا من نقمته وعقابه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[2]، وقال: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

رابعًا- من أهداف الدعوة: تعليم وتعميق الالتزام بقيام الليل في الأسرة المسلمة:

إن من أهم الأهداف الرئيسة للدعوة، تعميق الالتزام وتعاون أفراد الأسرة على طاعة الله عز وجل، ومن صور ذلك التعاون على الاستيقاظ لصلاة الليل، فقال ﷺ: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل، فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء)، وذلك أن التعاون وتعميق الالتزام في الأسرة سبيل لسعادة أفرادها في الدنيا والآخرة، فإن من صفة المسلم حبه لأخيه ما يحبه لنفسه، فكيف إذا كان الآخر هو الزوج أو الزوجة؟ فيجب أن تقوم العلاقة بينهما على أساس من المحبة والمودة التي تورث حب النصيحة في

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٢٠٤/٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٣) سورة السجدة، الآيات: ١٥ - ١٧.

الحق والخير والإرشاد إلى ما فيه الصلاح[١]، مع حسن المعاملة والثقة المتبادلة وأن تكون هذه العلاقة من أجل المضي في طريق الإسلام والدعوة[٢]، وحتى يجد كل طرف في الأسرة ما تقر به عينه، وتلك بغية الصالحين من عباد الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٣]، "أي: هب لنا أولادًا وحفدة تقرّ بهم العيون، وتسر بمكانهم الأنفس لحيازهم الفضائل واتصافهم بأحسن الشمائل"[٤].

---

(١) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد الصغير ص ١٣١.

(٢) الأهداف الرئيسة للدعاة إلى الله، إصدار: لجنة البحث في مكتبة دار الدعوة، بإشراف: أحمد بن عبدالعزيز القطان، وجاسم بن محمد بن مهلهل، ط١ دار الدعوة، الكويت: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ١٦٦.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

(٤) محاسن التأويل، القاسمي ٧/١٢/٢٨٣.

الحديث رقم (١١٨٦)

١١٨٦- وعنه وعن أَبي سعيدٍ رضي الله عنهما ، قالا : قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : **((إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا - أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ))** رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في التعاون على الطاعة في القيام مع الأهل، وقد جاء في أسلوب خبري خلى من المؤكدات في صورة الشرط الذي يربط بين إيقاظ الرجل أهله، والصلاة بهم، بكتابهما في الذاكرين، واستخدام أداة الشرط (إذا) يشير إلى تحقق الوقوع؛ لأن المؤمن سبَّاق للخير، والتعبير بالأهل يشير إلى معنى أوسع من الزوجة، فيدخل فيه جميع الأهل ثم إن إضافتهم إلى الضمير العائد على الرجل، يوحي إليه بمسئوليته تجاههم، و(ال) في الرجل للجنس فيشمل كل من أتى الفعل، وتثنية الفعل (فصليا) يشير إلى قوة الاتصال، وإلى أنه صلى بها، والتعبير بالكتابة يشير التوكيد، والثبات، والتعبير بالذكر يشير إلى اليقظة، والحضور، والمعية التي تجعلهم في رفقة الله تعالى.

المضامين الدعوية[2]

(١) برقم (١٣٠٩)، وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٢٥٦٨)، وقال الحاكم (٣١٦/١): حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٩١١).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٨٧)

١١٨٧- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا نَعَسَ أحَدُكُمْ فِي الصَّلاَةِ، فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

ينقل غريبه من حديث رقم ١٥١.

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على أسلوب الشرط الذي يعطي الحكم اطرادا مع الزمان، والمكان ويدور حول التنسيق بين العبادة، والراحة، وأخذ النفس في وقت إقبالها، ونشاطها حيث ربط بين حدوث النعاس في الصلاة، وبين الأمر بالرقاد، وقد علل الأمر الذي جاء في جواب الشرط بقوله (فَإِنَّ أحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ) قوله (لعله يستغفر) رجاء الاستغفار أي يريد الاستغفار فيسب يعني يدعو على نفسه، وفيه الحث على الخشوع، وحضور القلب في العبادة، وذلك؛ لأن الناعس لا يحضر قلبه، والخشوع إنما يكون بحضور القلب.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى ما ينبغي فعله في صلاة الليل، وأن الإنسان مكلف على قدر طاقته ، فإن قام إلى صلاة الليل فليقم طاقته، فإن أحس بالنوم فليرقد، ثم ليكمل

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٢)، ومسلم (٧٨٦/٢٢٢) واللفظ له، وتقدم برقم (١٤٧). أورده المنذري في ترغيبه (٩٣٨).

بعد أن يسترد نشاطه، فلعله يريد أن يستغفر فيسب نفسه ويدعو عليها من فرط نعاسه(١).

المضامين الدعوية(٢)

(١) انظر في ذلك: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٤١/٢ وما بعدها، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٠/١ وما بعدها، مواهب الجليل ٦٦/٢ وما بعدها، شرح منح الجليل ٣٣٩/١ وما بعدها، نهاية المحتاج ١٠٥/٢ وما بعدها، مغني المحتاج ٤٥٨/١ وما بعدها، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٢٤٧/١ وما بعدها، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٥/١ وما بعدها.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٤٧).

الحديث رقم (١١٨٨)

١١٨٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((إِذَا قَامَ أحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجَمَ القُرْآنَ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَجِع)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فاستعجم القرآن على لسانه: استغلق ولم ينطلق به لسانه لغلبه النعاس فلم يقدر أن يقرأ كأنه صار به عجمة[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يشير إلى ضرورة أن يأخذ المؤمن نفسه وقت نشاطها، وأن يتجنب غلبة النعاس، وشدة التعب حتى لا يثقل القلب فيصرفه عن غرض العبادة، وقد ساقه في أسلوب الشرط ليعطيه اطرادا مع الزمان، والمكان ثم إن الشرط يعرض الجزاء مرتبطاً بالفعل يوجد بوجوده، وينتفي بانتفائه فقد ربط القيام للصلاة على حال استعجام القرآن أي استغلاقه، وعدم انطلاق اللسان به لغلبة النعاس بالأمر بالاضطجاع، والتعبير بالقيام عن الصلاة يوحي بالتقويم والإصلاح، وهو إصلاح العبد للصلاة بتحسين طهورها، وقيامها، وركوعها، وسجودها، من جهة، وإصلاح الصلاة للعبد بتقويم أخطائه، ومغفرة ذنوبه، وتقريبه من ربه من جهة أخرى، وقوله (من الليل) يشير إلى نافلة الليل، والتعبير بالاستعجام كناية عن عدم الفهم، ويشير إلى انطماس المعاني، وتداخل الألفاظ، واضطرابه في القراءة، ويدل على ذلك تفسيره له بقوله (فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ) والحديث يشير إلى بعد نفسي يكمن في الحفاظ على المحبة التي يجب أن يقبل بها

---

(١) برقم (٧٨٧/٢٢٣). أورده المنذري في ترغيبه (٩٤٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ج م)، شرح صحيح مسلم، النووي ٥٣٢.

العبد على ربه في العبادة، والتعب إذا ما حل بالعبد أورثه الاستكراه، والملل، وهو ما يخرج العبادة عن غرضها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية التيسير والتخفيف في العبادة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على النشاط وحضور القلب في الصلاة.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: مراعاة أحوال المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: أهمية التيسير والتخفيف في العبادة:

وردت الإشارة في الحديث إلى أهمية التيسير والتخفيف والابتعاد عن المشقة والحرج، فقال ﷺ: "إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع" وذلك من مظاهر التيسير الإسلامي في أداء العبادات، وذلك مما تميزت به الشريعة الإسلامية، وإن المتتبع لما شرعه الله علينا من العبادات ليرى أن مظاهر رفع الحرج فيها واضحة جلية لاغموض فيها ولا خفاء[1]، ومن ذلك ما جاء في الحديث من دلالة على أن صلاة الليل تكون في نشاط ويقظة، فإذا كان النوم غالبًا كان النوم أفضل، وذلك من مظاهر الدين، فقد قال ﷺ: وإن الدين يسر ولا يشاد الدين أحد إلا غلبه"[2]، ومعنى هذا الحديث أن العبادة ميسرة، والمبالغة فيها لا تعني أن المرء يستطيع بلوغ حد الكمال[3].

إن التيسير والتسهيل ورفع الحرج ميزة أصيلة للشريعة الإسلامية، فالمتتبع للتشريع الإسلامي يلمس معاني التيسير ورفع الحرج في الأحكام الشرعية، فاليسر ظاهر والحرج منفي فلا مشقة تعجز المكلفين عن أداء ما طلب منهم ولا حرج يلحقهم مما كلفوه[4].

---

(١) انظر: مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام، ص١١٩.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم ٣٩.

(٣) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري، ص ٨٩.

(٤) المدخل في التعريف بالفقه وقواعد الملكية، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ص٨٥.

وهناك نصوص صريحة في القرآن والسنة النبوية تدل على أن الشارع الحكيم ما يريد بعباده إلا التيسير والتخفيف، ولا يريد بأحكامه التضييق والتشديد، يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾(١)، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾(٢)، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(٣)، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٤).

وفي السنة النبوية -أيضًا- الشيء الكثير من النصوص التي تدل على هذا المعنى، ومن ذلك ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَه، فسَدِّدوا وقارِبوا، وأبْشِروا»(٥). وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن «يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا»(٦).

فرفع الحرج أصل مقطوع به في الشريعة، ومن مظاهره ما يأتي:

اعتبار المرض، والسفر، والإكراه، والخطأ، والنسيان، أعذارًا لتخفيف الأحكام الشرعية وتشريع الرخص، والقاعدة الشرعية "الضرورات تبيح المحظورات" بنيت على أصل رفع الحرج دفعًا للمشاق والضيق عن أصحاب الأعذار والضرورات.

ومن الأمثلة على التيسير ورفع الحرج قوله الله تعالى ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾(٧)، ومن الإصر الذي رفعه الله عنا بالنسبة إلى

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥ .
(٢) سورة النساء، الآية: ٢٨ .
(٣) سورة الحج، الآية: ٧٨ .
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦ .
(٥) أخرجه البخاري ٩٣.
(٦) أخرجه البخاري ٥٢٤.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦ .

الشرائع السابقة، التوبة، فقد كانت توبة بني إسرائيل بقتل النفس، ومن رفع الإصر إخراج ربع العشر في الزكاة، وقد كانوا يخرجون ربع المال،ومن رفع الإصر غسل موضع النجاسة، وقد كانوا يقرضون موضع النجاسة[1].

وفي الصلاة شرع للعاجز عن القيام أن يصلي حسب حاله، وله أن يجمع بين الصلوات في الخوف والمطر، وكذلك رفع الحرج في الصيام فأسقط الفريضة عن المريض الذي لا يرجى سلامته، وعن العاجز لكبر سنه مع إخراج إطعام مسكين عن كل يوم، وغير ذلك من التيسيرات في العبادات[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: النشاط وحضور القلب في الصلاة:

جاء في الحديث الدلالة على أداء الصلاة في حال النشاط وحضور القلب وإقباله على الصلاة، فقال ﷺ: "إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه"، قال النووي: أى استغلق ولم ينطق به لسانه لغلبة النعاس[3]" فلم يدر ما يقول فليضطجع"، وقد جاءت النصوص الجمة التي ترشد إلى أداء العبادات وقت النشاط، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخل النبي ﷺ، فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل زينب، فإذا فترت تعلقت، فقال النبي ﷺ: لا، حُلّوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد"[4]، أى ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر وكسل عن القيام فليرقد، وفي ذلك حث وأمر بالإقبال على العبادة بنشاط[5].

فإذا لم يستطع المسلم في قيامه الليل تدبر القرآن وتفهمه لما أصابه من التعب أو حل به من النوم فليضطجع قليلاً ويعاود العبادة بنفس نشيطة وشعور صاف[6].

---

(١) تفسير الجلالين ٤٢.

(٢) تاريخ التشريع والفقه الإسلامي، د. أحمد العليان، ص ٦٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٣٢.

(٤) أخرجه البخاري، ١١٥٠

(٥) فتح الباري، الحافظ ابن حجر، ج٣/٤٤-٤٥.

(٦) شرح رياض الصالحين، د/الحسيني هاشم، ص٦٠١.

وجاءت النصوص الكثيرة الداعية إلى دخول الإنسان في العبادة وهو مستيقظ العقل والذهن، من ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاَةِ، فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ. فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبَّ نَفْسَهُ»[١].

قال القاضي عياض: (في ذلك دليل على أنه لا يجب أن يقرب الصلاة من لا يعقلها ويؤديها على حقها، وأن يتفرغ من كل ما يشغل عن الخشوع فيها، وأن يكون حاضر العقل، وإلا "لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه" لأنه إذا ذهب يستغفر ويدعو لنفسه وهو لا يعقل، ربما قلب الدعاء، فدعا على نفسه)[٢].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: مراعاة أحوال المدعوين:

إن من أهداف الدعوة: حث الناس على الاجتهاد في العبادة، لكن مع مراعاة طاقات وقدرات المدعوين، وعدم المشقة عليهم، وفي الحديث صورة من صور مراعاة أحوال المدعوين، فقال ﷺ إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضجع" وذلك رفعًا للمشقة والحرج، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٣]، قال ابن كثير: "أى ما كلفكم مالا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا"[٤].

وقد بَلَغ النبيَّ ﷺ أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يطول بالمأمومين في الصلاة فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا. فقد روى الإمام البخاري عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رجل: «يا رسولَ الله لا أكادُ أُدْرِكُ الصلاةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بنا فلانٌ، فما رأيتُ النبي ﷺ في مَوْعِظَةٍ كانَ أشدَّ غضبًا منهُ يومَئِذٍ، فقالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَمَنْ

(١) أخرجه مسلم، ٧٨٦.

(٢) انظر: إكمال المعلم، ج٣/١٥٠، ١٥١.

(٣) سورة الحج، الآية : ٧٨ .

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٢٨/٦.

صَلَّى بالناسِ فَلْيُخَفِّفْ، فإنَّ فِيهِمُ المريضَ، والضعيفَ، وذا الْحَاجَةِ»[١].

وفي رواية: فقال النبي ﷺ: «يا مُعاذُ، أَفتّانٌ أَنت - أو أَفاتنٌ - (ثلاثَ مِرارٍ)، فلولا صليتَ بـ﴿سبِّحِ اسمَ ربِّكَ﴾ ﴿والشمسِ وَضُحاها﴾ ﴿والليلِ إذا يغشى﴾، فإنه يُصلِّي وَراءَكَ الكبيرُ والضعيفُ وذو الحاجة»[٢].

ولم يقتصر - عليه الصلاة والسلام - على أمر الأئمة بتخفيف الصلاة ونهيهم عن إطالتها بل كان ﷺ مهتمًا بفعل ما أمر به غيره، وحريصًا على اجتناب ما نهى عنه الآخرين. فقد روي الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ مِنْ أَخَفِّ النَّاسِ صَلَاةً، فِي تَمَامٍ»[٣].

ولربما صلى بالناس فسمع بكاء الصبي فتجوز في صلاته وقرأ سورة قصيرة كراهية أن يشق على أمه. فقد روى الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ رضي الله عنه يَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ مَعَ أُمِّهِ، وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ، فَيَقْرَأُ بِالسُّورَةِ الْخَفِيفَةِ أَوْ بِالسُّورَةِ الْقَصِيرَةِ»[٤].

وفي رواية أخرى قال عليه الصلاة والسلام: «إني لأقومُ في الصلاةِ أُريدُ أن أطوِّلَ فيها، فأَسمعُ بكاءَ الصبيِّ فأَتجوَّزُ في صلاتي كراهيةَ أن أَشُقَّ على أُمِّهِ»[٥].

الله أكبر! صلوات ربي وسلامه عليه. ما أرحمه! وما أشفقه على الأمة! وصدق الله إذا يقول: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٦].

فإذا كان اهتمام إمام الدعاة ﷺ بمراعاة أحوال المأمومين بهذه الصورة فلم لا

---

(١) أخرجه البخاري، ٩٠.

(٢) أخرجه البخاري، جزء من حديث رقم ٧٠٤.

(٣) أخرجه مسلم، ١٨٩.

(٤) أخرجه مسلم، ١٩١.

(٥) أخرجه البخاري ٧٠٧.

(٦) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

يهتم الدعاة بمراعاة أحوال المدعوين أثناء دعوتهم إلى الله تعالى. يقول الإمام النووي تعليقًا على تخفيف النبي ﷺ الصلاة عند سماع بكاء الصبي: (وفيه دليل على الرفق بالمأمومين وسائر الأتباع ومراعاة مصلحتهم، وأن لا يدخل عليهم ما يشق عليهم، وإن كان يسيرًا من غير ضرورة)[١][٢].

ونرى في حياة رسول الله ﷺ ودعوته الأنموذج الحي في مراعاة أحوال المخاطبين، ومن صور ذلك اهتمام رسول الله ﷺ بمراعاة أحوال الناس، ما ثبت من عنايته العظيمة بأحوال المأمومين من خلال عدة نصوص ووقائع منها:

أ- أمره ﷺ الأئمة بتخفيف الصلاة مراعاة لأصحاب الأعذار من المأمومين:

أمر النبي الكريم ﷺ كل من صلى بالناس بتخفيف الصلاة مراعاة للضعيف والسقيم والكبير من المأمومين. فقط روي الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمْ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ»[٣].

ب- أمره ﷺ عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه بتخفيف الصلاة مراعاة للمأمومين:

عين النبي ﷺ عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه إمامًا لقومه، فأمره بتخفيف الصلاة مراعاة للكبير والمريض والضعيف وذي الحاجة. فقد روي الإمام مسلم عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «أُمَّ قَوْمَكَ، فَمَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ. وَإِنَّ فِيهِمْ ذَا الْحَاجَةِ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ وَحْدَهُ، فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ»[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٣٥٦ .

(٢) انظر: مراعاة أحوال المخاطبين، د. فضل إلهي، ٨١-٨٣.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٢.

(٤) أخرجه مسلم، جزء من حديث رقم ١٨٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية بالقدوة:

هذ واضح من معظم أحاديث الباب، ولعل أوضحها في ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا)، ومثله حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، فالملاحظ على هذا الحديث ما يلي:

(أ) أنه ﷺ بدأ بنفسه بالقيام بواجب الشكر، أي أنه ﷺ كان أول القائمين بالشكر لله رب العالمين، وذلك بقيامه الليل طويلاً حتى تتشقق قدماه، فإذا كان ﷺ أمر أصحابه رضوان الله عليهم بالقيام بواجب شكر الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فإنه كان أولهم وأسبقهم إلى ذلك.

(ب) أنه ﷺ قام بواجب الشكر بعيدًا عن الناس وفي وقتٍ هم فيه مخلدون إلى الراحة والنوم، وفي هذا استجماع للقوى الذهنية والبدنية والنفسية للقيام بهذا الواجب، فاختار ﷺ أفضل الأوقات وأهدأ الساعات وأسكن اللحظات.

(ج) لم يتحدث ﷺ عن قيامه بواجب شكر رب العالمين، بل كانت أفعاله ﷺ التي تتحدث عن ذلك، وهذا ما جعل زوجه عائشة رضي الله عنها تسأله عن قيامه الليل حتى يصيبه ما يصيبه مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فحينئذٍ أعلنها وأخبرها أنه يفعل ذلك شكرًا لله رب العالمين.

والسؤال الذي يخطر بالبال هنا: أليس في ذلك تربية بالقدوة: تربية النبي ﷺ لأصحابه بالفعل والممارسة؟ أليس هذا الموقف يدعو المخاطبين أن يقتدوا به ﷺ ويتأسوا به؟ أليس هذا الفعل منه ﷺ أفضل من ألف قول من غيره؟

إن للقدوة تأثيرً عميقًا في النفوس يبعث على الجد والاجتهاد في الطاعة وفي قيام الليل طمعًا في رضوان الله تعالى، فما أشد تأثر المؤمن بأسوته ﷺ واجتهاده في قيام الليل حتى مع الإجهاد الشديد إلا أنه أراد أن يُعمق في النفوس المؤمنة قيمة الشكر لله تعالى باجتهاده ﷺ في قيام الليل.

ومن هذا المنطلق فإن على المربين إن أرادوا أن ينجحوا في مهمتهم الجليلة ووظيفتهم النبيلة أن تكون تربيتهم من خلال القدوة فهذه أنجع طرق التربية وأنجحها على مر التاريخ والقرون، "ففي كثير من الأحيان تكون القدوة الحسنة مغنية عن كثير من أساليب الترغيب والتشويق وأسباب تحصيل المحبة، وكذلك تعفى من الاستكثار من الاستدلال وإقامة الحجة والمناظرة والجدال، إذ يتحقق من خلال القدوة الكثير من ذلك بشكل تلقائي وبصورة أعمق وأثبت حيث إن القدوة تساعد على تكوين الحافز في المتربي دونما توجيه خارجي، لأن المثال الحي المرتقى في درجات الكمال يثير في نفس البصير العاقل قدرًا كبيرًا من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة، ومع هذه الأمور تتهيج دوافع الغيرة المحمودة والمنافسة الشريفة، فيحصل التأثر والاقتداء وتكون الاستجابة قوية وهي في الوقت نفسه سهلة وتلقائية، وحتى إذا أحببت الاقتداء به من غير سؤال أغناك عن السؤال في كثير من الأعمال، وبهذا تتكامل عناصر التأثير فإذا اجتمع مع محبة الفعل اقتناع العقل بثمرته وفائدته وأضيف إليهما قدوة يتمثل فيهما الفعل فإن التأثير يكون قد بلغ مبلغه" [(١)].

ثانيًا - من أساليب التربية: التشجيع:

لقد شجع النبي ﷺ ابن عمر رضي الله عنهما على قيام الليل، فقال: (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل)، وقد أتى هذا التشجيع بثماره الطيبة فكان عبدالله بن عمر لا ينام من الليل إلا قليلاً، أليس في هذا فوائد تربوية للتشجيع؟ أليس هذا دعوة للمربين أن يستخدموا هذا الأسلوب في مهمتهم؟ أليست النفس البشرية تحب التشجيع وتستجيب له؟ ألا يستخدم هذا في حياتنا اليومية كثيرًا؟ ألم يكن هناك مواقف تاريخية كان للتشجيع فيه دور كبير في تسطيرها بحروف من نور؟

"إن التشجيع بمعناه العام لا يختص بالنوابغ فحسب ولا يقتصر على المربين والمعلمين وحدهم، بل هو عام للنوابغ وغيرهم كذلك، في العلم أو في أي مجال آخر.

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص ٣٣ - ٣٥ مع مراجعه ومصادره.

وهو كذلك ليس مسؤولية المربين والمعلمين وحدهم، بل هو يقع أيضًا على عاتق كل أحد يستطيع ذلك، سواء من المعلمين أو المربين أو الوالدين أو الرؤساء أو غيرهم. بل هو مسؤولية عامة الناس، فبإمكانهم أن يحرِّضوا على الخير ويعينوا على البر، فيجدر بمن يستطيع القيام بذلك أن يقوم به، من خلال الكلمة الطيبة أو المبادرة بالهدية أو من خلال رسالة الشكر والتقدير أو غير ذلك، فلذلك الصنيع أثره البالغ في رفع الهمم وتنمية المهارة، والشعور بالثقة، ذلك أن الناس مجبولون على محبة التشجيع والدعم والشكر.

ولهذا لو تتبعنا سِيَر العلماء والمصلحين والمجاهدين ثم بحثنا عن سر نبوغهم وألمعيتهم - لوجدنا أن كثيرًا منهم قد نال ذلك بسبب كلمة سمعها فغيّرت مسار حياته، أو كانت سببًا في ثباته وصبره واستشعاره للمسؤولية أو نحو ذلك.

وقد يصدر ذلك من بعض العامة فيكون له وقعه وأثره.

عن حسين الكرابيسي قال: سمعت الشافعي يقول: كنت امرءًا أكتب الشعر وآتي البوادي فأسمع منهم، وقدمت مكة وأنا أتمثل بشعر للبيد، وأضرب وحشي قدمي بالسوط، فضربني رجل من ورائي من الحجبة فقال: رجل من قريش ثم ابن المطلب رضي من دينه ودنياه أن يكون معلمًا ما الشعر؟ الشعر إذا استحكمت فيه قعدت معلمًا، تَفَقَّهْ يُعْلِك اللهُ. قال: فنفعني الله بكلام ذلك الحجبي ورجعت إلى مكة وكتبت عن سفيان ابن عيينة ما شاء الله أن أكتب، ثم كنت أجالس مسلم بن خالد الزنجي، ثم قدمت على مالك في المدينة، فكتبت موطأه.

وهذا أحمد لما ابتلي بفتنة القول بخلق القرآن كان من أسباب ثباته رجل من عامة الناس، بل لص طرار[1] قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: كنت كثيرًا أسمع والدي يقول: رحم الله أبا الهيثم غفر الله لأبي الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم. فقلت: يا أبه من أبو الهيثم؟ فقال: لما أخرجت للسياط ومدّت يداي للعقابين إذا أنا بشاب يجذب ثوبي من ورائي

(١) الطرّار: النشال الذي يشق الجيوب والهمايين ويستل ما فيهما. معجم لغة الفقهاء ص ٢٦٠.

ويقول لي: تعرفني؟ قلت: لا. قال: أنا أبو الهيثم العيّار، اللص الطرار مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان، لأجل الدنيا، فاصبر أنت في طاعة الرحمن، لأجل الدين"[1].

ثالثًا - من أساليب التربية: التعريض:

لقد أراد النبي ﷺ أن يرغب عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في قيام الليل، فعرّض له بذكر من كان كذلك ثم فرط في قيام الليل وتركه، فقال له: "يا عبدالله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل"، قال ابن حجر: (قوله: "مثل فلان" لم أقف على تسميته في شيء من الطرق، وكأن إيهام مثل هذا لقصد السترة عليه كالذي تقدّم قريبًا في الذي نام حتى أصبح، ويحتمل أن يكون النبي ﷺ لم يقصد شخصًا معينًا، وإنما أراد تنفير عبدالله بن عمرو من الصنيع المذكور)[2].

وعلى احتمال أن الحديث فيه تعريض بفلان فإنه يستفاد بذلك في المجال التربوي بأن يستخدمه المربون والموجهون والواعظون والمرشدون في تعاملهم مع من يقومون على تربيتهم وتوجيههم، أليس في هذا التعريض علاج للخلل والفعل غير المرغوب فيه دون تشهير بصاحبه والإعلان به بين الناس فيحفظ عليه ماء وجهه مع لفت نظره إلى ترك ما فعل واجتناب ما ارتكب؟

أليس في التعريض تنبيه للجماعة أن يحذروا هذه الأفعال فيقيموا بينها وبينهم سدًا منيعًا؟ أليس في التعريض حفظ لهيبة المربي بين أتباعه، وحماية لها من كونها قد تتعرض للاهتزاز إذا استخدم الأسلوب المباشر مع من قد لا يقدرونه حق قدره وينزلونه منزلته؟ أليس في التعريض تطبيقٌ لمبدأ تربوي مهم جدًا، وهو الستر قدر الإمكان على أهل الزلات الذين لم يعتادوها ولم يفعلوها على وجه القصد والإصرار؟

والخلاصة: أن التعريض إذا استخدم في محله ووقته لاستطاع عن طريقه المربي أن يحقق الغاية التي يرمي إليها والهدف الذي يريد تحقيقه[3].

---

(١) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٤٣ - ١٤٥ ومراجعه ومصادره.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/ ٧٧٠ .

(٣) وانظر: نحو تربية إسلامية راشدة ص ٢٤٤.

رابعًا -التربية على النشاط وعدم الكسل:

هذا مستمد من حديث ابن مسعود ﵁ قال: ذُكِر عند النبي ﷺ رجلٌ نام ليلة حتى أصبح قال: ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه - أو قال: في أذنه.

قال ابن حجر: (... وقيل: هو مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم كمن وقع البول في أذنه فثقل أذنه وأفسد حسه، والعرب تكنى عن الفساد بالبول... ووقع في رواية الحسن عن أبي هريرة في هذا الحديث عند أحمد. قال الحسن: إن بوله والله لثقيل. وروى محمد بن نصر من طريق قيس بن أبي حازم عن ابن مسعود: حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح وقد بال الشيطان في أذنه. وهو موقوف صحيح الإسناد. وقال الطيبي: خصّ الأذن بالذكر وإن كانت العين أنسب بالنوم، إشارة إلى ثقل النوم، فإن المسامع هي موارد الانتباه)[1]، وقد جاء في حديث أبي هريرة ﵁ ما يؤكد ذلك: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذ هو نام، ثلاث عقد: يضرب على كل عقدة: عليك ليلٌ طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلّت عُقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلّى انحلت عُقَدُه كلها، فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان).

قال الشيخ القرضاوي: (وما أعظم الفارق بين المسلم الذي انحلت عقد الشيطان كلها من نفسه فاستقبل يومه من الصباح الباكر بالذكر والطهارة والصلاة، وانطلق إلى معترك الحياة نشيط الجسم طيب النفس منشرح الصدر وبين من ظلت عقد الشيطان فوق رأسه فأصبح نؤوم الضحى، بطيء الخطا، خبيث النفس، ثقيل الجسم، كسلان)[2].

"إن التكاسل في أداء العبادات مظهر من مظاهر دنو الهمة، فتجد من الناس من يؤدي الصلاة بتثاقل وتباطؤ وقلة رغبة، وهذا وصف المنافقين الذين لا يقومون إلى الصلاة إلا وهم كسالى، بخلاف المؤمنين الصادقين، فإنهم يقومون إلى الصلاة بهمة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٧٦٦ .

(٢) الوقت في حياة المسلم ص ٢٢٦.

ونشاط ورغبة، ولذلك وصفهم الله عز وجل بأنهم يقومون إلى التهجد في الليل أو إلى صلاة الفجر تتجافى جنوبهم عن المضاجع، وهذا آية على مصارعة همتهم لحاجة أجسادهم إلى الراحة والنوم، ويدخل في هذا المظهر التكاسل عن قيام الليل، وصلاة الوتر وأداء السنن والرواتب وبخاصة إذا فاتت فقلّ من يقضيها.

ومن ذلك الغفلة عن قراءة القرآن، وعن ذكر الله عز وجل وعن التوبة والاستغفار والإنابة إلى الله تبارك وتعالى.

ومن ذلك الغفلة عن أعمال القلوب من حب وإخبات وتوكل ونحو ذلك... ومن ذلك - أيضًا - التواني عن الإنفاق في سبيل الله، فمن الناس من يدفع في سبيل الفساد والإفساد ولا يبالي، وإذا طلب منه الإنفاق في سبيل الله قدم رجلاً وأخر رجلاً، وأخذ يضرب أخماسًا لأسداس، وبدأ يقدم الأعذار تلو الأعذار"[1].

خامسًا - التربية على تحري الأوقات الفاضلة:

هذا واضحٌ في جميع أحايث الباب، وخاصة الأحاديث التي تحتوي على أفعل التفضيل: "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل "وأحبّ الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود...".

فهذه الأحاديث تحث على تحري الأوقات الفاضلة وشغلها بالعبادة والعمل الصالح، وإذا ربى الناشئة على ذلك كان له الأثر الطيب عليهم وعلى أدائهم في الحياة ونجاحهم فيها. وقد تقدم معالجة هذا المضمون قريبًا[2] كما سيأتي أيضًا في الباب التالي[3]، فكان الأنسب هنا الاختصار والإيجاز.

سادسًا - التربية على استدراك ما فات من الخير:

وهذا مستمد من الحديثين: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع صلّى من النهار ثنتي عشرة ركعة. فهذا النبي ﷺ قد

---

(١) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٣٦ - ٣٧ ومراجعه.

(٢) انظر: الباب رقم ٢١٠: باب فضل يوم الجمعة ووجوبها والاغتسال لها.

(٣) وهو الباب رقم ٢١٣، باب استحباب قيام رمضان وهو التراويح.

استدرك ما فاته من فضل قيام الليل بالصلاة في النهار ولم يجعل النبي ﷺ هذا قاصرًا عليه بل نصح أصحابه رضي الله عنهم بذلك فقال - كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه - (من نام عن حزبه أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل)، فأرشدهم ﷺ إلى استدراك ما فات من الفضل، وعيّن لهم الوقت الذي يمكنهم الاستدراك فيه وهو الوقت ما بين الفجر إلى صلاة الظهر، ولعل الحكمة في ذلك أنه وقت طويل، كما أنه وقت لم تتكاثر فيه المشاغل بعد، بخلاف غيره من بعد الظهر ونحوه حيث تتزاحم الأعمال وتكثر.

والخلاصة أن الحديثين نص في الحث على استدراك ما يفوت الإنسان من الخير، وعلى ذلك ينبغي أن يربي المربي الناشئة وغيرهم على ذلك، بحيث يحرصون على عدم تفويت الخير في وقته، فإن حدث لأي سبب من الأسباب كان هناك المجال للاستدراك والحصول على الثواب والفضل.

ولا شك أن التربية على ذلك فيها فوائد تربوية منها:

(أ) تعويد الناشئة على أن يكون فعل الخير سجية لهم في جميع الأوقات والأحوال والمتغيرات.

(ب) تعويد الناشئة على أن يعطوا كل وقت عمله الذي هو مطلوب فيه بحيث يكون ذلك عادة، فإن حدث وتأخر ذلك فإن فرصة الاستدراك ما زالت قائمة، وهذا مفيد جدًا في غرس عادة عدم تأجيل العمل إلى الغد.

(ج) التقدير الشديد لقيمة الوقت والحرص على عدم تضييعه فيما لا يفيد ولا ينفع، وشغله بما يفيد وينفع[1].

سابعًا - التربية على التعاون المشروع على العبادة:

هذا مستمد من الحديثين: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء...)، و(إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا - أو صلى ركعتين جميعًا، كتبا في الذاكرين الله والذاكرات).

---

(١) انظر: قيمة الزمن عند العلماء، عبدالفتاح أبو غدة ص ٨٠ - ٨٤.

قال الأستاذ محمد بن عبدالله الدويش: (النفس تضعف ويصيبها الفتور والتقصير لكن المسلم حين يرى ما عليه إخوانه الصالحون، يزداد همة ونشاطًا للعمل والاجتهاد فيه، لذا فقد كان النبي ﷺ وهو أتقى الناس وأقربهم لله تبارك وتعالى، يزداد طاعة وهمة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان رسولُ اللّهِ ﷺ أَجْوَدَ النـاسِ، وكـانَ أجودَ ما يكونُ في رَمَضانَ حينَ يلْقاهُ جبرِيلُ، وكانَ يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ مِنْ رَمضانَ فيُدارِسُه القُرآنَ. فلَرسولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَة))[1].

قال النووي عند ذكره لفوائد هذا الحديث: (ومنها زيادة الجود والخير عند ملاقاة الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم)[2]، ومن صور التعاون المشروع على أداء العبادة:

(أ) الأمر بها والحث عليها، وقد كان ﷺ يفعل ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَإِذَا أَوْتَرَ قَالَ: «قُومِي، فَأَوْتِرِي يَا عَائِشَةُ))[3].

بل يخرج من بيته ذات ليلة لابنته وصهره آمرًا إياهما بالصلاة والتهجد، فعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ((أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم طرَقَهُ وفاطمةَ بنتَ النبيِّ عليهِ السلامُ ليلةً فقال: ألا تُصلِّيانِ؟ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ أنفُسنا بيدِ اللهِ، فإذا شاءَ أن يَبْعَثَنا بَعَثَنا. فانصرَف حينَ قلتُ ذلك ولم يَرجِعْ إليَّ شيئًا، ثمَّ سمعتُهُ وهوَ مُولٍّ يضرِبُ فخذَهُ وهوَ يقول: ﴿وكان الإنسانُ أكثرَ شيءٍ جَدَلاً﴾[4]))[5].

ويوصي بهذا التعاون بين الرجل وزوجته مثنيًا على من يفعله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ فَإِن أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ)).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٣٢٢٠، ومسلم ٢٣٠٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٢٦.

(٣) أخرجه مسلم ٧٤٤.

(٤) سورة الكهف، آية: ٥٤.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري ١١٢٧، ومسلم ٧٧٥.

(ب) الاجتماع المشروع على العبادة، كالاجتماع على الذكر، وقد كان أصحاب النبي ﷺ يفعلون ذلك، فعن معاذ رضي الله عنه أنه قال: ((اجلسوا بنا نؤمن ساعة، يعني نذكر الله))[1].

وعن الأسود بن هلال قال: كان معاذ يقول للرجل من إخوانه: اجلس بنا فلنؤمن ساعة، فيجلسان فيذكران الله ويحمدانه[2].

وعن علقمة أنه كان يقول لأصحابه: امشوا بنا نزداد إيمانًا[3].

ومن ذلك الاجتماع أحيانًا على أداء النافلة وصلاة الليل، على ألا يكون راتبًا ودائمًا.

وقد صلى النبي ﷺ التطوع في جماعة فصلّى معه ابن عباس، وصلّى معه حذيفة، وصلّى معه ابن مسعود، وصلّى بأصحابه جماعة في بيت رجل من الأنصار، وبوّب البخاري على هذا الحديث، باب صلاة النوافل جماعة [4]، قال ابن حجر في فوائد هذا الحديث: (وفيه ما ترجم له هنا وهو صلاة النوافل جماعة وروى ابن وهب عن مالك أنه لا بأس بأن يؤم النفر في النافلة، فأما أن يكون مشتهرًا ويجمع له الناس فلا، وهذا بناه على قاعدته، سدّ الذرائع. لما يخشى من أن يَظُن من لا علم له أن ذلك فريضة)[5].

وقيدنا الاجتماع بأن يكون مشروعًا حذرًا من الاجتماع غير المشروع، أو اتخاذ صلاة النافلة جماعة هديًا راتبًا وجمع الناس لها"[6].

ثامنًا: من خصائص التربية الإسلامية: التوازن:

هذا مستمد من حديث عائشة مرفوعًا: (إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد، حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه)،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ١٠٥.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ١٠٧.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ١٠٤.

(٤) الباب رقم ٣٦ من كتاب التهجد، وتحته الحديثان ١١٨٥ - ١١٨٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٧٨٠

(٦) تربية الشباب ص ٤٦ - ٤٨.

وحديث أبي هريرة مرفوعًا: (إذا قام أحدكم من الليل، فاستعجم القرآن على لسانه، فلم يدر ما يقول فليضطجع)، فإذا كان المصلي يرغب في تحصيل الفضل والثواب، فإن ذلك لا يكون سبيله إجهاد النفس إجهادًا لا يَعْقِل معه ما يقول، أو لا يستطيع الأداء على الوجه المطلوب، وفي هذا -فيما نرى- توازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد، فلا تطغى إحداهما على الأخرى، بل يكون التوازن قائمًا بين الاثنتين حتى يستطيع الإنسان أن يؤدي ما هو مطلوب منه على وجه الإتقان والإجادة، لا صورة الأداء فقط، "ويقصد بالتوازن: الاعتدال والتوسط في الأمور، وهذا التوازن بهذا المفهوم هو من خصائص التربية الإسلامية وميزاتها التي لا توجد في تربية سواها، حيث تركز مفاهيمها وممارساتها على أساس من الاعتدال والاستقامة، وتقيم مجالاً واسعًا متوازنًا للاختيارات والبدائل المباحة تجاه السلوك الواحد، وبفضل المعايير الشرعية الدقيقة فيما يتعلق بأنماط السلوك فإنها بعيدة عن التطرف والإغراب.

اقرأ قول الله جل وعز في منهج الإنفاق: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[1]، وفي مجال التربية الأخروية والاهتمام بالجانب الروحي قال عز وجل: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾[2]، ولكن لا يكون ذلك على حساب الدنيا أو إهمالها والاستهتار بها، وقد بيّن الحق عز وجل في نفس الآية آنفة الذكر أن ابتغاء الدار الآخرة لا يجوز أن يكون بنسيان نصيبك من الدنيا، ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[3]"[4].

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٦٧.

(٢) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٣) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٤) أصول التربية الإسلامية، أمين أبولاوي ص ٣٨ - ٣٩.

٢١٣- باب استحباب قيام رمضان وهو التراويح

الحديث رقم (١١٨٩)

١١٨٩- عن أَبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيمانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

إيمانًا: تصديقًا بأنه حق مقتصد فضيلته[2].

احتسابًا: أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس ولا غيرذلك مما يخالف الإخلاص[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث، وسابقه يدوران حول معنى واحد، وهو الترغيب في قيام رمضان لما فيه من فضائل يصعب حصرها، فهو شهر تنقية للعام كله، واسترداد لما سلبه الشيطان من الإنسان طوال العام، وعودة إلى ربه بعد طول بُعد، وغربة فيتقلب بين الصيام، والقيام في ندم على الذنب، وحرقة قلب على التقصير تسلمانه إلى طهارة نفس، وصفاء قلب يتقوى بها على نفسه، وشيطانه بقية العام، وقد رغب الرسول ﷺ في القيام عن طريق ربطه بالمغفرة لما تقدم من ذنبه عن طريق أسلوب الشرط، وقوله (إيمانا، واحتسابا) تتميم بلاغي يضيف شرطا إلى القيام يخلصه لله - تعالى- أي إيمَانًا بِصِدْقِ النَّبِيِّ ﷺ فِي تَرْغِيبِهِ فيهِ، وَعِلْمًا بِأَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ مَنْ قَامَهُ عَلَى مَا وَعَدَهُ بِهِ، وَاحْتِسَابًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ يَقُومُهُ رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ تعالى لا رِيَاءَ، وَلا سُمْعَةً، وَلا غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩/١٧٣)، ولفظهما سواء.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٧.

(٣) المرجع السابق ٥١٧.

يُفْسِدُ الْعَمَلَ، وعبارة الرسول ﷺ (غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) تسدل ستارا كثيفا على ماض أسود قطعه العبد في شهوات تغضب الله، ومحرمات يرتجف قلبه لفكرة افتضاحها، فيقبل على ربه في القيام إقبال المتهم على من ستر على جنايته، يسوقه الشكر، ويقيده الحياء، فيتولد بينهما ذل، وانكسار هو محض العبادة.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى حكم قيام الليل في رمضان أو صلاة التراويح وقد سبقت الإشارة إليها في الحديث رقم (١١٧٢).

وقد ذهب جمهور الفقهاء[١] إلى أن صلاة التراويح أو قيام الليل في رمضان سنة عن النبي ﷺ، فقد فعلها ﷺ ثم تركها خشية أن تفرض على الناس، وقال البعض إنها فضيلة لا سنة لعدم مواظبته ﷺ، ويجوز صلاتها في المسجد أو البيت، ويجوز صلاتها جمعًا وفرادى والجمع أفضل، واختلفوا في عددها فجمهور الفقهاء[٢] يرون أنها عشرون ركعة عدا الوتر، والمالكية[٣] يرونها ستًا وثلاثين ركعة عدا الشفع والوتر، والراجح كما يقول ابن تيمية[٤] جواز صلاتها ثلاثًا وعشرين ركعة وثلاث عشرة ركعة وإحدى عشرة ركعة كما روي عن النبي ﷺ في هذا الحديث.

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٨/١، المبسوط ١٤٤/٢، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٨/١، المنتقى ٢٠٩/١، مواهب الجليل ٧٠/٢ وما بعدها، شرح الخرشي ٩/٢، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٨/٢، المجموع ٥٢٦/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٩٧/٣، المغني ٤٥٥/١، الفروع، ابن مفلح٥٤٦/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٨/١، المبسوط ١٤٤/٢، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٨/١، المجموع ٥٢٦/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٩٧/٣، المغني ٤٥٥/١، الفروع، ابن مفلح٥٤٦/١.

(٣) المنتقى ٢٠٩/١، مواهب الجليل ٧٠/٢ وما بعدها، شرح الخرشي ٩/٢، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٨/٢.

(٤) الفتاوى الكبرى ٣٤٣/٥.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل قيام رمضان.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من صفات الداعية: الشفقة على المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل قيام رمضان:

هذا واضح من الحديثين، قال ابن حجر: "قوله: (إيمانًا)، أي: تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه (واحتسابًا)، أي: طلبًا للأجر لا لقصد آخر من رياء أو نحوه"[٢]، قال النووي: "ومعنى احتسابًا: أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس، ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص. والمراد بقيام رمضان: صلاة التراويح، واتفق العلماء على استحبابها، قوله ﷺ: (غفر له ما تقدم من ذنبه)، المعروف عند الفقهاء أن هذا مختص بغفران الصغائر دون الكبائر، ويجوز أن يخفف من الكبائر ما لم يصادف صغيرة"[٣]، وقال الطيبي: "قال البيضاوي: من قام رمضان، أي: أتى بقيام رمضان إيمانًا بالله وتصديقًا بأنه يقرب إليه وطلبًا لوجه الله تعالى، غفر له سوابق الذنوب"[٤].

وقال أبو ذر رضي الله عنه: صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ رَمَضَانَ. فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنْهُ. حَتَّى بَقِيَ سَبْعُ لَيَالٍ. فَقَامَ بِنَا لَيْلَةَ السَّابِعَةِ حَتَّى مَضَى نَحْوٌ مِنْ ثُلُثِ اللَّيْلِ. ثُمَّ كَانَتِ اللَّيْلَةُ السَّادِسَةُ الَّتِي تَلِيهَا. فَلَمْ يَقُمْهَا. حَتَّى كَانَتِ الْخَامِسَةُ الَّتِي تَلِيهَا، ثُمَّ قَامَ بِنَا حَتَّى مَضَى نَحْوٌ مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ نَفَّلْتَنَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هذِهِ. فَقَالَ: ((إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَإِنَّهُ يَعْدِلُ قِيَامَ لَيْلَةٍ)) ثُمَّ كَانَتِ الرَّابِعَةُ الَّتِي تَلِيهَا، فَلَمْ يَقُمْهَا. حَتَّى كَانَتِ الثَّالِثَةُ الَّتِي تَلِيهَا. قَالَ، فَجَمَعَ نِسَاءَهُ وَأَهْلَهُ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ . قَالَ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى خَشِينَا أَنْ يَفُوتَنَا الْفَلاَحُ. قِيلَ: وَمَا الْفَلاَحُ؟ قَالَ: السُّحُورُ. قَالَ، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنْ

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٨٩ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١١٩٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥١/٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٤١/٦/٣، ٤٢، وانظر: نيل الأوطار ص ٤٩٨.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٦٣/٣.

بَقِيَّةِ الشَّهْرِ[١].

قال الشيخ عبدالله البسام: "معنى قيام رمضان هو إحياء ليله بالعبادة والصلاة، ففيه مشروعية صلاة الليل في رمضان، وثبتت صلاتها جماعة في المسجد عن النبي ﷺ، ثم أجمع عليها الصحابة رضي الله عنهم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم عمل بها المسلمون بعد ذلك قاطبة فقاموا بصلاة التراويح.

وجزاء القيام في شهر رمضان هو غفران الذنوب، وتكفير السيئات، لكن هذا مقيد بتكفير الذنوب الصغائر المتعلقة بحق الله تعالى، وإطلاق الذنب يشمل الكبائر والصغائر، لكن جزم إمام الحرمين بأنه يختص بالصغائر، ونسبه القاضي عياض لأهل السنة، قال النووي: "إن لم يوجد صغائر يرجى أن تخفف الكبائر اهـ.

وقبول صلاة الليل وترتب تكفير السيئات بها مشروط به أمران:

أحدهما: أن الذي حمل القائم على القيام هو الإيمان والتصديق بثواب الله تعالى.

الثاني: احتساب العمل عند الله تعالى، والإخلاص فيه لوجه الله تعالى.

فإن فقد العمل هذين الشرطين الهامين، ودخله الرياء والمباهاة فإنه باطل مردود على صاحبه، ونال به صاحبه الملامة والعذاب.

وحكى الكرماني الاتفاق على أن المراد بقيام الليل صلاة التراويح، ويحصل هذا الفضل بما يصدق عليه القيام.

الحديث دليل على فضيلة قيام رمضان، وتأكد استحبابه، وتأكد صلاة التراويح جماعة في المسجد.

قال شيخ الإسلام وغيره: كان الصحابة يفعلونها في المسجد أوزاعًا - أي جماعات - في جماعات متفرقة في عهد النبي ﷺ، وعلى علم منه بذلك، وإقراره لهم، فقد دلت الأخبار على أن فعل التراويح جماعة أفضل من الانفراد، وذلك بإجماع الصحابة وأهل الأمصار، وهو قول جمهور العلماء.

---

(١) أخرجه أبو داود ١٣٧٥، والترمذي ١٣٢٧، والنسائي ١٦٠٥، وابن ماجه ١٣٢٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ١٠٩٢).

قال شيخ الإسلام: "الصلاة التي لا تسن لها الجماعة الراتبة كقيام الليل والسنن الرواتب وصلاة الضحى وتحية المسجد ونحو ذلك، فتجوز جماعة أحيانًا، وأما اتخاذ ذلك سنة راتبة فهو بدعة مكروهة"(١).

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح من ترغيب النبي ﷺ في قيام رمضان إيمانًا واحتسابًا بأن أخبر بأن جزاء من فعل ذلك أنه يغفر له ما تقدم من ذنبه، ولا شك أن هذا ترغيب ما بعده ترغيب للمدعوين في أن يحرصوا على هذه الدعوة التي دعاهم إليها رسول الله ﷺ، فكل ابن آدم خطاء، ومن طبيعة البشر اقتراف الذنوب وملابستها فكان المدعو بحاجة ماسة إلى أن تغفر له الذنوب، فكان قيام رمضان من أسباب ذلك، كما أخبر النبي ﷺ.

وليس أدّل على أثر هذا الترغيب والتزام المدعوين به من أن ما نشاهده من حرص جمهرة المسلمين على قيام رمضان والاجتهاد فيه والمبادرة إليه.

وهكذا حال الداعية مع المدعوين، فإنه يرغبهم إلى العمل الصالح وأن يذكر لهم ثوابه وجزاءه عند الله تعالى، فإن النفس البشرية دائمًا تطمع إلى المكافأة التي تنالها من جراء عملها والتزامها الفعل.

وهذا ما نجده واقعًا في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، وهذا ما يفسر كثرة ذكر الجنة ووصف نعيمها في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ثالثًا - من صفات الداعية: الشفقة على المدعوين:

هذا واضح من قول أبي هريرة رضي الله عنه: (كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة)، قال النووي: "معناه: لا يأمرهم أمر إيجاب وتحتيم، بل أمر ندب وترغيب، ثم فسره بقوله: (من قام رمضان ...)، وهذه الصيغة تقتضي الترغيب والندب دون الإيجاب، واجتمعت الأمة على أن قيام رمضان ليس بواجب بل هو مندوب"(٢).

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام ٢١٨/٣ - ٢١٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٣/٦/٣.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ لَيَدَعُ الْعَمَلَ، وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ، فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ))[1].

قال النووي: "فيه بيان كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته، وفيه أنه إذا تعارضت مصالح قدم أهمها"[2].

وقال ابن حجر: "وفيه بيان ما كان النبي ﷺ من الزهادة في الدنيا والاكتفاء بما قلّ منها والشفقة على أمته والرأفة بهم، وفيه ترك بعض المصالح لخوف المفسدة وتقديم أهم المصلحتين"[3].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٢٨، ومسلم ٧١٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٣٥/٥/٣ .

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٤/٣ بتصرف.

الحديث رقم (١١٩٠)

١١٩٠- وعنه رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُرَغِّبُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأمُرَهُمْ فِيهِ بِعَزِيمَةٍ، فيقولُ: ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة: معناه: لا يأمرهم أمر إيجاب وتحتيم بل أمر ندب وترغيب[2].

احتسابًا: طلبًا للثواب المرجوِّ من الله تعالى[3].

الشرح الأدبي[4]

المضامين الدعوية[5]

---

(١) برقم (٧٥٩/١٧٤). عن معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، وأخرجه البخاري (٢٠٠٨) عن عقيل، عن ابن شهاب، عن الزهري، عن أبي سلمة أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لرمضان: ((من قامه إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه)) فقط. والحديث أورده الحميدي في جمعه (١٧٤/٣، رقم ٢٢٥٥) في المتفق عليه، وهذا ما جعل المنذري في ترغيبه (١٤٥٢) يعزوه إلى الصحيحين، ولأجل الزيادة التي في أول الحديث عزاه المؤلف إلى مسلم فقط، وهذا مما جعل الناجي في عجالة الإملاء، أن يقول: قوله: (كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان) رواه البخاري، هذا ليس بجيد، إذ ليس عند البخاري، إنما عنده: (من قامه) إلى آخره. وكلاهما على الصواب، ولا يجوز تخطئة أحدهما. فمن أراد أصل الحديث فهو متفق عليه، ومن أراد الزيادة، فليست هذه الزيادة عند البخاري، علمًا بأنه لم يشر أحدهما إلى هذه النكتة.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح س ب).

(٤) تم دمج الشرح الأدبي لهذا الحديث من الشرح الأدبي للحديث (١١٨٩).

(٥) تقدم ذكرها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- اغتنام الأوقات الفاضلة:

إن النبي ﷺ أرشد إلى قيام رمضان، لما فيه من فضل وثواب عظيم، فهو ﷺ يحثّ على اغتنام هذه الأوقات الفاضلة، وعدم تضييعها والتفريط فيها، لأنها مواسم الغفران والقبول عند رب العالمين، فإذا ضيّع الإنسان ذلك فقد ضيّع على نفسه خيرًا كثيرًا ونفعًا عميمًا، وفي هذا إرشاد لأهل التربية والتوجيه والتعليم أن يربوا المتعلمين والناشئة على ذلك، ومن الأقوال الشائعة: "من تعب صغيرًا ارتاح كبيرًا ومن ارتاح صغيرًا تعب كبيرًا"، لذا (فإنه ينبغي للمسلم الحريص على استباق الخيرات أن يتحرى الأوقات التي ميزها الله بخصائص روحية معينة فضلها بها على غيرها، ... وقد فضل الله من الشهور شهر رمضان، الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان: فرض فيه الصيام، وسن فيه القيام، واستحب فيه الإكثار من الصالحات، فهو موسم المؤمنين ومتجر الصالحين وميدان المتسابقين، وكان السلف يترقبونه بشوق ولهفة قائلين: مرحبًا بالمطهر؛ يرجون أن يغتسلوا به من أدران عيوبهم ويتطهروا من أرجاس ذنوبهم، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ... ورمضان كله شهر مهمّ ولكن أهم أجزائه: الثلث الأخير منه، أو العشر الأواخر منه. وأهميتها لأمرين:

أولاً: أنها ختام الشهر، وإنما الأعمال بالخواتيم، ولهذا كان من الدعاء المأثور: "اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك".

ثانيًا: أنها مظنة ليلة القدر، وهي الليلة التي جعلها الله خيرًا من ألف شهر، وأنزل في فضلها سورة من كتابه ... وهذه الليلة في رمضان يقينًا بنص القرآن، إنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن، فهي ليلة من هذا الشهر وقد جاءت الأحاديث تأمر بالتماسها في العشر الأواخر منه.

وكان النبي ﷺ إذا دخل العشر الأواخر، شد مئزره وأحيا ليله، وأيقظ أهله[1]

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه البخاري ٢٠٢٤، ومسلم ١١٧٤.

وكان يخصها بالاعتكاف[١])[٢].

ثانيًا – التربية على إخلاص العمل لله تعالى:

هذا مستمد من قوله ﷺ: "من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه" فقد قيّد النبي ﷺ قيام رمضان بقيدين حتى يكون سببًا للغفران، هما "قام إيمانًا واحتسابًا" قال النووي: (معنى إيمانًا بأنه حق مقتصد فضيلته، ومعنى احتسابًا أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص)[٣] وقال ابن حجر: (إيمانًا: أي تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه، واحتسابًا أي طلبًا للأجر من الله وحده لا لقصد آخر من رياء أو نحوه)[٤]، أي أن العمل المطلوب – وقيام رمضان نوع من العمل – لابد أن يتوافر فيه التصديق بالثواب الذي أعده الله عليه، بالإضافة إلى إخلاصه لله تعالى.

(إن العمل الذي يدعو إليه المنهج الإسلامي هو العمل القائم في ظل من الإيمان بالله، فهو لا يريد العمل العشوائي الذي يصدر عن الإنسان وهو لا يدرك غايته، ولا يفهم مقاصده، فعمل كهذا ليس له أثر في بناء الشخصية الإسلامية ولا يرجع على الإنسان بفائدة تدفع عنه غوائل الحياة، فلابد في العمل الصالح لكي يكون له أثر في بناء الشخصية الإسلامية، أن يكون موافقًا لما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[٥] فالعمل يجب أن يقوم على أساس من الإيمان بالله، وتصحبه النية الصالحة الصادقة، فالنية هي ميزان العمل، فإذا كانت النية خالصة لوجه الله، كان العمل الصادر منها صالحًا مقبولاً عند الله، ذا أثر فعال في تكوين الشخصية الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري ٢٠١٩، ٢٠٢٠، ومسلم ١١٧٢.

(٢) الوقت في حياة المسلم، ص ٢٢-٢٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١١١٢ .

(٥) سورة الحشر، آية: ٧.

لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾(١).

والإسلام يهدر أي عمل مهما كانت قيمته، ما لم يكن على أساس من الإيمان بالله تعالى، وهو صريح في هذا كل الصراحة، قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾(٢) وقال الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾(٣).

وهذه الآيات صريحة وواضحة في عدم قبول أي عمل: صغيرًا كان أو كبيرًا ما لم يكن مستندًا على أساس من الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

فالذي يبني عمله على غير أساس سليم فإنه ينهار حينما يكون في أمس الحاجة إليه في يوم الموقف حين الجزاء والحساب.

فالكافر مهما عمل في الدنيا من أعمال الخير، فهي لا قيمة لها ولا وزن عند الله سبحانه وتعالى، وليس لها تأثير كبير على شخصيته، وسبب ذلك لأنها لم ترتكز على الإيمان بالله "فكل عمل لا يكون خالصًا على الشريعة المرضية، فهو باطل".

فالإيمان هو حلقة الوصل التي تصل الإنسان بربه، وتجعل لعمله قيمة ووزنًا عند خالقه، وتجعل للقائم به شخصية إسلامية ومكانة في هذا الوجود، "فليس المعول عليه هو العمل، ولكن باعث العمل، فالعمل حركة آلية لا يفترق فيها الإنسان عن الآلة إلا بالباعث والقصد والغاية".

والعمل الذي يريده الإسلام، هو العمل الصالح الذي تزكو به نفس الإنسان وتتقوم به أخلاقه، ويتعمق به وعي الإنسان بإنسانيته، ومتى كان العمل صادرًا عن

---

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

(٣) سورة النور، آية: ٣٩.

العلم الصحيح السليم، فإنه يكون العمل الصالح الذي يؤدي إلى السعادة والكمال الإنساني، ومنه تتكون الشخصية الإسلامية)[١].

رابعًا - التربية بالترغيب:

هذا مستمد من قول أبي هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول: "من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه". قال النووي: (قوله "من غير أن يأمرهم بعزيمة" معناه: لا يأمرهم أمر إيجاب وتحتيم بل أمر ندب وترغيب، ثم فسّره بقوله: "فيقول: من قام رمضان..." وهذه الصيغة تقتضي الترغيب والندب دون الإيجاب، واجتمعت الأمة على أن قيام رمضان ليس بواجب بل هو مندوب"[٢] أي أن الصحابي رضي الله عنه - فيما يبدو- قد فهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» - فهم منه أنه ترغيب إلى مندوب وليس ترغيبًا إلى واجب، ويترتب على ذلك -فيما نرى- أن هناك درجات للترغيب تختلف باختلاف درجات الأعمال. وقد تختلف كذلك باختلاف الأحوال والأشخاص، وفي هذا يمكن أن يستفيد أهل التربية من ذلك في مهمتهم السامية في تربية الأجيال الناشئة ونحوهم، يتضح ذلك فيما يلي:

أ- مراعاة الأحوال المختلفة للناشئة وغيرهم في حال النشاط وحال الراحة، فيكون أمام الناشئ ما يفعله وقت نشاطه واجتهاده، ويكون كذلك أمامه ما يفعله وقت فتوره وراحته، وفي هذا واقعية في التربية فالإنسان نفسه ليس على حالة واحدة فتارة ينشط وتارة يفتر، وفي هذا مراعاة لحاله واختلافها.

ب- تعويد الناشئة على استحضار درجات الأعمال المختلفة ومراتبها، فإذا كان عندهم الرغبة في فعل الأفعال والأعمال المطلوبة والمرغب فيها، فإنهم في كثير من الأحيان قد لا يستطيعون أداءها كلها مرة واحدة وفي وقت واحد إذ قد تتعارض أو تتزاحم، بحيث لا يتسع الوقت أو القدرة إلا لأداء بعضها أو واحد منها، فينبغي أن

---

(١) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، ص ١٦٤-١٦٦ ومراجعه ومصادره.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٧ .

يكونوا على معرفة بما يقدم وبما يترك ولا يُفعل، وهذا لا يكون إلا بمعرفة مراتب الأعمال، فلا يَفْعَلون مرغبًا فيه على سبيل الندب ويَدَعُون مرغبًا فيه على سبيل الوجوب، وهكذا.

ج- فتح المجال واسعًا للتنافس في فعل الخيرات والصالحات، فإذا اتضح أمام الناشئة الواجبات فإنهم يلتزمونها ويفعلونها ويبقى المجال مفتوحًا أمامهم لفعل ما استطاعوا من مندوبات وفضائل ومكارم، فإذا تكاسل بعضهم فإنه برؤية بعض المجتهدين يعمل على اللحاق بهم والسير في ركابهم، إن لم يعزم على التفوق عليهم.

وهكذا يأتي الترغيب باختلاف درجاته بفوائده التربوية التي تنفع الناشئة في حياتهم وسلوكهم وأعمالهم.



٢١٤- باب فضل قيام ليلة القدر وبيان أرجى لياليها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[القدر: ١] إِلَى آخرِ السورة، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[الدخان: ٣] الآياتِ.

الحديث رقم (١١٩١)

١١٩١ - وعن أَبي هريرة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

احتسابًا: طلبًا للثواب والأجر من الله تعالى[2].

الشرح الأدبي

الله - تبارك -وتعالى- خلق الناس متفاوتين في عزائمهم كما خلقهم متفاوتين في عقولهم، وقدراتهم، وقد جعل الله -عز وجل- من قيام رمضان فرصة للعبد الذي لم يستطع قيام العام كله كما جعل قيام العشر الأواخر لمن لم يستطع قيام كل رمضان، وجعل قيام الليالي الفردية لمن لم يستطع قيام العشر الأواخر كلها، وجعل قيام ليلة القدر لمن لم يستطع قيام بقية الليالي الفردية، ولما كانت الليلة غير محددة في ليلة لزم الحريص على الثواب صيام الليالي الفردية كلها، وقد جاء المعنى في أسلوب الشرط الذي يربط قيام ليلة القدر بالشرط المذكور بمغفرة ما تقدم من الذنوب، وشرط الإيمان ليحقق الإخلاص لله تعالى، والمتابعة لنبيه، والاحتساب هو التصديق بالجزاء، والرغبة فيه، والقيام على هذا الشرط.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠/١٧٥) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٨١). وأورده في (١٤٥١) مع زيادة في آخره عندهما، ولم يوردها المؤلف.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح س ب).

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى فضل ليلة القدر وما فيها من خير عميم وثواب عند الله عظيم، وأن أفضل شيء يتقرب به إلى الله قيام هذه الليلة وتحري وقتها.

وقد اختلف العلماء في تحرير ليلة القدر على أقوال كثيرة عددها البعض[1] ثلاثة عشر قولاً، وغالى البعض فجعلها في العام كله، وذهب جمهور الفقهاء[2] إلى أن ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان كما أشارت هذه الأحاديث وإن اختلفوا في هذا الوقت، فذهب جمع منهم إلى أن ليلة السابع والعشرين، ومنهم من قال ليلة الحادي والعشرين، ومنهم من قال ليلة الثالث والعشرين، ومنهم من قال ليلة الخامس والعشرين، ومنهم من قال ليلة التاسع والعشرين، كما اتفقوا[3] على أنه يندب لكل مسلم أن يطلب ليلة القدر وأن يقومها ويكثر فيها من الدعاء والاستغفار.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل قيام ليلة القدر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الإخلاص في العمل والتصديق بالثواب عليه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل قيام ليلة القدر:

لقد قال النبي ﷺ: (من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه) و"ليلة القدر تتركب من لفظين: أولهما: ليلة وهي في اللغة: من غروب الشمس إلى طلوع

---

(١) المبسوط ١٢٧/٣، شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣٨٩/٢، أحكام القرآن، الجصاص ٧١٤/٣،

(٢) المبسوط ١٢٧/٣، شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣٨٩/٢، أحكام القرآن، الجصاص ٧١٤/٣، المدونة ٣٠١/١، المنتقى ٨٧/٢ وما بعدها، أحكام القرآن، ابن العربي ٣٧٣/٤، المجموع ٤٨٨/٦، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٨/٢، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٤٧٥/٢، المغني ٥٩/٣ وما بعدها، الفروع، ابن مفلح١٤٠/٣، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٥٤/٣ وما بعدها، المحلى ٤٥٧/٤.

(٣) المراجع السابقة الصفحات نفسها وما بعدها.

الفجر ويقابلها النهار. ولا يخرج المعنى الاصطلاحي له عن المعنى اللغوي.

وثانيهما: القدر، ومن معاني القدر في اللغة: الشرف والوقار، ومن معانيه: الحكم والقضاء والتضييق. واختلف الفقهاء في المراد من القدر الذي أضيفت إليه ليلة، فقيل: المراد به التعظيم والتشريف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[١]، والمعنى: أنها ليلة ذات قدر وشرف لنزول القرآن فيها. ولما يقع فيها من تنزل الملائكة أو لما ينزل فيها من البركة والرحمة والمغفرة، أو أن الذي يحييها ذا قدر وشرف.

وقيل: معنى القدر هنا التضييق كمثل قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾[٢]، ومعنى التضييق فيها إخفاؤها عن العلم بتعيينها أو لأن الأرض تضيق فيها عن الملائكة. وقيل: القَدْر هنا بمعنى القَدَر -بفتح الدال- وهو مؤاخى القضاء. أي: بمعنى الحكم والفصل والقضاء، قال العلماء: سميت ليلةُ القدر لما تكتب فيها الملائكة من الأرزاق والآجال وغير ذلك مما سيقع في هذه السنة بأمر من الله سبحانه لهم بذلك. وذلك ما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[٣]، حيث ذهب جمهور العلماء إلى أن الليلة المباركة الواردة في هذه الآية هي ليلة القدر، وليست ليلة النصف من شعبان كما ذهب إليه بعض المفسرين"[٤].

قال ابن قدامة: "وهي ليلة شريفة مباركة معظمة مفضلّة ثم قال: وقيل إنما سميت ليلة القدر، لأنه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة من خير ومصيبة ورزق وبركة"[٥].

قال النووي: "قوله ﷺ: (من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من

---

(١) سورة الزمر، آية: ٦٧.

(٢) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٣) سورة الدخان، الآيات ٣ - ٥.

(٤) الموسوعة الفقهية ٣٦٠/٣٥ - ٣٦١ ومصادرها.

(٥) المغني، ٤٤٧/٤ - ٤٤٨.

ذنبه، هذا مع الحديث المتقدم (من قام رمضان..)[١]، قد يقال: إن أحدهما يغني عن الآخر، وجوابه: أن يقال: قيام رمضان من غير موافقة ليلة القدر ومعرفتها سبب لغفران الذنوب، وقيام ليلة القدر لمن وافقها وعرفها سبب للغفران، وإن لم يقم غيرها"[٢].

وقد جمع عبدالله البسام كل ما سبق فقال: "هي ليلة عظيمة شريفة جليلة عند الله تعالى، لها مزايا عظيمة، نلخص فيما يلي بعضها:

أولاً: يُنزل الله تعالى فيها الملائكة من السماء إلى الأرض، وينزلون ومعهم الخير والبركة والرحمة والأمان، ويتقدمهم الروح الأمين جبريل عليه السلام.

ثانيًا: ابتدأ في هذا الليلة الشريفة نزول أول القرآن الذي هو أعظم منة ورحمة على المسلمين.

ثالثًا: يحل فيها السلام والأمان من أول تلك الليلة المباركة حتى الصباح، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[٣].

رابعًا: تُقدر فيها الأمور للعام القابل، فتُفْصَل تلك الأمور من الآجال والأرزاق والحوادث وغير ذلك، تُفْصل من اللوح المحفوظ وتتلقاها الملائكة الكتبة ليجري تنفيذها بأمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٤].

خامسًا: العبادة فيها خير من ألف شهر فيما سواها من الأوقات، قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٥].

سادسًا: جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَانًا واحْتِسَابًا، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذنبِه))[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧، ومسلم ٧٥٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٣/٦/٣ .

(٣) سورة القدر، الآية: ٥.

(٤) سورة الدخان، الآية: ٤.

(٥) سورة القدر، الآية: ٣.

(٦) أخرجه البخاري ٣٥، ومسلم ٧٦٠.

سابعًا: الدعاء فيها مستجاب، فقد روى أصحاب السنن عن عائشة رضي الله عنها قالَتْ: قُلْتُ يا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أيّ لَيْلَةٍ لَيْلَةِ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا ؟ قالَ: ((قُولِي اللّهُمَّ إِنّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فاعْفُ عَنِّي))[1][2].

وقال ابن عبدالبر: "وجملة القول في ليلة القدر أنها ليلة عظيم شأنها وبركتها، وجليل قدرها. هي خير من ألف شهر، تدرك فيها هذه الأمة ما فاتهم من طول أعمار من سلف قبلهم من الأمم في العمل، والمحروم من حُرِم خيرها. نسأل الله برحمته أن يوفقنا لها وأن لا يحرمنا خيرها آمين. وقال سعيد بن المسيِّب: (من شهد العشاء ليلة القدر في جماعة فقد أخذ بحظه منها)[3]. فسبحان المتفضل على عباده بما شاء لا شريك له"[4].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح من ذكر النبي ﷺ جزاء من يقوم ليلة القدر، وهو غفران ما تقدم من ذنبه. والترغيب له أثر كبير على النفس البشرية كما هو شأن الترهيب أيضًا، فالترغيب يدفعُ النفس البشرية إلى العمل والجدّ فيه والإخلاص، وملازمة العمل والإعداد له، وتفريغ البال له.

من الأمثلة على ذلك: ففي غزوة بدر سمع عمير بن الحُمَام الأنصاري رضي الله عنه رسول الله ﷺ وهو يرغب أصحابه في قتال المشركين، وهو يقول: ((قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ» قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ؟)) قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: ((مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ)) قَالَ: لاَ. وَاللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ إِلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: ((فَإِنَّكَ مِنْ

(١) أخرجه الترمذي ٣٥١٣، وصححه الألباني (صحيح الترغيب والترهيب ٣٣٩١).

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/٢٣٣-٢٣٤.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٧١٥، بلاغًا عن سعيد بن المسيب، الموطأ المطبوع مع موسوعة شروح الموطأ ٩/٤٩٥.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٩/٤٩٠.

أَهْلِهَا)) فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ[١]. فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ. ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ))[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية الإخلاص في العمل والتصديق بالثواب عليه:

هذا واضح من تقييد قيام ليلة القدر بالإيمان والاحتساب حتى يتحصل ثوابها العظيم.

قال النووي: "معنى احتسابًا: أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص"[٣]، وقال ابن حجر: (قوله: إيمانًا: أي تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه "احتسابًا" أي طلبًا للأجر لا لقصد آخر من رياء ونحوه)[٤].

وقال كذلك ابن حجر: (قد عرف من القواعد الشرعية أن الثواب لا يترتب إلا على النية، فلا بد من قيد الاحتساب)[٥].

وقال العز بن عبدالسلام: "الإخلاص أن لا تعمل إلا لله خوفًا أو رجاءً أو محبة أو حياءً أو إجلالاً ومهابة على قدر منازل العاملين"[٦].

وقال د. عمر سليمان الأشقر عن الإخلاص: "والإخلاص لا يراد به التوجه إلى الله في عمل من الأعمال، بل المقصود به أن يتوجه المكلف بأعماله كلّها إلى الله وحده، دون سواه، فلا يقصد بعبادته مَلَكًا ولا مَلِكًا، ولا يعبد شجرًا ولا حجرًا ولا شمسًا ولا قمرًا. الإخلاص يعني أن يتوجه بالأعمال القلبية لله وحده، كما يتوجه بالأعمال الظاهرة. والإخلاص هو الدّين الذي بعث الله به الرسل جميعًا، فكان محور دعوتهم

---

(١) قرنه: جعبة النشاب والنبل. انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ٥١/١٣/٧ .

(٢) أخرجه مسلم ١٩٠١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٤١/٦/٣ - ٤٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢٥١ .

(٥) المرجع السابق ١١٩/٣.

(٦) شجرة الأحوال والمعارف ص ٦٤.

ولبّها، وهو الدّين الذي طالبت به الرسل الأمم التي أرسلت إليها: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[١].

وكل رسول لله كان يقول لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[٢]، وقد قرر الله هذه الحقيقة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[٣]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[٤].

وتعريفات العلماء للإخلاص متقاربة، مدارها على قصد الله بالعبادة دون سواه، يقول الراغب في مفرداته: "الإخلاص: التعري عما دون الله".

وعرّفه أبو القاسم القشيري بأنه: "إفراد الحق سبحانه وتعالى في الطاعات بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنّع لمخلوق، واكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى".

وقال في موضع آخر: "يصح أن يُقال: الإخلاص تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين".

وعرفه العز بن عبدالسلام قائلاً: "الإخلاص أن يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده، لا يريد بها تعظيمًا من الناس ولا توقيرًا، ولا جلب نفع ديني ولا دفع ضرر دنيوي".

وقال الحارث المحاسبي: "الإخلاص إخراج الخلق عن معاملة الرب".

وقال سهل بن عبدالله: "الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة".

---

(١) سورة البينة، آية: ٥.
(٢) سورة المؤمنون، آية: ٣٢.
(٣) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.
(٤) سورة النحل، آية: ٣٦.

قال الغزالي بعد ذكره لهذا التعريف: "وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض".

ومدار الإخلاص في كتب اللغة على الصفاء والتميز عن الأوشاب التي تخالط الشيء، يقال: هذا الشيء خالص لك: أي لا يشاركك فيه غيرك.

و(الخلاص) في لغة العرب: ما أخلصته النار من الذهب والفضة.

والخالص من الألوان عندهم ما صفا ونصع.

ويقولون خالصه في العشرة: صافاه.

وجاءت هذه المعاني في الكتاب الكريم: ﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا ﴾[1]، أي لا يخالطه دم ولا روث.

والمراد بقوله تعالى: ﴿ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾[2]، في إخوة يوسف: أي انفردوا، وتميزوا عمن سواهم.

والمراد بقوله: ﴿ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾[3]، فيما حكاه الله عن المشركين: أي لا يشركهم الإناث.

وقال تعالى في الزينة والطيبات: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[4]، أي لا يشركهم فيها الكفار.

ومن هنا نرى أن بين المعنى اللغوي والاصطلاحي تناسبًا وتوافقًا، فالإخلاص يهدف إلى تخليص القصد المتوجه إلى الله تعالى من الأوشاب والأخلاط والفساد الذي يزاحمه ويخالطه، بحيث يتصفى القصد لله عز وجل دون سواه في جميع العبادات"[5].

---

(١) سورة النحل، آية: ٦٦.

(٢) سورة يوسف، آية: ٨٠.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٣٩.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٣٢.

(٥) الإخلاص، د. عمر سليمان الأشقر، ط/٥ دار النفائس، الأردن: ١٤١٩هـ - ١٩٩٠م، ص ١٥ - ١٨.

الحديث رقم (١١٩٢)

١١٩٢ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رِجالاً مِنْ أصْحَابِ النبيِّ ﷺ أُرُوا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي المَنَامِ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((أرى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأتْ فِي السَّبْعِ الأوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأوَاخِرِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

تواطأت: توافقت[2].

متحريها: قاصدها ومتعمدها، ومجتهدًا في تحصيلها[3].

والمعنى: من كان يريد ويجتهد في طلبها وموافقتها.

الشرح الأدبي

ساق ابن عمر رضي الله عنه الخبر مؤكدا بأكثر من مؤكد لخصوصية الخبر، وقوله (أنَّ رِجالاً مِنْ أصْحَابِ النبيِّ ﷺ) يشير جمع (رجل) إلى أنهم كانوا جماعة، وهو ما يعطي الخبر توكيدا؛ لأنه خبر جماعة لا فرد، وقوله من أصحاب رسول الله ﷺ يزيد الخبر توثيقا، وإضافتهم للرسول ﷺ تشريف لهم، وقوله (أروا ليلة القدر) أي رؤية منامية، وأنهم أخبروا عن طريق الرؤية لا السماع، وقول الرسول ﷺ (أرى رؤياكم) جناس يؤكد معنى اتحاد الرؤى، والتواطؤ معناه: التوافق، والتطابق، ويوحي باليسر، واللين، وقوله (فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ) أسلوب شرط يربط العزم على تحريها بتحريها في الليالي السبع الأواخر، والتحري الاجتهاد في البحث،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٥)، ومسلم (١١٦٥/٢٠٥) ولفظهما سواء.

(٢) اللسان والوسيط في (و ط أ).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والقاموس في (و ط أ).

والحديث يشير إلى أن رؤيا المؤمنين له اعتبار، وأنهم لا يتفقون على باطل، ويشير إلى فضيلة السبع الأواخر التي اشتملت على ليلة هي خير من ألف شهر.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل ليلة القدر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إقرار النبي ﷺ لرؤيا أصحابه رضي الله عنهم ليلة القدر في السبع الأواخر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تحري ليلة القدر وقيامها.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر والشرط.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل ليلة القدر:

هذا واضح من أمر رسول الله ﷺ صحابته رضي الله عنهم بتحريها، والتحري طلب باجتهاد وعزم، قال ابن الأثير عن معنى تحروا: "أي: تعهدوا طلبها فيها، والتحري: القصد والاجتهاد في الطلب، والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول"، بل إن النبي ﷺ كان يعتكف من أجل طلبها وموافقتها، عن أبي سلمة قال: انطَلَقتُ إلى أبي سعيدٍ الخُدريِّ فقلتُ أَلا تَخرُجُ بنا إلى النَّخلِ نَتحدَّث؟ فخرجَ. فقال: قلتُ حدِّثني ما سَمعتَ مِنَ النبيِّ ﷺ في ليلةِ القَدْرِ؟ قال: اعتَكفَ رسولُ اللهِ ﷺ عَشْرَ الأُوَلِ من رَمضانَ واعتَكَفْنا معَهُ، فأتاهُ جبريلُ فقال: إنَّ الذي تَطلُبُ أَمامَكَ. فاعتَكَفَ العَشرَ الأوسَطَ فاعتَكفْنا معَهُ، فأَتاهُ جبريلُ فقال: إنَّ الذي تَطلُبُ أمامَك. قام النبيُّ ﷺ خطيبًا صَبيحةَ عِشرينَ مِن رمضانَ فقال: ((مَن كان اعتكَف معَ النبيِّ ﷺ فلْيَرجِعْ فإنِّي أُرِيتُ ليلةَ القَدْرِ، وإنِّي نُسِّيتُها، وإنها في العَشْرِ الأواخِرِ في وِترٍ، وإنِّي رأَيتُ كأَنِّي أسجُدُ في طينٍ وماء. وكان سَقفُ المسجدِ جَريدَ النَّخلِ وما نَرَى في السماءِ شيئًا، فجاءَتْ قَزْعةٌ[1] فأُمطِرْنا، فصلَّى بنا النبيُّ ﷺ حتى رأَيتُ أَثَرَ الطينِ والماءِ على جَبهةِ

---

(١) قطعة من الغيم، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٧٥٠.

رسولِ اللهِ ﷺ وَأَرنَبَتِهِ[١] تَصديقَ رُؤياه))[٢].

وجاء في الموسوعة الفقهية: "ذهب الفقهاء إلى أن ليلة القدر أفضل الليالي، وأن العمل الصالح فيها خير من العمل الصالح في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٣]، وأنها الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، والتي ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٤]، وورد في فضلها أيضًا بالإضافة إلى ما سبق قول الله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[٥]، قال القرطبي: "أي: تهبط من كل سماء ومن سدرة المنتهى، فينزلون إلى الأرض، ويؤمنون على دعاء الناس إلى وقت طلوع الفجر. وتنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالرحمة بأمر الله تعالى وبكل أمر قدره الله وقضاه في تلك السنة إلى قابل"[٦].

وفي فضل ليلة القدر أيضًا قال الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[٧]، أي: أن ليلة القدر سلامةٌ وخيرٌ كلُّها، لا شرّ فيها إلي طلوع الفجر. قال الضحاك: "لا يقدر الله في تلك الليلة إلا السلامة وفي سائر الليالي يقضي بالبلايا والسلامة، وقال مجاهد: هي ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا ولا أذى"[٨].

وقال ابن العربي بعد أن حكى ثلاثة أقوال في سبب هبة ليلة القدر لهذه الأمة والمنة

---

(١) مقدمة الأنف.

(٢) أخرجه البخاري ٨١٣، ومسلم ١١٦٧، واللفظ للبخاري.

(٣) سورة القدر، آية: ٣.

(٤) سورة الدخان، الآيتان: ٣ - ٤.

(٥) سورة القدر، آية: ٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/٢٠/١٣٣ بتصرف.

(٧) سورة القدر، آية: ٥.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/٢٠/١٣٤ بتصرف.
وانظر: الموسوعة الفقهية ٣٥/٣٦١ - ٣٦٢، ومصادرها ومراجعها.

عليهم بها ، قال: "والصحيح هو الأول، أن ذلك فضل من الله، وقد أعطيت أمة محمد من الفضل ما لم تعطه أمة في طول عمرها ، فأولها أن كتب لها خمسون صلاة بخمس صلوات. وكتب لها صوم سنة بشهر رمضان. وطُهر مالها بربع العشر، وأعطيت خواتيم سورة البقرة من قرأها في ليلة كفتاه - يعني عن قيام الليل - وكتب لها أن من صلى الصبح في جماعة فكأنما قام ليلةً،س ومن صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف ليلة ، فهذه ليلة ونصف في كل ليلة. إلى غير ذلك مما يطول تعداده. ومن أفضل ما أعطوا ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. وهذا فضل لا يوازيه فضل. ومنة لا يقابلها شكر"[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: إقرار النبي ﷺ لرؤيا أصحابه رضي الله عنهم ليلة القدر في السبع الأواخر:

هذا واضح من قول ابن عمر رضي الله عنهما : (إن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ رأوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ : أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر. فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر)، قال ابن حجر: "قوله: تواطأت، بالهمزة، أي: توافقت وزنًا ومعنى. وقال ابن التين: روي بغير همز، والصواب بالهمز. وأصله أن يطأ الرجل برجله مكان وطء صاحبه. وفي هذا الحديث دلالة على عظم قدر الرؤيا وجواز الاستناد إليها في الاستدلال على الأمور الوجودية بشرط أن لا يخالف القواعد الشرعية"[2].

قال عبدالله البسام: "كان الصحابة رضي الله عنهم من حرصهم على الخير ورغبتهم فيما عند الله يتحرون ليلة القدر، ويلحون بالسؤال عنها لما في هذه الليلة من المزايا العظيمة، وما يتنزل فيها من الخيرات والبركات، وما يحل فيها من الرحمة والنعمة والأمن والأمان والسلام.

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي: محمد بن عبدالله ٥٤٣هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، طبعة مصورة، ١٩٦٣/٤ ، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢٦٣/٤ .

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢٧٥/٤.

وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم يرون ليلة القدر إما بعلاماتها وأماراتها، وإما برؤيتها منامًا، قال الشيخ تقي الدين: وقد يكشف الله لبعض الناس في المنام أو اليقظة فيرى أنوارها أو يرى من يقول له: هذه ليلة القدر، فقد رآها بعض الصحابة فجاءوا وأخبروا الرسول ﷺ بما رأوا، فقال ﷺ: (أرى) بفتح الهمزة بمعنى - أعلم - (رؤياكم تواطأت) أي توافقت على وقت متقارب، وهو (في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر).

والسبع الأواخر من شهر رمضان هي أرجى ما تكون تلك الليلة.

وفضل ليلة القدر وشرفها وما جعل الله تعالى من الخير والبركة، حتى صارت العبادة فيها خيرًا من ألف شهر مما سواها من الأيام والليالي.

وإن الله تعالى من رحمته بخلقه وحكمته بأمره أخفى هذه الليلة ليجدّ المسلمون في العبادة في تلك الليالي، فيكثر ثوابهم، ولو علموا بها في ليلة معينة لقصروا اجتهادهم عليها إلا من شاء الله تعالى.

ويستحب طلبها والتعرض فيها لنفحات الله تعالى، فهي ليلة مباركة تضاعف فيها الأعمال، ويستجاب فيها الدعاء، ويسمع فيها النداء، وتقال فيها العثرات، فالمحروم من حُرم خيرها وحرم التماس خيرها والله الموفق"[1].

و"من رأى النبي ﷺ في المنام يقول قولاً أو يفعل فعلاً فهل يكون قوله أو فعله حجة يترتب عليها الحكم أو لا؟ ذكر الشوكاني في ذلك ثلاثة أقوال: الأول: أنه يكون حجة ويلزم العمل به. وقد ذهب إلى ذلك جماعة من أهل العلم منها الأستاذ أبو إسحاق؛ لأن رؤية النبي ﷺ في المنام حق والشيطان لا يتمثل به. الثاني: أنه لا يكون حجة ولا يثبت به حكم شرعي؛ لأن رؤية النبي ﷺ في المنام وإن كانت رؤيا حق وأن الشيطان لا يتمثل به لكن النائم ليس من أهل التحمل للرؤية؛ لعدم حفظه. الثالث: أنه يعمل بذلك ما لم يخالف شرعًا ثابتًا.

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٣٥/٣ - ٢٣٦.

قال الشوكاني: ولا يخفاك أن الشرع الذي شرعه الله لنا على لسان نبينا ﷺ قد كمّله الله عز وجل وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(١)، ولم يأتنا دليل يدل على أن رؤيته في النوم بعد موته ﷺ إذا قال فيها بقول أو فعل فيها فعلاً يكون دليلاً وحجة، بل قبضه الله إليه بعد أن أكمل لهذه الأمة ما شرعه لها على لسانه ولم يبق بعد ذلك حاجة للأمة في أمر دينها وقد انقطعت البعثة لتبليغ الشرائع وتبيينها بالموت، وبهذا تعلم أنا لو قدرنا ضبط النائم لم يكن ما رآه من قوله ﷺ أو فعله حجة عليه ولا على غيره من الأمة" أ. هـ كلام الشوكاني بتصرف.

وذكر صاحب تهذيب الفروق أنه لا يلزم من صحة الرؤيا التعويل عليها في حكم شرعي لاحتمال الخطأ في التحمل وعدم ضبط الرائي، ثم ذكر بعد ذلك ما يدل على أن ما يثبت في اليقظة مقدم على ما ثبت بالنوم عند التعارض، قال العز بن عبدالسلام لرجل رأى النبي ﷺ في المنام يقول له: إن في المحل الفلاني ركازًا اذهب فخذه ولا خمس عليك، فذهب ووجده واستفتى ذلك الرجل العلماء فقال له العز: اخرج الخُمس فإنه ثبت بالتواتر وقصارى رؤيتك الآحاد"(٢).

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: تحري ليلة القدر وقيامها:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ لأصحابه ﷺ: (تحروا..)، و(من كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر)، وقد بوّب البخاري على بعض أحاديث الباب: باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر(٣)، وقال النووي: "قوله ﷺ: (تحروا ليلة القدر)، أي: احرصوا على طلبها واجتهدوا فيه... قوله ﷺ: ((تَحَيَّنُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ))(٤)، أي: "اطلبوا حينها وهو زمانها"(٥).

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣.

(٢) الموسوعة الفقهية ١١/٢٢ ومصادرها ومراجعها.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: فضل ليلة القدر، وهو برقم ٣٢، أما الباب فبرقم ٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢١١ - ١١٦٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ٤/٨/٦٣.

وقال النووي في المجموع: "ليلة القدر باقية إلى يوم القيامة، ويستحب طلبها والاجتهاد في إدراكها"[١].

وقد اختلف في تحديد ليلة القدر على أقوال كثيرة[٢]. منها:

أنها متنقلة في ليالي العشر الأواخر تنتقل في بعض السنين إلى ليلة وفي بعضها إلى غيرها، وذلك جمعًا بين الأحاديث التي وردت في تحديدها في ليالي مختلفة من شهر رمضان عامة ومن العشر الأواخر خاصة، لأنه لا طريق إلى الجمع بين تلك الأحاديث إلا بالقول بأنها متنقلة. وأن النبي ﷺ كان يجيب على نحو ما يُسأَل. فعلى هذا كانت في السنة التي رأى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه النبي يسجد في الماء والطين ليلة إحدى وعشرين [٣]، وفي السنة التي أمر عبدالله بن أنيس رضي الله عنه بأن ينزل من البادية ليصلي في المسجد ليلة ثلاث وعشرين [٤]، وقد ترى علامتها في غير هذه الليالي، وهذا قول مالك وأحمد والثوري وإسحاق وأبي ثور وأبي قلابة والمزنى وصاحبه ابن خزيمة والماوردي وابن حجر العسقلاني من الشافعية. وقال النووي[٥]: "وهذا هو الظاهر المختار لتعارض الأحاديث الصحيحة في ذلك.. ولا طريق إلى الجمع بين الأحاديث إلا بانتقالها"[٦].

وقد ذكر ابن حجر في فتح الباري أربعين قولاً في تحديد ليلة القدر[٧]، ويمكن تصنيف هذه الأقوال إلى أربع فئات:

الأولى: مرفوضة كالقول بإنكارها في أصلها أو رفعها.

الثانية: ضعيفة كالقول بأنها ليلة النصف من شعبان.

الثالثة: مرجوحة كالقول بأنها في رمضان في غير العشر الأخير منه.

---

(١) المجموع شرح المهذب ٣١٥/٦.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢٦٢ - ٢٦٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠١٨، ومسلم ٢١٥ - ١١٦٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢١٨ - ١١٦٨.

(٥) المجموع شرح المهذب ٣١٦/٦.

(٦) الموسوعة الفقهية ٣٦٦/٣٥.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢٦٢ - ٢٦٧.

الرابعة: هي الراجحة وهي كونها في العشر الأخير من شهر رمضان وأرجاها أوتارها، وأرجح الأوتار ليلة سبع وعشرين.

وهذه الأدلة تؤيدها:

أولاً: ما أخرجه الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ كانَ مُتَحَرِّيها فَلْيَتَحَرَّها ليلةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ))[(١)].

ثانيًا: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه (المحدَّث المُلْهَم) وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه (أمين السر النبوي) وغيرهما من الصحابة لا يَشَكُّون أنها ليلة سبع وعشرين[(٢)].

ثالثًا: ما رواه مسلم عن شيخ القراء أُبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان يحلف أنها ليلة سبع وعشرين[(٣)].

رابعًا: كونها ليلة سبع عشرين هو مذهب واختيار إمام أهل السنة الإمام أحمد وأصحابه من فقهاء المحدثين كإسحاق بن راهويه.

خامسًا: قال ابن رجب[(٤)]: "ومما استدل به من رجَّح أنها ليلة سبع وعشرين الآيات والعلامات التي رؤيت فيها قديمًا وحديثًا".

سادسًا: هذا الشعور العام الجماعي عند المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وعبر قرونها الطويلة أنها هذه الليلة، وإقبالهم على العبادة والاجتهاد فيها، ولا تجتمع أمة محمد ﷺ على ضلالة[(٥)].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الأمر والشرط:

أما الأمر فواضح من قوله ﷺ: (تحروا ليلة القدر)، والشرط في قوله: (فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر)، وهو شرط بمعنى الأمر. فإن من أراد أن يتحرى

---

(١) أخرجه أحمد ٧/٢٧، رقم ٤٨٠٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٤٢٦/٨.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٥١٢/٢، ٧٤/٣.

(٣) أخرجه مسلم ٧٦٢.

(٤) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٦٦.

(٥) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٣٧/٣ - ٢٣٨.

ليلة القدر فقد أمره رسول الله ﷺ بتحريها في السبع الأواخر.

والأمرُ أسلوب دعوي مباشر لطلب الامتثال والانقياد، وهذا على سبيل الاستحباب؛ لأن الأمر هنا ليس للوجوب لوجود الصارف.

الحديث رقم (١١٩٣)

١١٩٣- وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُجَاوِرُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، ويقول: ((تَحرَّوا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأواخرِ منْ رَمَضانَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

يجاور: يعتكف[2].

تحرَّوا: اقصدوا واجتهدوا في تحصيلها[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث، وسابقه يتناولان البحث عن الكنز المفقود في الزمان المحدود تيسيرا على الباحث، وترغيبا في البحث، والتحري، وهذا الكنز العظيم هو ليلة القدر التي تعدل ألف شهر في ميزان العمل، وقد روت الحديثين أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- ثم إنها استخدمت فعل الكينونة الماضي (كان) الذي يشير إلى العادة في الحديث الأول، لتشير إلى عادة الرسول ﷺ في الاعتكاف كل عام، وقولها (يُجَاوِرُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ) أي يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، والتعبير بالمجاورة يشير إلى الملازمة، كما يوحي بحقوق الجيرة من حسن الأخذ، والرد، وإعانة الناس عند الحاجة من إجابة السائل، وهداية المسترشد، وإعانة الملهوف وقول الرسول ﷺ (تحروا ليلة القدر) التحري القصد، والاجتهاد في الطلب، والأمر للنصح، والإرشاد، واتصاله بواو الجماعة إيذان بأن المأمور به من الأهمية بحيث لا يخُاطب به فرد بل يخاطب به الجماعة، وقوله في الحديث الثاني: (تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوَتْرِ مِنَ العَشْرِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٠)، ومسلم (١١٦٩/٢١٩).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٣٠٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ر ى).

الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ) أي احرصوا عليها، ودققوا في البحث عنها فِي كُلِّ وِتْرٍ، أي فرد، وفي الكلام إيجاز بالحذف أي: في كل ليلة وتر، والمقصود الليالي الفردية في العدد، وهذا تَحْدِيدٌ لَهَا بِمَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَحُدَّهَا بِهَا فَحَضَّ عَلَى قِيَامِ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ تَحَرِّيًا لَهَا، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي الْوِتْرِ مِنْهُ وَبَيَّنَ ذَلِكَ لِيَتَحَرَّاهَا فِي الْوِتْرِ مَنْ عَجَزَ عَنْ قِيَامِ جَمِيعِ الْعَشْرِ كَمَا بَيَّنَهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ لِمَنْ عَجَزَ عَنْ قِيَامِ رَمَضَانَ وَحَضَّ عَلَى قِيَامِ جَمِيعِ رَمَضَانَ لِمَنْ عَجَزَ عَنْ قِيَامِ جَمِيعِ الْعَامِ حتى يشارك إخوانه الثواب، ولا يكون من المحرومين.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى فضل العشر الأواخر من شهر رمضان، وأنها من أفضل أيام العبادة، ولذا كان يعتكف فيها رسول الله ﷺ ويجتهد في العبادة فيقوم الليل ويوقظ أهله ليتهجدوا، ويكفي أن في هذه العشر ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

والاعتكاف المقصود هنا: يعني الانقطاع للعبادة في العشر الأواخر من رمضان سواء كان فيها كلها أو في يوم أو أيام منها حسب استطاعة كل واحد.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أن الاعتكاف سنة عن النبي ﷺ وأنه لا يجب إلا بإيجاب الشخص الاعتكاف على نفسه، ويكون الاعتكاف للرجل في المسجد، ومتى اعتكف الإنسان في المسجد لم يكن له الخروج إلا للضرورة وإلا عد قاطعًا لاعتكافه.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٣٤٧/١ وما بعدها، المبسوط، السرخسي ١١٤/٣ وما بعدها، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٨/٢ وما بعدها، شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣٨٩/٢ وما بعدها، أحكام القرآن، الجصاص ٣٣٣/١ وما بعدها، المدونة، الإمام مالك ٢٩٥/١ وما بعدها، ، المنتقى، الباجي ٧٧/٢ وما بعدها، مواهب الجليل، الحطاب ٤٥٤/٢ وما بعدها، المجموع، النووي ٥٠٠/٦ وما بعدها، أسنى المطالب، الأنصاري ٤٣٣/١ وما بعدها، الأم، الشافعي ١١٥/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٥٨/٣ وما بعدها، المغني، ابن قدامة ٦٣/٣ وما بعدها، ، الفروع، ابن مفلح ١٤٧/٣ وما بعدها.

(٢) سيرد ذكرها في شرح الحديث رقم ١١٩٥.

الحديث رقم (١١٩٤)

١١٩٤ - وعنها رضي الله عنها: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوَتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الوتر: الوتر من العدد: ما ليس يشفع نحو الواحد والثلاثة والخمسة[2].

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٢٠١٧) من حديث مالك بن أبي عامر. وليست عند مسلم زيادة: (في الوتر).

(٢) المعجم الوسيط في (و ت ر).

(٣) سيرد ذكرها في شرح الحديث ١١٩٥.

الحديث رقم (١١٩٥)

١١٩٥-وعنها، رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ (الأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ)[١]، أحيَا اللَّيْلَ، وَأيقَظَ أهلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئزَرَ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

من المعلوم لكل مؤمن أن الرسول ﷺ أكثر الناس وفاءً، وأكثرهم عطاءً، وأكثرهم شكراً على النعمة فإذا أضفنا إلى ذلك أنه أكثر الناس إدراكاً، وإحساساً بنعم الله عليه وهو يعلم منزلته عند الله تعالى، وما أعد له؛ فحمله الوفاء، والشكر إلى عبادة لا تنقطع، وقلب لا يغفل، وعين لا تنام إلا للضرورة التي يستلزمها استمرار الجسم في الحياة، وهذا الحديث يشير إلى جانب من جوانب اجتهاد النبي ﷺ في الطاعة في شهر فاضل، وفي ليالي فاضلة، وهو، وإن كان مجتهدا طوال الوقت، إلا أنه في هذه الليالي أشد اجتهادا لتحصيل الثواب العظيم الذي احتوته تلك الليالي فأخفته حتى لا يدركه إلا من جد، واجتهد، وقصد، وتحرى، وقول أم المؤمنين عائشة (كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ) يشير إلى أنذلك من عادته في كل رمضان من وجهين، الأول استخدام فعل الكينونة الماضي الذي يشير إلى العادة – غالبا-، والثاني استخدام أسلوب الشرط الذي يعطي الحكم اطرادا ينسحب مع الزمان، والمكان، والأفراد لكي يقتدي به كل أحبابه في كل مكان، وزمان، ويربط دخول رمضان بشد الرسول ﷺ المئزر، وإيقاظ الأهل للصلاة، وقوله (وَشَدَّ المِئزَرَ) كناية عن الاستعداد للعبادة، وترك الجماع، وما يشغل عن الله، والتعبير بقوله (أحيا ليله) يشير إلى أن

---

(١) قوله: (الأواخر من رمضان) لا يوجد عندهما. ولم يورد المؤلف هذه الزيادة في الموضع الأول

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤/٧) واللفظ له، بدون الزيادة، وتقدم برقم (٩٩).

العبادة بالنسبة للأوقات كالروح بالنسبة للحي، والحديث يعطي هذه الليالي وضعا خاصا يرجع إلى قيمتها لاشتمالها على ليلة هي خير من ألف شيء.

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على مداومة القيام في العشر الأواخر من رمضان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاجتهاد في العبادة في رمضان.

ثالثًا: من مهام الداعية: ترغيب أهله في اغتنام الأوقات الفاضلة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحرص على مداومة القيام في العشر الأواخر من رمضان:

هذا واضح من الحديثين: (كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله وجدّ وشدّ المئزر).

وقد بوّب البخاري على هذا الحديث: العمل في العشر الأواخر من رمضان، قال ابن حجر: "قوله: (شد مئزره)، أي اعتزل النساء.. وقال الخطابي: يحتمل أن يريد به الجدّ في العبادة كما يقال شددت لهذا الأمر مئزري أي: تشمرت له. ويحتمل أن يراد التشمير والاعتزال معًا. ويحتمل أن يراد الحقيقة والمجاز كمن يقول: طويل النجاد، لطويل القامة وهو طويل النجاد حقيقة"[2]. فيكون شد مئزره حقيقة فلم يَحُلّه واعتزل النساء وشمر للعبادة.. قوله: (وأحيا ليله)، أي سهره فأحياه بالطاعة وأحيا نفسه بسهره فيه، لأن النوم أخو الموت وأضافه إلى الليل اتساعا، لأن القائم إذا حَيِيَ باليقظة أحيا ليله بحياته، وهو نحو قوله: ((لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا))[3]، أي لا تناموا فتكونوا كالأموات فتكون بيوتكم كالقبور، قوله: (وأيقظ أهله)، أي: للصلاة وروى الترمذي ومحمد بن نصر[4] من حديث زينب بنت أم سلمة: لم يكن النبي ﷺ إذا بقي من

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية للحديث رقم ١١٩٣، ١١٩٤، مع المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٩٥ و ١١٩٦.

(٢) النّجاد: حمائل السيف. مختار الصحاح ص ٦٤٦.

(٣) أخرجه البخاري ١١٨٧.

(٤) مختصر قيام الليل، محمد بن نصر المروزي ص ٢٤٧.

رمضان عشرة أيام يدع أحدًا من أهله يطيق القيام إلا أقامه"[١].

وقال النووي: "وقولها (أحيا الليل)، أي: استغرقه بالسهر في الصلاة وغيرها. وقولها: (وأيقظ أهله) أي: أيقظهم للصلاة في الليل وجدّ في العبادة زيادة على العادة، ففي هذا الحديث أنه يستحب أن يزاد من العبادات في العشر الأواخر من رمضان واستحباب إحياء لياليه بالعبادات"[٢].

وقال ابن حجر: "وفي الحديث الحرصُ على مداومة القيام في العشر الأخير؛ إشارة إلى الحث على تجويد الخاتمة"[٣].

وقال ابن رجب الحنبلي: "وقد قال طائفة من السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[٤]، إنه طلب ليلة القدر، والمعنى: في ذلك أن الله تعالى لما أباح مباشرة النساء في ليالي الصيام إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، أمر مع ذلك بطلب ليلة القدر. لئلا يشتغل المسلمون في طول ليالي الشهر بالاستمتاع المباح، فيفوتهم طلب ليلة القدر، فأمر مع ذلك بطلب ليلة القدر بالتهجد من الليل، خصوصًا في الليالي المرجو فيها ليلة القدر، فمن ههنا كان النبي ﷺ يصيب من أهله في العشرين من رمضان ثم يعتزل نساءه ويتفرغ لطلب ليلة القدر في العشر الأواخر"[٥].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الاجتهاد في العبادة في رمضان:

هذا واضح من قول عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: (كان رسول الله ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهده في غيره)، قال ابن القيم: "وكان من هديه ﷺ في شهر

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٤/٨/٧٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢٧٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٥) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

رمضان الإكثار من أنواع العبادات فكان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان[١]، يكثر فيه من الصدقة والإحسان وتلاوة القرآن والصلاة والذكر والاعتكاف، وكان يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيره من الشهور، حتى إنه كان ليواصل فيه أحيانًا ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة، وكان ينهى أصحابه عن الوصال، فيقولون: إنك تواصل، فيقول لست كهيئتكم إني أبيت - وفي وراية: إني أظل - عند ربي يطعمني ويسقيني"[٢])[٣].

وقال ابن رجب الحنبلي: "واعلم أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب منها: شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل كالحَرَم، ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدي مكة والمدينة، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ قال: ((صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلاَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ))[٤]، ومنها: شرف الزمان كشهر رمضان وعشر ذي الحجة وفي حديث سلمان الفارسي في فضل شهر رمضان: (من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه، ومن أدّى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه...)[٥].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: ((عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً مَعِي))[٦].

وذكر أبو بكر بن مريم عن أشياخه أنهم كانوا يقولون: إذا حضر رمضان فانبسطوا فيه بالنفقة فإن النفقة فيه مضاعفة كالنفقة في سبيل الله، وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة في غيره، وقال النخعي: صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم، وتسبيحة

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٠٢، ومسلم ٢٣٠٨.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٦٥، ومسلم ١١٠٣.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٢/٢.

(٤) أخرجه البخاري ١١٩٠، ومسلم ١٣٩٤.

(٥) أخرجه ابن خزيمة ١٨٨٧، وقال: إن صح الخبر اهـ، وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف كما في تقريب التهذيب لابن حجر.

(٦) أخرجه البخاري ١٧٨٢، ١٨٦٣، ومسلم ١١٥٦.

فيه أفضل من ألف تسبيحة وركعة فيه أفضل من ألف ركعة، فلما كان الصيام في نفسه مضاعفًا أجره بالنسبة إلى سائر الأعمال، كان صيام شهر رمضان مضاعفًا على سائر الصيام لشرف زمانه وكونه هو الصوم الذي فرضه الله على عباده وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي بني الإسلام عليها. وقد يضاعف الثواب بأسباب أخر منها: شرف العامل عند الله وقربه منه، وكثرة تقواه كما ضوعف أجر هذه الأمة على أجور من قبلهم من الأمم وأعطوا كفلين من الأجر"[1].

وقال الشيخ عبدالله البسام عما يؤخذ من حديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه:

١ - الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان هي أفضل ليالي العام كله، لما خصت به من المزايا العظيمة والفضائل الجسيمة التي أهمها ليلة القدر.

قال شيخ الإسلام: "الليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة"[2]، فهي الليالي التي كان رسول الله ﷺ يحييها كلها، وفيها ليلة القدر خير من ألف شهر.

٢ - كان النبي ﷺ من شدة اهتمامه بهذه الليالي المباركة، يعتكف في المسجد ويعتزل الناس، ويعتزل نساءه، تفرغًا للعبادة وإقبالاً على الله.

٣ - الحديث دليل على شدة الإقبال على الطاعة في تلك العشر، والانصراف عن كل ما يقطع العلاقة بالله تعالى.

٤ - قولها: (إذا دخل العشر شد مئزره) دليل على الاهتمام والإقبال على العبادة.

٥ - العشر الأخيرة هي خاتمة الشهر، والأعمال إنما تكون بالخواتيم، ولعلّ هذا من أسرار الجد والاجتهاد فيها.

ونلخص خصائص هذه العشرة المباركات بهذه الفقرات بدون أدلتها فهي معروفة وقريبة والحمد لله:

---

(١) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٢٨٤ - ٢٨٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/١٥٤ .

أولاً: كان ﷺ يجتهد فيها بالعمل أكثر من غيرها، والاجتهاد فيها لا يختص بعبادة خاصة، بل يشمل الاجتهاد في جميع أنواع العبادة من صلاة وتلاوة وذكر وصدقة وغيرها.

ثانيًا: كان ﷺ يوقظ أهله للصلاة والذكر، حرصًا على اغتنام هذه المواسم الطيبات، فإنها غنيمة لا ينبغي للمؤمن العاقل أن يفوتها ويهملها فتذهب عليه سدى.

ثالثًا: كان يعتكف في هذه العشر، ليتمتع بهذه الخلوة بالله تعالى، ويسعد بلذيذ مناجاته، ويبتعد عن كل ما يشغله ويقطعه عن هذه الخلوة بربه تعالى.

رابعًا: أرجى ما تكون ليلة القدر في هذه العشر المباركات، لذا كان ليلها أفضل ليالي العام، فينبغي تلمسها في هذه الليالي عسى أن يوفّق لها المؤمن، فيحصل له الخير الوفير، فهي (ليلة مباركة) وهي (خير من ألف شهر).

والقصد أن هذه الليالي المباركات التي هي الختام المسكي لصوم الشهر ليال عظيمة، وفوائدها وعوائدها جسيمة، ولا يفرط فيها إلا المحروم من الخير، ممن سفه نفسه، وأكبر من ذلك أن يقضيها بالمجالس المحرمة والاجتماعات الآثمة، نسأل الله تعالى السلامة" [١].

ثالثًا - من مهام الداعية: ترغيب أهله في اغتنام الأوقات الفاضلة:

لقد كان ﷺ يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان، وقالت زينب بنت أم سلمة رضي الله عنها: ((لَمْ يَكُنْ النبي ﷺ إِذَا بَقِيَ مِنْ رَمَضَانَ عَشْرَةُ أَيَّامٍ يَدَعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ يُطِيقُ الْقِيَامَ إِلاَّ أَقَامَهُ))[٢]، قال أبو العباس القرطبي: "قولها: (أيقظ أهله) فيه حث الأهل على القيام للنوافل وحملهم على تحصيل الخير والثواب، ويفهم منه تأكيد القيام في هذه العشر على غيره"[٣].

وقال الشيخ عبدالله البسام: "قولها: (وأيقظ أهله) أي للصلاة والعبادة لئلا تفوتهم

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/٢٢٠ - ٢٢٢.

(٢) أخرجه محمد بن نصر المروزي في قيام الليل ص ٢٤٧، مختصر قيام الليل للمقريزي.

(٣) المفهم ٣/٢٤٩.

فضيلة هذه المواسم المباركات، وهذا من كمال نصحه لهم، فينبغي لقيّم البيت أن ينشط أهله ويرغبهم في العبادة، لا سيما في المواسم الفاضلة"[١].

وقد قالت عائشة رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَإِذَا أَوْتَرَ قَالَ: ((قُومِي، فَأَوْتِرِي يَا عَائِشَةُ))[٢]، وقالت أم سلمة رضي الله عنها: استيقظ النبيُّ ﷺ ذات لَيلةٍ فقال: ((سُبحانَ اللهِ ماذا أُنزِلَ الليلةَ مِنَ الفِتَنِ، وماذا فُتِحَ من الخَزائنِ. أيقِظوا صَواحِباتِ الحُجَرِ، فرُبَّ كاسيةٍ في الدُّنيا عاريةٍ في الآخرة))[٣].

قال ابن حجر: "أشار ﷺ بذلك إلى موجب إيقاظ أزواجه، أي ينبغي لهن أن لا يتغافلن عن العبادة ويعتمدن على كونهن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث جواز قول: (سبحان الله) عند التعجب، وندبية ذكر الله بعد الاستيقاظ، وإيقاظ الرجل أهله بالليل للعبادة لا سيما عند آية تحدث، ...، وفي الحديث استحباب الإسراع إلى الصلاة عند خشية الشر كما قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[٤]"[٥].

وكان عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَيْقَظَ أَهْلَهُ لِلصَّلَاةِ يَقُولُ لَهُمُ: الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[٦])[٧].

قال ابن عبدالبر: "فيه ما كان عليه عمر من قيام الليل، وأنه لم تشغله أمور المسلمين، وما كان إليهم منهم عن الصلاة بالليل، وذلك لفضل صلاة الليل. ويحتمل أن

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٢١/٣.

(٢) أخرجه مسلم ٧٤٤.

(٣) أخرجه البخاري ١١٥، (وصواحبات الحجر: هي منازل أزواج النبي ﷺ. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢٥٤/١).

(٤) سورة البقرة، آية: ٤٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢٥٥/١ .

(٦) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٧) أخرجه مالك في الموطأ ٢٥٩، المطبوع مع موسوعة شروح الموطأ ١١٣/٥.

يكون إيقاظه أهله ليدركوا شيئًا من صلاة الأسحار والاستغفار فيها، ويحتمل أن يكون إيقاظه لهم للصلاة المفروضة صلاة الصبح. وأيها كان فإنه امتثل في ذلك الآية التي ذكر مالك، وامتثل أيضًا - والله أعلم - قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[1]، قال أهل العلم بتأويل القرآن ومعانيه: أدبوهم وعلموهم"[2].

ومن ثم فإنه (واجب على كل مسلم - كما يقول ابن عبدالبر أيضًا -: أن يعلم أهله ما يهم الحاجة إليه من أمر دينهم ويأمرهم به، وواجب عليه أن ينهاهم عن كل ما لا يحل، ويوقفهم عليه، ويمنعهم منهن ويعلمهم ذلك كله لقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾)[3].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

هذا واضح من استخدام لفظ (كان) فإنه يخبر عن فعل من أفعال النبي ﷺ أو عدة أفعال له ﷺ في رمضان، وذلك ليقتدي به المدعوون في صيام نهاره وقيام ليله والإكثار من الطاعة والاجتهاد من العبادة فيه.

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) الاستذكار ٥/١١٣ - ١١٤.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٨/٢٦، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢١/٩٢ - ٩٤.

الحديث رقم (١١٩٦)

١١٩٦ - وعنها، قالت: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي رَمَضَانَ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ، وَفِي العَشْرِ الأوَاخِرِ مِنْهُ مَا لا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في بيان حال الرسول ﷺ واجتهاده في العبادة في شهور السنة عامة، وفي شهر رمضان خاصة لاسيما العشر الأواخر، وقلنا سابقا أن التعبير بكان يشير إلى العادة الغالبة في الفعل، وتعبير أم المؤمنين بقولها (يجتهد) أي يبذل جهده، وفيه إشارة إلى الاستغراق في الطاعة، والعبادة التي تستنفد الجهد، وجملة النفي بعده (مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ) تشير إلى أنه في رمضان يجتهد أكثر من غيره لأنه موسم خير تتضاعف فيه الحسنات، وهو قدوة لأمته فأراد أن يعلمهم كيف يتعاملون مع مواسم الخير الفاضلة بما يكون فيه صلاح آخرتهم، ودنياهم ، والحديث يشير إلى ثلاث مراتب في الاجتهاد المرتبة الاجتهاد طوال العام، وهو طبيعة نفسه الزكية التي تأوي إلى مرضاة الله – تعالى – في كل عمل خير، والمرتبة الثانية في شهر رمضان حيث يجتمع الصيام مع القيام في موسم له خصوصية في الطاعة، والعبادة، والمرتبة الثالثة الاجتهاد في العشر الأواخر، وتتميز عن سابقتيها بمزيد الجهد مع ترك المباحات تركيزا على العبادة الصرفة، وترك حظوظ النفس من المباحات، والاقتصار على ما تتم به العبادة، وهو ما يدل عليه قولها (وَفِي العَشْرِ الأوَاخِرِ مِنْهُ مَا لا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ) وفيه

---

(١) لا يوجد عند مسلم ولا عند غيره بهذا اللفظ، وأما لفظ مسلم (١١٧٥/٨) فهو: (كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر، ما لايجتهد في غيره). وكذا أورده الحميدي في جمعه (١٦٨/٤، رقم ٣٢٩٧) بهذا اللفظ.

إيجاز بالحذف إي ويجتهد في الليالي العشر، فقمة الجهد في العبادة تكون في هذا الليالي الفاضلة لما تحويه من فضل لا يحويه بقية العام، فاستحقت مزيد الجهد لما فيها من مزيد الفضل، وهو درس للأمة في اغتنام مواسم الخيرات.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى فضل العمل والاجتهاد في رمضان خاصة لما فيه من الخير العميم بمضاعفة الثواب والمن من الله بالإعتاق من النار.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه يستحب للمسلم أن يقوم الليل في رمضان وأن يجتهد في العبادة، وخاصة في العشر الأواخر منه لما فيها من ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، والاجتهاد في رمضان لما فيه من مضاعفة الثواب وتعظيم لهذا الشهر الكريم الذي جعله الله منحة لهذه الأمة وفرصة للفوز بالتوبة والنعيم المقيم والعتق من النار.

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر في ذلك: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٨/١، المبسوط ١٤٤/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٨/١، المنتقى ٢٠٧/١، مواهب الجليل ٧٠/٢ وما بعدها، شرح الخرشي ٩/٢، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٨/٢، المجموع ٥٢٦/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٩٧/٣، المغني ٤٥٥/١، الفروع، ابن مفلح٥٤٦/١، المحلى ١٩/٢.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٩٧)

١١٩٧ – وعنها، قالت: قُلْتُ: يَا رسول الله، أرَأيْتَ إنْ عَلِمْتُ أيَّ لَيلَةٍ لَيلَةَ القَدْرِ مَا أقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: ((قُولِي: اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنّي)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تقدم الحديث فيما سبق عن فضل ليلة القدر، وعمل الرسول ﷺ فيها وحثه على قيامها، وهذا الحديث يدخل بالمعنى لعمق المراد فيمن حرص على قيام رمضان، وأحيا عشره الأواخر حتى أدرك ليلة القدر فالحديث عن سعيد سعى، وأفلح ثم سأل كيف أفعل، وماذا أقول؟، والسعيدة التي روت الحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وسؤالها (أرَأيْتَ إنْ عَلِمْتُ أيُّ لَيلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أقُولُ فيهَا ؟) وهو استفهام بمعنى أخبرني، وقولها (إن عَلِمْتُ أيُّ لَيلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ) أسلوب شرط يفترض احتمالا، ويبحث له عن حل، وقولها (ما أقول فيها ؟) استفهام على حقيقته، وقول الرسول ﷺ (قولي) أمر توجيه، وإرشاد لأحب الناس إليه عائشة رضي الله عنها فهي أحب الناس إليه بعد أبي بكر، فأتاها بأحب النصح، يعني: أن جوابه لها هو نهاية النصح، والمحبة، ولو أن هناك خيراً من ذلك لقاله لها، وقوله (اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنّي) النداء بصيغة اللهم له طبيعة خاصة يجد فيها القلب صوتا يهدهد حيرته، ويشفي غلته، ويزيده خضوعا، وخشوعا، ويقول علماء اللغة: الميم في (اللهم) بدل (يا) النداء في (يا الله) فتحذف ياء النداء في الأول، ويعوض عنها بميم في الأخير. قوله: (اللهم! إنك عفو) هذا وصف للمولى سبحانه أنه

---

(١) برقم (٣٥١٣). وقال الحاكم (١/٥٣٠): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأورده المنذري في ترغيبه (٤٩٦٩).

عفو، وكم من عفو لله على الخلق! وكم من ذنب يرتكبه الإنسان في خفاء، أو علن والله يعفو عنه! إذاً: يمتدح الله بصفته أولاً؛ لقوله تعالى: وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ [المائدة:٣٥] أي: عند الدعاء قدم وسيلة لاستجابة دعائك، وهذا مبدئياً، فإذا قلت:(اللهم! إنك عفو) فقد أثنيت على الله، ومدحت الله بالصفة التي تتناسب مع حاجتك وسؤالك، ولو كنت تريد الرزق: فتسأله بصفة الرزاق، وهنا تريد أن تسأله العفو، فتمتدحه سبحانه بصفة العفو. وقوله: (إنك عفو تحب العفو) قال تعالى: أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ [النور:٢٢] في قضية مسطح وغيره، وقوله: (إنك عفو تحب) أي: وأنا أسألك لأن من صفتك العفو وأنت تحبه أن تعفو عني. وإذا تأمل الإنسان في قوله: (فاعف عني) العفو -كما يقولون- : هو الإزالة، نحو: عفت الريح شرح الأثر، إذا مرت قافلة في الصحراء ورسمت أخفافها وأقدامها في الطريق، فإذا جاءت ريح شديدة وحركت الرمل عفت أثر المسير في الصحراء ولم يبق للمسير أثر، فكذلك العفو عن الزلة يمحو أثرها من الصحيفة، فلا يَبْقَىَ لها أثر مكتوب على الإنسان[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى فضل ليلة القدر وما فيها من خير عميم، وثواب عند الله عظيم، وأن أفضل شيء يتقرب به إلى الله قيام هذه الليلة وتحرير وقتها والدعاء بالخير.

وقد ذكر الفقهاء أنه يندب لكل مسلم أن يطلب ليلة القدر، وأن يقومها ويكثر فيها من الدعاء والاستغفار، وخير ما يدعو به ما تعلمناه من رسول الله ﷺ بأن يقول: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم أمور دينهم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء ليلة القدر.

---

(١) ينظر شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم - (ج ٣ / ص ٢).

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحكمة من إخفاء ليلة القدر.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم أمور دينهم:

هذا واضحٌ من قول السيدة عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها؟ فهذا سؤال منها يدل على حرصها على تعلم ما تقوله في ليلة القدر، وهي ليلة ذات فضل عظيم فقد قال الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[1]، قال ابن عثيمين: "فإذا كان الإنسان له عشرون سنة [أي يقوم ليلة القدر] صار له عشرون ألف سنة في ليلة القدر"[2].

وقال كذلك: "وذكر المؤلف - أي النووي - أحاديث عن عائشة رضي الله عنها مما يدل على فضل هذه المرأة وأنها حفظت لأمة محمد ﷺ من سنته ما لم تحفظه امرأة أخرى من النساء، فهي رضي الله عنها أكثر النساء حديثًا عن رسول الله ﷺ حفظت من شريعة الله وسنة رسوله ما لم تحفظه امرأة سواها، فجزاها الله عن أمة محمدًا خيرًا"[3].

وهناك أمثلة كثيرة جدًا تنص صراحة على حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم أمور دينهم، من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: قالتِ النساءُ للنبيِّ ﷺ: غلَبَنا عَلَيكَ الرِّجالُ، فاجعلْ لنا يَومًا مِنْ نَفْسِكَ. فوَعدَهُنَّ يومًا لَقِيَهُنَّ فيه فَوَعَظَهُنَّ وأَمَرَهُنَّ، فكانَ فيما قال لَهنَّ: ((ما منكُنَّ امْرأةٌ تُقَدِّمُ ثلاثةً مِن وَلَدِها إلاَّ كانَ لَها حِجابًا مِنَ النارِ)) فقالت امرأةٌ: واثنينِ؟ فقال: واثنين))[4].

قال ابن حجر: "وفي الحديث ما كان عليه نساء الصحابة من الحرص على تعلم أمور الدين"[5].

وقال أبو العباس القرطبي: "في هذا الحديث ما يدل على فضل نساء ذلك الوقت،

---

(١) سورة القدر، آية: ٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٣٧١/٢.

(٣) المرجع السابق ١٣٧٢/٢.

(٤) أخرجه البخاري ١٠١، ومسلم ٢٦٣٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٧/١ .

وما كانوا عليه من الحرص على العلم والحديث عن رسول الله ﷺ، وكما قالت عائشة رضي الله عنها: ((نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ))[1]"[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الدعاء ليلة القدر:

هذا واضحٌ من أمر النبي ﷺ السيدة عائشة رضي الله عنها: "قولي اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني"، قال الطيبي: "فيه دليل على أن طلب العفو رأس كل خير، وفتح باب كل فلاح ونجاة؛ لأنه يستعد به للزلفى إلى الجناب الأقدس"[3]، وقال ابن علان: فيه إيماء إلى أن أهم المطالب انفكاك الإنسان من تبعات الذنوب، وطهارته من دنس العيوب، فإن بالطهارة من ذلك يتأهل للانتظام في سلك حزب الله، وحزب الله هم المفلحون"[4].

وقال ابن رجب الحنبلي: "وأما العمل في ليلة القدر فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَانًا واحْتِسَابًا، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذنبِه))[5]، وقيامها إنما هو إحياؤها بالتهجد فيها والصلاة، وقد أمر عائشة رضي الله عنها بالدعاء فيها أيضًا.

قال سفيان الثوري: "الدعاء في تلك الليلة أحب إليّ من الصلاة، قال: وإذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب إلى الله في الدعاء والمسألة لعله يوافق"، ومراده أن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التي لا يكثر فيها الدعاء. وإن قرأ ودعا كان حسنًا وقد كان النبي ﷺ يتهجد في ليالي رمضان، ويقرأ قراءة مرتلة، لا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ[6]، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر. وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها. والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم ٣٣٢، ٦١.

(٢) المفهم ٦/٦٤٠ - ٦٤١.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٤/٢٠٤.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢٨.

(٥) أخرجه البخاري ١٩١٠، ومسلم ٧٦٠.

(٦) أخرجه مسلم ٧٧٢.

قال الشعبي في ليلة القدر: "ليلها كنهارها"، وقال الشافعي: "أستحب أن يكون اجتهاده في نهارها كاجتهاده في ليلها" وهذا يقتضي استحباب الاجتهاد في جميع زمان العشر الأواخر، ليله ونهاره"(١).

وقال ابن رجب كذلك: "العفو من أسماء الله تعالى، وهو المتجاوز عن سيئات عباده الماحي لآثارها عنهم، وهو يحب العفو، فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته، وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها، وفي ليالي العشر لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحًا، ولا حالاً ولا مقالاً، فيرجعون إلى سؤال العفو. كحال المذنب المقصر. قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو"(٢).

وقال الشيخ عبدالله البسام عما يؤخذ من الحديث:

(١ - أم المؤمنين رضي الله عنها من حرصها على أفضل الدعاء في تلك الليلة التي علمت أن الدعاء مستجاب فيها، وأن النداء مسموع فيها، تسترشد من النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل دعاء تقوله في ليلة القدر إن علمتها، فأخبر صلى الله عليه وسلم بأحسن وأفضل ما تقول.

٢ - هذا الدعاء سأل الرسولَ صلى الله عليه وسلم عنه أحبُ الناس إليه، وأرشدها الرسول إليه بطريق إعطاء النصح في المشورة. والذي اختاره هو أعلم الناس بمعناه، فيكون لهذا الدعاء مزايا القبول كلها.

٣ - الدعاء المذكور هو أفضل مسؤول من الله تعالى، فعفو الله عن عباده معناه الصفح عن الذنوب، ومحو السيئات، وترك المجازاة عن الهفوات الكبيرة والصغيرة، وليس بعد هذا إلا الرضا عن المعفو عنه، وإحلاله دار كرامته، وهذا هو غاية المطلوب.

---

(١) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٦٧ - ٣٦٨. وانظر: المجموع شرح المهذب ٣١٦/٦.

(٢) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٧٠ - ٣٧١.

٤ - هذا الدعاء جَمَع آداب الدعاء فقد ابتدئ بلفظ (اللهم) وهي عوض عن (يا الله)، فالميم بدل من حرف النداء (يا).

وأصح الأقوال: إن لفظ (الله) هو الاسم الأعظم إذا دعي الله به أجاب لتضمنه معنى الإلهية والعبادة.

ثم إن جملة (إنك عفو) فيها تأكيدات لإثبات صفة العفو لله تعالى.

(تحب العفو) فيه إثبات محبته اللائقة بجلال الله تعالى للعفو عن المستعين[(١)].

(فاعف عني) فيه إثبات حكم العفو ومقتضاه لله تعالى.

ففي هذه الجمل التوسل إلى الله بصفته المناسبة للمطلوب، ومحبته للعفو وقربه منه[(٢)] بأن يعفو عن الداعي. فإذا صادف هذا الاسترحام والتذلل من قلب خاشع، وفي ليلة مباركة، ومن عبد مخلص منيب فهو حري أن لا يُرد، وأن يستجاب لصاحبه، لأن قبول الدعاء له أسباب وآداب هذه من أهمها.

٥ - من فقه عائشة رضي الله عنها أنها اختارت لهذا الوقت الفاضل الدعاء بأفضل مطلوب، حتى إذا حصلت الإجابة، كانت الهبة والعطية جزلة.

٦ - وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((سلوا الله العفو والعافية والمعافاة فإنه ما أوتي عبد بعد يقين خيرًا من معافاة))[(٣)].

قال في الروض وحاشيته: "فالشر الماضي يزول بالعفو، والحاضر بالعافية، والمستقبل بالمعافاة، لتضمنها دوام العافية، فهذا من أجمع الدعاء"[(٤)].

وينبغي الإكثار في ليلة القدر من الدعاء والاستغفار، لأن الدعاء فيها مستجاب،

---

(١) هكذا في المطبوع، ونظن أن الصواب: المستعفي.

(٢) هكذا في المطبوع.

(٣) أخرجه أحمد ٥/١، ٦، ١٧، ٣٤، ٤٤، والنسائي في الكبرى ١٠٦٥١/٩ من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه واللفظ للنسائي، قال محققو المسند: إسناده صحيح، ولمزيد من تخريجه انظر: مسند أحمد ٥/١.

(٤) الروض المربع شرح زاد المستقنع، البهوتي: منصور بن يونس بن صلاح (١٠٥١هـ)، والحاشية للشيخ: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي (١٣٩٢هـ)، عناية: عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين، ط٨، ١٤١٩هـ، ٤٧١/٣.

ويذكر حاجته في دعائه الذي يدعو به تلك الليلة"[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحكمة من إخفاء ليلة القدر:

وهذا واضحٌ من سؤال عائشة رضي الله عنها: أرأيتَ إن علمتُ أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ فهذا يفهم منه أن ليلة القدر غير معينة ومحددة وهذا ما يوضحه حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خَرَجَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ليُخْبِرَنا بليلةِ القَدْرِ، فتَلاحى رجُلانِ منَ المسلمينَ فقال: ((خَرجتُ لأخبِرَكم بليلةِ القَدْرِ، فتَلاحى فُلانٌ وفلان فَرُفِعَتْ، وعسى أن يكونَ خيرًا لكم، فالتَمِسوها في التاسعةِ والسابعةِ والخامسةِ))[٢].

قال ابن حجر: "قوله: (لأخبركم بليلة القدر)، أي: بتعيين ليلة القدر. قوله (فَرُفِعَت)، أي: من قلبي فنسيت تعيينها للاشتغال بالمتخاصمين"[٣].

قال ابن قدامة الحنبلي: "قال بعض أهل العلم: أبهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ليجتهدوا في طلبها ويجدوا في العبادة في الشهر كله طمعًا في إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، ليكثروا من الدعاء في اليوم كله، وأخفى اسمه الأعظم في الأسماء ورضاه في الطاعات ليجتهدوا في جميعها وأخفى الأجل وقيام الساعة ليجدّ الناس في العمل حذرًا منهما"[٤].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٢٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢٦٨ .

(٤) المغني ٤/٤٥٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على الاشتغال بالخير والعمل على تحصيله:

هذا مستمد من مجموع أحاديث الباب، وذلك على النحو التالي:

أ - النبي ﷺ يحث أصحابه على قيام ليلة القدر "من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه".

ب - وهؤلاء الصحابة الكرام ﷺ ينشغلون بذلك ويعتنون به في أحوالهم المختلفة ليس في يقظتهم فحسب، بل أيضًا في منامهم، فيخبرون النبي الكريم ﷺ أنهم قد أُرُوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فيرشدهم إلى ما يفعلونه: "أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرّها في السبع الأواخر".

ج - وهذا النبي الكريم ﷺ يعتكف في العشر الأواخر ويشتد في الاجتهاد في العبادة، رجاء أن ينال ثواب قيام ليلة القدر، فضرب القدوة لأصحابه.

د - وهذه أم المؤمنين عائشة ﷺ تسأل عن الدعاء في هذه الليلة الفاضلة التي هي خير من ألف شهر، فيدلّها ﷺ على أن تطلب العفو والعافية والسلامة، "قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني".

أي الملاحظ: أن المجتمع الإسلامي كله منشغل بالخير والعمل على تحصيله وجعله واقعًا حيًّا، لا فرق في ذلك بين القدوة والمثل الأعلى محمد ﷺ وبين أتباعه الصحابة الكرام ﷺ، ولا فرق في ذلك أيضًا بين الرجال والنساء. وعلى ذلك ينبغي أن تكون مهمة المربين والمرشدين وأهل التوجيه والوعظ، فيحاولون أن يشغلوا أتباعهم بالخير بحيث يكون ذلك عادتهم، وديدنهم في حياتهم كلها، وفي مختلف أحوالهم وشؤونهم، وذلك لأنهم إن لم ينشغلوا بالحق شغلوا بالباطل.

إن الناظر في دنيا الناس، يجد أن جمهورهم مشغولون بأمور لا تسمن ولا تغني من جوع، من تشجيع للكرة، ومن متابعة للقنوات الفضائية غير الهادفة، ونحو ذلك، وليت الأمر يقف عند حدٍّ معين، بل يظل الأمر يزداد حتى يشغل ذلك معظم الوقت والجهد والطاقة والأعمار كلها، وليس هذا إلا دليلاً على حدوث خلل في التربية والتنشئة. فعلى

المجتمع كله بوجه عام - والمربين بوجه خاص - أن يعالجوا هذا الخلل، إن أرادوا الصلاح والخير.

ثانيًا - التربية على الإخبار عن الخير وعن الصالحين:

هذا الباب في مجمله - كغيره من الأبواب - قائم على الإخبار عن الخير وعن الصالحين، فأحببنا أن نعالجه هنا بشيء من الإيجاز والاختصار، رغبة في تحصيل الخير والنفع للمربين ومن يقومون بتربيتهم.

فهذه عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ تخبر عنه ﷺ:

أ - أنه كان يجاور في العشر الأواخر من رمضان.

ب - وأنه كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله وجدّ وشد المئزر.

ج - وأنه كان يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيره.

د - وهذا ابن عمر رضي الله عنهما يخبر عن خير جيل بعد الأنبياء: أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام.

والمقصود بهذا الإخبار هدفان: الأول: إنزال أهل الخير منزلتهم و تقديرهم بما يستحقون من تقدير، وذكر محاسنهم ومآثرهم، والآخر: الاقتداء والتأسي بهم، وكلا الهدفين يكمل أحدهما الآخر، فإن الاقتداء لا يكون إلا بالأعلام الصالحين النبلاء، وبالاقتداء تحتفظ الذاكرة الإنسانية بنماذج طيبة مشرفة تحفظ عليها فطرتها في حب الخير والوصول إليه وتحقيقه "إن خير وسيلة لإشعال العزائم وإثارة الروح الوثابة وقدح المواهب وإذكاء الهمم وتقويم الأخلاق، والتسامي إلى معالي الأمور والترفع عن سفاسفها والائتساء بالأسلاف الأجلاء هو قراءة سير النبلاء الصلحاء والتملي من اجتلاء مناقب الصالحين الربانيين"[1].

---

(١) صفحات من صبر العلماء، عبدالفتاح أبو غدة، ص ١٨.

ومطالعة سير العلماء والصالحين متمم لكمال الانتفاع بعلومهم بالاطلاع على أحوالهم وقد قال ابن الجوزي: (رأينا الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف والصالحين، فأما مجرد العلم بالحلال فليس له كبير عمل في رقة القلب، وإنما ترق القلوب بذكر الأحاديث وأخبار السلف الصالحين)(١). ومن المفيد جدًا للمربي أن يطالع على الأقل تاريخ الخلفاء الراشدين وكلما استزاد من مطالعة كتب التاريخ استفاد، وهذا ينعكس على من يربيهم ويقوم بتوجيههم(٢).

ثالثًا- التربية على التدرج في الاجتهاد في العبادة:

هذا مستمد من حديث عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيره. فأفاد هذا الحديث أن النبي ﷺ كان اجتهاده في العشر الأواخر أكثر من اجتهاده في أول رمضان، ومعنى ذلك أنه ﷺ لم يشتد في الاجتهاد في رمضان مرّة واحدة ولا كان اجتهاده على درجة واحدة فيه، بل كان ﷺ يتدرج من الأدنى إلى الأعلى، وقد كان النبي ﷺ يفعل ذلك في الفعل الواحد الذي يقع في وقت واحد ممتد، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ، إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ لِيُصَلِّيَ، افْتَتَحَ صَلاَتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ))(٣). قال النووي: (هذا دليل على استحبابه لينشط بهما لما بعدهما)(٤) فما لا يحتاج إلى برهان أن (الشيء إذا كان ابتداؤه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته الازدياد بخلاف ضده)(٥)، لذا فإن للتدرج بوجه عام فوائد تربوية لا تخفى، "فإن للجوانب التي تتطلب التربية والإصلاح في النفس البشرية من الاتساع والتعدد والتنوع ما يجعل تحصيلها في وقت وجهد واحد أمر عسير متعذر. لذا فإن التدرج كان معلمًا

---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ١٩٧.

(٢) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح، ص ٧٢-٧٣ بتصرف. وانظر مراجعه ومصادره.

(٣) أخرجه مسلم ٧٦٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٢٣ .

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١٦٣، وانظر: مقومات الداعية الناجح ٧٤.

من معالم التربية النبوية، فخوطب الناس ابتداءً بالاعتقاد والتوحيد، ثم أمروا بالفرائض ثم سائر الأوامر. وفي الجهاد أمروا بكف اليد ثم بقتال من قاتلهم، ثم بقتال من يلونهم من الكفار، ثم بقتال الناس كافة، ومثل ذلك التدرج في تحريم الخمر وإباحة نكاح المتعة ثم تحريمها، وهكذا، لكن يبقى جانب مهم مع الإيمان بمبدأ التدرج، ألا وهو أن ما نص الشرع على تحريمه لا يجوز أن نبيحه للناس، وما نصّ على وجوبه لا يجوز أن نسقطه عن الناس"(١).

رابعًا- التربية الأدبية:

هذا مستمد من قول عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر".

والذي يستوقفنا في هذا الحديث قولها: "أحيا الليل" وقولها "شد المئزر" وذلك لما فيهما من دلالات أدبية تخاطب الوجدان والشعور، إنها رضي الله عنها عبرت عن قيام الليل بقولها "أحيا الليل" وفي رواية البخاري "وأحيا ليله" فاستخدمت لفظ "أحيا" لتدل على أثر قيام الليل، من كونه حياة للقلوب وإنقاذًا للأرواح من أسر المادة وزادًا يستعان به على مواصلة المسير إلى الله سبحانه. قال ابن حجر: (قولها "وأحيا ليله" أي سهره فأحياه بالطاعة وأحيا نفسه بسهره فيه، لأن النوم أخو الموت، وأضافه إلى الليل اتساعًا، لأن القائم إذا حيي باليقظة أحيا ليله بحياته، وهو نحو قوله ((لا تجعلوا بيوتكم قبورًا))(٢) أي لا تناموا فتكونوا كالأموات فتكون بيوتكم كالقبور)(٣).

أما قولها رضي الله عنها: "وشد المئزر" فكناية اختلف في المراد بها: أهي للتشمير في العبادة

---

(١) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان، العدد ١٢، محرم ١٤١٩هـ/مايو ١٩٩٨م، ص ٣٦. وانظر: مقومات الداعية الناجح، ٧٤-٧٥، ١١٧-١٤٦.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه البخاري ١١٨٧، ومسلم ٧٧٧ مرفوعًا: "صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا" وهذا لفظ مسلم، وأخرجه مسلم ٧٨٠ عن أبي هريرة مرفوعًا: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة".

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١١٢٠ .

والجد فيها أم اعتزال النساء للاشتغال بالعبادات[1]. وبغض النظر عن هذا الاختلاف، فإن المقصود هو تفرغ النبي ﷺ للعبادة وجده فيها، سواء اعتزل النساء أم لم يعتزلهن، وهذا هو المراد، فضلاً عن أن هناك احتمال أنه يراد الأمران معًا كما أشار إلى ذلك ابن حجر[2].

والخلاصة أن عائشة رضي الله عنها - وهي الأديبة البليغة الفصيحة - قد أجادت في التعبير عن المراد أيما إجادة باستخدام أسلوب أدبي رائع، وفي ذلك لفت نظر المربين أن يهتموا بهذا الجانب المهم، فيربوا الناشئة تربية أدبية تجعلهم يتذوقون فصيح الكلام وبليغه، ويقبلون على ذلك، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تجعلهم قادرين على التعبير عن المعاني تعبيرًا جيدًا واضحًا مفهومًا مزودًا بالجماليات الأدبية والبلاغية قدر المستطاع.

ومن المجالات التي يمكن أن تستعمل في تنمية هذه التربية الأدبية:

أ - استثمار حصص الإنشاء والتعبير التي أصبحت لا تؤدي الدور المنتظر منها، ويتأكد على المعلم الذي يتولى تدريسها الاعتناء باكتشاف القدرات وتوجيهها وتدريب الطلاب على التعبير المؤثر.

ب - استثمار الأنشطة الصحفية المدرسية وتفعيلها في تدريب الشباب واكتشاف مواهبهم.

ج - إقامة برامج تدريبية تستهدف التدريب على أسلوب الكتابة ومهاراتها.

د - تنمية القدرات اللغوية والارتقاء بها.

هـ - توجيه أصحاب القدرات المتميزة في الجانب الأدبي إلى المشاركة في صفحات القراء في المجلات والصحف الإسلامية ومواقع الانترنت.

مع ملاحظة الاعتناء بالتعويد على الكتابة العلمية الموضوعية دون التركيز على الجوانب اللفظية وحدها[3].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ص ٧٢٩، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/ ١١٢٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/ ١١٢٠.

(٣) انظر: تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، ص ١٣٢-١٣٣.

خامسًا: من مهام المربي الأول: إصلاح أهله:

هذا مستمد من قول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان، أحيا الليل وأيقظ أهله، وجدّ وشد المئزر. فالشاهد في ذلك "وأيقظ أهله" فالنبي ﷺ اعتنى بإصلاح أهله فأيقظهم للصلاة وقيام الليل، وفي ذلك إرشاد للمربين وغيرهم أن تكون مهمتهم الأولى: إصلاح الأهل وتربيتهم تربية صالحة، لأن ذلك الميدان الأول لنجاح المربي، فإن نجح في ذلك كان نجاحه فيما بعده أيسر وأسهل. وقد تقدم معالجة هذا المضمون قريبًا، فيكتفي بهذه الإشارات مع الإحالة عليه[1].



(١) انظر: الباب رقم ٢١٢، باب فضل قيام الليل.

٢١٥- باب فضل السواك وخصال الفطرة

الحديث رقم (١١٩٨)

١١٩٨ - عن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لَوْلاَ انْ اشُقَّ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ عَلَى النَّاسِ - لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

والحديث من باب الترغيب في السواك وما جاء في فضله يشير فيه الرسول ﷺ إلى فضل السواك عند كل صلاه، ورغبته في التزام أمته به لولا وجود المشقة عَلَى مَا عُلِمَ مِنْ إشْفَاقِهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى أُمَّتِهِ وَرِفْقِهِ بِهِمْ وَحِرْصِهِ عَلَى التَّخْفِيفِ عَنْهُمْ وَالْمُرَاعَاةِ لِمَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، والسِّرّ فِي اِسْتِحْبَاب السِّوَاك عِنْد الْقِيَام إِلَى الصَّلَاة أَنَّا مَأْمُورُونَ فِي كُلّ حَالَة مِنْ أَحْوَال التَّقَرُّب إِلَى اللَّه تَعَالَى أَنْ نَكُون فِي حَالَة كَمَالٍ وَنَظَافَة إِظْهَارًا لِشَرَفِ الْعِبَادَة، وَقِيلَ إِنَّ ذَلِكَ لِأَمْرٍ يَتَعَلَّق بِالْمَلَكِ، وَهُوَ أَنْ يَضَع فَاهُ عَلَى فِي الْقَارِئ فَيَتَأَذَّى بِالرَّائِحَةِ الْكَرِيهَة فَسُنَّ السِّوَاك لِأَجْلِ ذَلِكَ، وقوله (لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي -أَوْ عَلَى النَّاسِ- لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ) ولَوْلَا كَلِمَة تَدُلّ عَلَى اِنْتِفَاء الشَّيْء لِثُبُوتِ غَيْره، وَهِيَ مُرَكَّبَة مِنْ لَوْ الدَّالَّة عَلَى اِنْتِفَاء الشَّيْء لِانْتِفَاءِ غَيْره، وَلَا النَّافِيَة فَدَلَّ الْحَدِيث عَلَى اِنْتِفَاء الْأَمْر لِثُبُوتِ الْمَشَقَّة؛ لِأَنَّ اِنْتِفَاء النَّفْي ثُبُوت فَيَكُون الْأَمْر مَنْفِيًّا لِثُبُوتِ الْمَشَقَّة، ومدلول هذا التركيب يشير إلى أن الرسول ﷺ يرغب في أن تلتزم أمته بالسواك، وأن استعمال صحابته السواك صار أمرا محبوبا إلى نفسه ﷺ حتى تمنى أن يأمرهم به لولا خوف المشقة وهو -الرحيم-، وقد عبر عن رغبته بـ لولا

---

(١) أخرجه البخاري (٨٨٧) واللفظ له، ومسلم (٤٢/٢٥٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٩).

التي هي حرف امتناع لوجود ليبث في وجداننا الرغبة الباعثة على الحرص عليه بتمنيه لإلزامنا به لولا خوفه المشقة علينا، وهو الرحمة المهداة، وإضافة الأمة إليه (أمتي) تشريف للأمة، يشير إلى حرصه عليهم، ومحبته لهم التي تقتضي أن يرشدهم إلى ما فيه خيرهم في معاشهم، ومعادهم.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى حكم السواك، ومدى ذكر النبي ﷺ له، واهتمامه به، لأنه مرضاة للرب، ونظافة وطهارة للفم والأسنان.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أن السواك سنة عن النبي ﷺ، وأنه يستحب التسوك في كل وقت، وأفضل الأوقات في السواك قبل الصلاة وبعد الوضوء، حتى عده كثير منهم سنة من سنن الوضوء، ولا يكره السواك إلا للصائم في آخر النهار فقط، ولم يخالف في استحباب السواك إلا داود الظاهري وإسحاق حيث قالوا إنه واجب لا سنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: الشفقة على المدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب السواك عند كل صلاة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص الإسلام على النظافة والتجمل.

أولاً - من صفات الداعية: الشفقة على المدعوين:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: (لولا أن أشق على أمتي - أو على الناس - لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة).

---

(١) انظر في ذلك: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٤/١، بدائع الصنائع، المنتقى ١٣٠/١، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٩/١، أحكام القرآن، ابن العربي ٧٩/٢، المجموع، النووي ٣٢٤/١، إحكام الإحكام، ابن دقيق العيد ١٠٧/١، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، المغني ٦٩/١، الفروع، ابن مفلح١/١٢٥.

قال النووي: "وفيه دليل على جواز الاجتهاد للنبي ﷺ فيما لم يرد فيه نصٌ من الله تعالى، وهذا مذهب أكثر الفقهاء وأصحابه، وهو الصحيح المختار. وفيه بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الرفق بأمته"[١].

وقال ابن حجر: "قال القاضي البيضاوي: لولا كلمة تدل على انتفاء الشيء لثبوت غيره. والحق أنها مركبة من (لو)، الدالة على انتفاء الشيء لانتفاء غيره و(لا) النافية، فدلّ الحديث على انتفاء الأمر لثبوت المشقة، لأن انتفاء النفي ثبوت فيكون الأمر منفيًا لثبوت المشقة، وقال الشافعي: فيه دليل على أن السواك ليس بواجب لأنه لو كان واجبًا لأمرهم به شق عليهم أو لم يشق.... وقال المهلب: فيه أن المندوبات ترتفع إذا خشي منها الحرج وفيه ما كان النبي ﷺ من الشفقة على أمته"[٢].

وقال ابن عبدالبر: "في هذا الحديث أدلُّ الدلائل على فضل السواك والرغبة فيه، وفيه أيضًا دليل على فضل التيسير في أمور الديانة، وأن ما يشق منها مكروه. قال الله عز وجل: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٣]، الا ترى أن رسول الله ﷺ لم يخير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه"[٤].

والحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ ﷺ بينَ أمرين إلا أخذَ أيسَرَهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناسِ منه، وما انتقم رسولُ الله ﷺ لنفسهِ إلاّ أن تُنتهَكَ حُرمةُ اللهِ فيَنتقِمَ للّه بها))[٥].

قال ابن عبدالبر: "في هذا الحديث دليل على ان المرء ينبغي له ترك ما عسر عليه من أمور الدنيا والآخرة، وترك الإلحاح فيه، إذا لم يضطر إليه، والميل إلى

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٤/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٣٧٥ - ٣٧٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٣/٦٣٠ - ٦٣١.

(٥) أخرجه البخاري ٣٥٦٠، ومسلم ٢٣٢٧.

اليسر أبدًا، فإن اليسر في الأمور كلها أحب إلى الله وإلى رسوله، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، وفي معنى هذا، الأخذ برخص الله تعالى، ورخص رسوله ﷺ، والأخذ برخص العلماء، ما لم يكن القول خطأً بينًا.

روينا عن محمد بن يحيى بن سلام، عن أبيه قال: ينبغي للعالم أن يحمل الناس على الرخصة والسعة ما لم يخف المأثم.

وأخبرنا محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا سعيد بن أحمد بن عبد ربه وأحمد بن مطرف قالا: حدثنا سعيد بن عثمان، قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن معمر، قال: إنما العلم أن تسمع بالرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد"[1].

ومثال آخر لشفقته ﷺ حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما لما عزم أن يصوم النهار ويقوم الليل فأتاه النبي ﷺ وأمره بأن يرفق بنفسه وقال له: ((لا تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ... الحديث))[2].

قال النووي: "وحاصل الحديث بيان رفق رسول الله ﷺ بأمته وشفقته عليهم وإرشادهم إلى مصالحهم وحثهم على ما يطيقون الدوام عليه، ونهيهم عن التعمق والإكثار من العبادات التي يخاف عليهم الملل بسببها أو تركها أو ترك بعضها"[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استحباب السواك عند كل صلاة:

قال ابن دقيق العيد: "السواك مستحب في حالات متعددة: منها ما دلّ عليه هذا الحديث وهو القيام إلى الصلاة، والسر فيه: أنا مأمورون في كل حالة من أحوال التقرب إلى الله عز وجل أن نكون في حالة كمال ونظافة، إظهارًا لشرف العبادة. وقد قيل: إن ذلك لأمر يتعلق بالملك وهو أنه يضع فاه على في القارئ. ويتأذى بالرائحة

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١١/٢٢ .

(٢) أخرجه البخاري ١٩٧٥، ومسلم ١١٥٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٤/٨/٤٣.

الكريهة، فسن السواك لأجل ذلك"[١]، قال ابن حجر: "وقد ورد من حديث عليٍّ عند البزار[٢] ما يدل على أنه أمر يتعلق بالملك الذي يستمع القرآن من المصلي فلا يزال يدنو منه حتى يضع فاه على فيه، لكنه لا ينافي ما تقدم"[٣]، وقال ابن دقيق العيد: "الحديث بعمومه يدل على استحباب السواك لكل صلاة، فيدخل فيه استحباب ذلك في الصلاتين الواقعتين بعد الزوال للصائم - أي الظهر والعصر - ويستدل به من يرى ذلك، ومن يخالف ذلك يحتاج إلى دليل خاص بهذا الوقت"[٤].

وقال ابن عبدالبر: "وفضل السواك مجتمع عليه لا خلاف فيه، والصلاة عند الجميع بعد السواك أفضل منها قبله.

وقال الأوزاعي: أدركت أهل العلم يحافظون على السواك مع وضوء الصبح والظهر، وكانوا يستحبونه مع كل وضوء وكانوا أشد محافظة عليه هاتين الصلاتين. قال الأوزاعي: السواك شطر الوضوء وقال: وركعة على أثر سواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك"[٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حرص الإسلام على النظافة والتجمل:

هذا واضحٌ من استحباب السواك عند كل صلاة، والسواك يطهر الفم وينظفه، قال النووي: "والسواك مستحب في جميع الأوقات لكن في خمسة أوقات أشد استحبابًا: أحدها: عند الصلاة سواء كان متطهرًا بماء أو تراب أو غير متطهر، كمن لا يجد ماء أو ترابًا. الثاني: عند الوضوء. الثالث: عند قراءة القرآن. الرابع: عند الاستيقاظ من النوم.

---

(١) إحكام الأحكام في شرح عمدة الاحكام، تقي الدين بن دقيق العيد ص ٥٠.

(٢) أخرج البزار عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه أمر بالسواك وقال: قال رسول الله ﷺ: ((إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه يسمع القرآن فلا يزال عجبه بالقرآن يدنيه حتى يضع فاه على فيه، فما يخرج من شيء من القرآن إلا صار في جوف ذلك الملك، فطهروا أفواهكم للقرآن))، أخرجه البزار ٤٩٦ كشف الأستار، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٨/١، وصححه الألباني، (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٢١٣).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٣٧٦.

(٤) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٥٠.

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٣/٦٣١.

الخامس: عند تغير الفم"[١].

قال الدكتور يوسف القرضاوي: "ومن الوسائل التي حرص عليها الإسلام في حفظ الصحة العناية بالنظافة، والحقيقة أن موقف الإسلام من النظافة موقف لا نظير له في أي دين من الأديان، فالنظافة فيه عبادة وقربة بل فريضة من فرائضه. إن كتب الشريعة في الإسلام تبدأ أول ما تبدأ بباب عنوانه: (الطهارة)، أي: النظافة فهذا أول ما يدرسه المسلم والمسلمة من فقه الإسلام"[٢].

---

(١) المجموع شرح المهذب ١٥٠/١، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٤٣/٣/٢، وانظر: نيل الأوطار ص ٧٨.

(٢) السنة مصدر للمعرفة والحضارة ص ١٥٠.

الحديث رقم (١١٩٩)

١١٩٩- وعـن حُذَيْفَـةَ ﵁ ، قَـالَ: كَـانَ رسـول الله ﷺ إِذَا قَـامَ مِـن (النَّـومِ)[١] يَشُوصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

(الشَّوْصُ): الدَّلْكُ.

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

يشوص: يَدْلُك[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر استخدام الرسول ﷺ للسواك بالليل كما أن تركيب العبارة في حديث حذيفة ﵁ يشير إلى أنها عادته في الفعل حيث استخدم فعل الكينونة الماضي الذي يشير غالبا إلى العادة في الفعل، ثم استخدام أسلوب الشرط الدال على التلازم بين الشرط، والجزاء، وبما أن قيامه يتكرر فدل ذلك على أن السواك يتكرر، والشوص: التنظيف، والغسل، والتنقية والدلك، وهو الإمرار على الأسنان من أسفل إلى فوق، وعكسه وقيل: هو دلك الأسنان بالسواك، والأصابع عرضا، وهو ما يدل على عنايته بطهارة فمه الذي هو مخرج القرآن، وسبيل خطاب الرحمن، والإسلام دين طهر باطن، وظاهر.

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

---

(١) عندهما بلفظ: (الليل) بدل: (النوم)، ودرج الفقهاء بذكر هذا اللفظ بدل: (الليل) كما في الشرح الكبير للرافعي (١/١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥)، ومسلم (٤٧/٢٥٥).

(٣) رياض الصالحين ٤٣٣.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١١٩٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٠٠.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استعمال السواك عند القيام من النوم.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأهب للعبادة.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

هو واضحٌ من قول حذيفة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك.

ومن قول عائشة رضي الله عنها: كنا نُعِدُّ لرسول الله ﷺ سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي.

ولا شك أن هذا الإخبار من الصحابة رضي الله عنهم عن فعل النبي ﷺ إنما هو دعوة للمدعوين للاقتداء بالنبي ﷺ في أفعاله وأحواله كلها. لأنه القدوة والأسوة لهم، فكان الإخبار من الأساليب الدعوية المهمة في إنجاح الدعوة. وما زال الناس - ولا يزالون - يسألون عن أحوال الرجل العظيم فيهم، فيخبرهم القريبون منه والمرافقون له عن أحواله، ومحمد ﷺ أعظم الخلق وأفضلهم، والناس في كل عصر - ماض كان أو حاضر أو مستقبلٍ - متشوقون لمعرفة أحواله وسيرته وسننه، فكان الإخبار أسلوبًا من الأساليب المبلغة لهذه الغاية الشريفة والغرض الأسنى والمقصد النبيل.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استعمال السواك عند القيام من النوم:

هذا واضحٌ من الحديثين، قال ابن دقيق العيد عن حديث حذيفة رضي الله عنه: (فيه دليل على استحباب السواك في هذه الحالة الأخرى، وهي القيام من النوم، وعلّته: أن النوم مقتض لتغير الفم، والسواك هو آلة التنظيف للفم، فيسن عند مقتضى التغير. وقوله: "إذا قام من الليل" ظاهره يقتضي تعليق الحكم بمجرد القيام، ويحتمل أن يراد: إذا قام من الليل للصلاة فيعود إلى معنى الحديث الأول)[1].

وقال ابن حجر: (قلت: ويدل عليه رواية المصنف [أي البخاري] في الصلاة بلفظ: إذا

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٥١. والحديث الأول هو قوله ﷺ: "لولا أن أشق على أمتي - أو على الناس - لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة" أخرجه البخاري ٨٨٧، ومسلم ٢٥٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قام للتهجد[١]، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما يشهد له)[٢].

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما هو: أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ النَّبِيِّ ذَاتَ لَيْلَةٍ. فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ. ثُمَّ خَرَجَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ. ثُمَّ تَلاَ هذِهِ الآيَةَ فِي آلِ عِمْرَانَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، حَتَّى بَلَغَ، ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ. ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى. ثُمَّ اضْطَجَعَ. ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَتَلاَ هذِهِ الآيَةَ. ثُمَّ رَجَعَ فَتَسَوَّكَ فَتَوَضَّأَ. ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى))[٣].

وقال النووي عن حديث عائشة رضي الله عنها: "فيه استحباب السواك عند القيام من الليل"[٤].

وقال الشيخ ابن عثيمين: (وللسواك مواضع يتأكد فيها وإلا فهو مسنون كل وقت، لكن يتأكد في مواضع معينة منها: إذا قام من النوم، فإنه يسن له أن يستاك لحديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك، يعني: يتسوك. وكذلك يؤيده حديث عائشة رضي الله عنها أنهم كانوا يعدون له سواكه ووضوءه فإذا قام تسوّك وتوضأ وصلّى ما شاء الله. ويسن عند القيام من النوم بالليل أو بالنهار، لأن الفم يتغير فيسن أن يتسوك)[٥].

قال ابن هبيرة: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلهج بالسواك ويأمر به، ولا سيما عند القيام إلى الصلاة، وقيامه من الليل، فإنه في هذين الوقتين آكد، وهذا لأن الآدمي في منامه ينطبق فمه فيكون ما يجتمع في الفم من الأبخرة المتراقية غير المنفذة والبلاغم المضرة للأسنان أكثر. فإذا قام من الليل كان إلى ذلك أحوج"[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣٦، ومسلم ٢٥٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٤٢٤ - ٤٢٥.

(٣) أخرجه البخاري ٩٩٢، ومسلم ٢٥٦، كتاب: الطهارة، واللفظ لمسلم.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٦//٢٩.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٧٣ - ١٣٧٤.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢/٢٠٨.

ثالثًا - من آداب المدعو: التأهب للعبادة:

وهذا واضحٌ من قول عائشة رضي الله عنها: كنا نعد لرسول الله ﷺ سواكه وطهوره، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي، قال النووي: "فيه استحباب ذلك والتأهب بأسباب العبادة قبل وقتها والاعتناء بها"[1].

ولعل من هذا القبيل ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهلُ اليَمنِ يَحُجُّونَ ولا يَتزوَّدونَ، ويقولون: نحنُ المتوَكلون، فإذا قدِموا مكةَ سألوا الناسَ. فأنزلَ اللّهُ تعالى: ﴿وتزوَّدوا فانَّ خيرَ الزادِ التَّقوى﴾[2][3].

قال ابن حجر: "قال المهلب: في هذا الحديث من الفقه أن ترك السؤال من التقوى ويؤيده أن الله مدح من لم يسأل الناس إلحافًا، فإن قوله: (فإن خير الزاد التقوى)، أي: تزودوا واتقوا أذى الناس بسؤالكم إياهم والإثم في ذلك، وقال: وفيه أن التوكل لا يكون مع السؤال، وإنما التوكل المحمود أن لا يستعين بأحد في شيء"[4].

وقال الطاهر بن عاشور: "والتزود: إعداد الزاد وهو الطعام الذي يحمله المسافر، فالتزود مستعار للاستكثار من فعل الخير استعدادًا ليوم الجزاء، شبه بإعداد المسافر الزاد لسفره، بناء على إطلاق اسم السفر والرحيل على الموت... ويجوز أن يستعمل التزود مع ذلك في معناه الحقيقي على وجه استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، فيكون أمرًا بإعداد الزاد لسفر الحج، تعريضًا بقوم من أهل اليمن كانوا يجيئون إلى الحج دون أي زاد ويقولون: نحن متوكلون على الله، فيكونون كلاً على الناس بالإلحاف فقوله: (فإن خير الزاد... إلخ)، إشارة إلى تأكيد الأمر بالتزود تنبيهًا بالتفريع على أنه من التقوى، لأن فيه صيانة ماء الوجه والعرض"[5].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٩/٦/٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٣) أخرجه البخاري ١٥٢٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨٤/٣.

(٥) التحرير والتنوير ٢٣٦/٢.

وقال الشيخ عبدالله البسام: "ينبغي لمن يريد عبادة من العبادات، ومنها الوضوء والطهارة أن يستعد لها بأدواتها، لئلا يحتاج إلى ذلك أثناء أدائها"[١].

ولعلّ الناظر في العبادات في الإسلام يجد أنه قد شرع قبلها ما ينبه المدعو لأن يتأهب للعبادة ويستعد لها، فمثلاً شرع للصلاة الأذان للإعلام بدخول الوقت، كما شرع الوضوء لينبه المدعوين إلى أنهم مقبلون على مناجاة ربهم، فيأخذون أهبتهم واستعدادهم لذلك، وكذلك الأمر في الصيام فقد شرع السحور وذلك ليتقوى الصائم على الصيام فيؤديه كما طلب الشرع من إحسان في العبادة وإقبال عليها بعكس من لم يتسحر فإن الغالب عليه أن يصيبه الكسل والخمول فلا يقبل على الصيام إقبال من تسحر.

والمقصود أن المدعو ينبغي عليه أن يتأهب للعبادة حتى يؤديها بإحسان وإتمام ومن ثم يجني الثمار الطيبة المترتبة عليها.

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١/١٦١.

الحديث رقم (١٢٠٠)

١٢٠٠- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كُنَّا نُعِدُّ لِرسولِ الله ﷺ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوضَّأُ وَيُصَلِّي. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

طهوره: أي الماء الذي يتطهر به[2].

يبعثه: يوقظه من نومه[3].

يتسوك: ينظف فمه وأسنانه بالسِّواك[4].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه يقرر استخدام الرسول ﷺ للسواك بالليل، وهذا التقرير يترتب عليه التشريع بدخولها في جملة أفعاله التي هي السنن لأمته، وهي من السنن الفعلية عن الرسول ﷺ، والحديث ورد في أسلوب خبري دون مؤكدات لأنه على ما يبدو من كلام الراوي أنه خبر مشهود مشهور يدل على ذلك قوله (كنا، نعد) بضمير الجماعة، وتقديم السواك على الطهور يشير إلى العناية به، وكثرة فعله، وبين قوله (فيبعثه، ويبعثه) جناس يؤكد المعنى، ويشير إلى أن استعماله للسواك ليس مرتبطا بوقت معين بل إنه يستاك كلما استيقظ، وأراد أن يتوضأ.

فقه الحديث

قال الشوكاني: (والحديثان[5] يدلان على مشروعية المحافظة على السنن التي قبل

---

(١) برقم (٧٤٦/١٣٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط هـ ر).

(٣) المرجع السابق في (ب ع ث).

(٤) الوسيط في (س و ك).

(٥) هو حديث الباب الذي رواه الترمذي ٤٢٦، والحديث الذي رواه ابن ماجه ١١٥٨ عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: "كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الأربع قبل الظهر صلاهن بعد الركعتين بعد الظهر".

الفرائض وعلى امتداد وقتها إلى آخر وقت الفريضة، وذلك لأنها لو كانت أوقاتها تخرج بفعل الفرائض، لكان فعلها بعدها قضاءً، وكانت مقدمة على فعل سنة الظهر، وقد ثبت في حديث الباب أنها تفعل بعد ركعتي الظهر، وقد ثبت في حديث الباب أنها تفعل بعد ركعتي الظهر، ذكر معنى ذلك العراقي قال: وهو الصحيح عند الشافعية، وقال: وقد يعكس هذا فيقال: لو كان وقت الأداء باقيًا لقدمت على ركعتي الظهر، وذكر أن الأوّل أولى)[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) نيل الأوطار ٤٨٣، وانظر الموسوعة الفقهية ٢٨٤/٢٥.

(٢) تم دمجها في مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٠١)

١٢٠١- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ فِي السِّوَاكِ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥).

الشرح الأدبي

الخبر الذي يرويه أنس رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم يشير أهمية السواك مع غفلة الناس عنه، الأمر الذي دعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإكثار من ترغيبهم في السواك كلما وجد مناسبة لذلك، لأن كثيرا من الناس لا يدرك الحكم الكامنة، وراء استخدام السواك، ولا يدركون الضرر المترتب على تركه فيستهينون بالحرص على استخدامه، ودلالة الفعل (أكثرت) بمعناه على الكثرة، وبصيغته في الماضي على التحقق ترغيب عن طريق الخبر، وتنبيه إلى الفضل الداعي إلى مزيد العناية، والاهتمام ثم إن ضمير الجمع المتصل بحرف الاستعلاء (عليكم) يؤكد ذلك لأنه لم يخص بالترغيب، وإنما عمم دلالة على أن الأمر من الأهمية بحيث لا يختص به أحد دون أحد، وقوله (في السواك) استخدام حرف الجر (في) يدل على التمكن في تقرير الأفضلية، والكلام فيه إيجاز بالحذف أي: أكثرت عليكم في الكلام عن فضائل السواك، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السواك.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: غرس النظافة بين المدعوين.

أولاً – من موضوعات الدعوة: فضل السواك:

هذا واضح من قول النبي صلى الله عليه وسلم : (أكثرت عليكم في السواك)، فدل هذا على

---

(١) برقم (٨٨٨).

كثرة حث النبي ﷺ صحابته رضي الله عنهم على الاستياك، وذلك لفضله الكبير، ولعل من قبيل كثرة الإيصاء بالشيء لأهميته وفضله ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما زال جبريلُ يُوصيني بالجار حتى ظننتُ أنهُ سيُوَرِّثه))[١]. قال ابن حجر: "إن الحديث يشعر بأنه بالغ في تأكيد حق الجار"[٢].

وقال ابن الملقن بعد ذكره أحاديث كثيرة في السواك: "هذا آخر ما قصدته وإبراز ما أردته، فيما يتعلق بالسواك، هو مهم جدًا، وقد اجتمع بحمد الله وعونه من الأحاديث من حين شرع المصنف [أي: الرافعي في كتابه الشرح الكبير في فقه الشافعية] في ذكر السواك إلى هذا المكان زيادة على مائة حديث كلها في السواك ومتعلقاته، وهذا عظيم جسيم، فواعجبًا سُنّةٌ واحدة تأتي فيها هذه الأحاديث يهملها كثير من الناس بل كثير من الفقهاء المشتغلين، وهي - أي ترك السنة - خيبة عظيمة نسأل الله المعافاة منها"[٣].

وقد بلغ من فضل الاستياك أن النبي ﷺ لم يتركه وهو في مرض وفاته، قالت عائشة رضي الله عنها: ((دخلَ عبد الرحمنِ بن أبي بكر على النبيِّ ﷺ وأنا مُسنِدَتُهُ إلى صدري ومع عبدِ الرحمن سِواكٌ رَطبٌ يَستَنُّ به، فأَبَدَّهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ بصرَهُ، فأخذت السواكَ فقضِمتُهُ ونفضتهُ وطيَّبته، ثم دفعتُهُ إلى النبي ﷺ فاستَنَّ به، فما رأيت رسولَ اللَّهِ ﷺ استَنَّ استِنانًا قطُّ أحسنَ منه، فما عَدا أن فرغَ رسولُ الله ﷺ رفعَ يدَهُ أو إصبَعَهُ ثم قال: في الرفيق الأعلى. ثلاثًا. ثم قَضى))[٤].

قال ابن حجر: "وفيه دلالة على تأكد أمر السواك لكونه ﷺ لم يُخِلّ به مع ما هو فيه من شاغل المرض"[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠١٥، ومسلم ٢٦٢٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٠/٤٤٢.

(٣) البدر المنير في تخريج الأحاديث الواقعة في الشرح الكبير، ابن الملقن: عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، تحقيق: مصطفى أبي الغيط عبدالحي وآخرين ٢/٦٨.

(٤) أخرجه البخاري ٨٩٠، ٤٤٣٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٣٧٧.

وإذا كان النبي ﷺ قد بيّن فضل السواك وحثّ أصحابه رضي الله عنهم عليهم، فإنه ﷺ أشفق عليهم أن يكثروا من استعماله إلى الدرجة التي تتضرر بها الأسنان، ولهذا قال ابن هبيرة عن حديث الباب: "أكثرت عليكم في السواك": في هذا الحديث من الفقه أنه ﷺ لما أمر بالسواك وحضّ عليه، وتابع ذلك خاف أن يكون أمره بذلك يبعث بعض الناس على الإلحاح عليه إلى الحد الذي يزعزع الأسنان، فقد قال أبو زكريا الرازي[١] في كتابه المعروف (الحاوي في الطب) في باب: حفظ الأسنان: (ولا تلح على الأسنان بالسواك) ويريد بذلك أن خير الأمور أوسطها كما أن هجر السواك وإطراحه يعفن الأسنان ويفسدها، وأن الإلحاح المتجاوز حده يزعزعها ويضعف أصول منابتها"[٢].

وقال ابن القيم: "وأصلح ما اتخذ السواك من خشب الأراك ونحوه، ولا ينبغي أن يُؤخذ من شجرة مجهولة، فربما كانت سمًا، وينبغي القصدُ في استعماله، فإن بالغ فيه، فربما أذهب طَلاوة الأسنان وصقالتها، وهيأها لقبول الأبخرة المتصاعدة من المعدة والأوساخ، ومتى استعمل باعتدال، جلا الأسنان وقوى العمود، وأطلق اللسان، ومنع الحَفَر، وطيب النكهة، ونقى الدماغ، وشهى الطعام. وأجودُ ما استعمل مبلولاً بماء الورد"[٣].

ثانيًا - من أهداف الدعوة: غرس النظافة بين المدعوين:

وهذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: "أكثرت عليكم في السواك"، وقد بوّب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر الأمر بالمواظبة على السواك إذ استعماله من الفطرة"[٤]، والحث على السواك مظهر من مظاهر عناية الإسلام بالنظافة.

قال ابن هبيرة عن حديث حذيفة رضي الله عنه: ((كان النبيُّ ﷺ إذا قام من الليلِ يشَوصُ

---

(١) هو محمد بن زكريا الرازي، من الأئمة في صناعة الطب، له كتاب (الحاوي) في صناعة الطب، وهو أجلّ كتبه، ترجم إلى اللاتينية وطبع فيها، توفي ٣١٣هـ. الأعلام، خير الدين الزركلي ١٣٠/٦.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٢٦/٥.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٢٢/٤ - ٣٢٣.

(٤) صحيح ابن حبان ٣٤٧/٣ رقم ١٠٦٦.

فاهُ بالسِّواكِ))[١].

قال: "وفي هذا الحديث من الفقه أن السواك تطهر به الأسنان ما لا يبلغ الماء في تطهيره مبلغ السواك، لأن الأسنان على ما خلقها الله تعالى عليه من الرتل في تدوير انتظم بتعددها ما يتخلف من الأغذية إذا لحج[٢] فيما بين السِّنَّيْن أو فيما بين الثلاثة، والأسنان على ما يتراقى إليها من الأبخرة المتصاعدة من البطن على وهجه وحره فيجففه بسرعة فتلحج لحجًا لا يزيله الماء ولا الأصبع، حتى يشوص الرجل فاه بعود من أراك أو خرقة فتبلغ في تطهيره ذلك المبلغ المطلوب، وإنما تطهير الفم من ذلك سنة مستحبة، فإن صلى مصلٍ من غير تسوك أجزأته صلاته إلا أنه تفوته الفضيلة. والسر فيه أن تطييب طريق القرآن؛ فإن الخلوف قد يجتمع منه ما يؤذي ريحه، والملائكة يدنون من الآدمي وقت تلاوة القرآن زيادة دنو حتى جاء في الحديث: ((إذا قرأ القرآن من كان قد بدأ بالسواك جعل الملك فمه على فم القارئ فلا يخرج من فيه كلمة إلا التقمها الملك، فإذا قرأ القرآن بغير سواك تباعد عنه))[٣]، وذك أن الريح التي يتنفس بها الإنسان هي حاملة القرآن في خروجه، فإذا ترك في الفم ما يفسد الريح تأذى الملك،وتأذى القارئ، وتأذى من يقربه من الآدميين، وإذا استاك فقد نجا من ذلك كله"[٤].

قال د. القرضاوي: "كانت عناية السنة النبوية - كالقرآن - بالنظافة نابعة من عدة اعتبارات، أولاً: إن النظافة من الخصال التي يحبها الله تعالى. فقد قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٥]، وأثنى على أهل مسجد قباء وحبهم للطهارة. فقال:

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٥ ومسلم ٢٥٥.

(٢) جاء في القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي ٢٠٤: لحج السيف: نشب في الغمد. ومكان لحج: ضيق.

(٣) أخرجه البزاز ٤٩٦، كشف الاستار، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٨/١ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أمر بالسواك، وقال: قال رسول الله ﷺ: ((إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فتسمع لقراءته فيدنو منه أو كلمة نحوها حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك فطهروا أفواهكم للقرآن))، وصححه الألباني، (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٢١٣).

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٠٧/٢ - ٢٠٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾(١)، ولهذا اعتبرت الطهارة أو النظافة من خصال الإيمان، حتى شاع بين المسلمين هذا القول: (النظافة من الإيمان)، وظنه بعضهم حديثًا، وما هو بحديث، ولكن هناك حديثًا صحيحًا يقول: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ))(٢)، أي: نصف الإيمان، والطهور - بمعنى الطهارة - يشمل الطهارة المعنوية، أي: الطهارة من الشرك والنفاق وسوء الأخلاق، والطهارة الحسية بمعنى النظافة الخاصة والعامة.

وثانيًا: إن النظافة سبيل إلى الصحة والقوة، والإسلام يحرص على صحة الأبدان وقوة الأجسام فهو عدة للفرد وذخيرة للجماعة، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، والبدن أمانة لدى المسلم لا يجوز له أن يفرط فيه ويهمل أمره، فيغدو فريسة للأمراض والرسول ﷺ يقول: ((إنَّ لِبدنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا))(٣).

ثالثًا: إن النظافة شرط للتجمل أو للظهور بمظهر الجمال الذي يحبه الله تعالى ورسوله، ففي الحديث الصحيح: (إن الله جميل يحب الجمال)، وقد قال النبي ﷺ ذلك بعد قوله: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ)) قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: ((إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ))(٤).

وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، ثم قال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾(٥).

وكان الحسن إذا أراد الذهاب إلى المسجد تزين وتطيب ورجل شعره، فلما سئل في

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٧٥، ومسلم ١١٥٩ بلفظ: ((إن لجسدك عليك حقًا)).

(٤) أخرجه مسلم ١٤٧ - ٩١.

(٥) سورة الأعراف، الآيتان: ٣١ - ٣٢.

ذلك قال: أتجمل لربي، وتلا الآية: ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾.

رابعًا: إن النظافة والمظهر الحسن من أسباب تقوية الروابط بين الناس، فالإنسان السوي بفطرته ينفر من القذارة ويتجنب أهلها، وهذا سر الحث على الاغتسال قبل الجمعة، كما أنه سر النهي عن أكل الثوم والبصل والكراث ونحوها لمن يريد الذهاب إلى المسجد حتى لا يؤذي الآخرين بسوء رائحته، فإن صمّم على أكلها، فليعلم أنه محروم من المسجد ومن فضل الجماعة"[1].

(١) السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة، د. يوسف القرضاوي ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

الحديث رقم (١٢٠٢)

١٢٠٢- وعن شريح بن هانئ، قَالَ: قلت لعائشة رضي الله عنها: بأيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدأُ النَّبيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قالت: بِالسِّوَاكِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا المعنى الذي يدور حوله الحديث الذي جاء في صورة السؤال، والجواب عن مبتدأ الرسول ﷺ عند دخول بيته، والبداية في كل شيء يوليها الإنسان عنايته، والبداية بالسواك تشير إلى أهميته لدى النبي ﷺ وتسحب منه إلى أصحابه، ومتابعيه، واختصاص البداية بالسواك عند دخول المنزل يشير إلى طبيعة القرب، والألفة، والمحبة التي تستلزم الاستعداد؛ لأنه يقترب من أهل فيجدون منه ما يجد منه، وهو تعليم للأمة فن طيب العشرة، وإن كان لا يحتاج إلى ذلك الاستعداد كغيره؛ لأنه ﷺ أطيب الناس ريحا، ولكنه يعلمنا كيف نتجنب إيذاء الناس لاسيما الأهل، وقولها (بالسوك) فيه إيجاز بالحذف أي كان يبدأ بالسواك) وهو ما يدل على أنها من عادته.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى حكم السواك، ومدى ذكر النبي ﷺ له، واهتمامه به، لأنه مرضاة للرب، ونظافة وطهارة للفم والأسنان.

وقد اتفق الفقهاء[2] على أن السواك سنة عن النبي ﷺ، وأنه يستحب التسوك في

---

(١) برقم (٤٣/٢٥٣).

(٢) انظر في ذلك: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٤/١، بدائع الصنائع، المنتقى ١٣٠/١، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٩/١، أحكام القرآن، ابن العربي ٧٩/٢، المجموع، النووي ٣٢٤/١، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ١٠٧/١، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، المغني ٦٩/١، الفروع، ابن مفلح ١٢٥/١.

كل وقت، وأفضل الأوقات في السواك قبل الصلاة وبعد الوضوء حتى عده كثير منهم سنة من سنن الوضوء، ولا يكره السواك إلا للصائم في آخر النهار فقط، ولم يخالف في استحباب السواك إلا داود الظاهري وإسحاق حيث قالا إنه واجب لا سنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السواك في جميع الأوقات.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة أحوال النبي ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من اساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل السواك في جميع الأوقات:

هذا واضحٌ من حديث عائشة رضي الله عنها: (إن النبي ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ بَدأَ بالسِّوَاكِ)[١]، قال النووي: "فيه بيان فضيلة السواك في جميع الأوقات وشدة الاهتمام به وتكراره"[٢].

أما حديث أبي موسى فلفظه عند البخاري: ((أتيتُ النبيَّ ﷺ فوجَدْتُه يَستَن بسِوَاكٍ بيده يقولُ: «أُعْ، أُعْ» والسواكُ في فِيهِ كأنَّه يَتهوَّعُ))[٣].

قال ابن حجر: "قوله: (أُعْ، أُعْ)، واختلاف الروايات في ذلك: وإنما اختلف الرواة لتقارب مخارج هذه الأحرف. وكلها ترجع إلى حكاية صوته إذ جعل السواك على طرف لسانه كما عند مسلم، والمراد طرفه الداخل كما عند أحمد[٤]: (يستن على فوق) ولهذا قال هنا: (كأنه يتهوع)، والتهوع التقيؤ، أي له صوت كصوت المتقيئ على سبيل المبالغة. ويستفاد منه مشروعية السواك على اللسان دخولاً، أما الأسنان فالأحب أن تكون عرضًا[٥]، وفيه تأكيد السواك وأنه لا يختص بالأسنان، وأنه من باب التنظيف

---

(١) هذه رواية عند مسلم ٤٤ - ٢٥٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢/٣/١٤٤ - ١٤٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤٤.

(٤) أخرجه احمد ١٩٧٣٨/٣٢.

(٥) هذا رأي ابن القيم والأطباء يقولون: بالأعلى والأسفل حفظاً للثة من القطع وزيادة في التخليل بين الأسنان.

والتطيب لا من باب إزالة القاذورات، لكونه ﷺ لم يختف به، وبوّبوا عليه: استياك الإمام بحضرة رعيته"[١].

والحديث أخرجه البخاري ومسلم بلفظ: أَقْبَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعِي رَجُلَانِ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ. أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِي وَالآخَرُ عَنْ يَسَارِي. فَكِلَاهُمَا سَأَلَ الْعَمَلَ. وَالنَّبِيُّ يَسْتَاكُ. فَقَالَ: ((مَا تَقُولُ؟ يَا أَبَا مُوسَى أَوْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ)) قَالَ فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَطْلَعَانِي عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمَا. وَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ الْعَمَلَ. قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سِوَاكِهِ تَحْتَ شَفَتِهِ، وَقَدْ قَلَصَتْ. فَقَالَ: ((لَنْ، أَوْ لاَ نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ. وَلَـٰكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ، يَا أَبَا مُوسَى أَوْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ)) فَبَعَثَهُ عَلَى الْيَمَنِ. ثُمَّ أَتْبَعَهُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ... الحديث))[٢].

وقد بوّب النسائي على هذا الحديث باب: هل يستاك الإمام بحضرة رعيته، وكذلك بوب ابن حبان عليه: ذكر الإباحة للإمام أن يستاك بحضرة رعيته إذا لم يكن يحتشمهم فيه..

وقال ابن دقيق العيد: "وأما حديث أبي موسى ففيه أمران: أحدهما: الاستياك على اللسان واللفظ الذي أورده صاحب الكتاب[٣]. وإن كان ليس بصريح في الاستياك على اللسان، فقد ورد ذلك مصرحًا به في بعض الروايات، والعلة التي تقتضي الاستياك على الأسنان موجودة في اللسان، بل هي أبلغ وأقوى، لما يرتقي إليه من أبخرة المعدة[٤]، وقد ذكر الفقهاء أنه يستحب الاستياك عرضًا، وذلك في الأسنان، وأما اللسان فقد ورد

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٤٢٤ .

(٢) أخرجه البخاري ٦٩٢٣، ومسلم ١٥ - ١٨٢٤.

(٣) هو: الحافظ عبدالغني المقدسي مؤلف عمدة الأحكام وقد جمع فيه أحاديث الأحكام المتفق عليها بين البخاري ومسلم. انظر ترجمته في: مقدمة تحقيق إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام ومصادره ومراجعه.

(٤) يقول د. محمد علي البار: "وقد اهتم الأطباء في الآونة الأخيرة - بعد زمن طويل من الإهمال - بأهمية تنظيف اللسان وإمرار السواك أو الفرشاة عليه، وذلك لإزالة ما يتراكم عليه من الإفرازات وبقايا الطعام مما يؤدي إلى تجميع الميكروبات، ولذا فإن أهمية تنظيف اللسان تكاد تعدل أهمية تنظيف الأسنان. السواك، د. محمد علي البار، ط/ دار المنار، جدة: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٣٣ - ٣٤ بتصرف.

منصوصًا عليه في بعض الروايات الاستياك طولاً"[١].

الثاني: ترجم البخاري على هذا الحديث باستياك الإمام بحضرة رعيته فقال: باب: استياك الإمام بحضرة رعيته[٢]"... إن الاستياك من أفعال البذلة والمهنة، ويلازمه أيضًا من إخراج البصاق وغيره، ما لعل بعض الناس يتوهم أن ذلك يقتضي إخفاءه وتركه بحضرة الرعية، وقد اعتبر الفقهاء في مواضع كثيرة هذا المعنى، وهو الذي يسمونه بحفظ المروءة، فأورد هذا الحديث لبيان أن الاستياك ليس من قبيل ما يطلب إخفاؤه، ويتركه الإمام بحضرة الرعايا، إدخالاً له في باب العبادات والقربات"[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على معرفة أحوال النبي ﷺ:

هذا واضحٌ من سؤال شُرَيْح بن هانئ عائشة ﷺ: بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته؟ وذلك ليعلم حال النبي ﷺ في بيته ليقتدي به، ومن ذلك أن سعد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو في سبيل الله فقدم المدينة فأراد أن يبيع عقارًا بها فيجعله في السلاح والكراع[٤]، ويجاهد الروم حتى يموت، فلما قدم المدينة لقي أناسًا من أهل المدينة فنهوه عن ذلك، وأخبروه أن رهطًا ستة أرادوا ذلك في حياة نبي الله ﷺ فنهاهم نبي الله ﷺ وقال: ((أَلَيْسَ لَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ؟)) فَلَمَّا حَدَّثُوهُ بِذَلِكَ رَاجَعَ امْرَأَتَهُ. وَقَدْ كَانَ طَلَّقَهَا. وَأَشْهَدَ عَلَى رَجْعَتِهَا. فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ فَسَأَلَهُ عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةُ. فَأْتِهَا فَاسْأَلْهَا. ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ. فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهَا ... فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية ١٤٢/٤ - ١٤٣. لكن الطب الحديث يرى أن سواك الأسنان طولًا أفضل وأبلغ في التنظيف، لأنه يطال ما يكون بين فُرج الأسنان من بقايا الطعام والصفرة ونحوها، وليس الأمر كذلك في السواك عرضًا، ولعل الأنسب أن يستاك الإنسان بحسب ما يراه مناسبًا وداعيًا للتطهير من غير أذيً، فالمطلوب أن يستاك فكيفما استاك حصلت السنة. أحكام الطهارة (سنن الفطرة) أبو عمر دبيان الدبيان، ط/١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠٠/ بدون مطبعة، ٧٢٠/٢ بتصرف.

(٢) الحديث لم يترجم عليه البخاري هذا الباب، وإنما ترجم عليه باب: السواك، الحديث رقم ٢٤٤، وترجم عليه بنحو هذه الترجمة النسائي وابن حبان.

(٣) إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٥٢ - ٥٣.

(٤) الكراع: الخيل والبغال والحمير. معجم لغة الفقهاء ص ٣٤٧.

عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللّهِ. قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللّهِ كَانَ الْقُرْآنَ. قَالَ فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ، وَلاَ أَسْأَلَ أَحَدًا عن شيء حَتَّى أَمُوتَ. ثُمَّ بَدَا لِي فَقُلْتُ: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللّهِ. فَقَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هذهِ السُّورَةِ ... الحديث))[1].

قال النووي: "فيه أنه يستحب للعالم إذا سئل عن شيء ويعرف أن غيره أعلم منه به أن يرشد السائل إليه، فإن الدين النصيحة ويتضمن مع ذلك الإنصاف والاعتراف بالفضل والتواضع"[2].

ومن هذا القبيل حديث أنس بن مالك ﵁: ((جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ...))[3].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

وهذا واضحٌ من حديث عائشة ﵂ فقد أخبرت عن حال من أحوال النبي ﷺ عن طريق السؤال، فكان جوابها بيانًا لذلك.

رابعًا - من اساليب الدعوة: الإخبار:

وهذا واضحٌ من حديث أبي موسى الأشعري ﵁: دخلت على النبي ﷺ وطرف السواك على لسانه، فأخبر عن بعض أحوال النبي ﷺ بهذا القول.

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٧/٦/٣ .

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤٠١ واللفظ للبخاري.

الحديث رقم (١٢٠٣)

١٢٠٣ - وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قَالَ: دَخلتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ وَطَرَفُ السِّوَاكِ عَلَى لِسَانِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وهذا لفظ مسلم.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الخبري، الذي رواه " أبو موسى رضي الله عنه " والذي يحكي مشهداً لخاتم الرسل - ﷺ فيقول: " دخلت على النبي ﷺ، وطرف السواك على لسانه " واختار لفظ " النبي " لأنه أنبأ بأهمية السواك، وفوائده، للنفس، والجسد، وللناس أجمعين، ولان الحريص على السواك حريص على التطهر وطيب الفم، حتى لا ينفر منه أحد. والجملة الحالية: "وطرف السواك على لسانه" تبين مدى حرص الرسول الكريم على جمال السمت، وراحة فمه الذكية بطبيعتها، ولكنه يحرص على ذلك ليعمل أمته المواظبة على النظافة، والنظام، وصيانة الجسد، والمحافظة على نعمة الصحة، والفعل الماضي "دخلت" يدل على تحقق هذه المعاني، وصدورها من النبي ﷺ التي يعطيها خصوصية التشريع، وصفته.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤)، ومسلم (٤٥/٢٥٤) واللفظ له.

(٢) سيأتي ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث التالي.

الحديث رقم (١٢٠٤)

١٢٠٤ - وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ للرَّبِّ)) رواه النسائي وابنُ خُزَيْمَةَ[1] في صحيحهِ بأسانيدَ صحيحةٍ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

مطهرة: المطهرة بفتح الميم وكسرها لغتان ذكرهما ابن السكيت وآخرون، وهي كل آلة يتطهر بها، شبّه السواك بها؛ لأنه ينظف الفم والطهارة: النظافة[2].

مرضاة: سبب للرضا أو مرضية للرب[3].

الشرح الأدبي

صدر هذا الحديث أيضاً في الأسلوب الخبري وفيه يبين المصطفى ﷺ شيئاً من فوائد السواك فيقول: "السواك مطهرة للفم مرضاة للرب" وقدم " الفم " على " الرب "، لأن الإنسان إذا طيب فمه بالسواك، أو ما في حكمه من وسائل التنظيف، فلا شك – قطعاً – أنه سيرضى ربه، لأنه أبعد الأذى عن نفسه، وعن المخاطبين له – فتطيب نفسه ويسعد المحيطون به، وهذا في حد ذاته يرضى " الرب " – جل في علاه، وجاء لفظ " الرب " ولم يأت بلفظ الجلالة " الله " لأن اللفظ الأول يدل على أنه مربى العالمين – المؤمنين، وحافظهم، وراعيهم العليم بما يصلح معاشهم، ومعادهم فيجب عليهم أن يلتزموا توجيه نبيه، والتعبير بقوله (مطهرة – مرضاة) فيه مبالغة في كثرة الطهر،

---

(١) أخرجه النسائي في المجتبى (٥)، وفي الكبرى (٤)، وابن خزيمة (١٣٥). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ١٠٦٧). أورده المنذري في ترغيبه (٣٢٣).

(٢) المجموع شرح المهذب ١٤٨/١، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٣١.

(٣) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٣١.

وكثرة الرضا مع بساطة العمل الذي التي تجعل كثيرا من الناس لا يدركون قيمته، وحسبه أنه مرضاة للرب، وقوله (مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ) يشير إلى النظافة الظاهرية، وقوله (مَرْضَاةٌ للرَّبِّ) يشير إلى الطهارة الباطنية التي تشير إلى الإخلاص في العمل الذي سبب الرضا، والله أعلم.

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السواك.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل السواك:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب)، قال ابن عثيمين: "والسواك ذَكَر النبيُ ﷺ فيه فائدتين عظيمتين كما في حديث عائشة رضي الله عنها: مطهرة للفم يعني: يطهر الفم من الأوساخ، وغير ذلك مما يضر، وقوله: (للفم)، يشمل كل الفم: الأسنان واللثة واللسان كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه أنه دخل على النبي ﷺ وطرف السواك على لسانه[2].

الفائدة الثانية: مرضاة للرب، أي: أنه من أسباب رضا الله عن العبد أن يتسوك"[3].

قال ابن القيم: "ويستحب - أي السواك - كل وقت ويتأكد عند الصلاة والوضوء والانتباه من النوم وتغير رائحة الفم، ويستحب للمفطر والصائم في كل وقت لعموم الأحاديث فيه، ولحاجة الصائم إليه، ولأنه مرضاة للرب، ومرضاته مطلوبة في الصوم أشد من طلبها في الفطر، ولأنه مطهرة للفم، والطهور للصائم من أفضل أعماله"[4].

وقد أثبت الطب الحديث فوائد كثيرة للسواك: "ولا تخفى هذه الفوائد فإنه ينظف

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية للحديث السابق مع المضامين الدعوية لهذا الحديث (١٢٠٤).

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٤، ومسلم ٢٥٤، واللفظ لمسلم.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٣٧٣/٢.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٢٣/٤.

الأسنان وينقيها، ويقي من أمراض اللثة ويحمي من التهابها، ويجعل الأسنان منيعة على النخر لأنه يوجد به مادة (الفلورايد) التي تجعل الأسنان منيعة على النخر، والآن يصنع من عود الأراك (السواك)، معاجين أسنان، وفي البلاد الغربية الأوروبية يستفيدون كثيرًا من السواك حين يطحن عود الأراك وتصنع منه المنظفات السنِّية التي يستعملها أطباء الأسنان في تنظيف أسنان مرضاهم فصلى الله على محمد"، ويقول د. عبدالغني السروجي نقيب أطباء الأسنان في سوريا: "فلو نظرنا إلى تحليل السواك لوجدناه فرشاة طبيعية قد زودت بأملاح معدنية، ومواد عطرة تساعد على تنظيف الأسنان أو بمعنى آخر كأنها فرشاة طبيعية ومعها مسحوق مطهر لتنظيف الأسنان".

ويقول د. فارس علوان: "وللمسواك فوائد عديدة وميزات كثيرة تجعله يفضل على الفرشاة والمعجون ويتفوق عليهما وذلك للأسباب التالية:

(١) يحوي السواك مواد قاتلة للعوامل .

أ - فقد أثبت الدكتور الباحث عبدالحميد القضاة: أنه يقضي على خمسة أنواع على الأقل من الجراثيم التي توجد في الفم وتكون سببًا في أمراضه.

ب - يقول العالم "رودات" (مدير معهد علم الجراثيم في ألمانيا): إن فيه مادة مضادة للجراثيم شبيهة بالبنسلين.

ج - أثبتت أبحاث جامعة الملك سعود أنه يحوي مادة السنجرين ذات التاثير المطهر الشديد الفعالية، والتي تقضي على الجراثيم.

(٢) فيه مادة السيليس التي تجرف الفضلات وتزيل القلح وتساعد على تلميع الأسنان وتبييضها بتأثيرها الآلي الحات.

(٣) غني بحمض العفص الذي يمنع النزف ويشفي جروح اللثة ويطهر الفم.

(٤) يحوي نسبة عالية من مادة الكلورايد الذي يساعد على حل ملح الطرطير والتصبغات الأخرى على الأسنان وإزالتها علمًا أن ترسبات ملح الطرطير هي الأساس في تولد القلح.

(٥) يتضمن راتينجات متعددة تشكل غلافًا أو طلاء فوق طبقة الميناء لتحميها من التشقق والتصدع حيث يكون هذا التشقق كثغرة يبدأ فيها التنخر والتسوس.

(٦) مواده العطرية الخاصة تطيب الفم وتجعل له رائحة زكية.

(٧) فيه كمية من فيتامين (ث) الذي له أثر كبير في مكافحة النزوف عمومًا.

(٨) يحتوي على (٢٢) مادة فعالة منها أملاح الحديد والكلس.

(٩) إن تأثيره المحصن للفم والمطهر للأسنان أطول من تأثير معجون الأسنان حيث إن تأثير المعجون لا يتعدى أكثر من عشرين دقيقة.

(١٠) سهولة استعماله ويسر تناوله لا سيما وأنه يغني عن معجون الأسنان حتى إنه قد لا يحتاج إلى استعمال الماء، لأن لعاب الفم كاف ويمكنه من أن يقوم بوظيفته على أحسن وجه.

يبدو أنه يجب تجديده بطرح القسم المستعمل منه وتشذيب قسم جديد كلما سنحت الفرصة لذلك، وبهذا يبقى عطاؤه مستمرًا وتتضح خواصه ومواده الفعالة مع كل استعمال، ويفضل أن يكون ذلك يوميًا. لقد عرف الغرب حديثًا أثر السواك على الفم والأسنان فشرعوا بمزج مسحوقه مع معاجين الأسنان"[١].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

فقد رغّب النبي ﷺ في التسوك بأن أخبر أن ذلك يطهر الفم ويرضي الرب، وهذا لا شك يدفع المدعوين إلى الاستياك والتزامه. كما أثبت الطب الحديث فوائد السواك الطبية كما مرّ قريبًا، يقول د. أكرم بن أحمد رضا: "عندما نجد أن رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ يقرر هذه الحقيقة العلمية، فيقول: (السواك مطهرة للفم)، نعلم علم اليقين أنه رسول الله رب العالمين، وقال ذلك بتعليم الله خالق الكون، ومنشئه، فقد علّمه ما لم يعلم، وما لا يستطيع أن يعلمه في ذلك العصر أحد، فهذا الإخبار التقريري الجازم الواضح، يحمل أسرارًا من العلم لا يطلع عليها أحد من الناس إلا في عصر تقدمت فيه أدوات البحث والتنقيب، حتى وصل العلم فيه إلى أسرار لم يكن لأهل العصور السابقة معرفتها أو الوصول إليها أو القرب منها، إنه الرسول المصطفى والنبي المجتبى ﷺ"[٢].

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا ١/٥١١ - ٥١٤، ومصادره ومراجعه.

(٢) المرجع السابق ١/٥٠٨. وانظر: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. زغلول النجار ٢/١١٢ - ١١٦.

الحديث رقم (١٢٠٥)

١٢٠٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ: ((الفِطْرَةُ خَمْسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: الخِتَانُ، وَالاسْتِحْدَادُ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَنَتْفُ الإبطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الفطرة: قال النووي: اختلف في المراد بها هنا: فقال أبو سليمان الخطابي: ذهب أكثر العلماء إلى أنها السنة. وكذلك ذكره جماعة غير الخطابي قالوا: ومعناه: أنها من سنن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وقيل: هي الدين[2].

الختان: قطع جميع الجلدة التي تغطي الحشفة حتى ينكشف جميع الحشفة، وفي المرأة قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج[3].

الاستحداد: حلق العانة، وهي الشعر الذي حول الفرج[4].

الشرح الأدبي

إن الرسول الكريم ﷺ يعتني بالجسد كما يعتني بتربية النفس وتهذيبها، فيقول : " الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وقص الشارب ". وقوله : " الفطرة خمس " يوحى بأن أمور الفطرة محصورة في خمسة أشياء أما قوله: " خمس من الفطرة " فيوحى بان أمور الفطرة واسعة وهذه خمسة منها لان " من " للتبعيض. وهو أسلوب تشويق بالإجمال ثم التفصيل الذي يفيد مع

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٩)، ومسلم (٢٥٧/٤٩) ولفظهما سواء.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٦٩.

(٣) المرجع السابق ٢٦٩.

(٤) رياض الصالحين ٤٣٤.

التشويق للمعنى يفيد التوكيد؛ لأنه يذكر المعنى مرتين: مرة مجملا، والأخرى مفصلا، وبدأ " بالختان " لأنه أهم ما في هذه الأشياء الخمسة، ولم يحدد الذكور، أو الإناث مما يشير إلى عمومه لما يحققه للمرأة من تهذيب للشهوة، وتهدئة لثورة النفس التي تحفظ عليها حياءها، ولما فيه من كمال الشهوة للرجال، وفي الكلام إيجاز بالحذف أي هي: الختان، أو أولها، وعبر عن حلق شعر العانة بـ(الاستحداد) وهو الإزالة بآلة حادة مبالغة في النظافة كما حث على " تقليم الأظافر " و" نتف الإبط " حتى لا يشم المحيطون به رائحة ثوبه، ولا عرقه، وفي الحديث تناسب بين المعاني، والألفاظ حيث عبر بالتَّقْلِيم مع الأظْفَارِ، وبالنَّتْف مع الإبطِ، وَبالقَص مع الشَّارِبِ. والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذان الحديثان على أمور تعد من سنن الفطرة وآدابها، ولعل أهمها ما يأتي:

١ - الختان: وقد اختلف الفقهاء فيه على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الحنفية[١]، والمالكية[٢]، والإمام أحمد في رواية[٣]، ويرون أن الختان سنة في حق الرجل، مكرمة في حق المرأة.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه سحنون من المالكية[٤]، والشافعية في وجه[٥]، والحنابلة في المذهب[٦]، ويرون أن الختان واجب في حق الرجل مكرمة في حق المرأة.

والراجح الأول.

٢ - الاستحداد: وهو كناية عن حلق العنان، وهو متفق[٧] على أنه سنة والسنة في

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٢٧/٦.

(٢) المنتقى ٢٣٢/٧، مواهب الجليل ١٥٨/٣..

(٣) الفروع، ابن مفلح١/١٣٣، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٢٣/١.

(٤) المنتقى ٢٣٢/٧، مواهب الجليل ٢٥٨/٣.

(٥) المجموع ٣٤٩/١، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٥/٢.

(٦) المغني ٦٣/١، الفروع، ابن مفلح١/١٣٣، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٢٣/١.

(٧) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢١١/٣، رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٥٥٨/٢، الوسيط، الغزالي ٢٢٥/٥، حاشية البجيرمي ٤٠٨/٣، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٧٦/١، المغني ٦٣/١، المبدع ١٩٦/٧.

العانة الحلق، فلو نتفها، أو قصها أو أزالتها جاز، وكان تاركًا للأفضل.

ويحلق عانته بنفسه، ويحرم عليه أن يجعل غيره يحلقها له إلا زوجته التي تستبيح النظر إلى عورته ومسها فيجوز مع الكراهة.

وأما التوقيت في حلق العانة، فيختلف باختلاف الأشخاص، والأحوال فمتى طالت قصرا، على ألا تزيد في جميع الأحوال على أربعين يومًا[1].

٣ - السواك: وقد سبق بيان حكمه في الحديث رقم (١١٩٦)

٤ - قص الشارب: وأما قص الشارب فمتفق على سنتيه[2]، دليله أحاديث الباب.

وروى البيهقي عن مالك أنه ذكر إحفاء بعض الناس شواربهم، فقال مالك: ينبغي أن يضرب من صنع ذلك، فليس حديث النبي ﷺ كذلك، ولكن يبدي حرف الشفة والفم.

ويستحب في قص الشارب أن يبدأ بالجانب الأيمن، لأن النبي ﷺ يحب التيامن في كل شيء.

والرجل مخير بين أن يقص شاربه بنفسه، أو يقص له غيره لأن المقصود يحصل بغير هتك المروءة[3].

٥ - حكم إعفاء اللحى: اتفق الفقهاء على أن إعفاء اللحي من الأشياء التي أمر بها النبي ﷺ إلا إنهم اختلفوا في قوة هذا الأمر على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الحنفية[4]، والشافعية[5] في المذهب، ويرون أن إعفاء

---

(١) المجموع ٣٥٦/١.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٤٩/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٣/١، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٦٩/٢، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٢٥/٢، روضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٣٤/٣، نهاية المحتاج ٣٣٢/٢، المغني، ابن قدامة ١٢٧/١، شرح العمدة ٢٤١/١، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ٣٠٦/٢١.

(٣) المجموع شرح المهذب ٢٥٣/١.

(٤) البدائع ١٤١/٢، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٠٢/٢.

(٥) فتاوى الرملي ٦٩/٤، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٨٤/٢.

اللحية، أو تركها سنة عن النبي ﷺ وليست واجبة، فحلق اللحية مكروه، لا حرام.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه المالكية[١]، والحنابلة[٢]، والشافعي[٣] في قول إلى أن إطلاق اللحية واجب، وحلقها حرام، ومن حلقها يعزر ويؤدب لكونه فعل بدعة محرمة، وإن اختلفوا في حكم أخذ شيء منها، فقيل: يجوز، وقيل: يكره.

٦ - نتف الإبط: وهو سنة أيضًا[٤]، والسنة فيه النتف، ولكن لو حلقه جاز.

ولو أزاله بالتورة، ونحوها فلا بأس، ويستحب أن يبدأ بالإبط الأيمن والتوقيت فيه كالأظافر، فإنه يختلف باختلاف الأشخاص، والأحوال[٥].

٧ - تقليم الأظافر: وهو مجمع على أنه سنة، وسواء فيه الرجل والمرأة واليدان والرجلان.

ويستحب أن يبدأ باليد اليمنى ثم اليسرى، ثم الرجل اليمنى، ثم اليسرى، وأما التوقيت في تقليم الأظافر، فهو يعتبر بطولها، فمتى طالت قلمها ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأقوال[٦].

غسل البراجم: البراجم: جمع بُرجمة، وهي العقد المتشنجة الجلد في ظهور الأصابع، وهي مفاصلها التي وسطها بين الرواجب والأشاجع والرواجب هي المفاصل التي تلي رؤوس الأصابع، والأشاجع هي المفاصل التي تلي ظهر الكف، وقال أبو عبيد: الرواجب والبراجم جميعًا هي مفاصل الأصابع كلها، وهذا مراد الحديث فإنها كلها تجمع الوسخ[٧].

---

(١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١/١٢١.

(٢) المنتقى شرح الموطأ ٧/٢٦٦، مواهب الجليل ١/٢١٦.

(٣) تحفة المحتاج ٩/٣٧٦.

(٤) كتب ورسائل شيخ الإسلام ٢١/٨٣، المبدع ٢/٢٣١، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣/٣٢٩، شرح صحيح مسلم، النووي ٣/١٤٩.

(٥) المجموع، النووي ١/٣٥٥.

(٦) المجموع، النووي ١/٣٥٢.

(٧) المجموع، النووي ١/٣٥١.

وغسل البراجم سنة[1] مستقلة غير مختصة بالوضوء، ويلحق به ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن، وكذلك ما يجتمع داخل الأنف، وغير ذلك[2].

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإسلام دين الفطرة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خصال الفطرة.

أولاً – من موضوعات الدعوة: الإسلام دين الفطرة:

وردت أحاديث الفطرة بألفاظ مختلفة فجاءت بلفظ "عشرة من الفطرة" وبلفظ "خمس من الفطرة" ونحو ذلك. وهذا لا يراد به الحصر، وإنما يشار إلى ما هو الظاهر البين المحسوس منها، والذي يدركه كل إنسان بطبعه. وهذا ما أشار إليه النووي[4]، وبين أن الخصال غير منحصرة في العشرة، والمراد أن معظمها عشرة فهو كقول الرسول ﷺ: ((الحج عرفة))[5] وعضد قوله برواية مسلم "عشر من الفطرة".

وذكر ابن حجر أن ابن العربي قال: خصال الفطرة تبلغ ثلاثين خصلة وقد عقب على هذا القول فقال: فإن أراد خصوص ما ورد بلفظ الفطرة فليس كذلك، وإن أراد أعمّ من ذلك فلا ينحصر في الثلاثين بل يزيد كثيرًا[6].

فخصال الفطرة إذن كثيرة، منها: أمهات الأخلاق، وكل برّ كبرّ الوالدين وصلة الرحم وأداء حقوق الجار ومعاونة المحتاج ماديًا ومعنويًا وإكرام الضيف والصدق في

---

(١) روضة الطالبين ، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٣/٢٣٤، المغني ١/٦٤، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٠/٣٣٨، شرح صحيح مسلم، النووي ، ٣/١٥٠.

(٢) المجموع، النووي ١/٢٥٥.

(٣) هذه المضامين الدعوية خاصة بالأحاديث رقم ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧.

(٤) المجموع شرح المهذب ١/١٥٧.

(٥) أخرجه أبوداود ١٩٤٩، والترمذي ٨٨٩، ٨٩٠، ٢٩٧٥، والنسائي ٣٠١٦، وابن ماجه ٣٠١٥، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه).

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٠/٣٣٧ .

القول والعمل والوفاء بالوعد وبالعهد وغيرها من الخصال الحميدة)[١].

وأما معنى الفطرة الواردة في الحديث فقد قال ابن حجر: (قال الخطابي: ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالفطرة هنا السنة. وكذا قاله غيره. قالوا: والمعنى: أنها من سنن الأنبياء، وقالت طائفة: المعنى بالفطرة الدين وبه جزم أبو نعيم في المستخرج. وقال النووي في "شرح المهذب"[٢] جزم الماوردي والشيخ أبو إسحاق[٣] بأن المراد بالفطرة في هذا الحديث: الدين.

واستشكل ابن الصلاح ما ذكره الخطابي وقال: معنى الفطرة بعيد من معنى السنة، لكن لعل المراد أنه على حذف مضاف: أي سنة الفطرة. وتعقبه النووي: بأن الذي نقله الخطابي هو الصواب. فإن في صحيح البخاري عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: "من السنة قص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظفار" قال: وأصح ما فسر الحديث بما جاء في رواية أخرى لاسيما في البخاري اهـ. وقد تبعه شيخنا ابن الملقن على هذا، ولم أر الذي قاله في شيء من نسخ البخاري. بل الذي فيه من حديث ابن عمر بلفظ: "الفِطْرة"[٤] وكذا من حديث أبي هريرة. نعم وقع التعبير بالسنة موضع الفطرة في حديث عائشة عند أبي عوانة في رواية، وفي أخرى بلفظ "الفطرة" كما في رواية مسلم والنسائي وغيرهما. وقال الراغب[٥]: (أصل الفَطرة بفتح الفاء الشقُّ طولاً ويطلق على الوهْي[٦] وعلى الاختراع وعلى الإيجاد، والفِطرة الإيجاد على غير مثال وقال أبو شامة: أصل الفطرة الخلقة المبتدأة ومنه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٧] أي المبتدئ خلقهن. وقوله ﷺ "كل

---

(١) الموسوعة الفقهية ١٨٤/٣٢.

(٢) المجموع شرح المهذب ١٥٧/١.

(٣) أبو إسحاق الشيرازي صاحب المهذب في فقه الشافعية.

(٤) صحيح البخاري ٥٨٨٨، ٥٨٩٠.

(٥) المفردات ٣٨٢.

(٦) الاختلال ومنه قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ لسورة الملك، الآية: ٣].

(٧) سورة فاطر، الآية: ١.

مولود يولد على الفطرة" أي على ما ابتدأ الله خلقه عليه، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[١] والمعنى: أن كل أحد لو ترك من وقت ولادته وما يؤديه إليه نظره، لأداه إلى الدين الحق وهو التوحيد. ويؤيده قوله تعالى قبلها: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾[٢] وإليه يشير في بقية الحديث عقبه بقوله: ((فأبواه يُهوِّدانهِ أو يُنَصِّرانِه))[٣]. والمراد بالفطرة في حديث الباب أن هذه الأشياء إذا فعلت اتصف فاعلها بالفطرة التي فطر الله العباد عليها وحثهم عليها واستحبها لهم ليكونوا على أكمل الصفات وأشرفها صورة اهـ. وقد ردّ القاضي البيضاوي الفطرة في حديث الباب إلى مجموع ما ورد في معناها وهو الاختراع والجبلة والدين والسنة فقال هي السنة القديمة التي اختارها الأنبياء واتفقت عليها الشرائع، وكأنها أمر جبلي فطروا عليها انتهى)[٤].

وذكر الدكتور القرضاوي مزايا العقيدة الإسلامية فذكر منها: أنها عقيدة الفطرة، فقال: (وهي عقيدة ليست غريبة عن الفطرة ولا مناقضة لها، بل هي منطبقة عليها انطباق المفتاح المحدَّد على قفله المحكم، وهذا هو صريح القرآن: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥]. وصريح الحديث النبوي: ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ -أي الإسلام- وَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ))[٦] فدلَّ على أنَّ الإسلام هو فطرة الله، فلا يحتاج إلى تأثير من الأبوين. أما الأديان الأخرى من يهودية

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٥٨، ومسلم ٢٦٥٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٠/٣٣٩.

(٥) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٦) أخرجه البخاري ١٣٥٨، ومسلم ٢٦٥٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم قريبًا.

ونصرانية ومجوسية فهي من تلقين الآباء)[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: خصال الفطرة:

وهي كما وردت في الأحاديث:

١ - الختان: قال الشوكاني: (الختان قطع جميع الجلدة التي تغطي الحشفة حتى ينكشف جميع الحشفة[٢] وفي المرأة قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج)[٣].

وقال ابن عثيمين: (أما الرجال فختانهم واجب، وأما النساء فختانهن سنة. وليس بواجب، وذلك أن الرجل إذا لم يختن وبقيت الجلدة فوق الحشفة فإنه يحتقن بها البول، وتكون سببًا في النجاسة لأنه إذا احتقن بها البول ثم حصل ضغط عليها خرج البول الذي صار بين الحشفة فتلوثت الثياب وتنجست. ثم هي أيضًا عند الكبر وعندما يصل الإنسان إلى حد الزواج يكون هناك مشقة شديدة عند الجماع، فلذلك كان من الفطرة أن تقص هذه الجلدة ولهذا نجد كثيرًا من غير المسلمين - أهل الكتاب - الآن يختتنون لا أجل الطهارة والنظافة؛ إنما من أجل التلذذ عند الجماع وعدم المشقة)[٤].

وقال الدكتور زغلول النجار: (ويقصد بالختان قطع الزائد من أعضاء التزاوج مثل الجلدة التي تغطي الحشفة في الذكر، والبروز الزائد من البظر في الأنثى، حتى يتمكن كل منهما من الاستبراء من البول.

وقد أوصى رسول الله ﷺ بالختان في هذا الحديث الشريف، وفي غيره من مثل قوله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: ((الخِتَانُ سُنَّةٌ للرجالِ، مَكْرُمَةٌ لِلنِّسَاءِ))[٥].

والختان بذلك من سنن المسلمين التي يرى وجوبها جمهور العلماء ويرى الشافعية استحبابها في اليوم السابع من عمر الوليد، خاصة وقد عق رسول الله ﷺ عن الحسن

---

(١) الإيمان والحياة ٣٨، ٣٩.

(٢) الحشفة: ما يكشف عنه الختان في عضو التذكير، الوسيط ١٧٦.

(٣) نيل الأوطار، ص ٨٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٧٦.

(٥) أخرجه أحمد ٥/٧٥، رقم ٢٠٧١٩ من حديث أسامة الهذلي، وقال محققوالمسند: إسناده ضعيف ٣٤/٣١٩.

والحسين وختنهما لسبعة أيام كما رواه البيهقي[1]. وقد ثبتت جدوى الختان الطبية بعد دراسات مستفيضة أوضحت أن عدم الاختتان في الذكور قد يؤدي إلى العديد من الأمراض التناسلية كالزهري والسيلان وإلى "سرطان الحشفة" وهو من أشد أنواع السرطانات إيلامًا.

وينتج أغلب هذه الأمراض عن تجمع القاذورات والبكتريا والجراثيم والفطريات بين الحشفة والجلدة التي تغطيها "والتي تعرف باسم القلفة" والتي أمرنا المصطفى ﷺ بإزالتها بعملية الختان في مراحل الطفولة الأولى، وذلك لأن بقاء القلفة محيطة بالحشفة يكون مستقعًا للقاذورات والنجاسات من العرق ومن إفرازات الغدد الدهنية وبقايا البول التي يصعب التطهر منها والتي تشكل مرتعًا خصبًا لمسببات الأمراض على اختلاف أنواعها وأشكالها، فضلاً عن الروائح الكريهة التي يمكن أن تنبعث منها.

وتنتقل مسببات الأمراض تلك من كل من القلفة والحشفة إلى الإحليل ومنه إلى المثانة ثم إلى الكليتين، أو تتابع طريقها من الموثة "المعروفة باسم البروستات" إلى كل من الخصيتين والبربخ فتدمرهما تدميرًا كاملاً مما قد يؤدي إلى العقم، فضلاً عما تسببه من أمراض وآلام مبرحة. وإذا تزوج هذا المصاب فإن من المحتمل أن تنتقل أمراضه بسهولة شديدة إلى زوجته مما يسبب لها التهابات في كل من المهبل وعنق الرحم، وغدة برتولين بمرض يعرف باسم التهاب غدة برتولين "Bartolinitis"، وقد يصل ذلك إلى الرحم مما قد يصيبه بالسرطان، وقد يؤدي بالمرأة إلى العقم الكامل فضلاً عن آلام هذه الالتهابات المزمنة والحادة وتقيحاتها في أكثر أجزاء الجسد حساسية.

أما ختان الأنثى ويسمى في الشرع "الخفض" فهو انصياع لأمر المصطفى ﷺ، لأن هذا الجزء من جسمها هو أكثر الأجزاء حساسية وإذا كان بارزًا بروزًا واضحًا فقد يؤدي إلى إثارتها جنسيًا بشكل مرهق خاصة قبل الزواج، كما قد يكون مدعاة لنفور واشمئزاز الزوج بعد الزواج لصعوبة إتمام عملية التزاوج.

---

(١) من حديث جابر كما في التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني ٨٣/٤.

أما إذا لم يكن هذا الجزء بارزًا بروزًا واضحًا فقد لا يكون هناك مبرر للختان والله تعالى أعلم، ولذلك كان الختان سنة للرجال، ومكرمة للنساء كما جاء في حديث رسول الله ﷺ وقد أوصى ﷺ بذلك إحدى السيدات المسلمات وكان اسمها "أم عطية"، وكانت ختانة للإناث بالمدينة المنورة حيث قال لها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: ((إِذَا خَفَضْتِ فَأَشِمي وَلاَ تَنْهَكِي فَإِنَّهُ أَسْرَى لِلْوَجْهِ وَأَحْظَى عِنْدَ الزَّوْجِ))[1])[2].

٢ - حلق العانة: وهو الاستحداد قال ابن عثيمين: "والعانة هي الشعر الذي ينبت حول القبل، وهو من علامات البلوغ. فمن الفطرة أن يحلق الإنسان هذا الشعر؛ لأنه إذا طال فربما يحصل في ذلك وسخ وقذر، ولأنه مضرّ وإن كان بعض الناس مثل البهائم يبقي العانة ويجعلها تزداد وتطول، نسأل الله السلامة[3].

وجاء في الموسوعة الفقهية "حلق شعر العانة متفق على سنيته، وفي وجوبه على الزوجة إذا أمرها الزوج بالحلق عند الشافعية قولان: أصحهما الوجوب، هذا إذا لم يفحش بحيث ينفر الزوج ويؤثر على الرغبة في المخالطة ويقلل التوقان، أما إذا نفر الزوج فيجب عليها الحلق قطعًا.

وعلى المرء أن يحلق عانته بنفسه ويحرم إسناد القيام به إلى غيره، لأنه إظهار للعورة الغليظة وهو لا يجوز، ولكن يجوز أن تتولى الحلق زوجته التي يباح لها النظر إلى عورته مع الكراهة)[4].

وقال د. زغلول النجار: (الاستحداد: هو حلق شعر العانة، وقد أمر به رسول الله ﷺ واعتبره من أمور الفطرة، وتحدد الأحاديث النبوية الشريفة حدًا أقصى لا يجوز للمؤمن

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٢٥/٣، وهو حديث ضعيف. انظر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني ٨٣/٤.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ١٢٨/٢ - ١٣١.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٣٧٦/٢ بتصرف.

(٤) الموسوعة الفقهية ١٨٦/٣٢ - ١٨٧ وانظر المجموع شرح المهذب ١٦٠/١.

أن يتعداه دون استحداد وهو أربعون يومًا[١]، وذلك لأن هذا الموضع من جسم الإنسان "ذكرًا كان أم أنثى" هو من أكثر أجزاء الجسم عرضة للتلوث بمختلف الأوساخ لقربها من السبيلين وكثيرًا ما يهملها الناس ويتناسونها لأنها من العورات التي تبقى مستورة مخبأة، وفوق ذلك هي منطقة كثيرة الإفرازات الدهنية، وغزيرة العرق مما يجعلها مرتعًا لعديد من مسببات الأمراض من الفطريات والفيروسات والجراثيم التي قد تؤدي إلى التهابها ونتنها وتصاعد الروائح الكريهة منها، وإلى إصابتها بالعديد من الالتهابات والأمراض الجلدية، وأمراض الجهازين البولي والتناسلي مما قد يتعدى الأفراد إلى أزواجهم وأسرهم ومجتمعاتهم عن طريق الاستخدامات المشتركة من مثل حمامات السباحة، والمناشف وغيرها.

وتراكم الأوساخ ومسببات الأمراض فوق العانة وحولها يستمر في الانتشار حتى يصل إلى الإحليل[٢] فيصيبه بالالتهاب الذي قد يواصل انتشاره حتى يصل إلى المثانة ثم الحالبين، ومنهما إلى الكليتين ويؤدي إلى تدميرهما وفشلهما في القيام بدورهما مما ينتج عنه التسمم البولي[٣].

٣ - تقليم الأظفار: وفي الرواية الأخرى: قص الأظفار وهو (سنة إجماعًا سواء فيه الرجل والمرأة وسواء فيه اليدان والرجلان، ويستحب أن يبدأ باليد اليمنى ثم اليسرى ثم الرجل اليمنى ثم اليسرى. أما التوقيت في التقليم فالاعتبار بالطول، فمتى طالت الأظفار يتم تقليمها ويختلف باختلاف الأشخاص والأحوال كما هو الضابط في قص الشارب ونتف الإبط وحلق العانة)[٤].

وقال ابن عثيمين: (ولا ينبغي أن نقص حتى يصل إلى اللحم، لأن هذا يضر الإنسان،

---

(١) هو حديث أخرجه مسلم ٢٥٨ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "وقت لنا في قصّ الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط وحلق العانة أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة"

(٢) الإحليل: مخرج البول. معجم لغة الفقهاء ٢٦.

(٣) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ٢/١٣١ - ١٣٢.

(٤) الموسوعة الفقهية ٣٢/١٨٦ وهو منقول بنحوه من المجموع شرح المهذب للنووي ١/١٥٨.

وربما يحصل فيه خراج أو ما أشبه ذلك، لكن نقصهما قصًا معتدلاً)[١].

هذا بالإضافة إلى إمكانية تقصف الأظافر عند إطالتها، أو إصابتها بالرضوض نتيجة اصطدامها مما قد يؤدي إلى خلخلتها الجزئية أو الكاملة، أو إلى تورمها مما يؤدي إلى إنتانها ونزيفها وتضخمها، أو لانتشار الفطريات فيها. ويظهر ذلك في الإناث اللائي انبهرت بتقليد الغربيات فتسابقن في إطالة أظفار اليدين والرجلين، وفي صبغهما بالعديد من المركبات الكيميائية المدمر للاظافر مثل الطلاء، واستخدام المصلدات، أو زرع الأظافر الصناعية وتثبيتها بمختلف المواد الكيميائية مما قد يؤدي في النهاية إلى هشاشة الأظافر وتقصفها أو تشققها أو التهابها ونزيفها وتخلخلها خاصة مع تكرار الطلاء وإزالته بالمذيبات العضوية، فضلاً عما تسببه تلك الطلاءات من إفساد للوضوء والغسل والطهارة، واستنشاق للعديد من المواد الكيميائية الضارة بالصحة العامة خاصة بالجهاز التنفسي والعينين.

ومن هناك كانت وصية رسول الله ﷺ أن تقليم الأظافر من الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، وأمر أنبياءه ورسله بها، ووصاهم بتوجيه الناس إليها.

وانطلاقًا من ذلك حرصت تعليمات رسول الله ﷺ على أن يكون تقليم الأظافر عملاً دوريًا مستمرًا على فترات متقاربة، مرة كل أسبوع[٢] استكمالاً للطهارة والنظافة، واسترواحًا للنفس، وقد رخص في ذلك بمدة أقصاها أربعون يومًا، ولا عذر لتركه بعد ذلك لحديث أنس[٣] رضي الله عنه الذي قال فيه: ((رَخَّصَ لَنا النبي ﷺ فِي قَصِّ

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٣٧٥/٢.

(٢) هذا القول فيه نظر، ولا أدري من أين جاء الدكتور زغلول النجار بهذا التحديد، والذي أعلمه أنه ورد النص بأكثر المدة لا أقلها، كما سيذكره من حديث أنس رضي الله عنه. قال النووي: معناه: لا يترك تركًا يتجاوز به أربعين، لا أنه وقت لهم الترك أربعين. والمختار أنه يضبط بالحاجة والطول فإذا طال حلَق. شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٩/٣/٢. لكن الشوكاني تعقبه فقال: بل المختار أنه يضبط بالأربعين التي ضبط بها رسول الله ﷺ فلا يجوز تجاوزها، ولا يعد مخالفًا للسنة من ترك القص ونحوه بعد الطول إلى انتهاء تلك الغاية. نيل الأوطار ٨٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٨ بنحوه.

الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الإِبْطِ، وَحَلْقِ العَانَةِ أَنْ لاَ يُتْرَكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً))[١].

٤ - نتف الإبط: أي نتف شعر الإبط، متفق على سنيته، والتوقيت فيه يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، والسنة نتفه، فلو حلقه جاز، قال الغزالي: المستحب نتفه وذلك سهل على من تعوده، فإن حلقه جاز، لأن المقصود النظافة وعدم اجتماع الوساخة فيه، إذ يحصل بسببه رائحة كريهة[٢].

وقال ابن قدامة: النتف سنة، لأنه من الفطرة، ويفحش تركه ويجوز إزالته بالحلق والنورة[٣] غير أن نتفه أفضل لموافقته الخبر[٤]. وأفضلية النتف هي ما صرح به الحنفية أيضًا)[٥].

قال د. زغلول النجار: (إن منطقة الإبط -مثل منطقة العانة - يكثر فيها العرق كما تكثر الإفرازات الدهنية، فأنبت الله تعالى فيها الشعر كما أنبته فوق العانة ليضطر كل إنسان قريب للفطرة من حلقه على فترات متقاربة، وبصورة دورية حتى لا يصبح مبعثًا للروائح الكريهة، ومرتعًا للفطريات والفيروسات والجراثيم وهي من المسببات الرئيسية للأمراض، وصاحب الشأن لاهٍ لأنه من المناطق المخفية في جسمه ويجزئ في شعر الإبط النتف، والحلق، والقص)[٦].

٥ - قص الشارب: قال النووي: (وأما قص الشارب فمتفق على أنه سنةٌ، ودليله الحديثان السابقان [أي حديثا الباب] وحديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ، فَلَيْسَ مِنَّا))[٧] ... والتوقيت في قص الشارب كما سبق في

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ١٣٣ - ١٣٥.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١/٢٥٠، وانظر المجموع ١/١٥٩.

(٣) حجر كلسي يطحن ويخلط بالماء ويطلى به الشعر فيسقط، معجم لغة الفقهاء ص ٤٦٠.

(٤) المغني ١/١١٨.

(٥) الموسوعة الفقهية ٣٢/١٨٦.

(٦) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ٢/١٣٢.

(٧) أخرجه الترمذي ٢٧٦١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢١٧).

تقليم الأظفار وهو مخير بين أن يقص شاربه بنفسه أو يقصه له غيره؛ لأن المقصود يحصل من غير هتك مروءة)[١].

وقال د. زغلول النجار: (إن طول الشارب وهو في أسفل الأنف، وفوق الفم يعرضه لمفروزاتهما من اللعاب والنخام مما قد يلوثه بتلك الإفرازات وببقايا الطعام والشراب، ويصعب تنظيفه وتنظيفهما مما يجعله ويجعلهما مرتعًا للأوساخ والفطريات والجراثيم ومنبعًا للروائح الكريهة التي تؤذي صاحب الشارب نفسه وتسبب له الأمراض، كما تؤذي كل من يقترب منه لتعرضه للروائح الكريهة ولسيل من مسببات الأمراض كلما تثاءب صاحب الشارب الطويل أو عطس، أو حتى فتح فمه بكلام ما. ومن هنا كان من وصايا رسول الله ﷺ قص الشارب أو إحفاؤه، استكمالاً للنظافة والطهارة، واسترواحًا للنفس، فإن قذارة الجسم تولد ضيقًا وكآبة)[٢].

٦ - إعفاء اللحية: وفي حديث ابن عمر "وأعفوا اللحى" قال الشوكاني: (قد حصل من مجموع الأحاديث خمس روايات: أعفوا وأوفوا وأرخوا وأرْجوا ووفروا ومعناها: كلها تركها على حالها)[٣].

وقال ابن عثيمين: (وإعفاء اللحية يعني إرخاءها وإطلاقها وتركها على ما هي عليه. هذا من الفطرة التي فطر الله الناس عليها)[٤].

٧ - السواك: وقد قال رسول الله ﷺ: ((السِّواكُ مطهرَةٌ للفمِ مرضاةٌ للرَّبِّ))[٥] قال الشوكاني (والحديث يدل على مشروعية السواك لأنه سبب لتطهير الفم وموجب لرضا الله على فاعله وقد أطلق فيه السواك ولم يخصّه بوقت معين ولا بحالة مخصوصة فأشعر بمطلق شرعيته وهو من السنن المؤكدة وليس بواجب في حال من الأحوال)[٦].

---

(١) المجموع شرح المهذب ١٥٨/١ - ١٥٩.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ١٣٥/٢ - ١٣٦.

(٣) نيل الأوطار ص ٨٧، وقد نقله عن النووي في شرح صحيح مسلم، النووي ١٥١/٣/٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٣٧٧/٢.

(٥) أخرجه النسائي ٥، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٥).

(٦) نيل الأوطار ص ٧٨.

٨ - غسل البراجم: (والبراجم هي رؤوس السلاميات في ظهر الكف، وغسل البراجم متفق على استحبابه، وهو سنة مستقلة غير مخصصة بالوضوء، وألحق الغزالي بها إزالة ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن وقعر الصماخ فيزيله بالمسح[1]، وقال الغزالي[2]: (كانت العرب لا تغسل اليد عقب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فأمر بغسلها)[3]، وقال النووي: (قال العلماء ويلحق بالبراجم ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن وهو الصماخ فيزيله بالمسح، لأنه ربما أضرَّت كثرته بالسمع، وكذلك ما يجتمع في داخل الأنف، وكذلك جميع الوسخ المجتمع على أي موضع كان من البدن بالعرق والغبار ونحوهما)[4].

٩ - انتضاح الماء: قال ابن حجر: (وأما الانتضاح فقال أبو عبيد الهروي: هو أن يأخذ قليلاً من الماء فينضح به مذاكيره بعد الوضوء لينفي عنه الوسواس. وقال الخطابي: انتضاح الماء الاستنجاء به. وأصله من النضح وهو الماء القليل، فعلى هذا هو والاستنجاء خصلة واحدة، وعلى الأول فهو غيره، ويشهد له ما أخرجه أصحاب السنن من رواية الحكم بن سفيان الثقفي أو سفيان بن الحكم عن أبيه أنه رأى رسول الله ﷺ توضأ ثم أخذ حفنة من ماء فانتضح بها[5]، وأخرج البيهقي[6] من طريق سعيد بن جبير أن رجلاً أتى ابن عباس فقال إني أجد بللاً إذا قمت أصلي، فقال له ابن عباس: انضح بماء، فإذا وجدت من ذلك شيئًا فقل هو منه)[7].

وقال النووي: (قال الجمهور: الانتضاح نضح الفرج بماء قليل، لينفي عنه الوسواس،

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب ١٥٩/١.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٢٤٥/١.

(٣) الموسوعة الفقهية ١٨٥/٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ١٥٠/٣/٢.

(٥) أخرجه أحمد ١٥٣٨٤/٢٤، وأبو داود ١٦٧، والنسائي ١٣٤، وابن ماجه ٤٦١، وغيرهم وقال محققو المسند: حديث ضعيف لاضطرابه.

(٦) السنن الكبرى للبيهقي ١٦٢/١.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٨/١٠.

وقيل: هو الاستنجاء بالماء)[1].

١٠ - المضمضة والاستنشاق: قال الشيخ ابن عثيمين: (الاستنشاق من الفطرة لأنه تنظيف وإزالة لما في الأنف فهو طهارة، والاستنشاق يكون في الوضوء ويكون في غير الوضوء، كلما احتجت إلى تنظيف الأنف فاستنشق الماء ونظف أنفك، وهذا يختلف باختلاف الناس، من الناس من لا يحتاج إلى هذا إلا في الوضوء، ومن الناس من يحتاج إليه كثيرًا، ومن ذلك أيضًا أن من سنن الفطرة المضمضة، فإنها من الفطرة، لأن فيها تنظيف الفم، والفم يحتاج إلى تنظيف لأنه يمر به الأكل والدهن وما أشبه ذلك، فيحتاج إلى تنظيف فكانت المضمضة من خصال الفطرة)[2].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: نشر النظافة وحسن الهيئة في المجتمع:

هذا واضح من الأحاديث الثلاثة وقال ابن تيمية: (وهذه الخصال عامتها إنما هي للنظافة من الدرن، فإن الشارب إذا طال يعلق به الوسخ من الطعام والشراب، وغير ذلك، وكذلك الفم إذا تغير ينظفه السواك، والمضمضة والاستنشاق ينظفان الفم والأنف وقصّ الأظفار ينظفها مما يجتمع تحتها من الوسخ، وبهذا روي: "يدخل أحدكم علي ورَفَغُه تحت أظفاره"[3] يعني الوسخ الذي يحكه بأظفاره من أرفاغه[4]. وغسل البراجم وهي عقد الأصابع، فإن الوسخ يجتمع عليها ما لا يجتمع بين العقد، وكذلك الإبط فإنه يخرج من الشعر عرق الإبط وكذلك العانة إذا طالت، وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك، قال: ((وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ ،وَتَقْلِيمِ الأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الإِبطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، أَنْ لاَ نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا))[5] فهذا غاية ما يترك الشعر والظفر المأمور بإزالته.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٥٠/٣/٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٣٧٧/٢.

(٣) قال الهيثمي في المجمع ١٧١/٥: رواه الطبراني والبزار باختصار عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، ورجال البزار ثقات، وكذلك رجال الطبراني.

(٤) الرفغ - بالضم والفتح - واحد الأرفاغ: وهو أصول المغابن كالآباط والحوالب وغيرها من مطاوي الأعضاء وما يجتمع فيه من الوسخ والعرق. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ف غ).

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٨.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ((حَقٌّ لِلّهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ))[1]، وهذا في أحد قولي العلماء، هو غسل راتب مسنون للنظافة في كل أسبوع وإن لم يشهد الجمعة، بحيث يفعله من لا جمعة عليه.

وأما الأحاديث في الغسل يوم الجمعة فمتعددة وذاك يعلل باجتماع الناس بدخول المسجد وشهود الملائكة ومع العبد ملائكة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((إِنَّ الْمَلائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ))[2])[3].

وقال الدكتور زغلول النجار: (إن رسول الله ﷺ قد وضع أسس الطهارة البدنية الكاملة، فلم يترك مكانًا في الجسد إلا أمر بنظافته وتطهيره؛ خاصة تلك الأماكن التي يمكن أن تكون مجمعًا للأوساخ والقاذورات، أو للجراثيم والفطريات أو لغيرهما من مسببات الأمراض أو بواعث الروائح الكريهة، فإذا أضفنا إلى تلك السلوكيات الوضوء في اليوم والليلة خمس مرات، والغسل من الجنابات اتضح معنى الطهارة التي يرتضيها ربنا تبارك وتعالى من عباده الصالحين، واتضح سبق المصطفى ﷺ لكل المعارف الطبية والوقائية الحديثة في الإشارة إلى تلك الضوابط الصحية والوقائية الخمس بمئات السنين)[4].

وقال ابن حجر: (يتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع، منها تحسين الهيئة وتنظيف البدن جملة وتفصيلاً، والاحتياط للطهارتين والإحسان إلى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة. ومخالفة شعار الكفار من المجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان، وامتثال أمر الشارع، والمحافظة على ما أشار

---

(١) أخرجه البخاري ٨٩٧، ومسلم ٨٤٩.

(٢) أخرجه مسلم ٥٦٤.

(٣) مجموع الفتاوى ١١/١٧٥ - ١٧٦، ، و٢١/٣٠٧ - ٣٠٨.

(٤) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ٢/١٣٦.

إليه قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[1]، لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة ذلك، وكأنه قيل: قد حسّنت صوركم فلا تشوهوها بما يقبحها أو حافظوا على ما يستمر به حسنها، وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة وعلى التآلف المطلوب. لأن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيقبل قوله ويحمد رأيه والعكس بالعكس)[2].

(١) سورة التغابن، الآية: ٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٠/٣٣٩.

الحديث رقم (١٢٠٦)

١٢٠٦- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ : ((عَشْرٌ مِنَ الفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ المَاءِ، وَقَصُّ الأظْفَارِ، وَغَسْلُ البَرَاجِمِ، وَنَتف الإبْطِ، وَحَلْقُ العَانَةِ، وَانْتِقَاصُ المَاءِ)) قَالَ الرَّاوِي: وَنَسِيْتُ العَاشِرَةَ إلاَّ أنْ تَكُونَ المَضمَضَةُ. قَالَ وَكِيعٌ -وَهُوَ أحَدُ رُوَاتِهِ- انْتِقَاصُ المَاءِ: يَعْنِي الاسْتِنْجَاءِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

إعفاء اللحية: تركها لا يُقَصُّ منها شيء[2].

البراجم: جمع بُرجُمة[3].

العانة: الشعر النابت أسفل البطن حول الفرج[4].

انتقاص الماء: انتقاص البول بسبب استعمال الماء في غسل مذاكيره[5].

الشرح الأدبي

إن الرسول الكريم يخبر عن أشياء مركوزة في الفطرة البشرية فيقول : " عشر من الفطرة " وفى هذا التعبير إيجاز بالحذف تقديره " عشر خصال. . أو عشرة أشياء من الفطرة " " ومن " للتبعيض أى: أن هذه الأشياء العشرة من الفطرة التي فطر الناس عليها؛ لأن هناك أشياء كثيرة أخرى من الفطرة مثل حسن الظن، وحب الدين، وحب الحياة، والأمل. .. الخ –، وقوله(عَشْرٌ مِنَ الفِطْرَةِ) من أنواع الإطناب بالإجمال ثم التفصيل الذي

---

(١) برقم (٢٦١/٥٦).

(٢) رياض الصالحين ٤٣٤.

(٣) رياض الصالحين ٤٣٤، وشرح صحيح مسلم، النووي ٢٧١.

(٤) معجم لغة الفقهاء ٢٧٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ق ص).

يحقق التشوق الذي يضمن إنصات المخاطب، ويقظته، وفيه توكيد بذكر المعنى مرتين إجمالا، وتفصيلا، وبدأ التفصيل " بقص الشارب، وإعفاء اللحية " لأنهما يتصلان بظاهر الإنسان، ويجعلان للمسلم سمة خاصة تطبعه بسمت الوقار، والهيبة التي تميز دينه، مع حسن حسن سمته، وكذلك " قص الأظافر " – " وغسيل البراجم " ثم انتقل إلى الاعتناء بالباطن كالتسوك، واستنشاق الماء، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاض الماء (الاستنجاء) والمضمضة " وهذه الأمور الفطرية أكبر دليل على أن الإسلام بعيد عن الرهبنة، والانعزال، والتقوقع، وأنه يحث اتباعية على سلوك كل سبيل يؤدى إلى الجمال، والتجمل في الظاهر، والباطن وفي الحديث تناسب بين الألفاظ، والمعاني، كما أن فيه مراعاة نظير، وهي الجمع بين شيء، وما يناسبه لأن جميع هذه الخصال من الفطرة، وتتعلق بحسن المظهر. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها مدمجة في مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٠٧)

١٢٠٧ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((احْفُوا الشَّوَارِبَ وَاعْفُوا اللِّحَى)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

أحفوا الشوارب: قصوا ما طال على الشفتين[2].

أعفوا اللحى: لا تقصُّوا منها شيئًا[3].

الشرح الأدبي

في هذا الحديث أمران وصيغتان للجمع. الأمران هما: "احفوا" و"اعفوا" وصيغتا الجمع هنا: " الشوارب " و " اللحى " وقد أسند الفعلين الطلبيين إلى واو الجماعة لضرورة أن يهتم الجميع بهاتين الناحيتين اللتين تميزان المسلم عن أهل الكتاب. وبين الفعلين (احفوا – واعفوا) جناس ناقص وسجع غير متكلف وهذا يدل على حسن اختيار المصطفى ﷺ للكلمات المتناسقة المعبرة، والأمر – في الفعلين السابقين – يجب تنفيذه، ولأنة من الأعلى إلى الأدنى، ويريد النبي الكريم من ورائهما توجيه الأمة لما فيه إصلاحها الظاهري، والباطني، وتميُّزها عما سواها من سائر الأمم، والتزام هذا التوجيه النبوي يفرد المسلم بمظهر الوقار، والهيبة، ويميزه عن غيره من أهل الفساد، والكفر من غير المسلمين كما ميَّزه في الباطن بمنهج رباني، ودين خاتم لكل الديانات، فكأنه جعل له هذا المظهر المميز كدعوة لدينه ينبه غير المسلمين ممن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٩٣)، ومسلم (٢٥٩/٥٢) واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٦٩.

(٣) رياض الصالحين ٤٣٤.

يرونهم أن هناك دينا يجب أن يتبع يعلم البشرية معالم الجلال، والجمال، والكمال في الظاهر بإتباع هذا التوجيه النبوي، وفي الباطن بإتباع المنهج الرباني، وهو ما أدى إلى انتشار الإسلام في كثير من بقاع العالم التي لم يصلها المسلمون بجيوشهم، وإنما وصلوا إليها بالمنهج المتكامل في الظاهر، والباطن. والله أعلم.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم قص الشارب، وإعفاء اللحى، وقد سبق الكلام عنهما في الحديث (١٢٠٤).

المضامين الدعوية[١]

(١) تقدم ذكرها مدمجة في مضامين الحديث ١٢٠٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من صفات المربي: الشفقة على المربين:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: "لولا أن أشق على أمتي -أو على الناس- لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة" وقوله ﷺ "أكثرت عليكم في السواك" فإن النبي ﷺ دفعته شفقته على أمته إلى عدم إيجاب السواك مع كل صلاة، مع أن في ذلك الخير لهم، كما دفعته شفقته ﷺ إلى أن يقول لأصحابه "أكثرت عليكم في السواك" مع أنه ﷺ ما أمرهم إلا بأمر فيه مصلحتهم وخيرهم ونفعهم، فدلهم على كل خير، وأرشدهم إلى كل نفع، لكن شفقته ﷺ تجعله يرغب في الأمر ويحث عليه لكن لا يجعله واجبًا أو فرضًا، وفي ذلك توجيه نبوي كريم إلى المربين أن يكونوا شفقاء على من يربونهم رُؤفاء عليهم، وهذه من الصفات الرئيسة للمربين إن أرادوا لأنفسهم نجاحًا ولعملهم فلاحًا ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

ولعل من فوائد الشفقة من المربي على أتباعه من الناحية التربوية ما يلي:

١ - عدم إرهاق الناشئة وغيرهم بما قد يشق عليهم ولا يستطيعون تحقيقه ولا إنجازه ولا تفعيله في أرض الواقع.

٢ - التدرج بالناشئة من مرحلة إلى مرحلة فلا يكلفهم بما لا يناسب قدراتهم ومستطاعتهم المرحلية، فمما لا شك فيه أن مرحلة الصبا يناسبها ما لا يناسب مرحلة الرجولة والشباب وهكذا.

٣ - جعل العلاقة بين المربي وأتباعه علاقة مودة ورحمة وتفاهم لا علاقة أوامر ونواهٍ جافة فاقدة لقيمتها قبل خروجها من المربي، بل إن الشفقة تبعث فيما يربي

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

المربي أتباعه عليه، تبعث فيه الروح والفاعلية والتفاعل.

٤- العمل على سرعة استجابة الناشئة وغيرهم لما يرشدهم إليه المربي، "فإن المربي ينظر إليهم نظر الطبيب إلى مرضاه، يرحمهم ويشفق عليهم لعلمه بدائهم وخطورته، ويتلطف في علاجهم، وإن رأى منهم عزوفًا عن الدواء لصعوبته أو مرارته هاله الأمر واحتال لكل الطرق لتوصيل الدواء، وإقناعهم بضرورة تناوله، ولا يمكن أن يتركهم وشأنهم بحجة أنهم المفرطون)[1]".

ثانيًا: التربية على معاونة المربي في مهامه:

هذا مستمد من قول عائشة رضي الله عنها: كنا نعد لرسول الله ﷺ سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوك ويتوضأ ويصلّي.

فقد عاونت زوج النبي ﷺ عائشةُ، زوجَها نبيَّ الله ﷺ -وهو المربي الأول- في تجهيز ما ييسر له لأن يقوم ﷺ الليل، وهو ﷺ لم يطلب منها ذلك كما هو ظاهر الحديث، بل قامت بذلك من تلقاء نفسها رضي الله عنها. وفي ذلك إرشاد للناشئة وغيرهم إلى أن يعاونوا مربيهم ومعلميهم في أداء مهمتهم، ويساعدوهم على تحقيق أهدافهم التربوية السامية، وقد تأخذ هذه المعاونة عدة صور وأشكال حسب القدرة والطاقة، من ذلك:

أ- معاونة المربي على إتمام وإنجاز شؤونه الخاصة، كالمساعدة في تجهيز الطعام والشراب ونحو ذلك، من الثياب والسكن حسب مقتضيات الأحوال والظروف، وفي ذلك تخفيف للعبء عن كاهل المربي، وتوفير عليه وقته الثمين لينفقه في مهامه التربوية الجليلة. ومن هذا القبيل قول أنس بن مالك رضي الله عنه: ((خَدمتُ النبيَّ ﷺ عشر سنينَ، فما قال لي أُفّ، ولا: لمَ صَنعتَ؟ ولا ألا صنعت))[2].

ب - معاونة المربي على إنجاز بعض مهامه التربوية ومسؤلياته التوجيهية، وهذا لا يستطيع أن يقوم به كل الناشئة بل يقوم به من يصطفيهم المربي ويختارهم ويربيهم

---

(١) مقومات الداعية الناجح، ص ١٠٤ بتصرف.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢٠٣٨، ومسلم ٢٣٠٩.

تربية خاصة، يقول الأستاذ محمد عبدالله الدويش: (إن التربية كما أنها موجهة لكل أفراد الأمة أجمع مهما كان شأنهم والدين خطاب للجميع صغارًا وكبارًا، رجالاً ونساءً، إلا أن الدعوة تحتاج لمن يحملها وأن يقوم بأعبائها، إنها تحتاج لفئة خاصة تُختار بعناية وتُربّي برعاية، لذا كان هذا الأمر بارزًا في سيرة النبي ﷺ وتربيته لأصحابه، فثمة مواقف عدة في السيرة يتكرر فيها ذكر كبار أصحاب النبي ﷺ وعلى رأسهم: أبوبكر وعمر، مما يوحي أن هؤلاء كانوا يتلقون إعدادًا وتربية أخص من غيرهم)[1].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((إنّي لواقفٌ في قومٍ، فدعَوُا الله لعمر بن الخطاب، وقد وُضِعَ على سريره، إذا رجلٌ مِنْ خلْفِي قد وضع مِرْفقه على منكبي يقول: رحمك الله، إنْ كنتُ لأرجو أنْ يجْعلك الله مع صاحبيك، لأني كثيرًا ممَّا كنتُ أسمع رسول الله ﷺ يقول: كنتُ وأبو بكر وعمرُ، وفعلتُ وأبو بكر وعمر، وانطلقتُ وأبو بكر وعمر، فإن كنتُ لأرجو أن يجعلك الله معهما، فالتفتُّ، فإذا هو عليُّ ابن أبي طالب))[2].

ج - العمل على استمرار أفكاره ومبادئه والعمل على نشرها وإذاعتها بين الناس، وهذا ما وقع من "سلف هذه الأمة وخلفها، فقد كان فيها رجال عظماء وعلماء كبراء حرصوا على أن يكون لهم تلاميذ يقتفون أثرهم من بعدهم، وينسجون على منوالهم فعلموهم ودربوهم، وهذا مأثور معروف، فقد كان لأبي حنيفة رحمه الله تعالى أصحاب يتعلمون منه ويتدربون. وكذلك كان للإمام مالك والشافعي وأحمد، وكثير غيرهم من أئمة الهدى ورؤوس الرشاد، وعلى هذا درج السلف والخلف وظهر ما يسمى بالمعيد، وهو الذي تدرب على إعادة الدرس بعد الشيخ للطلبة، وبرزت المدارس الفقهية: الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، وهي على الحقيقة حلقات علم وتدريب على أصول المذاهب وكيفية الاستنباط بموجب تلك الأصول، وكان المشايخ

---

(١) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان، العدد ١٢٥، ص ٣٤ - ٣٥.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٣٦٧٧، ومسلم ٢٣٨٩.

يدربون طلابهم على الاستنباط والتصنيف، وكانوا يشجعونهم على مناقشة الآراء الفقهية بجرأة وقوة، حتى تتكون عند أولئك الطلاب الملكات الفقهية المهمة)[1].

ثالثًا: التربية على المسارعة إلى مرضاة الله:

وهذا مستمد من عدة أحاديث في الباب، أولها قوله ﷺ: "السواك مطهرة للفم مرضاة للرب" فقد وصف النبي ﷺ أن التسوك سبيل لرضا المولى عز وجل، وهذه غاية يسعى إلى أن ينالها كل مسلم، لذا ضرب النبي ﷺ القدوة في ذلك وهذا ما نقله أصحابه الكرام رضي الله عنهم:

أ - فهذا حذيفة رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ إذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك.

ب - وهذه عائشة رضي الله عنها تخبر أن النبي ﷺ كان يتسوك إذا قام من النوم لقيام الليل، كما تخبر رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يبدأ بالسواك إذا دخل بيته.

ج - وهذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يخبر أنه دخل على النبي ﷺ وطرف السواك على لسانه.

فهؤلاء ثلاثة من الصحابة رضي الله عنهم نقلوا حرص النبي ﷺ على التسوك، الذي هو طريق من الطرق الموصلة إلى رضا الله تعالى، فيمكن أن يستأنس بهذه الأحاديث على أنه على المربي أن يسارع إلى العمل الذي يوصل إلى رضا الله عز وجل، ولا يقتصر على هذا فحسب، بل يحاول أيضًا أن يغرس هذا في نفوس أتباعه بكل طريق ممكن وبكل سبيل مستطاع، سواء عن طريق الفعل أو القول وغير ذلك، ولاشك أن هناك فوائد تربوية جمة للتربية على المسارعة إلى مرضاة الله تعالى منها:

١ - تعويد الناشئة على صدق الإيمان، فمن علامة صدق الإيمان المسارعة إلى الخيرات وأهم هذه الخيرات فعل ما يوصل إلى رضا الله عز وجل، ولا يكون هذا إلا باجتناب ما نهى الله عنه وإتيان ما أمر به، ولا يقف الأمر عند هذا، بل يتعدى إلى

---

(١) التدريب وأهميته في العمل الإسلامي، د. محمد موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، جدة، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ص ٩٥.

المسارعة والمبادرة في ذلك.

٢ - تحسين خلق الناشئة وإكسابهم الأخلاق الفاضلة، فمن كان مقصوده رضا الله، حسن أخلاقه مع الخلق والناس فعفا عن مسيئهم وتجاوز عن مخطئهم وكافأ محسنهم وشكر خيّرهم، لأن ذلك يحبه الله تعالى ويرضى عن صاحبه.

٣ - الثبات على المبادئ والقيم الفاضلة، ما دامت الغاية رضا الله لا رضا الناس، ولا يكون هذا إلا بالثبات على ما يوصل إلى رضا الله عز وجل، فلا يفعل ما يغضب الله ويرضي الناس، بل يكون همه الأول فعل ما يرضي الله سواء سخط الناس أم رضوا.

ثانيًا: من خصائص التربية الإسلامية: مخاطبة الفطرة:

وهذا مستمد من حديث "الفطرة خمس أو خمس من الفطرة" وحديث "عشر من الفطرة..." فقد بيّن النبي ﷺ أن هذه الخصال من الفطرة، ودعا إلى إتيانها لكونها من الفطرة، فذلك أدعى إلى الامتثال والفعل، وفي ذلك توجيه للمربين أن يخاطبوا الفطرة في الناشئة الذين يربونهم، لأن التربية الإسلامية تربية الفطرة.

"فليست غريبة عن الفطرة ولا مناقضة لها، بل هي منطبقة عليها انطباق المفتاح المحدد على قفله المحكم، وهذا هو صريح القرآن ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] قال القرطبي: وقالت طائفة من أهل الفقه والنظر: الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه، فكأنه قال: كل مولود يولد على خلقةٍ يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة[2]، وصريح الحديث النبوي يدل على ذلك ((كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفِطرةِ [أي الإسلام]، فأبَواهُ يُهوِّدانِهِ أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانِه))[3] فدل على أن الإسلام هو فطرة الله، فلا يحتاج إلى تأثير من الأبوين، أما الأديان الأخرى من يهودية

(١) سورة الروم، آية: ٣٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٦/٤٢٥ .

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري ١٣٥٩، ومسلم ٢٦٥٨.

ونصرانية ومجوسية فهي من تلقين الآباء"[١]. "فقد أودع الله سبحانه وتعالى كل واحد من البشر عند خلقه وولادته فطرة سليمة يمكن أن توجهه إلى طريق الهداية، وتصل به إلى سبيل الرشاد، وذلك إن لم تشبها الشوائب"[٢].

خامسًا: التربية الجمالية:

هذا مستمد من حديث أبي هريرة: "الفطرة خمس أو خمس من الفطرة..." وحديث عائشة رضي الله عنها: "عشر من الفطرة ..." وحديث ابن عمر رضي الله عنهما "أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى"، فهذه تربية جمالية، والإسلام حريص عليها وعلى تحقيقها وتفعيلها في أرض الواقع "والمقصود بالجمال هنا الجمال في الصورة واللباس والهيئة، وهي على ثلاثة أنواع: فمنه ما يحمد، ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم، فالمحمود منه: وهو ما كان لله وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة له، فقد كان النبي ﷺ يتجمل للوفود.

المذموم منه: هو ما كان للدينار والرياسة والفخر والخيلاء والتوسل إلى الشهوات، وأن يكون هذا غاية العبد وأقصى مطالبه، فإن كثيرًا من النفوس ليس لها همة سوى ذلك.

وأما ما لا يحمد ولا يذم؛ هو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوضعين.

والجمال له شخصيته المستقلة في التصور الإسلامي، وهذا لا ينفي لقاءه مع الحق والخير، وبناء على خاصية الشمول ... فإن الحق والخير من الميادين التي للجمال فيها كلمة ورأي، فالخير خير، ولكنه إذا زين بالجمال كان أقرب إلى الكمال، والحق حق ولكنه إذا زين بالجمال كان أدق في تحقيق العدل.

فالأمر بالمعروف خير ولكنه إذا كان بأسلوب مهذب، بعيدًا عن الفظاظة والغلظة، أي كان بالمعروف، كان أقرب إلى تحقيق الجدوى لأنه في هذه الحالة أجمل.

---

(١) انظر: الإيمان والحياة، ص ٤٧ – ٤٨.

(٢) الموسوعة الفقهية ١٨٤/٣٢.

والصدقة على الفقير والمحتاج خير، ولكنها إذا كانت على طريقة علي زين العابدين رحمه الله كانت خيرًا وجمالاً[١].

وفوائد الجمال:

أ- إظهار المسلم بالصورة اللائقة نظيفًا طاهرًا جميلاً.

ب- كل ما في الكون من جمال يتدبره المسلم دليلاً على جمال الخالق سبحانه وتعالى.

ج- وجوب التحلي بالصبر الجميل، والهجر الجميل، والصفح الجميل لأنها من القيم التي ينبغي للمسلم التحلي بها ليزداد جمالاً فوق الجمال الذي وهبه الله إياه، فالمسلم يتجمل في ملبسه ومظهره دون غرور أو كبر، فلباسه ونعله حسن ورائحته طيبة يتطهر ويتوضأ خمس مرات استعدادًا وتجملاً للقاء ربه مستجيبًا لأمر ربه يأخذ الزينة عند كل مسجد، لهذا فالقيم الحضارية في الإسلام تعد المسلم الذي يحمل القيم الجمالية في باطنه وظاهره، ليظهر بالصورة اللائقة به"[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) جاء في حاشية الكتاب، كتاب: القيَم بين الإسلام والغرب: يروى عنه انه كان كثير التصدق والنفقة على الفقراء والمساكين، وأنه كان يكرم السائل، ولا ينهره ، ويقول له: أهلًا بمن يحمل زادنا إلى الآخرة.

(٢) القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع، ص ٤٠ - ٤٢.

٢١٦- باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها وما يتعلق بها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[البقرة: ٤٣]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة: ٥]، وقال تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[التوبة: ١٠٣].

الحديث رقم (١٢٠٨)

١٢٠٨ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((بُنِيَ الإسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإقَامِ الصَّلاةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

أركان الإسلام من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج وسائل تربية، وتقويم للمجتمع تمثل جزءاً من المنهج الإيماني من أعمال المجتمع التي يؤديها المسلم في حياته وبها يبدو في ثوبه القشيب يرتبط بهذا الجزء الذي يؤديه في يومه في الصلاة، وفي ماله بالزكاة، وفي عامه بالصوم، وفي عمره بالحج، يرتبط بذلك بالجزء الأكبر بالكون كله، وبالحياة كلها، ويتكامل ديناً، ودنيا علماً، وعملاً، قولاً، وفعلاً، ويتحول بهذا الامتزاج بين الأجزاء في داخل نفسه، وحسه إلى طاقة تغير الحياة، والأحياء، وإلى ينابيع خير، وحب، وعدل، وإخلاص[٢]. وقول الرسول ﷺ (بني الإسلام) جملة خبرية قصد

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦/٢١) واللفظ له، وتقدم برقم (١٠٧٧)، وسيكرره المؤلف برقم (١٢٧٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٩٢).

(٢) منهج القرآن في تربية المجتمع د/ عبد الفتاح عاشور /صـ١٩٠.

بها بيان أسس الدين التي قام عليها، والتعبير بالبناء على سبيل الاستعارة المكنية التي تصور الإسلام كأنه بناء شامخ قام على خمس دعائم مما يشير إلى أنه حصن، وملاذ، وقد رمز إليه بالبناء وهو من خواص المحسوسات، والإسلام معنوي بدا في هذه الصورة المجسَّمة التي تجعل المعنى أكثر وضوحا مع توسيع الدلالة الإيحائية، وذكر العدد خمس إجمال تلاه تفصيل، وهو ما حقق التوكيد، والتشويق للخبر، وأولها: (شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ،) لأنها بوابة الدخول ولا تقبل فريضة تتجرد عنها في قلب صاحبها، وثانيها: (وَإِقَامِ الصَّلاَةِ) والتعبير بالإقامة عن الأداء يتضمن إتقان كل ما يتعلق بها من أعمال، لأن اللفظ يدل على تعديل المعوج، والإصلاح، والحفظ، وغيرها من معان، والثالث (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) والتعبير بالإيتاء يشير إلى مشقة في الفعل تأتي من طبيعة شح النفوس، وحبها للمال مع تحري المساكين والفقراء والمستحقين لها والرابع: (وَحَجِّ البَيْتِ) و(ال) في البيت للعهد أي البيت الحرام، والخامس (وَصَوْمِ رَمَضَانَ) أي شهر رمضان، وهذه الأركان كيان متكامل يكمل بعضه بعضا في إعداد النفس لإعمار الدنيا والآخرة.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١ - أن الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام التي أطلقت في باقي الأحاديث هي: الصلوات الخمس، وأنها كل يوم وليلة على كل مكلف[1].

٢ - حكم صلاة الليل: اتفق الفقهاء على مشروعية قيام الليل، وهو سنة عند الحنفية والحنابلة، ومندوب عند المالكية، ومستحب عند الشافعية[2].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١/١٦٧، المغني ١/٢٢٥.

(٢) حاشية رد المختار ١/٤٦٠، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢/٣٦٠ - ٣٦١، المجموع ٤/٤٧، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١/٤٣٥.

٣ - حكم وجوب صوم عاشوراء وغيره سوى رمضان: أجمع الفقهاء على أنه لا يجب صوم عاشوراء ولا غيره سوى شهر رمضان [١].

٤ - حكم من شرع في تطوع من صيام أو صلاة أو غيرهما هل يجب عليه إتمامه أم لا؟ ذهب جمهور الفقهاء الحنفية، والمالكية، والحنابلة في رواية إلى أن من شرع في تطوع وجب عليه إتمامه[٢]، واستدلوا على ذلك بأن المؤدى عبادة وإبطال العبادة حرام لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[٣]، فيجب صيانتها عن الإبطال وذلك يكون بلزوم المضي فيها [٤].

وذهب الشافعية، والحنابلة في المذهب إلى أنه يستحب الإتمام ولا يجب[٥]، واستدلوا على ذلك بالنسبة للصيام بقوله ﷺ: ((الصَّائِمُ المتطوِّعُ أَمِيرُ نَفْسِهِ إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ))، وأما الصلاة فقياسًا على الصوم[٦].

والراجح ما ذهب إليه الشافعية والحنابلة لئلا يغير الشرع المشروع فيه [٧].

٥ - حكم صلاة الوتر: ذهب جمهور الفقهاء -المالكية، والشافعية، والحنابلة،

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٦٩/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩/١، ٧٧/٢، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٥٥/١، مواهب الجليل ٩٠/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٥٤/٣.

(٣) سورة محمد، آية: ٣٣.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٠/١.

(٥) مغني المحتاج ٨٦/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٥٣/٣، مطالب أولي النهى ٢٢٢/٢.

(٦) مغني المحتاج ١٨٦/٢.

(٧) مغني المحتاج ١٨٦/٢.

وأبو يوسف ومحمد- إلى أن صلاة الوتر سنة مؤكدة[1]، واستدلوا على ذلك بحديث الباب رقم (١٢٠٩)، وقوله ﷺ: (ثلاث كتب عليّ ولم تكتب عليكم الوتر، والضحى، والأضحى).

وذهب أبو حنيفة في رواية إلى أنه واجب، وذهب في رواية ثانية إلى أنه فرض[2]، واستدل على ذلك بقوله ﷺ: ((إن الله تَعالى زَادَكُمْ صلاةً ألا وهي الوتر فصلّوها مَا بينَ العشاءِ إلى طلوعِ الفَجْرِ))، حيث أمر النبي ﷺ بها ومطلق الأمر للوجوب[3].

ويناقش هذا بأن الأمر هنا محمول على التأكيد لحديث الأعرابي: هل عليّ غيرها؟ قال: إلا أن تطوع [4].

والراجح: ما ذهب إليه جمهور الفقهاء لقوة دليله ورده على دليل المخالف.

٦ - حكم صلاة العيد: ذهب الحنفية إلى أن صلاة العيد واجبة[5]، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[6]، ومطلق الأمر للوجوب

وذهب المالكية في المشهور، والشافعية في الراجح إلى أنها سنة[7]. واستدلوا بحديث

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٠/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٨/١ - ١٦٩، مواهب الجليل ٧٥/٢، مغني المحتاج ٤٣٥/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٠٢/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٢٢/١، مطالب أولي النهى ٥٥١/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٠/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٨/١ - ١٦٩.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧١/١.

(٤) مغني المحتاج ٤٥١/١.

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٤/١ - ٢٧٥، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٢٣/١.

(٦) سورة الكوثر، آية: ٢.

(٧) مواهب الجليل ١٨٩/١، حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٤١١/١، مغني المحتاج ٥٨٨/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٥٢٤/١.

الباب رقم (١٢٠٩).

وذهب المالكية في غير المشهور، والشافعية في قول ضعيف، والحنابلة إلى أنه فرض كفاية[1]، واستدلوا على ذلك بأنها من شعائر الإسلام، ويتوالى فيها التكبير فأشبهت صلاة الجنازة، ولأنها من أعلام الدين الظاهرة فكانت واجبة[2].

المضامين الدعوية[3]

(١) مواهب الجليل ١٨٩/١، مغني المحتاج ٥٨٨/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٥٢٤/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥٠/٢، المغني ١١٠/٢، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٥/١، شرح صحيح مسلم، النووي ١٦٩/١.

(٢) مغني المحتاج ٥٨٨/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥٠/٢.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث ١٠٧٧.

الحديث رقم (١٢٠٩)

١٢٠٩ - وعن طَلْحَةَ بن عبيد الله ﷺ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رسولِ الله ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّأسِ نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ، وَلاَ نَفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا مِنْ رسولِ الله ﷺ، فَإِذا هُوَ يَسألُ عَنِ الإسْلاَمِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ**)) قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: ((**لاَ، إلاَّ أنْ تَطَّوَّعَ**)) فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**وَصِيامُ شَهْرِ رَمَضَانَ**)) قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: ((**لاَ، إلاَّ أنْ تَطَّوَّعَ**)) قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رسول الله ﷺ الزَّكَاةَ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: ((**لاَ، إلاَّ أنْ تَطَّوَّعَ**)) فَأدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((**أفْلَحَ إنْ صَدَقَ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

طلحة بن عبيدالله التيمي: وهو طلحة بن عبدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، القرشي، المكي، التيميُّ، يكنى أبا محمد، ويُعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض، كان من دهاة العرب وعلمائهم، صحابي شجاع من الأجواد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يدي أبي بكر الصديق، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، من خطباء الصحابة، ومثريهم وأجوادهم، وأخباره في الجود والسماحة كثيرة، ومناقبه جمة، من حلماء العلم، لا يشاور بخيلاً في صلة، ولا جبانًا في حرب، ولا شابًا في جارية، روى عن رسول الله ﷺ وله في كتب الحديث (٣٨) حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على حديثين، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة ولما قدم طلحة بن عبيدالله إلى المدينة مهاجرًا آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي أيوب خالد بن زيد.

لم يشهد بدرًا، حيث كان بالشام في تجارة، أو أن النبي ﷺ بعثه هو وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتجسسان الأخبار، فضرب له رسول الله ﷺ، وعُدَّ من الصحابة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦) واللفظ له، ومسلم (١١/٨).

البدريين، وشهد أُحُدًا وما بعدها من المشاهد، وأبلى يوم أحد بلاءً حسنًا، وقى بنفسه رسول الله واتقى النبل عنه بيده حتى شلّت، فعن قيس بن أبي حازم ﵁ قال: ((رأيت يد طلحة شلاًّء، وقى بها النبي ﷺ يوم أحد))[١].

وكان قد ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد، فعن الزبير بن العوام قال: كان على النبي ﷺ درعان يوم أحد، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع، فأقعد طلحة تحته فصعد النبي عليه حتى استوى على الصخرة، فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((أوجبَ طلحة))[٢].

أما عن صفاته الخُلقية فكان في الخير لا يُجَارى، فكان كريمًا معطاءً مغدقًا على ذوي أرحامه، فيذكر أنه كانت له تجارة وافرة مع العراق ولم يكن يدع أحدًا من بني تيم - قومه - عائلاً إلا كفاه مؤونته ومؤونة عياله، وَوَفّى دينه، وعن صفاته الخَلْقية: فكان رجلاً آدمَ حسن الوجه، رحب الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم القدمين، كثير الشعر ليس بالجعد القطط ولا بالسبط، وكان لا يغير شعره، إذا مشى أسرع، وإذا التفت التفت جميعًا.

شهد طلحة بن عبيدالله يوم الجمل محاربًا لعليّ، فزعم بعض أهل العلم أن عليًا دعاه فذكّره أشياءَ من سوابقه وفضله، فرجع طلحة عن قتاله، واعتزل في بعض الصفوف، فرماه مروان بن الحكم بسهم في ثغرة نحره أو في رجله فقطع عرق النّسا فلم يزل دمه ينزف حتى مات، يوم الجمل، وكانت وقعة الجمل يوم جمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة (٣٦)، مات وهو ابن (٦٠) أو (٦٢) أو (٦٣) أو (٦٤) سنة[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب "إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا" ص (٦٨٧) حديث رقم (٤٠٦٣).

(٢) سنن الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الدرع، ص (٣٩٥)، حديث رقم (١٦٩٢)، وصححه للشيخ الألباني في المشكاة (٦١١٢)، وفي صحيح أبي داود (٢٣٣٢).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣/٢١٤-٢٢٥)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣٥٩-٣٦١)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣/٨٤-٨٨)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٦٤٢)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (١/٢٣-٤٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣/٥٠٨، ٥٠٩)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢/٢٤٠، ٢٤١)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٣/٢٢٩)، موسوعة عظماء حول الرسول (١/٣٣٥-٣٤٤).

غريب الألفاظ:

نجد: منطقة واسعة من الأرض المرتفعة ليس ارتفاعها بالشديد، تمتد من الحجاز شرقًا إلى اليمامة غربًا[1].

ثائر الرأس: متفرق الشعر من ترك الرفاهية، ففيه إشارة إلى قرب عهده بالوفادة[2].

دويُّ صوته: صوته المرتفع[3].

أدبر: تولى وانصرف[4].

الشرح الأدبي

يعلمنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث حسن التعامل مع الآخرين – الذين يتطلعون إلى معرفة أمور الدين، ويبين لنا أن نتدرج في الحديث معهم، وأن نبدأ بتقديم الأهم، فالمهم، وهذا مثال تطبيقي يتمثل في حواره مع ذلك الرجل من نجد، حينما سأله على الإسلام فقال النبي الكريم: " خمس صلوات في اليوم والليلة " وقد بنى عبارته على الإيجاز؛ لأنه يخاطب بدويا مفطورا على الفصاحة، والتقدير تصلي خمس صلوات، أو عليك خمس صلوات، وبدأ بالصلوات لمنزلتها العظيمة في الدين، وإصلاح الفرد، والجماعة، وذكر " اليوم والليلة " ليشعر المتلقي بالعلاقة بين الوقت، والصلاة المرتبطة به حتى يؤديها في أوقاتها، وأن هذه الصلوات الخمس على مدار اليوم، والليلة تعد قليلة من ناحية القيام بها، ولكنها عظيمة الأجر، والاستفهام في قول الرجل: " هل على غيرها " يدل على قابليته للتعلم، والتوجيه، ورد الرسول ﷺ عليه بقوله: " لا. إلا أن تطوع " يدل على حكمته في الرد، وبلاغته في الأسلوب، وفيه إيجاز يقتضيه المقام أي: لا شيء عليك، وفى ترغيبه في الخير فلم يقل له: عليك صلاة الليل، والتهجد، والسنن

---

(١) انظر: أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٥٦.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١٣١.

(٣) الوسيط في (د و ي).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (د ب ر).

الراتبة، وقدرها كذا. . وكذا. .. كما فعل في الفرائض في بقية الحوار الخاص بالصيام، والزكاة، وقسم الرجل :" والله لا أزيد على هذا، ولا أنقص منه. . " يدل على عزيمته في العمل، والتزامه لتوجيهات النبي ﷺ، كما يدل على تحقيق الأسلوب البلاغي النبوي لغرضه حيث راعى طبيعة البدوي الذي لم يعتد في صحرائه أن يؤمر، أو ينهى فلم يوجه له الأمر الصريح الظاهر لما في الأمر من دلالة على الاستعلاء قد تأنف منها نفسه كما أنه أشعره بحرية الاختيار في غير الفريضة بقوله (لاَ، إلاَّ أنْ تَطوَّعَ) التي تكررت بعد كل فرض لكي يشعره بأنه طرف حر الاختيار في غير الفريضة التي أوجبها الله على الجميع، وجملة الشرط التي تربط الفلاح بالصدق في نهاية الحديث " أفلح إن صدق " تدل على تحقق الفلاح للرجل إن صدق في عبادته، وتقديم الفلاح يبشر بها، والتعبير بالفلاح يداعب النفس بحصول المرجو، وحسن العاقبة، وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه أي إن صدق أفلح.

فقه الحديث

١ - وجوب الصلوات الخمس وصوم رمضان والزكاة:

هذا الحديث من الأدلة على وجوب الصلوات الخمس وصوم رمضان والزكاة. ولذا قال النووي: (في هذا الحديث أن الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام التي أطلقت في باقي الأحاديث، هي الصلوات الخمس، وأنها في كل يوم وليلة وعلى كل مكلف بها. وقولنا "بها" احتراز من الحائض والنفساء فإنها مكلفة بأحكام الشرع إلا الصلاة وما ألحق بها مما هو مقرر في كتب الفقه. وفيه أن وجوب صلاة الليل منسوخ في حق الأمة. وهذا مجمع عليه، واختلف قول الشافعي في نَسْخه في حق رسول الله ﷺ، والأصح نَسْخُه)[1].

وفيه أن صلاة الوتر ليست بواجبة، وأن صلاة العيد أيضًا ليست بواجبة، وهذا مذهب الجماهير. وذهب أبو حنيفة وطائفة إلى وجوب الوتر. وذهب أبو سعيد

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٥٠/١/١ ، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/١٠٢ .

الإصطخري من أصحاب الشافعي إلى أن صلاة العيد فرض كفاية، وفيه أنه لا يجب صوم عاشوراء ولا غيره سوى رمضان، وهذا مجمع عليه. وفيه أنه ليس في المال حق سوى الزكاة على من ملك نصابًا وفيه غير ذلك، والله أعلم)[١].

وقال النووي عن وجوب الزكاة - وهو ما يتعلق بهذا الباب - : الزكاة فرض وركن بإجماع المسلمين، وتظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على ذلك[٢].

٢ - قال النووي: (قوله: "هل عليّ غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوّع" قال أصحابنا وغيرهم من العلماء قوله ﷺ "إلا أن تطوع" استثناء منقطع ومعناه: لكن يستحبّ لك أن تطوع، وجعله بعض العلماء استثناء متصلاً، واستدلوا به أن من شرع في صلاة نفل أو صوم وجب عليه إتمامه. ومذهبنا أنه يستحب الإتمام ولا يجب، والله أعلم)[٣].

٣ - تارك النوافل:

قال ابن حجر: (فإن قيل: كيف أقرّه على حلفه، وقد ورد النكير على من حلَف أن لا يفعل خيرًا؟ أجيب: بأن ذلك مختلف باختلاف الأحوال والأشخاص. وهذا جارٍ على الأصل بأنه لا إثم على غير تارك الفرائض، فهو مفلح وإن كان غيره أكثر فلاحًا منه)[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات المدعو: السؤال عن أمور دينه ومعرفتها.

ثانيًا: من واجبات الداعية: الإجابة الواضحة على أسئلة المدعو.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١/١/ ١٥١ .

(٢) المجموع ٢١٢/٥ .

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٩/١/١ ، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٣٢/١ ، وانظر خلاف الفقهاء في ذلك في: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٠/١، ٧٧/٢، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٥٥/١، ومواهب الجليل ٩٠/٢، ومغني المحتاج ١٨٦/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٥٣/٣، ومطالب أولي النهى ٢٢٢/٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٣٣/١ .

رابعًا: من حكمة وفقه الداعية: مراعاة ترتيب الأولويات وبيان أركان الإسلام.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بلاغة النبي ﷺ وقصده في إجابة السائل.

سادسًا: من آداب الداعية: الاهتمام بالمدعو ومراعاة أحواله.

سابعًا: من أساليب الدعوة: القسم.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الحرص على العمل بأركان الإسلام وفضل ذلك.

أولاً - من واجبات المدعو: السؤال عن أمور دينه ومعرفتها:

إن من أهم واجبات المدعو أن يسأل عن أمور دينه ويعرفها حتى تكون عبادته لله على بينة وعلم، ويستنبط هذا مما جاء في الحديث: (فإذا هو يسأل عن الإسلام)، والسؤال عن أمور الدين ومعرفتها والتفقه فيها مما يجب على المدعو لكي يقوم بتنفيذ الأحكام الشرعية وقد أمر الله بالسؤال عند الجهل فقال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وقال جلّ شأنه: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[2]، واستنكر الرسول ﷺ على من لم يسأل في أمر دينه، ففي قصة المجروح الذي اغتسل بالماء فمات فلما أخبر النبي ﷺ قال: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّه ألاَ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[3].

قال العظيم آبادي: (أسند القتل إليهم، لأنهم تسببوا له بتكليفهم له باستعمال الماء مع وجود الجرح في رأسه ليكون أدل على الإنكار عليهم وقوله: "قتلهم الله" إنما قاله زجرًا وتهديدًا. والعِيّ هو التحير في الكلام وعدم الضبط، وفي النهاية العي: الجهل، والمعنى: أن الجهل داء وشفاءها السؤال والتعلم)[4].

ومما يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال ورود لفظة يسألونك في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعًا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٨٥.

هُوَ أَذًى ﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[٢]، ومن هذا يتبين أن من واجبات المدعو السؤال عن أمور الدين ومعرفتها والتفقه فيها.

ثانيًا - من واجبات الداعية: الإجابة الواضحة عن أسئلة المدعو:

يتضح هذا من الحديث من جواب النبي ﷺ: (خمس صلوات في اليوم والليلة، قال الرجل: هل عليَّ غيرهن؟ قال: لا إلا أن تطوع)، قال ابن حجر: "وقوله: يسأل عن الإسلام)، أي عن شرائع الإسلام ولم يذكر له الشهادة؛ لأنه علم أنه يعلمها أو علم أنه إنما يسأل عن الشرائع الفعلية، وبهذا يتبين مطابقة الجواب للسؤال، خاصة وأنه قد جاء في رواية أنه قال في سؤاله: أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الصلاة؟ فقال: الصلوات الخمس"[٣]، ولقد كان هذا هدي النبي ﷺ في إجابته عن أسئلة المدعوين بأن تكون إجابته واضحة وبيانه كاملاً تامًا، (فعلى حامل رسالة الدعوة إلى الله أن يكون حريصًا على التأثير النافع في نفس وفكر من يوجه له رسالته، فلا يختار من البيان ما يعسر عليه فهمه، ولا يستطيع استيعاب معناه، ولا يختار من أساليب البيان ما ينفره ويبعده عن دين الله وصراطه المستقيم، بل يختار من أساليب البيان ما يجذبه ويملك قلبه ونفسه ويمتع فكره ويحلو لديه ويراعي معه كرامة المخاطب)[٤].

ثالثًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

إن وسيلة التعليم لها أثرها الفاعل في إرشاد المدعوين وتعريفهم حقائق الإسلام، وتعليمهم ما يجهلون، ويتضح هذا من سياق الحديث حيث علّمه الرسول الكريم ﷺ شرائع الإسلام واحدة تلو الأخرى، ومما لا شك فيه أن وسيلة التعليم من أهم وسائل الدعوة، ولقد جعل الله سبحانه التعليم من وظيفة إمام الدعاة الأول، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٣٢.

(٤) فقه الدعوة إلى الله تعالى، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ١/ ٢٤٠.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

قال الإمام بدر الدين محمد بن الغزي: "واعلم أن التعليم هو الأصل الذي به قوام الدين، وبه يُؤْمن انمحاق العلم، فهو من أهم أمور الدين وأعظم العبادات وآكد فروض الكفايات، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[2]، ولذا فينبغي على المرء أن يقصد بتعليمه وجه الله والتقرب إليه، وأن لا يجعله وسيلة إلى غرض دنيوي، وينبغي أن لا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية، فربما عسر في كثير من المبتدين بالاشتغال تصحيح النية لضعف نفوسهم وقلة أنفسهم بموجبات تصحيحها، فالامتناع من تعليمهم يؤدي إلى تفويت كثير من العلم، مع أنه يرجى ببركة تصحيحها إذا أنس بالعلم"[3].

قال الشيخ محمد الغزالي: "وأول ما يجب على أصحاب الحق - وقد عرفوه - أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا فإن فتك الجهل بالناس ذريع وغلبة الأوهام على أفكارهم تذهب بهم بددًا في كل فج ولذا فإن حاجة البشر إلى العلم الكثير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، ولا بد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ كي ينصفوا الحق، ويوصلوه إلى الخلق.."[4].

رابعًا - من حكمة وفقه الداعية: مراعاة ترتيب الأولويات وبيان أركان الإسلام:

إن الداعية الحصيف هو الذي يراعي ترتيب الأولويات في عرض دعوته، ويظهر هذا من الحديث حيث بدأ النبي ﷺ في تعليمه أركان الإسلام، من صلاة وزكاة وصوم. وهذا من حكمة الداعية وفقهه أن يراعي الأولويات في الدعوة، قال ابن علان: "قال ابن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٣) انظر: الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد ص ١٠٤ - ١٠٧.

(٤) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة" ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

العربي: إنما قال له النبي ﷺ ذلك؛ لأنه أول ما أسلم فأراد أن يطمئن فؤاده، وبعد ذلك يفعل ما سواها بما يظهر له من ترغيب الإسلام، وأثبت له الفلاح لأنه أتى بما عليه ومن أتى بما عليه كان مفلحا"[١]، وإذا كان الأمر كذلك، "فإنه ينبغي أن يعنى الداعية بتقديم ما هو أصل على ما هو فرع، فيقنع الناس به ويحملهم على قبوله، فإذا ما استقر في القلوب، واستجابت له النفوس، انتقل إلى ما هو دون ذلك من أمور متأسيًا برسوله ﷺ حينما أنفق ثلاث عشرة سنة من عمره في معالجة قضايا العقيدة، وبعض العبادات لينتقل بعد ذلك إلى معالجة ما هو فرع من السلوك العملي فحكمة الداعية وفقهه تقتضي مراعاة الأولويات من جهة، ويراعي عدم ملالة الناس من جهة أخرى"[٢].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: بلاغة النبي ﷺ وقصده في إجابة السؤال:

إن النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم، ومنحه الله من الفصاحة والبلاغة في القول ما لا يجاريه فيه أحد ومما يدل على ذلك من الحديث قوله ﷺ: (خمس صلوات في اليوم والليلة - إلى آخر إجاباته ﷺ)، وهذا يدل على بلاغته حيث اقتصر في إجابة السائل على ما يفيده، قال ابن علان: "قال ابن المنير: ولقد أجاب ﷺ بما يقتضيه الحال وبالأهم فالأهم إذ لا يمكن بيان الشريعة دفعة واحدة لا سيما لحديث عهد بالإسلام"[٣]، ولا شك أن هذا يعتبر من جوامع الكلم، "ولقد فضل الله عز وجل نبيه ﷺ على غيره من الأنبياء عليهم السلام بما أعطاه من مفاتيح الكلام وهي ما يسره له من البلاغة والفصاحة والوصول إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم ومحاسن العبارات والألفاظ التي أغلقت على غيره وتعذرت، قال العز بن عبدالسلام: ومن خصائصه ﷺ أنه بعث بجوامع الكلم واختصر له الحديث اختصارًا وفاق العرب في فصاحته وبلاغته"[٤].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٣٧.

(٢) صفات الدعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ١٠٩ - ١١٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٣٧.

(٤) موسوعة نضرة النعيم ٤٥٩/١.

سادسًا - من آداب الداعية: الاهتمام بالمدعو ومراعاة أحواله:

حيث جاء في الحديث: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته، ولا نفقه ما يقول، حتى دنا من رسول الله ﷺ، فإذا هو يسأل عن الإسلام...)، ورغم هيئة هذا الرجل القادم ومظهره الذي يدل على حاله إلا أن النبي ﷺ اهتم به وأشعره بكرامته، حيث أقبل عليه وأجاب عن سؤاله، "والإنسان مهما كان شأنه ومهما كانت ظروف مهنته يحس بكرامته ويتوق إلى من يشعره بأنه كريم، وبأن له ذاتًا محترمة، ومن ثم فإن صيغة الخطاب الموجه إليه ينبغي أن تشعره بأنه مؤهل للصلاح مستحق للتقدير، ومن إشعارنا له بالكرامة أن يكون لدينا الاستعداد لرؤية كثير من الأشياء من وجهة نظره أو إشعاره على الأقل بأن له وجهة نظر يمكن أن تكون صائبة"[1].

ومما لا شك فيه أن هذا الاهتمام بالمدعو إنما هو حق من حقوقه على الداعية، "إن من حق المدعو على الداعي أن يهتم به ويشعره بذلك الاهتمام، ويرفعه إلى أن يستمع له ويتجاوب معه، وهذا الاهتمام ينبثق من شفقة الداعي بالمدعو وحبه له وحرصه الشديد على هدايته، وإذا شعر المدعو باهتمام الداعي فإن الاستجابة غالبًا ما تكون إيجابية وبذلك يصل الداعي إلى هدفه الذي يسعى لتحقيقه"[2].

سابعًا - من أساليب الدعوة: القسم:

حيث جاء في الحديث: (والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه)، وأسلوب القسم من أساليب الدعوة التي تقنع المدعو بما يقول الداعية، إذ هي صورة من صور التأكيد، وهو أسلوب مستعمل بكثرة في القرآن الكريم "وأسلوب القسم موعظة حسنة لأنه يقصد به دائمًا الإقناع والإثارة بواسطة المقسم به بما فيه من مزية في نظر المستمع تجعله لهذه المزية يسلم بالمقسم عليه وهو الدعوة المرجوة، وأسلوب القسم يناسب طبيعة البشر وينطلق من بين فكرهم، والقسم يأتي مكررًا ومعجزًا ومشتملاً على الترغيب

---

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم البكار ص ١٦٧.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٤١٤.

والترهيب من أجل تحقيق أثره"[١]، ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[٢]، وقوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾[٣].

ثامنًا – من موضوعات الدعوة: اهمية الحرص على العمل بأركان الإسلام وفضل ذلك:

ويتضح هذا من الحديث في قوله: (أفلح إن صدق)، قال المازري: "أما فلاحه بألا ينقص فبَيِّنٌ، وأما بألا يزيد فكيف يصح هذا؟ وكيف يقره عليه؟ والتمادي على ترك سائر السنن مذموم يوجب الأدب عند بعض أهل العلم، فلعله قال هذا، ولم تسن السنن حينئذٍ أو يكون فهم عنه: أنه لا يغير الفروض التي ذكرها بزيادة ولا نقصان، وأن ذلك مراده بهذا القول"[٤].

وقال النووي: " إذا أفلح بالواجب فلأن يفلح بالواجب والمندوب أولى، فإن قيل: كيف؟ قال: لا أزيد على هذا، وليس في هذا الحديث جميع الواجبات، ولا المنهيات الشرعية، ولا السنن المندوبات، فالجواب أنه جاء في رواية البخاري في آخر هذا الحديث زيادة توضح المقصود، قال: (فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد ولا أنقص مما فرض الله تعالى علي شيئًا)، فعلى عموم قوله بشرائع الإسلام، وقوله "مما فرض الله عليّ" يزول الإشكال في الفرائض. وأما النوافل فقيل: يحتمل أن هذا كان قبل شرعها، وقيل: يحتمل أنه أراد لا أزيد في الفرض بتغيير صفته كأنه يقول: لا أصلي الظهر خمسًا وهذا تأويل ضعيف، ويحتمل أنه أراد لا يصلي النافلة مع أنه لا يخل بشيء من الفرائض وهذا مفلح بلا شك، وإن كانت مواظبته على ترك السنن مذمومة وترد بها الشهادة إلا أنه ليس بعاص بل هو مفلح ناج والله أعلم"[٥].

---

(١) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، الشيخ علي صالح المرشد ص ١٦٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٣

(٣) سورة التغابن، الآية: ٧.

(٤) المعلم بفوائد مسلم ١/٤٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٥.

وقال ابن عثيمين: "وفي هذا دليل على أن الإنسان إذا اقتصر على الواجب في الشرع؛ فإنه مفلح، ولكن لا يعني هذا أنه لا يسن أن يأتي بالتطوع، لأن التطوع تكمل به الفرائض يوم القيامة وكم من إنسان أدّى الفريضة وفيها خلل وفيها خروق، وفيها خدوش تحتاج إلى تكميل إلى رتق الصدع"(١)، وقد تكرر في القرآن الكريم فضل العمل بأركان الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾(٣)، وما من شك في أهمية العبادات في الإسلام وفلاح الإنسان مرتبط بمدى التزامه بها وإقامته لها، "ومع أن المسلم يتعبد إلى الله بكل أعماله فقد فرض الله عليه ضروبًا من العبادات المنتظمة الموقوتة: طهارة هي مجلبة للنشاط والنقاء، وصلاة هي مدرأة للمنكر والفحشاء، وزكاة هي مطهرة للمال وطعمة للمساكين، وصومًا هو مصحة للبدن وجُنّةً من الشياطين وحَجًا وعمرة هما سياحة في سبيل الله ومؤتمر للمسلمين"(٤).

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٣٨٢/٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧٧.

(٣) سورة البينة، آية: ٥.

(٤) العبادات في الإسلام، د. محمد عبده، ط٣ مكتبة الفلاح، الكويت: دون تاريخ، ص ٢٧.

الحديث رقم (١٢١٠)

١٢١٠ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ بعث مُعاذًا رضي الله عنه إلَى اليَمَنِ، فَقَالَ: ((ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَأنِّي رسول اللهِ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أن اللهَ تَعَالَى، افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أغْنِيَائِهِمْ، وتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

افترض: أوجب[2].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث ﷺ بجملة النصائح الموجهة لرسول رسول الله ﷺ يتصدرها أسلوب الأمر الحقيقي في قوله (فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله) وهو تنقية للعقيدة لما حصل من خلط فيها عندهم، وبناء لها على أساس صحيح بالإيمان بالله، ورسوله، وجملة الشرط التي تكررت بعد كل مرحلة من مراحل التعليم تشير إلى ترتب كل نتيجة على سابقتها كما تشير إلى التدرج في التعليم حتى لا يمل المتعلم، ثُمَّ إن الْحَدِيث لَيْسَ مَسُوقًا لِتَفَاصِيل الشَّرَائِع بَلْ لِكَيْفِيَّةِ الدَّعْوَة إِلَى الشَّرَائِع إِجْمَالًا وَأَمَّا تَفَاصِيلهَا فَذَاكَ أَمْر مُفَوَّض إِلَى مَعْرِفَة مُعَاذ رضي الله عنه فَتَرْك ذِكْر الصَّوْم، وَالْحَجّ لَا يَضُرّ كَمَا لَا يَضُرّ تَفَاصِيل الصَّلَاة، وَالزَّكَاة، والطباق بين الأغنياء، والفقراء (افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أغْنِيَائِهِمْ، وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ) يوضح العلاقة التبادلية التي أوجدها الإسلام

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥) واللفظ له، ومسلم (٣٠/١٩)، وتقدم برقم ٢٠٨ و١٠٧٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ض).

بتعاليمه بين طبقات المجتمع لتحقق الحبة، والتكافل بين الناس، وتنكير كلمة "صدقة" يدل على الترغيب لأنها تعم القليل، الكثير، فإن أعطوه صدقة قليلة، أو كثيرة قبلها وردها على فقراء أهل اليمن ليتحقق التضامن الاجتماعي بين الأغنياء بين الفقراء و يشعرون جميعا بروح الدين الجديد السامية في تعاليمها، الشاملة في رعايتها.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١ - حكم دفع الزكاة إلى الكافر والغني: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة)، إلى أن الزكاة لا تدفع إلى كافر[1]، ولا تدفع أيضًا إلى غني من نصيب الفقراء[2].

واستدلوا على عدم جواز دفعها للغني بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[3]، حيث جعل الله الصدقات للأصناف المذكورين بحرف اللام، وأنه للاختصاص فيقتضي اختصاصهم باستحقاقها فلو جاز صرفها إلى لبطل الاختصاص[4].

واستدلوا على عدم جواز دفعها إلى الكافر بحديث الباب حيث أمر النبي ﷺ بوضع الزكاة في فقراء من يؤخذ من أغنيائهم وهم المسلمون فلا يجوز وضعها في

---

(١) بل لقد نقل ابن المنذر إجماع الفقهاء على ذلك، يراجع الإجماع، ابن المنذر ٤٦/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٤٣/٢، ٤٩، حاشية الدسوقي ٤٩٠/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٣٩٣/١، مطالب أولي النهى ١٣٣/٢، شرح صحيح مسلم، النووي ١٩٧/١.

(٣) سورة التوبة، آية: ٦٠.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٤/٢.

غيرهم [١].

وذهب الإمام زفر من الحنفية إلى جواز دفعها إلى الكافر، واستدل على ذلك بأن المقصود إغناء الفقير المحتاج على طريق التقرب وقد حصل [٢].

٢ - حكم نقل الزكاة من البلد الذي وجبت فيه إلى غيره: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والمالكية، والشافعية في الأظهر، والحنابلة) إلى كراهة نقل الزكاة من البلد الذي وجبت فيه إلى غيره [٣].

واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: (صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)، ولأن فيه رعاية حق الجوار فكان أولى، ولامتداد أطماع أصناف كل بلد إلى زكاة ما فيه من المال والنقل يوحشهم [٤].

وذهب الشافعية في مقابل الأظهر إلى جواز ذلك [٥]، مستدلين بعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [٦].

والراجح: ما ذهب إليه جمهور الفقهاء، لأن الحديث خصص عموم الآية.

٣ - حكم من وجبت عليه الزكاة فامتنع عن دفعها: إذا امتنع من وجبت عليه الزكاة من دفعها أخذها الإمام قهرًا بغير اختياره وهذا الحكم لا خلاف عليه [٧].

لكن اختلف الفقهاء في هل تبرأ ذمته ويجزيه ذلك في الباطن أم لا؟

ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والمالكية، والشافعية في الأصح) إلى براءة ذمته

---

(١) المرجع السابق ٤٩/٢.

(٢) المبسوط ٢٠٢/٢.

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٣٠٤/١، حاشية رد المختار ٣٥٣/٢، مواهب الجليل ٣٥٨/٢، حاشية الصاوي ٦٦٧/١، مغني المحتاج ١٩١/٤، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٤٠٤/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٦٣/٢.

(٤) حاشية رد المحتار ٣٥٤/٢، مغني المحتاج ٢٩١/٤.

(٥) مغني المحتاج ١٩١/٤، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٤٠٤/١.

(٦) سورة التوبة، آية: ٦٠.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٠٠/١، نيل الأوطار ١١٥/٤.

ويجزيه ذلك ظاهرًا وباطنًا واستدلوا على ذلك بأن للإمام ولاية أخذ الصدقات فقام مقامه في النية[١].

وذهب الشافعية في مقابل الأصح، والحنابلة إلى براءة ذمته ظاهرًا ولا يجزيه ذلك باطنًا لعدم النية[٢].

٤ - حكم دفع الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والمالكية، وبعض الشافعية، والحنابلة) إلى جواز دفع الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية [٣] واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٤]، بعد قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾[٥]، وقد تناول جنس الصدقات وبين أن إيتاءها إلى الفقراء لا غير خير[٦].

وذهب الشافعية في ظاهر المذهب إلى عدم جواز دفعها لصنف واحد ووجوب استيعاب الأصناف الثمانية[٧]، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ...﴾[٨]، حيث أضاف تعالى جميع الصدقات إليهم، فاللام للتمليك، وأشرك بينهم بواو التشريك فدل على أن ذلك مملوكًا لهم فيشترك بينهم [٩].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٢٨/٢، حاشية الدسوقي ٥٠٣/١، مغني المحتاج ١٣٢/٢.

(٢) مغني المحتاج ١٣٢/٢، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٦١/٢.

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٩٩/١، حاشية الصاوي ٦٦٤/١ - ٦٦٥، مغني المحتاج ١٨٩/٤، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨٧/٢، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣٤٩/٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧١.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٧١.

(٦) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٩٩/١.

(٧) ومحل وجوب الاستيعاب إذا لم يقل المال، فإن قل بأن كان قدرا لو وزعه عليهم لم يسد لم يلزمه الاستيعاب للضرورة بل يقدم الأحوج فالأحوج، يراجع مغني المحتاج ١٨٩/٤ - ١٩٠.

(٨) سورة التوبة، آية: ٦٠.

(٩) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٩٩/١.

ويناقش هذا بأن اللام قد تكون للعاقبة، وقد تكون للاختصاص وهو أصلها واستعمالها في الملك لما فيه من الاختصاص، وجعلها للتمليك غير ممكن هنا لأنهم غير مُعيّنين ولا يعرف غيرُ معين في الشرع[١].

والراجح هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء لقولة دليله، ومناقشته لدليل المخالف.

٥ - حكم زكاة مال من عليه دين يستغرقه أو ينقصه عن النصاب: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، وبعض المالكية، وقول للشافعية، والحنابلة) إلى عدم وجوب الزكاة عليه وسقوطها عنه[٢] واستدلوا على ذلك بما رواه أبو عبيد في الأموال عن السائب بن يزيد قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: (هذا شهر زكاتكم فمن كان عليه دين فيلؤده حتى تخرجوا زكاة أموالكم) وفي لفظ: (من كان عليه دين فليقض دينه وليُزَكّ بقية دينه)، وقد قاله بمحضر من الصحابة فدل ذلك على اتفاقهم عليه حيث لم ينكره عليه[٣].

ولأنه مشغول بحاجته الأصلية فاعتبر معدومًا كالماء المستحق بالعطش لنفسه أو دابته وثياب البذلة والمهنة[٤].

وذهب المالكية في المشهور، والشافعية في قول إلى أن الدين يمنع وجوب الزكاة في الأموال الباطنة كالذهب والفضة وعروض التجارة.

ولا يمنع الزكاة في الأموال الظاهرة كالزروع والثمار والمواشي والمعادن [٥]، واستدلوا على ذلك بأن الأموال الظاهرة نامية بنفسها، ولتعلق الزكاة بعينها.

وذهب الشافعية في قول ثالث وهو الأصح نص عليه الشافعي في الجديد إلى وجوب الزكاة عليه[٦] واستدلوا على ذلك بأن الزكاة تتعلق بالعَيْن، والدَّيْن يتعلق بالذمة، فلا

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١/٢٩٩ - ٣٠٠.

(٢) العناية شرح الهداية ٢/١٦٠، حاشية الصاوي ١/٦٤٧، المجموع شرح المهذب ٥/٣١٧، مطالب أولي النهى ٢/١٧.

(٣) مطالب أولي النهى ٢/١٧.

(٤) العناية شرح الهداية ٢/١٦٠.

(٥) حاشية الصاوي ١/٦٤٧، المجموع شرح المهذب ٥/٣١٧.

(٦) المجموع شرح المهذب ٥/٣١٧.

يمنع أحدهما الآخر كأرش الجناية[١].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء القائل بعدم وجوب الزكاة عليه، لأن حاجة المدين كحاجة الفقير أو أشد، وليس من الحكمة تعطيلُ حاجة النفس لدفع حاجة الغير[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: بعث النبي ﷺ معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل معاذ بن جبل رضي الله عنه.

ثالثًا: من خصائص الدعوة: التدرج في عرض القضايا الدعوية.

رابعًا: من فقه الداعية: مراعاة أحول المدعوين.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التركيز على العقيدة في دعوة غير المسلمين.

سادسًا: من أصناف المدعوين: غير المسلمين.

سابعًا: من أهداف الدعوة: ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس المدعوين وبيان الأمور الشرعية.

أولاً - من تاريخ الدعوة: بعث النبي ﷺ معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن:

إن النبي ﷺ في سبيل نشر الإسلام وتبليغ الدعوة كان يرسل مبعوثيه وسفرائه إلى الأماكن والبلدان المجاورة، ومن ذلك بعثه ﷺ معاذًا إلى اليمن، حيث جاء في الحديث: (إن النبي ﷺ بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن) ولا شك أن هذا يمثل جزءًا هامًا من تاريخ الدعوة الإسلامية حيث كان بعث معاذ رضي الله عنه في السنة العاشرة من الهجرة النبوية وعُرف ذلك ببعث النبي ﷺ الأمراء إلى أهل اليمن قبل حجة الوداع يدعونهم إلى الله عز وجل، وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده أن معاذًا رضي الله عنه لما بعثه النبي ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: ((يا معاذُ إنَّكَ عَسَى أَنْ لا تَلْقَاني بَعْدَ عَامِي هَذا، فَتَمُرُّ بِقَبْرِي ومَسْجِدِي)) فبَكى مُعاذُ جَشَعًا

---

(١) المجموع شرح المهذب ٣١٧/٥.

(٢) مطالب أولي النهي ١٨/٢ بتصرف.

لِفِرَاقِ رسولِ الله ﷺ، فقال: ((لا تَبْكِ - يا معاذُ - فإنَّ البُكاءَ مِنَ الشَّيْطانِ))[1].

قال ابن كثير: "وهذا الحديث فيه إشارة وظهور وإيماء إلى أن معاذًا رضي الله عنه لن يجتمع بالنبي ﷺ بعد ذلك، وكذلك وقع فإنه أقام باليمن حتى كان حجة الوداع ثم كانت وفاته عليه الصلاة والسلام بعد أحد وثمانين يومًا من يوم الحج الأكبر"[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل معاذ بن جبل رضي الله عنه:

حيث جاء في الحديث: (أن النبي ﷺ بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن)، ولا شك أن في اختيار معاذ رضي الله عنه لإرساله إلى اليمن دليل على فضله ومكانته عند رسول الله ﷺ، قال ابن حجر: "هو الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، قال أبو إدريس الخولاني: كان معاذ رضي الله عنه أبيضًا وضئ الوجه براق الثنايا أكحل العينين، وقال كعب بن مالك: كان شابًا جميلاً سمحًا من خير شباب قومه. قال عمر: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ولولا معاذ لهلك عمر. قال الواقدي: كان من أجمل الرجال وشهد المشاهد كلها. وقال أبو نعيم في الحلية: إمام الفقهاء وكنز العلماء شهد العقبة وبدرًا والمشاهد وكان من أفضل شباب الأنصار حلمًا وحياء وسخاء وكان جميلاً وسيما"[3].

قال ابن عبدالبر: "ومعاذ رضي الله عنه هو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبدالله بن مسعود رضي الله عنه شهد العقبة وبدرًا والمشاهد كلها، وبعثه رسول الله ﷺ قاضيًا إلى الجند من اليمن يعلم الناس القرآن، وشرائع الإسلام ويقضي بينهم، وجعل إليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن، ولقد كان معاذ رضي الله عنه معلمًا للخير مطيعًا لله ورسوله"[4].

قال الذهبي: "استشهد معاذ رضي الله عنه في طاعون عمواس الذي أصاب الشام في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يقول: اللهم اجعل نصيب آل معاذ الأوفر، فماتت ابنتاه

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٣٥/٥، حديث رقم ٢٢٠٥٤، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٧٨/٣٦.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٣٨٢/٧.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٥٢.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٦٥٠.

فدفنهما في قبر واحد، وطعن ابنه عبدالرحمن فقال: يعني لابنه لما سأله: كيف تجدك؟ قال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]، قال: وطعن معاذ في كفه فجعل يقلبها ويقول: هي أحب إليّ من حُمر النَّعَم، فإذا سرى عنه قال: رب! غُمَّ غَمَّك فإنك تعلم أني أحبك، وكان استشهاده رضي الله عنه سنة سبع أو ثمان عشرة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وقيل غير ذلك"[2].

ثالثًا - من خصائص الدعوة: التدرج في عرض القضايا الدعوية:

يتضح هذا من الحديث: (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة...)، وهذا يبين التدرج في عرض قضايا الدعوة الذي يعتبر من خصائص الدعوة الإسلامية، قال النووي مبينًا أهمية التدرج والترتيب في الدعوة والمهمات: "وفي الحديث من السنة أن الكفار يدعون إلى التوحيد قبل القتال، وفيه أنه لا يحكم بإسلامه إلا بالنطق بالشهادتين، وهذا مذهب أهل السنة، وفيه أن الصلوات الخمس تجب في كل يوم وليلة، وفيه أن الزكاة لا تدفع إلى كافر، ولقد رتب ﷺ الدعاء إلى الإسلام وبدأ بالأهم فالأهم"[3].

ومما لا شك فيه أن هذا يبرز أهمية التدرج في الدعوة، "ويجب أن يعلم كل داعية أهمية التدرج في الدعوة والبدء بأهم الأمور إلى المهم، وأن يفقه الداعية هذا الأمر الهام، وذلك لأن أعظم ما يكون في البيت أساسه، وأهم ما تستند عليه الشجرة جذرها وأصلها، فإذا كان الأساس صحيحًا قويًا صلبًا كان ما فوقه صحيحًا قويًا، وإن كان الأساس هشًا ضعيفًا فلا يستبعد أن يسقط المنزل أو تعصف بالشجرة الرياح"[4].

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١/٤٥٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٩٧.

(٤) منهج الدعوة إلى الله على ضوء وصية النبي ﷺ لمبعوثه إلى اليمن معاذ بن جبل رضي الله عنه، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ط١، دار إشبيليا، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ١٣٠.

رابعًا - من فقه الداعية: مراعاة أحول المدعوين:

إن الداعية الناجح هو الذي يراعي في تبليغ دعوته أحوال المدعوين وظروفهم، ومما يدل على ذلك قوله ﷺ في الحديث: (فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم)، وهذا بلا شك يرسخ أن من فقه الداعية مراعاة أحوال المدعوين وذلك لاختلاف الناس، واختلاف أفهامهم وبيئاتهم، "إن الناس يختلف بعضهم عن بعض في علمهم وفهمهم وطبائعهم الشخصية وعوائدهم الاجتماعية وكل ذلك يحتاج الداعية إلى مراعاته فمن الناس الراغب في الخير ولكنه غافل عنه ومنهم المعرض عن الحق المشتغل بغيره ومنهم من له شبهة قد حالت بينه وبين فهم الحق والانقياد له وكل واحد من هؤلاء له مدخل إلى نفسه وخطاب يتناسب مع عقله، وأسلوب يؤثر في سلوكه ومراعاة ذلك لها أثرها الذي لا ينكر في نجاح الداعية"[1].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: أهمية التركيز على العقيدة في دعوة غير المسلمين:

حيث جاء في الحديث: (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)، ففي هذا الحديث جاء التركيز على العقيدة أولاً وتقرير التوحيد ومن ثم "فلقد كان التوحيد هو المعركة الكبرى التي خاض القرآن غمارها لإزالة الشرك والوثنية من نفوس الناس، وتعليمهم كيف يعبدون إلهًا واحدًا لا شريك له، له ملك السموات والأرض وبيده مقاليد كل شيء، ومنهج القرآن في ذلك هو الرجوع إلى فطرة الإنسان واستثارتها، والتساؤل معها عن مظاهر الخلق والتدبير والملك فخاطب الفطرة وفتح أمام العقل منافذها، وطاف بالنفس البشرية في ملكوت السماوات والأرض، وسعى القرآن إلى تقرير أن الفطرة عند تذكيرها لا تملك إلا الاعتراف بالربوبية لله سبحانه، وما دامت قد اعترفت بالله ربًا، فما الذي يمنعها أن توحده في ذاته وصفاته وتفرد له العبادة وحده"[2].

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي بن عمر بادحدح ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان ص ٨٢.

ولا شك في أن العقيدة تقف على رأس أهم الأمور في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام. والتوحيد هو أساس دعوة الرسل، وما من نبي ولا رسول إلا دعا قومه إلى عبادة الله تعالى وتوحيده ونبذ الشركاء عنه ولذا: "فشهادة التوحيد هي أول ما يدعى بها أهل الكتاب والملل الأخرى، بل والناس أجمعون إلى الإسلام، وهي أصل الإسلام وقاعدة الإيمان ولب الإخلاص، والعلامة الفارقة بين المسلم وغيره، فمن قالها وآمن بها واعتقدها فقد أسلم لله تعالى، ودخل في دينه، وعصم دمه وماله وعرضه، وحياته كلها ولذلك فهي أول ما يبدأ به الداعية دعوته، ويركز عليه في مسيرته، ويوليه جل عنايته وأهميته ورعايته ذلك أن التوحيد هو أساس الدين وأصل العقيدة"[1].

سادسًا - من أصناف المدعوين: غير المسلمين:

حيث جاء في الحديث: (بعث رسول الله ﷺ معاذًا إلى اليمن)، وقد فسر ذلك في رواية أخرى في الصحيحين أيضًا: (إنك ستأتي قومًا أهل كتاب)، وهذا يبين أن من أصناف المدعوين، غير المسلمين وهذا تطبيق عملي لعالمية الدعوة الإسلامية وشمولها، وأنها عامة وليس خاصة، "ومن الأساليب التي وجهها القرآن الكريم لأهل الكتاب الدعوة إلى كلمة عادلة مستقيمة، يقف أمامها الجميع على مستوى واحد لا يعلو بعضهم على بعض ولا يتعبد بعضهم بعضًا، فكلهم أمام خالقهم سواء ليس هناك فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح"[2].

قال ابن حجر: "وقد استجمع النبي ﷺ همة معاذ رضي الله عنه بقوله: (ستأتي قومًا أهل كتاب)، لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان وليس فيه أن جميع من يَقْدُمُ عليهم من أهل الكتاب بل يجوز أن يكون فيهم من غيرهم، وإنما خصهم بالذكر تفضيلاً لهم على غيرهم، وكان أول ما يدعوهم إليه أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله"[3].

---

(١) منهج الدعوة إلى الله، د. عبدالرحيم المغذوي ص ١١٦ - ١١٧.

(٢) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود الرحيلي ص ٤٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٤١٩.

وفي العصر الحديث ينبغي على الدعاة إلى الله الاهتمام بتوجيه الخطاب الدعوي إلى غير المسلمين، وإذا كان في هذا الحديث جاءت الدعوة إلى غير المسلمين فإن القرآن الكريم في كثير من آياته دعا غير المسلمين إلى الدخول في الإسلام، ووجه الخطاب إليهم فاتحًا الآفاق أمام فطرتهم لترى نور الإسلام.

"إن من معالم الخطاب القرآني لغير المسلمين أنه ركز على الفطرة السليمة التي خلقها الله صافية، لتهتدي إلى معرفة الخالق سبحانه، والتوجه له بالعبادة وحده، كما ركز الخطاب القرآني لغير المسلمين على الأمور المحسوسة الموجودة في هذا الكون، من أرض وسماء وبحار وأنهار ونبات وحيوان وإنسان وغير ذلك من مخلوقات الله للتأمل والنظر إليها والاعتبار بخلقها، كما وجه الخطاب القرآني لغير المسلمين دعوته العقول إلى التفكير والتدبر في الآيات الكونية، والآيات الإنسانية ونبذ التقليد، وإعمال العقل للتأمل في هذا الكون.

أما من ناحية الأسلوب فقد كان خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين قائمًا على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، والترغيب والترهيب، واحترام الآخرين، واللين والرفق وغير ذلك مما يبعث على الهداية والاستجابة وعدم النفور.

أما من ناحية الوسائل التي استعملها الخطاب القرآني فمن أهمها القصة القرآنية، والأمثال والقسم وغير ذلك، مما كان له أثر واضح بالنسبة لخطاب القرآن الكريم لغير المسلمين في سهولته ووضوحه ومراعاته لأولوية موضوعات الخطاب، ومراعاته لأحوال المدعوين، ومعتقداتهم، وتاريخهم، وعدم تجريحهم، وعدم استثارة حساسيتهم، والتركيز على الأمور المشتركة وغير ذلك، مما جعل خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين الأصل الذي ينبغي أن يتبع ويُتوخّى في هذا المجال، والمعيار الذي يجب أن نعاير على أساسه الخطاب الدعوي المعاصر لغير المسلمين"(١).

سابعًا - من أهداف الدعوة: ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس المدعوين وبيان الأمور الشرعية:

حيث جاء في الحديث: (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم

---

(١) خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محي الدين عفيفي أحمد ص ١١١ - ١١٢ بتصرف.

أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة)، وهذا يبين أهمية ترسيخ العقيدة الصحيحة أولاً ثم بيان الأمور الشرعية ثانيًا، "والدعوة إلى التوحيد هي غاية بعثة الرسل عليهم السلام لذا كان كل واحد منهم يستفتح دعوته بقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[1]، إن ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس الناس يعد من أهم الركائز التي يجب أن تقوم عليها الدعوة، ولا أدلّ على ذلك من تلك الفترة المكية من عمر الدعوة الإسلامية، التي ركّز القرآن الكريم فيها على ترسيخ العقيدة، والتي استغرقت زهاء ثلاثة عشر عامًا مما يؤكد أهمية هذا الأمر العظيم.

قال ابن حجر: "ووقعت البداءة بالشهادتين لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء غيرهما في الإسلام إلا بهما فمن كان منهم غير موحد فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين على التعيين، ومن كان موحدًا فالمطالبة بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة، وإن كانوا يعتقدون ما يقتضي الإشراك أو يستلزمه كمن يقول ببنوة عزير أو يعتقد التشبيه فتكون مطالبتهم بالتوحيد لنفي ما يلزم من عقائدهم، ثم كانت دعوتهم إلى الأمور الشرعية من صلاة وزكاة وقد قدمت إحداهما على الأخرى في هذا الحديث ورتبت الأخرى عليها بالفاء، ولا يلزم من عدم الإتيان بالصلاة إسقاط الزكاة وقد بدأ ﷺ بالأهم فالأهم وذلك من التلطف في الخطاب لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة"[2].

وقال د. صالح الفوزان: "وكثيرًا ما نجد في القرآن الكريم الدعوة إلى توحيد العبادة والأمر به والجواب عن الشبه الموجهة إليه، وكل سورة في القرآن، بل كل آية في القرآن فهي داعية إلى هذا التوحيد، لأن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا هو توحيد الربوبية، وإما دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له وترك ما يعبد من دونه وهذا هو توحيد الألوهية، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته في الدنيا والآخرة، وهذا جزاء من خرج عن حكم التوحيد، وإما أحكام وتشريع وهذا من

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/ ٤٢٠ - ٤٢١.

حقوق التوحيد فإن التشريع حق لله وحده، وهذا التوحيد بجميع أنواعه تضمنته كلمة واحدة هي: (لا إله إلا الله)، فإنها تتضمن نفيًا وإثباتًا. نفي الإلهية الحقة عن كل ما سوى الله وإثباتها لله وحده كما تتضمن ولاء وبراء، ولاء لله وبراء مما سواه، ودين التوحيد قائم على هذين الأساسين"[1].

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة ص ١٥.

الحديث رقم (١٢١١)

١٢١١ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً رسول الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأمْوَالَهُمْ، إلاَّ بحَقِّ الإسْلاَمِ، وَحِسَابُهُم عَلَى الله)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣).

غريب الألفاظ:

عصموا: منعوا وحَموا[٢].

الشرح الأدبي

بناء الفعل لما لم يسم فاعله لتمام العلم به، وفيه تنبيه على أن هذه الأوامر ليست من عنده، وإنما فرضت عليه من عند الله، وقوله: (أن أقاتل الناس) أي بقتال الناس، وقد عبر بأن المصدرية، والفعل المضارع دون المصدر الصريح، لأن المصدر حدث ليس محدد الزمن، ويفيد الدوام، وهولا يريد الدوام، ولا يقاتل إلا لضرورة في ظروف محددة، والفعل المضارع أدل على هذا المعنى، لأنه يفيد التجدد، و(ال) في قوله: (الناس) للجنس، وفيها دلالة على عموم رسالته ؛لأنه لم يحدد طائفة معينة كاليهود، أو النصارى، أو غيرهم بل كل من تصدَّى للدعوة مأمور بقتاله، وقوله (حتى يشهدوا) لبيان الغاية، وأنه لا يقاتل الناس طلباً لجاه، أو سلطان، وإنما ليُعبِّدهم لربهم فيوحدوه، ويؤمنوا بأنه رسول الله حتى يرتب على هذا الإيمان عملهم بالشرع الذي أرسل به، وقد قدم الشهادة بالله، لأنها مدخل الدين، فإذا آمنوا به آمنوا برسوله، فإذا آمنوا برسوله

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢/٣٦) ولفظهما سواء. تقدم برقم (٣٩٠)، و (١٠٧٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ص م).

عملواْ بما جاء به، وقدم إقامة الصلاة للاهتمام، وتلاها الزكاة لحاجة المسلمين يومئذ للأموال التي تستكمل بها عدة القتال، وتستمر الدعوة، وأسلوب الشرط في نهاية الحديث يقرر نقاء العقيدة، ونبل المقصد؛ لأنهم إن آمنوا أمنوا على أرواحهم، وأموالهم إلا بالحق، وقوله (عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) كناية عن عدم القتل، والتعبير بالكناية يصور مشهد الدماء، وتطاير الأشلاء فيسارع إلى حفظها بالإسلام، وقولهم (وحسابهم على الله) تتميم بلاغي أفاد نكتة دقيقة، وهي أنه لا يعلم ما في القلوب، وأنه يعصمهم بظاهر الأعمال.

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١ - حكم قتال ما نعي الزكاة، وفيه الجواز وقيل: الوجوب لأن أبا بكر رضي الله عنه قاتلهم[١].

٢ - حكم قتال أهل البغي: اتفق الفقهاء على وجوب قتال أهل البغي[٢]، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[٣]، فالآية عامة أو تقتضيه، لأنه إذا طلب القتال لبغي طائفة على طائفة فللبغي على الإمام أولى[٤].

٣ - حكم مراجعة الحاكم في أمر يهم المسلمين: في الحديث دليل جواز مراجعة الحكام والأكابر ومناظرتهم لإظهار الحق في أمر يهم المسلمين[٥].

المضامين الدعوية[٦]

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ١٢٣/٣، حاشية الدسوقي ٥٠٣/١، المجموع شرح المهذب ٣٠٦/٥، المغني ٢٢٩/٢، شرح صحيح مسلم، النووي ٢١٢/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٤٠/٧، حاشية الصاوي ٤٢٨/٤، مغني المحتاج ٣٩٩/٥، مطالب أولي النهى ٢٦٢/٦، شرح صحيح مسلم، النووي ٢١٢/١.

(٣) سورة الحجرات، آية: ٩.

(٤) مغني المحتاج ٣٩٩/٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ٢١٢/١.

(٦) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٩٠).

الحديث رقم (١٢١٢)

١٢١٢- وعن أَبي هريرة ﵁ ، قَالَ: لَمَّا تُوفِّيَ رسولُ الله ﷺ -وَكَانَ أَبو بَكْرٍ ﵁- وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، فَقال عُمَرُ ﵁ : كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((**أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إلهَ إلاَّ الله، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إلاَّ بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله**)) فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بينَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ. وَاللهِ لَوْ مَنَعُوني عِقَالاً كَانُوا يُؤدُّونَهُ إلَى رسولِ الله ﷺ ، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ. قَالَ عُمَرُ ﵁ : فَوَاللهِ مَا هُوَ إلاَّ أنْ رَأيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبي بَكْرٍ لِلقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أنَّهُ الحَقُّ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

عقالاً: الحبل الذي يعقل به البعير[2].

رأيت الله: معنى رأيت: علمت وأيقنت[3].

قد شرح صدر أبي بكر للقتال: ومعنى شرح فتح ووسع ولين، ومعناه: علمت بأنه جازم بالقتال لما ألقى الله سبحانه وتعالى في قلبه من الطمأنينة لذلك واستصوابه ذلك[4].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى صورة ناصعة في جبين الزمان لمراجعة الحاكم في قراره للوقوف على الصواب في قول عمر ﵁ لأبي بكر ﵁ (كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رسولُ الله ﷺ .. ؟) وهو استفهام إنكار، وتعجب لظنه أن أبا بكر خالف أمر رسول الله ﷺ ،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٣٢/ ٢٠) واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠١.

(٣) المرجع السابق ١٠١.

(٤) المرجع السابق ١٠١.

كما يدل الحديث على قيمة الحوار الهادف البناء المبني على الإقناع بالحجة بدا ذلك في قول أبى بكر رضي الله عنه : " والله لأ قاتلن من فرق بين الصلاة، والزكاة) ثم ذكره للعلة التي بنى عليها الحكم ليحقق الإقناع لأهل الشورى الذي يراجعونه في أمور الأمة دون تسلط، ولا مصادرة لرأي قال: (فإن الزكاة حق المال) وهو دليل عل حسن الفهم من أبي بكر رضي الله عنه ؛ لأن مانعي الزكاة يردون على الله تعالى بعض أركان الدين، وكأنها لا تروق لهم وهم – بذلك يؤمنون ببعض الكتاب – ويتركون بعضة، وهذه جريمة كبرى تفتح بابا مهلكا لضعاف النفوس لكي يترك كل منهم ما لا يوافق هواه، ومصالحه من الشرائع، ولا يلبثون أن يخرجوا من دينهم كليا، واللام ونون التوكيد فى الفعل المضارع: " لا قاتلن " يدلان على العزيمة الصارمة، وقوة العقيدة في شخصية " أبى بكر " التي حمى الله بها الإسلام في هذه المرحلة الخطرة في تاريخ الأمة كما توحي هذه العبارة بالاستمرارية من جهة خليفة المسلمين حتى يتحقق الأمن وتترسخ قواعد الإسلام بعد زعزعتها في نفوس البعض بعد موت رسول الله ﷺ، وقد صعَّد أبو بكر ﷺ هذا الإحساس في نفوس المترددين، بتأكيد التصدي لهؤلاء باليمين ثم بالفرض الدال على المبالغة في تحقيق الأمر في قوله: (وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رسولِ الله ﷺ، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ) ولذا أقسم (عمر) رضي الله عنه عنه قائلاً: " فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال، وحبه لهذا الدين فعرفت أنه الحق) وهو ما يوحي بخضوعهم لنظرة الحاكم الثاقبة بعد وضوح الصورة ثم إنه يشير إلى تقدير عمر رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه كما يشير إلى الروح السائدة في هذا الجيل الراشد التي تشع حرصا على هذا الدين. والله أعلم

فقه الحديث

قال النووي: (١ – فيه جواز مراجعة الأئمة والأكابر ومناظرتهم؛ لإظهار الحق. ودليله قول عمر لأبي بكر رضي الله عنهما : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله؟".

٢ - وفيه أن الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما واعتقاد جميع ما أتى به رسول الله ﷺ. وقد جمع ذلك بقوله ﷺ: ((أمرت أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به))[1].

٣ - وفيه وجوب الجهاد.

٤ - وفيه صيانة مال من أتى بكلمة التوحيد ونفسه ولو كان عند السيف.

٥ - وفيه أن الأحكام تجري على الظاهر والله تعالى يتولّى السرائر.

٦ - وفيه جواز الحلف وإن كان في غير مجلس الحاكم، وأنه ليس مكروهًا إذا كان لحاجة من تفخيم أمر ونحوه، ودليله قول أبي بكر رضي الله عنه: "والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة".

٧ - وفيه جواز القياس والعمل به.

٨ - وفيه وجوب قتال مانعي الزكاة أو الصلاة أو غيرهما من واجبات الإسلام قليلاً كان أو كثيرًا؛ لقول أبي بكر رضي الله عنه "لو منعوني عِقَالاً أو عَنَاقًا".

٩ - وفيه جواز التمسك بالعموم لقوله رضي الله عنه: "فإن الزكاة حق المال".

١٠ - وفيه وجوب قتال أهل البغي.

١١ - وفيه وجوب الزكاة في السخال[2] تبعًا لأمهاتها.

١٢ - وفيه اجتهاد الأئمة في النوازل وردّها إلى الأصول ومناظرة أهل العلم فيها ورجوع من ظهر له الحق إلى قول صاحبه.

١٣ - وفيه ترك تخطئة المجتهدين المختلفين في الفروع بعضهم بعضًا.

١٤ - وفيه أن الإجماع لا ينعقد إذا خالف من أهل الحَلّ والعقد واحد. وهذا هو الصحيح المشهور. وخالف فيه بعض أصحاب الأصول.

١٥ - وفيه قبول توبة الزنديق وهو الذي ينكر الشرع جملة. وقد ذهب مالك إلى أن

---

(١) أخرجه صحيح مسلم ٢١، ٣٤.

(٢) السَّخلة: الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز ساعة يولد، والجمع سخل وسخال وسُخلان. الوسيط ٤٢٢، ومعجم لغة الفقهاء ٢١٦.

توبة الزنديق لا تقبل. وقد اختلف أصحابنا [الشافعية] في قبول توبة الزنديق، فذكروا فيه خمسة أوجه، أصحها والأصوب منها قبولها مطلقًا للأحاديث الصحيحة المطلقة)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: وفاة رسول الله ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: قوة وعزيمة أبي بكر رضي الله عنه في قتال المرتدين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

رابعًا: من أساليب الدعوة: القسم.

خامسًا: من آداب الداعية: الرجوع إلى الحق.

سادسًا: من أهداف الدعوة: الحث على الالتزام بأركان الإسلام.

أولاً: من تاريخ الدعوة: وفاة رسول الله ﷺ

حيث جاء في الحديث: (لما توفي رسول الله ﷺ)، ومما لا شك فيه أن وفاة النبي ﷺ حدث هام في تاريخ الدعوة الإسلامية، قال ابن كثير: "استهلت سنة إحدى عشرة من الهجرة وقد استقر الركاب الشريف النبوي بالمدينة المنورة مرجعه من حجة الوداع، وقد وقعت في هذه السنة أمور عظام من أعظمها خَطْبًا وفاة رسول الله ﷺ، ولكنه عليه الصلاة والسلام نقله الله عز وجل من هذه الدار الفانية إلى النعيم الأبدي في محلة عالية رفيعة، ودرجة في الجنة لا أعلى منها ولا أسنى، وذلك بعدما أكمل أداء الرسالة التي أمره الله تعالى بإبلاغها ونصح أمته ودلّ على خير ما يعلمه لهم وحذرهم ونهاهم عما فيه مضرة عليهم في دنياهم وأخراهم"[2].

وقال الشيخ محمد الخضري: "ولم تأت ضحوة يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة حتى فارق رسول الله ﷺ دنياه ولحق بمولاه، وكان أبو

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١/١/١٨٤-١٨٩ بتصرف يسير، ، وانظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٢/٢٢٦-٢٣٧.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٥/٨.

بكر ﷺ غائبًا بالسُنح وهي منازل بني الحارث بن الخزرج، فسل عمر سيفه وتوعد من يقول: مات رسول الله حتى أقبل أبو بكر وكشف عن وجه رسول الله ﷺ فجثا يقبله ويبكي، وخرج على الناس يقول: (ألا من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)، وتلا قول الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[1]، قال عمر: والله لكأني لم أتل هذه الآية قط. وتوفي رسول الله ﷺ وترك للمسلمين ما إن اتبعوه لم يضرهم شيء: كتاب الله وسنته"[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: قوة وعزيمة أبي بكر ﷺ في قتال المرتدين:

يتبين هذا من الحديث: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه)، قال القاضي عياض: "وكان أهل الردة ثلاثة أصناف: صنف كفر بعد إسلامه ولم يلتزم شيئًا وعاد لجاهليته أو اتبع مسيلمة الكذاب أو العنسي وصدّق بهما، وصنف أقر بالإسلام إلا بالزكاة، فجحدها وأقر بالإيمان والصلاة، وتأول بعضهم أن ذلك كان خاصًا للنبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3]، وصنف اعترف بوجوبها ولكن امتنع من دفعها إلى أبي بكر ﷺ وقال: إنما كان قبضها للنبي ﷺ خاصة لا لغيره ممن يقوم مقامه بعده، وفرقوا صدقاتهم بأيديهم فرأى أبو بكر والصحابة ﷺ قتال جميعهم، الصنفان الأولان لكفرهم والثالث لامتناعه بزكاته، شَمِل جميعَهم اسمُ الردة، إذ كانوا الأكثر حتى لم يكن يصلي لله إلا في المدينة ومكة وسمجد عبدالقيس بالبحرين"[4]، وقال النووي: "وفي هذا الحديث دليل

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٤٤.

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ١٦٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١/٢٤٣ - ٢٤٤.

على شجاعة أبي بكر رضي الله عنه وتقدمه في العلم على غيره، فإنه ثبت للقتال في هذا الموطن العظيم الذي هو أكبر نعمة أنعم الله تعالى بها على المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستنبط رضي الله عنه من العلم بدقيق نظره ورصانة فكره ما لم يشاركه في الابتداء به غيره، فلهذا وغيره مما أكرمه الله تعالى به أجمع أهل الحق على أنه أفضل أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم"(١).

وقال ابن عبدالبر: " ومكث أبو بكر رضي الله عنه في خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلاّ خمس ليالٍ، ولقد قام بقتال أهل الردة وظهر من فضل رأيه في ذلك، وشدّته مع لينه ما لم يحتسب، فأظهر الله به دينه، وقتل على يديه، ببركته كل من ارتد عن دين الله، حتى ظهر أمر الله وهم كارهون"(٢).

ثالثًا – من أساليب الدعوة: الحوار:

حيث جاء في الحديث فقال عمر رضي الله عنه: (كيف تقاتل الناس...)، فقال أبو بكر رضي الله عنه: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة..)، قال القاضي عياض: "وفي الحديث ترك تخطئة المتناظرين المجتهدين المختلفين في الفروع بعضهم لبعض، أو إنكار بعضهم لبعض ذلك، إذ كل واحد منهم مجتهد، فإن عمر لم يُخَطِّئ أولاً أبا بكر، وإنما احتج عليه، ثم إن أبا بكر لم يُخَطِّئ عمر ولا أنكر خلافه إذ خالفه، لكنه احتج عليه حتى بان له الحق ورجع إلى قوله. وفيه الحجة لمن ذهب أن فعل الإمام إذا لم يُعرف له مخالف إجماع، لشهرة فعله، وأنهم كانوا ممن لا يُقرون على باطل، ويقومون بما عندهم من حق، ولا يكتمون ما عندهم من علم، ولا يداهنون في دين الله، فإذا ظهر فعل إمام بحضرتهم، ولم يُسمع من أحد منهم له نكير، دلّ على موافقتهم له، وإجماعهم على صواب فعله"(٣).

وأسلوب الحوار من أساليب الدعوة الهامة وبه يصل الطرفان إلى نتيجة، ويقلب

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٠١.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٣٧٩.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٧/١.

الرأي على جميع وجوهه المحتملة، ومن هنا وجب على الداعية الناجح أن يجعل من أسلوب الحوار طريقًا موصلاً لتبليغ دعوته إلى المدعوين، وتعريفهم بحقائق الإسلام ومن أبرز محاورات القرآن الكريم ما حدث بين موسى عليه السلام وفرعون ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾[1].

"والحوار في القرآن قد يتكرر، وقد يتخيل البعض أن هذا تشابه ولكن هذا التكرار المتنوع فيه فائدة عظيمة ألا وهي زيادة الإقناع، وغاية كل حوار قرآني هداية الناس، والحرص على إصلاحهم، والأخذ بأيديهم إلى الحق، وتوجيه النظر إلى الحقائق ولا يتجه الحوار القرآني إلى مجرد الإفحام والإلزام"[2]، ومن هذا يتضح أهمية الحوار كأسلوب من أساليب الدعوة.

رابعًا - من أساليب الدعوة: القسم:

حيث جاء في الحديث: (والله لأقاتلن...)، و(والله لو منعوني عقالاً)، وأسلوب القسم من أساليب الدعوة النافعة في إقناع المدعوين، "وأسلوب القسم موعظة حسنة لأن القرآن دائمًا يقصد به الإقناع والإثارة بواسطة المقسم به، يقول الرازي: من الناس من لا ينتفع بالبرهان الحقيقي بل ينتفع بالأشياء الإقناعية مثل القسم، وذلك كالعربي الذي جاء إلى الرسول ﷺ وسأله عن نبوته ورسالته واكتفى في تحقيق تلك الدعوى بالقسم"[3]، ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ ﴾[5].

---

(١) سورة طه، الآيات: ٤٩ - ٥٢.

(٢) الحوار آدابه وتطبيقاته، خالد محمد المغامسي ص ٨٨ - ٨٩.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، الشيخ علي صالح المرشد ص ١٦٣.

(٤) سورة يونس، الآية: ٥٣.

(٥) سورة سبأ، الآية: ٣.

خامسًا - من آداب الداعية: الرجوع إلى الحق:

يتضح هذا من قول عمر رضي الله عنه: (فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق..)، قال القاضي عياض: "وفي الحديث من الفقه اجتهاد الأئمة في النوازل، وردها إلى الأصول والمناظرة فيها، ورجوع من ظهر له الحق وتركه رأيه الأول كما فعل عمر وغيره.."[١]، وقال النووي: "والمعنى: علمت بأنه جازم بالقتال لما ألقى الله سبحانه وتعالى في قلبه من الطمأنينة لذلك واستصوابه ذلك، ومعنى قوله: عرفت أنه الحق، أي: بما أظهر من الدليل وأقامه من الحجة فعرفت بذلك أن ما ذهب إليه هو الحق لا أن عمر رضي الله عنه قلد أبا بكر رضي الله عنه فإن المجتهد يقلد المجتهد"[٢]، وقال القرطبي: "وبَاحَثَ عمر أبا بكر حتى ظهر له الحق الذي كان ظاهرًا لأبي بكر فوافقه على ذلك، ولذلك قال: (فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر رضي الله عنه للقتال، فعرفت أنه الحق)، أي: ظهر له من الدليل، وحصل له من ثلج الصدر وانشراحه لذلك مثل الذي حصل لأبي بكر؛ لأنه قلّده واتبعه بعد ظهور الدليل، لأن التقليد لا ينشرح به الصدر، ولا يعرف به الحق؛ ولأنه لا يجوز لمجتهد أن يقلد مجتهدًا عند تمكنه من الاجتهاد ويستفاد من فعل عمر رضي الله عنه وحكمه أن الإمام المجتهد العدل إذا أمر بأمر، أو حكم بحُكم وجبت موافقته على الجميع، وإن كان فيهم من يرى خلاف رأيه بل يجب عليه ترك العمل والفتيا بما عنده"[٣]، ومن هذا يتبين أن من آداب الداعية الرجوع إلى الحق إذا ظهر له فيما بعد.

سادسًا - من أهداف الدعوة: الحث على الالتزام بأركان الإسلام:

حيث جاء في الحديث: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال)، ولا شك أن من أهم أهداف الدعوة الالتزام بأركان الإسلام ذلك أن الله تعالى خلق العباد والخلق لعبادته سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٦/١ - ٢٤٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٠١.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١٨٥/١ - ١٨٦.

لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، ولذا "فالعبادة والدعوة إليها من الأمور الهامة، والتي يجب أن يتنبه لها الداعية في دعوته، إذ هي المقصد من الخلق، والحكمة من إيجادهم، ولا شك أن للعبادة أنواعًا كثيرة وأعظمها وأهمها بعد الشهادتين: الصلاة والزكاة والصوم والحج، ومن هنا كانت وصية النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه بالدعوة إلى عبادة الله عز وجل وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وسائر العبادات الأخرى"[2].

ولقد جعل الرسول ﷺ هذه العبادات أركان الإسلام، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ، وَإِقامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ))[3].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) منهج الدعوة إلى الله، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٢٢.

(٣) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦.

الحديث رقم (١٢١٣)

١٢١٣ - وعن أَبي أيُّوب رضي الله عنه: أنّ رَجُلاً قَالَ للنبيِّ ﷺ: أخْبِرْنِي بعمل يُدْخِلُنِي الجَنَّة[1]، ... قَالَ: ((تَعْبُدُ اللهَ، لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاة، وَتَصِلُ الرَّحِمَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو أيوب الأنصاري: هو خالد بن زيد بن النجار الخزرجي. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣١).

الشرح الأدبي

وأمر الرسول ﷺ (تعبد، وتقيم وتؤتي وتصل) جاء في صورة الخبر وذلك ليوافق أسلوبه قول الأعرابي (أخبرني) فجاء أمره في صورة الخبر هذا من ناحية ومن ناحية أخرى رعاية لنفسية الأعرابي الذي يأنف أن يأمر، أو ينهى، وهو الذي يحيا في صحرائه بلا قيود، أو أوامر أو قوانين فأسلوب النبي بذلك راعي نفسية الأعرابي وشاكل كلامه، والعدول عن الأسلوب الإنشائي (أعبد) إلى الخبري في قوله "تعبد الله" لفائدتين: أحدهما: أن المأمور كأنه سارع إلى الامتثال، وهو يخبر عنه إظهارا للحرص بوقوعه ثانيهما: أن لا ينسب إلى عدم الامتثال لأمره إن قصر المأمور، أو لئلا يكون المأمور مسخوطاً عليه إن لم يمتثل' واتباعه النهي في قوله (لا تشرك) للأمر في قوله (تعبد) تأكيداً له لإخلاص العبودية لله من الشرك العالق في نفوس القوم من آثار الجاهلية' والحديث الشريف بجملته نموذج يقتدي به في التعليم، والتربية، ومخاطبة

---

(١) عند البخاري زيادة: (قال: ما له ما له، وقال النبي ﷺ: أربٌ ما له). تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه، حيث لم يورد هذه الزيادة.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٦) واللفظ له، ومسلم (١٣/١٢)، وتقدم برقم (٣٣١). أورده المنذري في ترغيبه (١١٠٨).

الناس بأساليبهم، ورعاية الجانب النفسي عندهم. مع الحرص على عموم المنفعة، وبلوغ الموعظة، ولذلك نرى أن النبي ﷺ في ترهيبه، وترغيبه كثيراً ما يدعم الأمر بالنهي، أو يسبقه بالنداء، وغيره من الأساليب القوية التي تعضد الأمر، وتحض على الامتثال له.

المضامين الدعوية (١)

أولاً: من واجبات المدعو: السؤال عما ينفعه في دنياه وأخراه.

ثانيًا: من واجبات الداعية: الإجابة على أسئلة المدعوين وبيان الحقائق واضحة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد الخالص.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل العمل بأركان الإسلام وصلة الرحم.

خامسًا: من أصناف المدعوين: الأعراب.

سادسًا: من حكمة الداعية: مراعاة ترتيب الأولويات.

سابعًا: من فقه الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين.

ثامنًا: من اساليب الدعوة: القسم.

تاسعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً – من واجبات المدعو: السؤال عما ينفعه في دنياه وأخراه:

إن المسلم مطالب أن يستفسر ويسأل عن الأمور التي تقوده إلى الجنة، وتكون سببًا في وقايته من النار، يتضح هذا من الحديث: (أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة)، وفي الحديث أيضًا: (دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة)، إن من أهم واجبات المدعو السؤال عما ينفعه، قال النووي: "والمهم أن يكون السائل عارفًا بكيفية السؤال وآدابه والمهم منه وحسن المراجعة فإن هذه أسباب عظم الانتفاع بالجواب"(٢)، هذا وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٣)،

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٢١٣– مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢١٤، ١٢١٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٦.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٣.

وأوصى النبي ﷺ أن يسأل الإنسان إذا جهل، فقال في الحديث مستنكرًا على من لم يسأل: ((أَلاَ سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[1].

ثانيًا – من واجبات الداعية: الإجابة على أسئلة المدعوين وبيان الحقائق واضحة:

حيث جاء في الحديث: (تعبد الله لا تشرك به شيئًا..)، قال القاضي عياض: "وفي الحديث جواز التحليف والتأكيد للأمور المهمة والأخبار الهائلة وجواز الحلف في ذلك كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[2]، وفيه صبر العالم على جفاء السائل الجاهل وبيان ما يلزمه للمتعلم المسترشد، وإجابته لما يرى أنه ينفعه ويحتاج إليه في دينه، وفيه جواز قول ما تدعو إليه الضرورة من خشن الكلام، وجواز الاعتذار منه"[3]، وبإجابة النبي ﷺ على سؤال الأعرابي يتضح أن من أهم واجبات الداعية الإجابة على أسئلة المدعوين وتبيين الحقائق لهم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[5].

ومما لا شك فيه أن السبيل الموصل لقدرة الداعي على الإجابة على أسئلة المدعوين هو العلم، "والعلم عنصر أساس لا بد منه حتى يجد الناس عند الداعية إجابة التساؤلات وحلول المشكلات إضافة إلى ذلك، فإنه العدة التي بها يعلم الداعية الناس أحكام الشرع ويبصرهم بحقائق الواقع، وبه أيضًا يكون الداعية قادرًا على الإقناع وتفنيد الشبهات ومتقنًا في العرض، ومبدعًا في التوعية والتوجيه ومن خلاله يعرف الحق من الباطل، والحلال من الحرام، ويفهم مقاصد الشريعة ومحاسنها ويحسن عرضها

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٣.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٢٣/١ - ٢٢٤.

(٤) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

ونشرها"[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد الخالص:

إن التوحيد من أعظم مطلوبات الإسلام من أجله خلق الإنسان، وبه قامت دعوة الرسل وعلى أساسه يكون الحساب والجزاء، ومما يدل على أهميته ما جاء في الحديث في قوله ﷺ: (تعبد الله لا تشرك به شيئًا)، قال النووي: "والعبادة هي الطاعة مع خضوع فيحتمل أن يكون المراد بالعبادة هنا معرفة الله والإقرار بوحدانيته، ويحتمل أن يكون المراد بالعبادة الطاعة مطلقًا فيدخل جميع وظائف الإسلام فيها وقوله: (لا تشرك به)، ذكره بعد العبادة لأن الكفار كانوا يعبدونه سبحانه وتعالى في الصورة ويعبدون معه أوثانًا يزعمون أنهم شركاء فنفى هذا"[٢]، وقد دلت آيات القرآن الكريم على فضل التوحيد الخالص، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٤]، "إن التوحيد في الإسلام الخالص من الشوائب الصادر من القلب تتبعه حتمًا جميع الفضائل المتعارف عليها، فكلمة التوحيد ترسخ في قائلها: بأن لا معبود ولا محيي ولا مميت ولا رازق ولا نافع إلا الله، ويستفيد المؤمن من عقيدة التوحيد الاستقلال والحرية، فليس لأحد عليه سلطان ويستفيد الأنفة والعفة من اعتقاده أن لا رازق إلا الله ويستفيد المؤمن كذلك من التوحيد، الشجاعة وعدم هيبة الموت؛ لأن الذي يملكه هو الله وحده"[٥].

قال ابن القيم: "ومن أعظم نعمه علينا وما استوجب حمد عباده له، أن يجعلنا عبيدًا

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص ٦٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٥) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٩٣ - ٩٤.

له خاصة، ولم يجعلنا ربُّنا منقسمين بين شركاءَ متشاكسين، ولم يجعلنا عبيدًا لإله نحتته الأَفكار، لا يسمع أَصواتنا ولا يبصر أَفعالنا ولا يعلم أَحوالنا فلله الحمد والمنة إذ لم يجعلنا عبيدًا لمن هذا شأنه فنكون مضيعين ليس لنا رب نقصده، ولا صمد نتوجه إليه ونعبده، ولله الحمد على ما منّ به من معرفته وتوحيده والإقرار بصفاته العلى وأسمائه الحسنى، وإقرار قلوبنا بأنه الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة رب العالمين"(١).

قال البدر العيني: "وقوله في الحديث: (تعبد الله) أي: توحده، وفسره بقوله: (ولا تشرك به شيئًا) قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢). أي: ليوحدوني، والتحقيق هنا أن العبادة الطاعة مع خضوع، فيحتمل أن يكون المراد بالعبادة هنا معرفة الله تعالى، والإقرار بوحدانيته، فعلى هذا يكون عطف الصلاة وعطف ما بعدها عليها لإدخالها في الإسلام، وأنها لم تكن دخلت في العبادة، ويحتمل أن يكون المراد بالعبادة الطاعة مطلقًا، فيدخل جميع وظائف الإسلام فيها. فعلى هذا يكون عطف الصلاة وغيرها من باب عطف الخاص على العام، تنبيها على شرفه ومزيته"(٣).

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل العمل بأركان الإسلام وصلة الرحم:

حيث جاء في الحديث: (وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم)، وفي الحديث الثاني زيادة: (وتصوم رمضان)، جاء في فتح الملهم: "قال العارفون: التعبد إما لنيل الثواب أو التخلص من العقاب، وهي أنزل الدرجات، وتسمى عبادة، أو للتشرف بخدمته تعالى والانتساب إليه، وتسمى عبودية وهي أرفع من الأولى، أو لوجهه تعالى من غير ملاحظة شيء آخر وتسمى إحسانًا وهي أعلى المقامات وأرفع الحالات"(٤)، والعمل بأركان الإسلام له أجر عظيم وفضل كبير وأجر كريم ففي الصلاة والزكاة قال الله تعالى:

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٨/٢٤٠.

(٤) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ٤٥٧/١ بتصرف.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]، وفي شأن الصيام قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2].

وهذه الأركان تمثل نظام العبادة في الإسلام بالإضافة إلى الحج، "إن من الأهداف التي تحققها العبادات الإسلامية تقوية الإنسان في معارك الحياة؛ فالحياة في نظر الإسلام صراع بين الحق والباطل، في النفس والمجتمع، وعلى هذا بنيت الحياة الإسلامية منذ أن هبط آدم عليه السلام إلى الأرض والعبادة هي التي تجعل الإنسان قوي في هذه المعركة، ولهذا كانت العبادة في الإسلام غير منفصلة عن الحياة ومعاركها وآفاقها بل ملازمة لها ومصلحةً وموجهة لها في وجهتها الصحيحة، ومن هنا كان للإسلام فضل عظيم في أن أسبغ على جميع أعمال الإنسان صفة العبادة إذا قصد بها وجه الله ومرضاته"[3].

وأركان الإسلام مما يسهل العمل بها وتنفيذها "فالعبادات قليلة سهلة ليس فيها مشقة بليغة، وليس فيها حرج من صلاة وصيام وزكاة وحج وإذا ما التزم المسلم هذه العبادات فإن ثمرة الإيمان لا تظهر منه، ولا يحس بحلاوته حتى يخلص العمل لله كما علم الله نبيه أن يقول: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4]، وبهذا ينال خيري الدنيا والآخرة[5]، وأما صلة الرحم فقد حذر الله من قطيعتها فقال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴾[6]، وبين الرسول الكريم

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٣) نظام الإسلام "العقيدة والعبادة"، د. محمد المبارك ص ١٦٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٥) تعريف عام بدين الإسلام، علي الطنطاوي، ط١ دار المنارة، جدة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٢٨.

(٦) سورة محمد، الآية: ٢٢.

فضل صلة الرحم وجزاء واصلها فقد قال ﷺ: ((مَن سَرَّهُ أن يُبسَطَ لهُ في رِزقهِ أو يُنْسَأَ لهُ في أثَرِهِ فلْيَصِلِ رحِمَه))(١).

خامسًا - من أصناف المدعوين: الأعراب:

حيث جاء في الحديث: (أن إعرابيًا أتى النبي ﷺ)، والأعراب صنف من أصناف المدعوين، وإن من صفات الأعراب: الجفاء والغلظة والقسوة مما يتطلب في دعوتهم اللين والرفق في دعوتهم، "ومن خلال استقراء مواقف الرسول ﷺ مع الأعراب ومقارنة معاملته لهم بأسلوب اللين مع ما جبلوا عليه من الغلظة والقسوة والجفاء نستنتج أن ظروفهم البيئية وما فرضته عليهم من طباع هي أبرز ما دعا الرسول ﷺ إلى المبالغة في ملاينتهم والصبر على غلظتهم فظروف البيئة وحياة المعيشة لها تأثيرها على الناس وطباعهم وسلوكهم وأخلاقهم"(٢).

ومما يدل على معاملة الرسول ﷺ للأعراب باللين والرفق ما أخرجه الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللّهِ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ: مَهْ مَهْ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((لاَ تُزْرِمُوهُ. دَعُوهُ)) فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: ((إِنَّ هذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هذَا الْبَوْلِ وَالْقَذَرِ. إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللّه عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ))، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ. قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ(٣).

وفي رواية ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ، بَعْدَ أَنْ فَقِهَ، فَقَامَ: إِلَيَّ بِأَبِي وَأُمِّي. فَلَمْ يُؤَنِّبْ وَلَمْ يَسُبَّ. فَقَالَ: ((إِنَّ هذَا الْمَسْجِدَ لاَ يُبَالُ فِيهِ. وَإِنَّمَا بُنِيَ لِذِكْرِ اللّهِ وَلِلصَّلاَةِ))(٤).

---

(١) أخرجه البخاري ٥٩٨٥.

(٢) دعوة النبي ﷺ الأعراب، حمود بن جابر الحارثي، ط١ دار المسلم: ١٤١٦هـ/١٩٩٨م، ص ٢٢٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢١٩، ومسلم ٢٨٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٥٢٩، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن ابن ماجه ٤٢٨).

ومما يدل أيضًا على حسن معاملة الرسول ﷺ للأعراب ما جاء عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهرًا، وكان يُهْدِي إلى النبي ﷺ الهدية من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا ونَحْنُ حَاضِرُوهُ)).

وكان النبيُّ ﷺ يحبه، وكان (رجلاً) دميمًا، فأتى النبيُّ ﷺ يومًا، وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه، وهو لا يبصره، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبيُّ ﷺ يقول: ((مَنْ يَشْتَرِي العَبْدَ؟)) فقال يا رسول الله، إذًا والله تجدني كاسدًا، فقال النبي ﷺ: ((لَكِنَّكَ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ))، أو قال: (لَكِنْ عِنْدَ اللهِ أَنْتَ غَالٍ))[(١)].

سادسًا - من حكمة الداعية: مراعاة ترتيب الأولويات:

إن الداعية الحصيف هو الذي يراعي ترتيب الأولويات في دعوته فيبدأ بالفروض والواجبات قبل السنن والمستحبات، والضروريات والحاجيات قبل التحسينيات والكماليات، ومما يدل على ذلك قول النبي ﷺ في الحديث: (تعبد الله لا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان)، قال ابن حجر: "كان النبي ﷺ أول ما يشترط بعد التوحيد إقامة الصلاة لأنه رأس العبادات البدنية، ثم أداء الزكاة لأنها من العبادات المالية، ثم يعلم كل قوم ما حاجتهم إليه أمَسّ"[(٢)]، فمراعاة وترتيب الأولويات والتدرج كان سمة بارزة من سمات الدعوة وهي تبرز فقه الداعية في معالجة قضايا الدعوة، "وعند النظر في سيرة الرسول ﷺ نجد أنه عند عرض دعوته يبدأ بالأهم فالمهم، فبعد قبول دعوة التوحيد من قبل المدعو يعرض بقية أركان الإسلام مراعيًا فيها التدرج حسب الأهمية، الصلاة، فالزكاة فالصوم فالحج لأنه يصعب على البعض أن ينخلع عن فكره وعادته في طرفة عين"[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٦١/٣، رقم ١٢٦٤٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ٩٠/٢٠ - ٩١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٧/٢.

(٣) دعوة النبي ﷺ للأعراب، حمود بن جابر الحارثي ص ١٠٥.

ومما يدل على مراعاة ترتيب الأولويات أن النبي ﷺ لم يذكر لهما السنن والتطوعات مراعاة لأحوالهما، قال القرطبي: "ولم يذكر لهما في هذين الحديثين شيئًا من فعل التطوعات، فدلّ على جواز ترك التطوعات على الجملة، لكن من تركها ولم يعمل شيئًا منها، فقد فوّت على نفسه ربحًا عظيمًا، وثوابًا جسيما، ومن داوم على ترك شيء من السنن كان ذلك نقصًا في دينه، وقدحًا في عدالته، فإن كان تركه تهاونًا به ورغبة عنها، كان ذلك فسقًا يستحق به ذما. وقال علماؤنا: لو أن أهل بلدة تواصلوا على ترك سنة لقوتلوا عليها حتى يرجعوا. ولقد كان صدر الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم يثابرون على فعل السنن والفضائل مثابرتهم على الفرائض، ولم يكونوا يفرقون بينهما في اغتنام ثوابهما، وإنما احتاج أئمة الفقهاء إلى ذكر الفرق بينهما لما يترتب عليه من وجوب الإعادة وتركها، وخوف العقاب على الترك، ونفيه إن حصل ترك ما بوجه ما، وإنما سكت النبي ﷺ لهؤلاء السائلين عن ذكر التطوعات، ولم يذكرها لهم كما ذكرها في حديث طلحة بن عبيد الله؛ لأن هؤلاء - والله أعلم - كانوا حديثي عهد بالإسلام فاكتفى منهم بفعل ما وجب عليهم في تلك الحال، لئلا يثقل ذلك عليهم فيملوا، أو لئلا يعتقدوا أن تلك السنن والتطوعات واجبة، فتركهم إلى أن تنشرح صدورهم بالفهم عنه، والحرص على تحصيل ثواب تلك المندوبات، فتسهل عليهم. ومن المعلوم أن هؤلاء ما سُوّغ لهم ترك الوتر ولا صلاة العيدين، ولا غير ذلك مما فعله النبي ﷺ في جماعة المسمين، ولا يجترئون على ترك ذلك للذي يُعلم من حرصهم على الاقتداء بالنبي ﷺ وعلى تحصيل الثواب، والله تعالى أعلم"[1].

سابعًا - من فقه الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين:

وذلك حيث جاء في الحديث: (تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان)، وجاء أيضًا: (وتصل الرحم)، وفي الاقتصار على هذه الأركان مراعاة لأحوال المدعوين وأيضًا في ذكر صلة الرحم وتخصيصها من بين خصال الخير ما يدل على مراعاة حالة المدعو

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١/١٦٦ - ١٦٧.

ولعله يحتاج إلى تذكير بهذه الخصلة، ولا شك أن مراعاة حال المخاطب من فقه الداعية، قال ابن حجر: "ولعل هؤلاء السائلين كانوا حديثي عهد بالإسلام فاكتفى منهم بفعل ما وجب عليهم في ترك الحال لئلا يثقل ذلك عليهم فيملوا، حتى إذا انشرحت صدورهم للفهم عنه والحرص على تحصيل المندوبات سهلت عليهم. وأما تخصيص صلة الرحم من بين خلال الخير نظرًا إلى حال السائل، كأنه لا يصل رحمه فأمره بها؛ لأنه المهم بالنسبة إليه ويؤخذ منه تخصيص بعض الأعمال بالحض عليها بحسب حال المخاطب وافتقاره للتنبيه عليها أكثر مما سواها إما لمشقتها عليه، وإما لتسهيله في أمرها"(١).

والداعية الناجح يراعي نفسية المدعوين وحالتهم، "ومن الأمور التي ينبغي أن يأخذ بها الداعي ويحقق بها، مراعاة أحوال المدعوين ومراعاة طبيعة المدعو وبيئته وديانته ونوع الخلل الذي لديه واختيار الأسلوب المناسب لذلك، ومراعاة استعداد المدعو نفسيًا للتلقي ورغبته في القبول ومقدار أهليته للإساغة والفهم ومن ذلك تجنب إثارة الحمية الجاهلية في نفسية المخاطب لأن التعرض للمعتقدات الباطلة لدى المخاطب قد يؤدي إلى نتائج وخيمة"(٢).

ثامنًا - من أساليب الدعوة: القسم:

حيث جاء في الحديث: (والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا)، وأسلوب القسم من أساليب الدعوة النافعة في إقناع المدعو وأهم ما يبرز في أسلوب القسم هو تعظيم المقسم به مما يدل على أهمية المقسم عليه ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب القسم قوله تعالى: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(٣).

تاسعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا)،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٣١١ - ٣١٢.

(٢) منهج الدعوة إلى الله، أمين أحسن إصلاحي، تعريب: سعيد الأعظمي الندوي، نور عالم الندوي، دار نشر الكتاب الإسلامي، دون ذكر لرقم وتاريخ الطبعة، ص ٨٧ - ٨٨.

(٣) سورة التغابن، الآية: ٧.

قال النووي: "والظاهر أن النبي ﷺ علم أنه يوفي بما التزم، وأنه يدوم على ذلك ويدخل الجنة"[١]، "وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو وتجعله يقبل على الطاعة، "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"[٢].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٨.

(٢) أصول الدعوة: د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٢١٤)

١٢١٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ أعْرَابيًا أتَى النبيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ، دَخَلْتُ الجَنَّةَ. قَالَ: ((تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وتُقِيمُ الصَّلاَةَ[1]، وتُؤتِي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ)) قَالَ: وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا أزيدُ عَلَى هَذَا، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النبيُّ ﷺ: ((مَنْ سَرَّهُ أنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ولَّى: ذهب وانصرف[3].

الشرح الأدبي

قول الأعرابي لرسول الله ﷺ: " دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. ... " يدل على فطنة هذا الأعرابي؛ لأنه هون على نفسه فقال: (عمل) ولم يقل (أعمالاً) واستخدام " إذا " والفعل الماضي " عملته " و "دخلت الجنة " من باب الاستبشار بالتعبير بالماضي المحقق، ويدل هذان الفعلان على تواجد العزيمة في قلب ذلك الأعرابي فقال الرسول ﷺ للأعرابي: " تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان " وحدد الزكاة ووصفها بأنها " المفروضة " ولم يتطرق إلى صدقة التطوع حتى لا تثقل التكاليف على الرجل، ولأن المال محبب إلى النفوس، ولا تسمح نفوس الكثيرين بالتفريط فيه بسهوله، وعندئذ أقسم الرجل قائلاً: " والذي نفسي بيده لا

---

(١) عندهما زيادة: (المكتوبة).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٧) واللفظ له، ومسلم (١٤/١٥). أورده المنذري في ترغيبه (١١٠٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ل ي).

أزيد على هذا)، ومع ذلك بشرة الرسول ﷺ بأنه من أهل الجنة فقال للمحيطين به على سبيل الإشادة به، والترغيب في روح الحرص، والغيرة على الدين التي تحلى بها: " من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا "وفعل الأمر فلينظر جاء تنبيها له، وتنويها بذكره، ومدحا له، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢١٥)

١٢١٥- وعن جرير بن عبد الله ﷺ، قَالَ: بايَعْتُ النبيَ ﷺ عَلَى إقَامِ الصَّلاَةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

غريب الألفاظ:

بايَعتُ: عاقدتُ وعاهدتُ[2].

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الخبري – حيث بدأه بالفعل الماضي: " بايعت " الذي يدل على المفاعلة من البيعة، وهي تعاهد بين طرفين توحي بالتزامه بما بايع عليه النبي وهذا بمثابة العهد الذي يجب الوفاء به ثم بين بنود تلك المبايعة فبدأ بالصلاة فقال: ".. على إقام الصلاة " ولفظ " إقام " يشير إلى أن المعتد به في الصلاة: إقامتها الإصلاح، والاستقامة في جميع أجزائها بداية بالوضوء، وانتهاءً بأركانها ومرورا بما يلزمها من حضور، وخشوع ووفاء بما يتطلبه الموقف بين يدي الله تعالى كأنها بنيان له قواعده الراسخة، ولم يقل: أداء الصلاة، لأنه قد يؤديها على سبيل العادة بحركات الجسد بخلاف الإقامة الشاملة لكل ما يتعلق بها، والتأمل الخاص بها والدعاء الذي حث علية النبي ﷺ في سجودها، فالإقامة: تعنى العناية والاهتمام والتهيؤ، والخشوع، وختم الحديث " بالنصح لكل مسلم " وأتى بلفظ " كل " ليفيد الشمول، والاستغراق. وقال " مسلم " ولم يقل " مؤمن " لأن العبرة في الإنسان بظاهره، والنصيحة هي حب الخير

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦/٩٧) ولفظهما سواء، وتقدم برقم ١٨٢. أورده المنذري في ترغيبه (١١١٢).

(٢) الوسيط في (ب ي ع).

للمنصوح له كائناً من كان وهو ما يجعل المجتمع وحدة واحدة في التصدي للمخالفة بالتنبه إليها، والتحذير منها، والنهي عنها، والإرشاد لكل خير عاجل، وآجل.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٢١٣).

الحديث رقم (١٢١٦)

١٢١٦- وعن أَبي هريرة ﵁، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ، لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إلاَّ إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ فَيَرَى سَبيلَهُ، إمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإمَّا إِلَى النَّارِ)) قيل: يَا رسولَ الله، فالإبلُ؟ قَالَ: ((وَلاَ صَاحِبِ إبلٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلْبُهَا يومَ وِرْدِهَا، إلاَّ إِذَا كَانَ يومُ القِيامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أوْفَرَ مَا كَانَتْ، لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا فَصيلاً وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بأخْفَافِهَا، وَتَعَضُّهُ بِأفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَا، رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، في يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقضى بَيْنَ العِبَادِ، فَيَرَى سَبيلَهُ، إمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإمَّا إِلَى النَّارِ)) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالبَقَرُ وَالغَنَمُ؟ قَالَ: ((وَلاَ صَاحِبِ بَقَرٍ وَلاَ غَنَمٍ لاَ يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بقَاعٍ قَرْقَرٍ، لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ، وَلاَ جَلْحَاءُ، وَلاَ عَضْبَاءُ، تَنْطَحُهُ بقُرُونها، وَتَطَؤُهُ بأظْلاَفِهَا، كُلَّمَا مرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَا، رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، في يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ، فَيَرى سَبيلَهُ، إمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإمَّا إِلَى النَّارِ)) قيل: يَا رسول الله فالخَيْلُ؟ قَالَ: ((الخَيلُ ثَلاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أجْرٌ. فَأَمَّا الَّتي هي لَهُ وِزْرٌ فَرَجُلٌ ربطها رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَى أهْلِ الإسْلاَمِ، فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ، وَأَمَّا الَّتي هي لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا في سَبيلِ الله، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ في ظُهُورِهَا، وَلاَ رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَأَمَّا الَّتي هي لَهُ أجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا في سَبيلِ الله لأهْلِ الإسْلاَمِ في مَرْجٍ، أَوْ رَوْضَةٍ فَمَا أكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ المَرْجِ أَو الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ كُتِبَ لَهُ عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَات وكُتِبَ لَهُ عَدَدَ أرْوَاثِهَا وَأبْوَالِهَا حَسَنَات، وَلاَ تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ إلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا، وَأرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ، وَلاَ مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ، وَلاَ يُرِيدُ أنْ يَسْقِيهَا إلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ مَا شَرِبَتْ حَسَنَاتٍ)) قِيلَ: يَا رسولَ اللهِ فالحُمُرُ؟ قَالَ: ((مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ في الحُمُرِ شَيْءٌ إلاَّ هذِهِ الآيَة الفَاذَّةُ الجَامِعَةُ: ﴿فَمَنْ يَعمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾)) متفقٌ عَلَيْهِ[١]، وهذا لفظ مسلم.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

صفحت له صفائح من نار: صُهرت وسُبكت على هيئة الألواح وأوقد عليها النار وعذب بها صاحبها[٢].

وردها: ورودها الماء بأن تحلب حينئذ ويسقى من ألبانها للمارة والواردين الماء[٣].

بُطح: طُرح على وجهه[٤].

القاع: المستوى الواسع من الأرض يعلوه ماء السماء فيمسكه[٥].

أوفر: أسمن[٦].

القرقر: المستوى أيضًا من الأرض الواسع[٧].

فصيلاً: هو ما فصل عن اللبن والإرضاع، وأكثر ما يطلق في الإبل وقد يقال في البقر[٨].

بأخفافها: جمع خف، والخف للبعير كالحافر للفرس[٩].

عقصاء: ملتوية القرنين[١٠].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٢)، ومسلم (٢٤/٩٨٧) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (١١١٥).

(٢) لسان العرب، ابن منظور في (ص ف ح).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٤٤.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ، وانظر: شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣٠.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣٠.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٤٤.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣٠.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ص ل).

(٩) المرجع السابق في (خ ف ف).

(١٠) المرجع السابق في (ع ق ص).

جلحاء: لا قرن لها[١].

عضباء: انكسر قرنها الداخل[٢].

بأظلافها: الظلف للبقر والغنم والظباء، وهو المنشق من القوائم[٣].

الوزر: الحمل والثقل، وأكثر ما يطلق في الحديث على الذنب والإثم[٤].

ستر: أي للحالة التي هو فيها من الفقر أو الضيق[٥].

نواءً: بكسر النون وبالمد أي مناوأة ومعاداة[٦].

ربطها في سبيل الله: أعدها للجهاد، وأصله من الربط، ومنه الرباط وهو حبس الرجل نفسه في الثغر، وإعداده الأهبة لذلك[٧].

مَرْجُ: أرض واسعة ذات نبات ومرعى للدواب[٨].

روضة: الأرض ذات الخضرة[٩].

أرواثها: جمع رَوَث وهو: رجيع ذوات الحافر[١٠].

طِوَلها: الحبل الذي تربط فيه[١١].

فاستنت: جرت[١٢].

شرفًا: عاليًا من الأرض[١٣].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣١.

(٢) المرجع السابق ٦٣١.

(٣) المرجع السابق ٦٣١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ز ر).

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٤٥.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣١.

(٧) المرجع السابق ٦٣١.

(٨) المعجم الوسيط في (م ر ج).

(٩) المعجم الوسيط في (ر و ض).

(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر و ث).

(١١) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣١.

(١٢) المرجع السابق ٦٣١.

(١٣) المرجع السابق ٦٣١.

آثارها: جمع أثر، وأصله من أثر المشي على الأرض[١].

الفاذة: القليلة النظير[٢].

الجامعة: العامة المتناولة لكل خير ومعروف[٣].

مثقال ذرة: وزن ذرة، والذرة: ما يُرى في الضوء إذ دخل نافذة الحجرة المظلمة[٤].

الشرح الأدبي

في هذا الحديث يصور الرسول ﷺ بأساليبه البلاغية مشهداً من مشاهد الهول يوم القيامة لعذاب مانع الزكاة بالحركة، والصوت، واللون، والشعور المصاحب للأحداث ترهيباً من التلبس بهذا الخطأ، وتقويماً له، وحضاً على المسارعة بإخراج الزكاة قبل أن يحل العقاب الجاثم بصاحب الفعل الآثم جزاءً من جنس عمله.

وقد استخدم الرسول ﷺ في تكوين هذا المشهد، ونقله بكل أبعاده عدة أساليب بلاغية منها: أسلوب القصر، وقد استخدمه الرسول ﷺ في إطار الترهيب من منع صاحب الذهب، والفضة، والإبل، والبقر، والغنم للزكاة بغرض تقويم هذا الخطأ، وحث أصحاب هذه الأموال على المسارعة بأداء الزكاة، وذلك في قوله (مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ، وَلاَ فِضَّةٍ، لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ، وَجَبِينُهُ، وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ) حيث قصر أصحاب هذه الأموال بقيد منع زكاتها على كونها على هذه الهيئة الموصوفة من العذاب لا تتعداه إلى غيره، قُصرت أمواله على كونها أداة لتعذيبه، وقوله (صفحت صفائح) جناس يؤكد تهيئتها للعذاب، ويصور

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ ث ر).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣١.

(٣) المرجع السابق ٦٣١.

(٤) والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ث ق ل) و (ذ ر ر).

الفعل المضارع تحولها من صورة المال المعروف من الدنانير، والجنيهات الذهبية والفضية إلى كتل من معدن مشتعل يتشكل ليصير مكواة لجسده، وذكر الجنب، والجبين، والظهر توكيد لألم يحيط بجسده، وجملة الشرط التي تقرر اتصال العذاب بمدد لا ينقطع (كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَه) وقوله في (فِي يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) يصعّد الرهبة من جمع مال يتمتع به في الدنيا سنوات قليلة، ويصير يوم القيامة أداة لتعذيبه أمدا طويلا بهذا المقدار وقوله (ما من صاحب إبل وَلاَ صَاحِبِ إبلٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلْبُهَا يَومَ وِرْدِهَا، إلاَّ إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ .) حيث قصر أصحاب هذه الأموال بقيد منع زكاتها على الإقعاد لها يوم القيامة بهذه الهيئة المخصوصة التي تصور شدة العذاب وهول الموقف مما يجسد في نفس المخاطب هيئة إبله إن كان صاحب إبل وبقره إن كان صاحب بقر، وغنمه إن كان صاحب غنم، وقد صارت أداة لتعذيبه - إن منع زكاتها - فيبادر بإخراج زكاتها.

وهذا الأسلوب من الرسول ﷺ يعالج في النفس الشغوفة بحب المال الرغبة في الإبقاء عليه وعدم إخراج زكاته بأن يجعله في كثرته وزيادته زيادة في التعذيب حتى إذا ما حدثته نفسه بالإبقاء على ناقته أو بعيره تذكرها هي بعينها وقد ثارت عليه توجه له اللكمات والكدمات في شتى أنحاء جسده وهو يتقلب في العذاب لا يجد مخرجاً، وكذا صاحب البقر، وقد تحولت أبقاره إلى أدوات تعذيب هي بعينها التي سمَّنها، وكبرها ورباها، وبخل بها فلم يؤد زكاتها، وكذا صاحب الغنم يراها كذلك فتنفي من نفسه الرغبة في الإبقاء عليها دون إخراج الزكاة، ويسارع في إخراجها هرباً في نفسه من هول قطيعة الذي يتقاذفه بأظلافه، وأخفافه، وقرونه كلما أنهى بدأ، وأسلوب القصر يزيد الموقف هولاً لأنه يفرد صاحب المال المانع لزكاته في العذاب الجسدي في هذا الوضع المهين، وهذا الإفراد عذاب نفسي فوق ما هو فيه، ولذلك ذكر كل نموذج على انفراد معطوفاً على غيره بالواو، مما يقتضي المغايرة، وكذا تكراره لـ(لا) إشارة إلى استقلالية كل منهم بنوع خاص به من العذاب واستخدامه ﷺ (من) في قوله: (ما من صاحب إبل. ..) لإفادة الاستغراق، والمبالغة في عدم استثناء أحد لا

يؤدى زكاة ماله من هؤلاء من العذاب، والحديث يتميز بالطول في تتبع تفاصيل عذاب أصحاب الأموال الذين لا يؤدون زكاته وهذا يرجع إلى أثر المال على النفوس والتي جبلت على حبه فلزم تصويره بهذا التصوير البالغ الدقة في علاج الشح[1].

فقه الحديث

١ - قال النووي: (هذا الحديث صريح في وجوب الزكاة في الذهب والفضة ولا خلاف فيه. وكذا باقي المذكورات من الإبل والبقر والغنم)[2].

٢ - قال النووي: (قوله ﷺ في الخيل: "ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا في رقابها" استدل به أبو حنيفة على وجوب الزكاة في الخيل، ومذهبه أنه إن كانت الخيل كلها ذكورًا فلا زكاة فيها، وإن كانت إناثًا أو ذكورًا وإناثًا وجبت الزكاة، وهو بالخيارين: إن شاء أخرج عن كل فرس دينارًا، وإن شاء قوّمها وأخرج ربع عشر القيام. وقال مالك والشافعي وجماهير العلماء: لا زكاة في الخيل بحالٍ، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة))[3]. وتأولوا هذا الحديث على أن المراد أنه يجهد بها. وقد يجب الجهاد بها إذا تعيّن. وقيل: يحتمل أن المراد بالحق في رقابها: الإحسان إليها والقيام بعلفها وسائر مؤنها. والمراد بظهورها: إطراق فحلها إذا طلبت عاريته. وهذا على الندب. وقيل: المراد حق الله مما يكسب من مال العدو على ظهورها، وهو خُمْس الغنيمة)[4].

٣ - زكاة سائر أصناف الحيوان لمن غير الإبل والبقر والغنم والخيل.

---

(١) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ٢٣٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٥/٧/٤، وانظر: الإجماع لابن المنذر ص ١٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٤٦٣، ومسلم ٩٨٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٨/٧/٤ ، وانظر في كتب المذاهب الفقهية: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٥٠٢/١، ٥٠٣، والدسوقي على الشرح الكبير ٤٣٥/١، وشرح المنهاج ٣/٢، والمغني ٦٦/٤ ، والموسوعة الفقهية ٢٦١/٢٣-٢٦٢.

ذهب عامة الفقهاء إلى أنه لا زكاة في سائر الحيوان غير ما تقدم ما لم تكن للتجارة، فليس في البغال والحمير وغيرها زكاة[1] واحتجوا لذلك بما في الحديث أن النبي ﷺ سئل عن الخيل فقال: "هي لرجل أجر..." الحديث - وهو حديث الباب - ثم سئل عن الحمير، فقال: لم ينزل عليّ فيها إلا هذه الآية الفاذة: "فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره".

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: وجوب إخراج الزكاة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: مشاهد تعذيب مانعي الزكاة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أحوال الناس في اقتناء الخيل.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده بتضعيف الأجر.

سادسًا: من واجبات الداعية: الأمانة في البيان.

أولاً - من موضوعات الدعوة: وجوب إخراج الزكاة:

حيث جاء في الحديث: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاته)، قال المازري: "أصل الزكاة في اللغة: النماء فإن قيل: كيف يستقيم هذا الاشتقاق ومعلوم انتقاص المال بالإنفاق؟ قيل: وإن كان نقصًا في الحال فقد يفيد النمو في المآل يزيد في صلاح الأموال. وقد أفهم الشرع أنها شرعت للمواساة، وأن المواساة إنما تكون فيما له بَالٌ من الأموال، فلهذا حدّ النُّصب وكأنه لم ير فيما دونها محملاً لذلك، ثم وضعها في الأموال النامية العين والحرث والماشية فمن ذلك من ينمى بنفسه كالماشية والحرث، ومنها ما يَنْمى بتغير عينه وتقليبه كالعين، والإجماع على تعلق الزكاة بأعيان هذه المسميات. وأما تعلق الزكاة بما سواها من العروض فللفقهاء فيه اختلاف. وحدد الشرع نصاب كل جنس بما يحتمل المواساة"[2].

(١) المغني ٦٦/٤ ، والمجموع ٣٣٩/٥، والموسوعة الفقهية ٢٦٢/٢٣.

(٢) المعلم بفوائد مسلم ٢٦٤/١ - ٢٦٥.

والزكاة ركن من أركان الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[2]، وقد أكد الشرع الحنيف على ضرورة إخراج الزكاة وتوعد من لا يخرجها فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[3].

قال ابن كثير: "وأما الكنز فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة، وقال أيضًا: ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وما كان ظاهرًا لا تؤدى زكاته فهو كنز.."[4]، وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ تركَ بعدَهُ كنزًا مُثِّلَ لَهُ شجاعًا أَقْرَعَ يَوْمَ القيامَةِ له زبيبتان يَتْبَعُهُ فَيَقُولُ: مَنْ أنتَ؟ فيقولُ: أنا كنزكَ الذي خلفتَ بعدكَ، فلا يَزَالُ يَتْبَعُهُ حتى يُلْقِمَهُ يدَهُ فَيَقْضَمُهَا ثم يتبعهُ سائر جسدِه))[5].

وعن حكمة فريضة الزكاة يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: "ولما بلغ المجتمع الإسلامي غايته من رسوخ العقيدة والتربية الخلقية، والطاعة والانقياد، والسخاء والإيثار، والتجرد من الأنانية الفردية والجماعية، وقوي الإسلام بأهله وإيثار أتباعه، وتوّسع هذا المجتمع، وتنوعت فيه الأنماط البشرية والمستويات الخلقية، والروحية ففيه

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة البينة، آية: ٥.

(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤ - ٣٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٨/٤.

(٥) أخرجه البخاري ٤٦٥٩.

الغني والفقير والمتوسط بينهما، وفيه السخي الأريحي، الذي هوايته في الإنفاق والإيثار، وفيه الشحيح وفيه المقتصد والمتوسط، وكان ما يشرع في هذا المجتمع من أحكام، وما يطالب به من أعمال، هي الشريعة الخالدة العامة العالمية التي يمتثلها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وفي أوائل العصور وأواخرها، وفي بداية المدنية وبساطتها، وفي أوجها وتعقدها ومع القوة الإيمانية التي تحمل أكبر مغامرة، وتهون أعظم تضحية وتسيغ أكبر مشكلة، ومع ضعف الإيمان الذي قد يوجد في أطراف العالم الإسلامي البعيدة، وفي الأجيال المسلمة المتأخرة اقتضت حكمة الله ولطفه بعباده أن يُشرع للزكاة نظامًا مبين الحدود واضح المعالم معين النصاب، معلوم المقادير والأعداد، ويكون وسطًا بين الكثير والقليل، لا يستهين به الأغنياء الأسخياء أولو الهمم، ولا يقصر عنه المتوسطون أو دون المتوسطين ممن استوفى شروطها.

وأن لا يوكل ذلك إلى الرأي، ولا إلى همة الأفراد وطموحهم، ولا إلى الانفعالات الوجدانية العاطفية التي تكون في مد وجزر، وقوة وضعف، ولا إلى تشريع المشرعين، وحكمة العلماء والحكام، فلا ثقة بها في كل زمان ومكان، ولا يؤمن عليها من اتباع الهوى والأغراض ففرضت الزكاة، وحددت نصبها، ومقاديرها"[1].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار...)، قال القرطبي: "وقوله في الحديث: (فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره) قيل: إنما خصت هذه المواضع بالكي دون غيرها من أعضائه لتقطيبه وجهه في وجه السائل وازوراره عنه بجانبه، وانصرافه عنه بظهره. وقوله: (كلّما بردت أعيدت) كذا رواية السجزي، ولكافة الرواة: كلها ردت. والأول هو الصواب فتأمله، فإنه هو المناسب للمعنى"[2]، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تنأى بالمدعو عن مقارفة الآثام والوقوع في معصية الله، "والنفس البشرية بقدر ميلها

---

(١) الأركان الأربعة ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢٥/٣.

لأساليب الترغيب لحرصها على ما ينفعها فإنها بحاجة إلى الترهيب لردعها عن غيها وانحرافها عن الطريق المستقيم؛ لأن الترهيب فيه تخويف يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي الآثام، واجتناب الجرائم والذنوب، وبيان ما أعده الله من شديد العقاب وأليم العذاب لمن طغى وبغى وعصى"[١]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: مشاهد تعذيب مانعي الزكاة:

يتضح هذا من الحديث: (صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره...)، وقوله: (تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مرّ عليه أُولاَها رُدّ عليه أُخراها...)، وقوله: (تنطحه قرونها تطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها...)، وفي كل ذلك يقول في الحديث: (... في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)، وفي هذا كله بيان لمشاهد تعذيب مانعي الزكاة يوم القيامة، سواء كان صاحب ذهب وفضة أو صاحب إبل أو صاحب بقر وغنم، قال النووي: "وقوله ﷺ: (أوفر ما كانت لا يفقد فصيلاً واحدًا) وفي الرواية الأخرى: (أعظم ما كانت) هذا للزيادة في عقوبته بكثرتها وقوتها وكمال خلقها فتكون أثقل في وطئها كما أن ذوات القرون تكون بقرونها ليكون أنكى وأصوب لطعنها ونطحها"[٤]، قال ابن علان: "وقوله في الحديث: فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، خصت هذه الثلاثة لأن إمساك المال عن أداء الواجب لأجل الوجاهة وملء البطن من الأطعمة وستر الظهر باللباس، أو لأنه أعرض بوجهه عن

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٥١٥.

(٢) سورة النبأ، الآيتان: ٢١ - ٢٢.

(٣) سورة عبس، الآيات: ٤٠ - ٤٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٣٠.

الفقير وازورَّ عنه بجانبه وولاه ظهره، أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة لاشتمالها على الأعضاء الرئيسة الدماغ والقلب والكبد، أو المراد منها جهات البدن الأربع أمامه ووراءه ويمينه ويساره، كلما بردت عن الحمو ردت إلى النار لزيادة حموها وشدتها أعيدت له أحر وأشد مما كانت"[(1)].

وقال ابن حجر: "وفي الحديث تعظيم إثم مانع الزكاة والتنصيص على عظيم عقوبته في الدار الآخرة وتبري نبيه منه، وذلك مؤذن بانقطاع رجائه، وإنما تتفاوت الواجبات بتفاوت المثوبات والعقوبات، فما شددت عقوبته كان إيجابه آكد مما جاء فيه مطلق العقوبة، وقد جاء في الحديث: (إن الله يحي البهائم ليعاقب بها مانع الزكاة)، وفي ذلك معاملة له بنقيض قصده، لأنه قصد منع حق الله منها وهو الارتفاق والانتفاع بما يمنعه منها فكان ما قصد الانتفاع به أضر الأشياء عليه، والحكمة في كونها تعاد كلها مع أن حق الله فيها إنما هو في بعضها لأن الحق في جميع المال غير متميز، ولأن المال لما لم تخرج زكاته غير مطهر، وفيه أن في المال حقًا سوى الزكاة"[(2)].

رابعًا - موضوعات الدعوة: أحوال الناس في اقتناء الخيل:

إن الناس يتفاوتون فيما بينهم في الأجر حسب نياتهم، وفي اقتناء الخيل بيّن النبي ﷺ أحوال الناس فيها، وفي نيتهم لاقتنائها ويتضح هذا من الحديث لمَّا سئل رسول الله ﷺ عن الخيل قال: (الخيل ثلاثة: هي لرجل وزر، وهي لرجل ستر، وهي لرجل أجر، فأما التي هي له وزر فرجل ربطها رياءً وفخرًا ونواءً على أهل الإسلام، فهي له وزر، وأما التي هي له ستر فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها، ولا رقابها فهي له ستر، وأما التي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مَرْج أو رَوْضة ...).

وفي الحديث جعل النبي ﷺ أحوال الناس في اقتناء الخيل على ثلاث:

أولاً: هي لرجل وزر: حيث قال ﷺ: (فأما التي هي له وزر فرجل ربطها رياء وفخرًا ونواء على أهل الإسلام فهي له وزر) قال القاضي عياض: "وقوله: (نواء على أهل

---

(1) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٤٤.

(2) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٣١٥ - ٣١٦.

الإسلام) أي معاداة لهم، يقال: ناوأته نواء ومناوأة إذا عاديته"[١]، وقال النووي: "وقد جاء في رواية: (وأما التي هي عليه وزر فالذي يتخذها أَشَرًا أو بطرًا وبذخًا ورياء الناس قال أهل اللغة: الأشَرَ بفتح الهمزة والشين وهو المرح واللجاج، وأما البَطَر فالطغيان عند الحق وأما البَذَخ فبفتح الباء والذال المعجمة وهو بمعنى الأشر والبطر"[٢].

ثانيًا: هي لرجل ستر: حيث قال ﷺ: (وأما التي هي له ستر فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها فهي له ستر)، قال القرطبي: "وقوله: (فهي له ستر) أي حجاب من سؤال الغير عند حاجته لركوب فرس"[٣].

وقال القاضي عياض: "وقوله: (ربطها في سبيل الله) أي أعدها وأصله من الربط ومنه الرباط وهو حبس الرجل نفسه وإعداده الأهبة والعدة في الثغور وتجاه العدو وحق الله في رقابها وظهورها الصدقة مما يكسب عليها، وخص الرقاب لأنه موضع وضع اليد من الماسك والراكب"[٤].

وقال النووي: "والمراد بقوله: (ربطها في سبيل الله) أي أعدها للجهاد وأصله من الربط ومنه الرباط. والمراد بالحق في رقابها الإحسان إليها والقيام بعلفها وسائر مؤنها، والمراد بظهورها إطراق فحلها إذا طلبت عاريته وهذا على الندب، وقيل: المراد حق الله مما يكسب من مال العدو على ظهورها وهو خمس الغنيمة"[٥].

ثالثًا: هي لرجل أجر: حيث قال ﷺ: (وأما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج أو روضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات...) وفي هذا حث على اقتناء الخيل للغزو وفي سبيل الله ورباطها لذلك، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣/٤٩٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٣٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣/٢٨.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٤٩٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٣١.

عن النبي ﷺ قال: ((الْخَيْلُ ثَلاثَةٌ: فَفَرَسٌ لِلرَّحْمَنِ، وَفَرَسٌ لِلإِنْسَانِ، وَفَرَسٌ لِلشَّيْطَانِ، فَأَمَّا فَرَسُ الرَّحْمنِ، فَالَّذِي يُرْبَطُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَعَلَفُهُ، وَرَوْثُهُ، وَبَوْلُهُ، وَذَكَرَ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَأَمَّا فَرَسُ الشَّيْطَانِ، فَالَّذِي يُقَامَرُ، أَوْ يُرَاهَنُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا فَرَسُ الإِنْسَانِ، فَالْفَرَسُ يَرْتَبِطُهَا الإِنْسَانُ، يَلْتَمِسُ بَطْنَهَا، فَهِيَ تَسْتُرُ مِنْ فَقْرٍ))(١).

جاء في الموسوعة الفقهية: "الخيل جماعة الأفراس. والخيل مؤنثة ولا واحد لها من لفظها، أو واحدها خائل والجمع خيول وأخيال وسميت خيلاً لاختيالها أي إعجابها بنفسها مرحًا، وقد حث الشارع على اقتناء الخيل للجهاد وارتباطها في سبيل الله"(٢).

قال ابن عبدالبر: "وقوله: (ربطها في سبيل الله)، فإنه يعني: ارتبطها من الرباط، قال الخليل: الرباط ملازمة الثغور ومواظبة الصلاة. أيضًا قال: والرباط الشيء الذي يُربط به. وقال أبو حاتم عن أبي زيد: الرباط من الخيل الخمس فما فوقها، وقال الشاعر:

أمر الإله بربطها لعدوه ... في الحرب إن الله خير موفق (٣)

وينشد لابن عباس من قوله:

أحبوا الخيل واصطبروا عليها ... فإن العزَّ فيها والجمالا

إذا ما الخيل ضيَّعها أُناسٌ ... ربطناها فأشركت العيالا

نُقاسمها المعيشة كلَّ يوم ... ونكسوها البراقعَ والجلالا(٤)

ومن آيات القرآن التي تبين أهمية وفضل رباط الخيل في سبيل الله قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٥/١، رقم ٢٧٥٦، وقال محققو المسند: صحيح ٢٩٨/٦.

(٢) الموسوعة الفقهية ١٩١/٢٠.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٣٥/٤ من قصيدة لكعب بن مالك.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١١٧/١٢-١١٨. والأبيات، المستطرف في كل فن مستطرف ٢٤٠/٢.

وَعَدُوَّكُمْ﴾[١]، قال القاسمي: "الرباط في الأصل مصدر ربط، أي شد، ويطلق بمعنى المربوط وكثر استعماله في الخيل التي تربط في سبيل الله فالإضافة إما باعتبار عموم المفهوم الأصلي، أو بملاحظة كون الرباط مشتركًا بين معان أخرى، كانتظار الصلاة، وملازمة ثغر العدو، والمواظبة على الأمر، فإضافته لأحد معانيه للبيان، كعين الشمس ومنه يعلم أنه يجوز إضافة الشيء لنفسه إذا كان مشتركًا"[٢].

ومن الاحاديث التي تبين فضل رباط الخيل في سبيل الله قوله ﷺ في الحديث عن جرير بن عبدالله قال: رأيت رسول الله ﷺ يلوي ناصية فرس بإصبعه وهو يقول: ((الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالْغَنِيمَةُ))[٣].

قال النووي: "وقد جاء في رواية (الخير معقوص بنواصي الخيل) وفي رواية: (البركة في نواصي الخيل) والمعقود والمعقوص بمعنى ومعناه: ملوي مضفور فيها والمراد بالناصية هنا: الشعر المسترسل على الجبهة، قال الخطابي وغيره: قالوا: وكني بالناصية عن جميع ذات الفرس، وفي هذه الأحاديث استحباب رباط الخيل واقتنائها للغزو وقتال أعداء الله وأن فضلها وخيرها والجهاد باق إلى يوم القيامة"[٤].

ومن الأحاديث أيضًا ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((مَنِ احتبسَ فَرَسًا في سَبِيلِ اللهِ، إيمانًا بِاللهِ، وتَصْديقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ ورَوْثَهُ وبَوْلَهُ في مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ))[٥].

قال الطيبي: "قال التوربشتي: "حبسته وأحبسته واحتبس أيضًا بنفسه يتعدى ولا يتعدى، والمعنى أنه يحبسه لسد ما عسى أن يحدث في ثغر من الثغور من ثلمة، وقوله: (إيمانًا) مفعول له أي ربطه خالصًا لله تعالى امتثالاً لأمره. وقوله: (تصديقًا بوعده) عبارة

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) محاسن التأويل ٨٤/٨.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٤٩، ومسلم ١٨٧٢ واللفظ له.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٢٠٥ - ١٢٠٦.

(٥) أخرجه البخاري ٢٨٥٣.

عن الثواب المترتب على الاحتباس، تلخيصه أنه احتبس امتثالاً واحتسابًا وذلك أن الله تعالى وعد الثواب على الاحتباس، فمن احتبس فكأنه قال: صدقت فيما وعدتني"[1].

ومن خلال ما سبق يتضح أحوال الناس في اقتناء الخيل حسب نياتهم.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده بتضعيف الأجر:

يتضح هذا من الحديث: (فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات، وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات، ولانقطع طولها فاستنت شرفًا أو شرفين إلا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها حسنات، ولا مرّ بها صاحبها على نهر فشربت منه، ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات)، قال ابن عبدالبر: "وفي هذا الحديث من الفقه أن الأعيان لا يؤجر المرء في اكتسابها، إنما يؤجر في استعمال ما ورد الشرع بعمله مع النية التي تزكو بها الأعمال، إذا نوى بها صاحبها وجه الله والدار الآخرة، وما يقربه من ربه إذا كان ذلك على سنة، ألا ترى أن الخيل أجر لمن اكتسبها، ووزر على من اكتسبها، . على ما جاء به الحديث وهي جنس واحد. قال الله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾[2]. وقال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3] وقال عز وجل: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[4].

وفيه أن الحسنات تكتب للمرء إذا كان له فيها سبب ، وإن لم يقصد قصدها، تفضلاً من الله تعالى على عباده المؤمنين، ورحمة منه بهم وليس هذا حكم اكتساب السيئات - إن شاء الله - يدلك على ذلك أنه لم يذكر في هذا الحديث، حركات الخيل وتقلبها في سيئات المفتخر بها، كما ذكر ذلك في حسنات

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣١٧/٧.

(٢) سورة محمد، الآية: ٣١.

(٣) سورة هود، الآية: ٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢٩.

المحسنين المريدين بها البر، ألا ترى أنها لو قطعت حبلها نهارًا فأفسدت زرعًا أو رمحت، فقتلت أو جنت، إن صاحبها بريء من الضمان عند جميع أهل العلم. ويبين ذلك أيضًا قوله في هذا الحديث: ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك له حسنات. وفي هذا دليل على أن المسلم إذا صنع شيئًا يريد به الله عز وجل، فكل ما كان بسبب منه وإليه، كان له حكمه في الأجر، والله أعلم.

ومن هذا الباب قوله ﷺ: «من كان منتظرًا الصلاة فهو في صلاة»[1]. وقال ﷺ: «انتظار الصلاة بعد الصلاة ذلكم الرباط»[2]، لأن انتظار الصلاة سبب شهودها. وكذلك انتظار العدو في الموضع المخوف فيه إرصاد للعدو وقوة لأهل الموضع وعدة للقاء العدو، وسبب لذلك كله. ومنه قول معاذ بن جبل رضي الله عنه: واحتسب في نومتي، مثل ما احتسب في قومتي[3]، وكان ينام بعض الليل ويقوم بعضه، وبالنوم كان يقوى على القيام وكذلك يقوى برعي الخيل وأكلها وشربها، على ملاقاة العدو إذا احتيج إليها وهذا كله في تعظيم فضل الرباط، لأنه جلوس وانتظار واستعداد للعدو، مع ما فيه من الخوف والروعات أحيانًا. وقد يكتب للرجل عمله الذي كان يعمله إذا حبسه عنه عذر من مرض أو غيره وفي ذلك المعنى شعبة من هذا المبنى"[4].

وقال الطيبي: "وفي كتابة عدد أرواثها وأبوالها حسنات مبالغة في اعتداد الثواب، لأنه إذا اعتبر ما يستقذره النفوس، وينفر عنه الطباع، فكيف بغيرها، وكذا إذا احتسب ما لا نية له فيه، وقد ورد: (وإنما لكل امرئ ما نوى)، من شربها فما بال ما إذا قصد الاحتساب فيه"[5]، وما من شك أن هذا من فضل الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[6]،

---

(١) أخرجه أبو داود ١٠٤٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٩٢٤).

(٢) أخرجه مسلم ٢٥١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٩٢٣.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١٢/١١٥ - ١١٧.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٤/١١ - ١٢.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً))(١).

سادسًا – من واجبات الداعية: الأمانة في البيان:

حيث جاء في الحديث: (ما أنزل عليّ في الحمر شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة)، وهذا يعد من الأمانة في البيان، حيث لا يتقول ﷺ على الله ولا يفتي بغير علم ولا يبين أحكام الشرع بدون دليل، قال النووي: "ومعنى الحديث: لم ينزل علي فيها نص بعينها لكن نزلت هذه الآية العامة، وقد يحتج به من قال لا يجوز الاجتهاد للنبي ﷺ وإنما كان يحكم بالوحي، ويجاب للجمهور القائلين بجواز الاجتهاد بأنه لم يظهر فيها شيء"(٢)، وبناء على هذا كان من أهم واجبات الداعية الأمانة في البيان كما علم الله نبيه ﷺ أن يقول عندما سئل عن الساعة: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾(٣).

وليحذر الداعي إلى الله من الفتوى بغير علم فإنها أمانة، قال ابن مفلح: "قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا ترك العالم (لا أدري) أصيبت مقاتله. وقال مالك: كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين يسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء. وقال الشعبي: لا أدري نصف العلم وصح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة ماضية، ولا أدري. وقال أحمد في رواية المروزي: ليس كل شيء ينبغي أن يتكلم فيه، وكان النبي ﷺ يُسأل فيقول: لا أدري حتى أسأل جبريل، وقال سفيان: لقد كان الرجل يستفتى فيفتي وهو يرعد. وقال سفيان أيضًا: من فتنة الرجل إذا كان فقيهًا أن يكون الكلام أحب إليه من السكوت"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٩١، ومسلم ١٣١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣١.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٦٣.

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٦١/٢ – ٦٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من مهام المربي الأولى: بيان أسس التربية الإسلامية:

لقد بيّن النبي ﷺ أركان الإسلام فقال: (بني الإسلام على خمس...) ولما سأله الرجل النجدي عن أركان الإسلام العملية أخبره فقال: (خمس صلوات في اليوم والليلة)، ثم قال له: (وصيام شهر رمضان)، ثم ذكر له الزكاة، كما أنه ﷺ لما بعث معاذًا إلى قوم من أهل الكتاب أمره أن يبيّن لهم أركان الإسلام، كما أن النبي ﷺ أخبر أنه أُمر بقتال الناس حتى يأتوا بأركان الإسلام من الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

لقد بيّن النبي ﷺ أركان الإسلام في هذه الأحاديث، وفي ذلك إرشاد للمربين أن يبينوا للناشئة وغيرهم أسس التربية الإسلامية، وذلك لأن التربية الإسلامية تنبع وتصدر عن معين الإسلام، فأسس الإسلام هي أسس التربية، وأركانه هي أركانها. ليس هناك فرق بينهما ولا اختلاف، وعلى ذلك كان على المربين أن يبينوا الأسس التي تقوم عليها التربية، ويوضحوها لأتباعهم خير توضيح وخير بيان حتى تستقر في أذهانهم وتغرس في أفئدتهم، وينشؤوا على أن هذه الأسس هي التي تستخدم في بيان ما هو مقبول وما هو غير مقبول، وفي توضيح ما هو حق وما هو باطل، وفي التفريق بين الصواب والخطأ. وأسس التربية الإسلامية ما يلي:

(أ) الأساس العقدي: ويكون بإفراد الله بالوحدانية والعبادة وإخلاص العمل لوجهه، والإيمان بمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، ووجوب اتباعه فيما جاء به، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر.

(ب) الأساس التعبدي: ويشمل الصلاة والزكاة والصوم والحج.

(ج) الأساس التشريعي: ويشمل القواعد والضوابط التي نقيم عليها سلوكنا وننظم بها علاقاتنا التي ترسم لنا خطة حياتنا وسلوكنا[1].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٨ وما بعدها، وطرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى الشمري ص ٣٦ - ٣٨.

ثانيًا- التدرج في التعليم:

مبدأ التدرج في التعليم يتضح في حديثين من أحاديث الباب هما:

(أ) حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ، عندما جاء رجل من أهل البادية إلى رسول الله ﷺ يسأله عن الإسلام، أي إنه يريد أن يسأله عن كيف يكون مسلمًا، هذا هو الظاهر لنا من الحديث، فلم يعلّمه النبي ﷺ أركان الإسلام دفعة واحدة، بل علّمه - كما يتضح من الحديث - ركنًا بعد ركن حتى إذا عرف ركنًا علّمه الركن الذي بعده، وفي هذا زيادة عناية بتعليمه وتفهيمه.

(ب) عندما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن وبعثه إلى أهل كتاب، أمره بأن يسلك معهم سبيل التدريج في تعليمهم أركان الإسلام، ولا ينتقل من ركن إلى آخر إلا إذا آمنوا وصدّقوا بالأول.

وبناء على ذلك فإن المعلم عليه أن يراعي التدريج في تعليمه، إذا كان المقام يقتضي ذلك، وخاصة مع الطلبة الجدد، أو مع الدروس الطويلة المتشعبة، فلا ينتقل من نقطة إلى أخرى إلا بعد أن يتأكد أن طلابه أتقنوها وأجادوها، "إن على رجال التعليم والتربية الإسلامية، واجب تحبيب العلم لهم باتباع التدرج في تعليمهم وتربيتهم، "لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط، وكانت عاقبته غالبًا الازدياد بخلاف ضده"[1].

وقد صور ابن خلدون في مقدمته هذا المعنى أفضل تصوير حين دعا إلى التدرج في تلقين العلوم للمتعلمين فقال: (اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدًا إذا كان على التدريج شيئًا فشيئًا)، وهذا التدرج يمر بثلاث مراحل: تبدأ الأولى بعرض أصول الفن المراد تعليمه وتشرح له بإجمال، مراعيًا في ذلك قوة عقل طالب العلم واستعداده لتقبل تلك المعارف، ثم ينتقل المربي في المرحلة الثانية من الإجمال في الشرح إلى البسط والتوسع، ويصل في النهاية في المرحلة الثالثة إلى عرض دقائق ذلك العلم وبيان ما اعتورته

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١٧٣.

من خلافات وما تفرعت عنه من مسائل وبذلك (تجود ملكته) فيفتح له المربي مبهمات ذلك الفن ويطرق معه كل أسراره فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته)[1]، ذلك أن الطالب حينما يواجه منذ البداية بتلك المنغلقات (وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له، كلّ ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه، فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه، وإنما أتى ذلك من سوء التعليم)[2].

وإذا كان التدرُج مطلوبًا في التعليم، فإنه من ناحية أخرى قد يكون من الأنسب أن يعلّم الطالب دفعة واحدة، وذلك إذا كان عند الطلبة استعداد لذلك، وهذا يستمد من حديثين في الباب:

(أ) عن أبي أيوب رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة.

(ب) حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة.

فالملاحظ أن النبي ﷺ ذكر لهما الأعمال التي تدخلهما الجنة جملة واحدة، ولم يسلك معهم سبيل التدرُج، وذلك لأن المقام يقتضي ذلك، فالرجل جاء يسأل عن الجنة، وهذا ينبئ عن شغفه بالعلم واستعداده الطيب لأن يعمل كل ما يوصل إلى الجنة، سواء كان قليلاً أو كثيرًا، كما أنه يسأل عن الجنة وهي أغلى مقصود للمسلم، فيناسبها بذل السائل كل ما في طاقته لأن يفهم ويتعلم ويستوعب حتى يعمل ما يوصله إليها، فلم يكن التدرج هنا مناسبًا.

نخلص من ذلك كله أن التدرج في التعليم يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والأزمان، فقد يكون مناسبًا في موقف على حين لا يكون مناسبًا في غيره، وهذا يحتاج إلى فقه وفهم من المعلم والمربي، وكان النبي ﷺ أفقه الناس وأفهمهم.

ثالثًا- من مهام المعلم: التقويم:

لقد كان التقويم من النبي ﷺ واضحًا في حديثين من أحاديث الباب:

---

(١) مقدمة ابن خلدون ط/ دار الكتب العلمية ط/٤، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م وهي طبعة مصورة، ص ٥٣٣.

(٢) السابق ص ٥٣٤، وانظر: التربية في السنة النبوية ص ٦٩ - ٧٠.

(أ) قوله ﷺ: أفلح إن صدق، عندما أعلن الأعرابي النجدي أنه يلتزم بالصلاة والصيام والزكاة ولا يزيد على ذلك ولا ينقص، فقوم النبي ﷺ قوله ووصفه بالفلاح إن التزم ما عزم عليه.

(ب) قوله ﷺ: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا، عندما أقسم الأعرابي على أنه لا يزيد على ما أخبره النبي ﷺ أنه يدخله الجنة، فقوّم ﷺ فعله وأثنى عليه وأخبر أنه من أهل الجنة.

أي إننا أمام موقفين قوّمهما النبي ﷺ، وأثنى على صاحبيهما، كذلك فإن السنة النبوية مليئة بالمواقف التي قومها النبي ﷺ ولام أصحابها وحذر من إتيان أفعالهم، من ذلك عندما أُخبر ﷺ عن رجل نام ليلة حتى أصبح عاب على صاحبه وحطّ من فعله فقال: ذلك رجل بال الشيطان في أذنيه - أو قال في أذنه[1].

وحذّر ﷺ من فعل تارك قيام الليل فقال لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: يا عبدالله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل[2].

إن النبي ﷺ كان يقوّم باستمرار بتقويم أفعال أصحابه وأتباعه، وذلك بغية إصلاحهم، فيثني على الفعل الطيب ليستمر صاحبه عليه ويقتدي به غيره، ويذم الفعل القبيح ليقلع عنه صاحبه ويجتنبه غيره.

وهكذا تأتي عملية التقويم بثمارها التربوية الحيوية، وعلى ذلك فينبغي أن يقوم المربون والمعلمون بالتقويم المستمر، "وحتى يكون للتقويم أثره الصحيح لا بد من المصارحة بالأخطاء ونقدها بقوة -لا تخلو من أدب- فإن المجاملة والمواربة لا تصلحان في هذا المقام، الخطير الشأن، والقسوة في هذا المقام تشبه قَسْوة الجرّاح على المريض حين يسرّح مشرطه في جسده، لكنه يقدر أن هذا التسريح سيكون له أجمل العواقب وأحسنها، فلا يصح إذًا أن يغضب المرء من القوة والمصارحة حال التقويم، بل يبادر بالاعتذار المتلو بالتصحيح، وعلى المقوّم أن يحزم حينًا ويلين أخرى بحسب الحال

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري ١١٤٤، ومسلم ٧٧٤.
(٢) متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أخرجه البخاري ١١٥٢، ومسلم ١١٥٩.

والموقف حتى لا يسير بمن معه على وتيرة واحدة من الحزم واللين فيفسد العمل وينبغي أن يكون التقويم شاملاً لكل مناحي العمل فلا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ولا شاردة إلا قيدها ولا واردة إلا قومها وأعدّ لها العدة اللازمة، وبغير ذلك قد ينفذ الخلل في أثناء الصغائر ليقلبها كبائر، وقد يهدم البنيان الشامخ زوال لبنة منه أو اختلالها"[1].

رابعًا- التربية على الانصياع للحق:

لقد ناقش عمر بن الخطاب أبا بكر الصديق رضي الله عنهما في شأن الذين منعوا الزكاة والتسوية بينهم وبين من كفروا وخرجوا عن الإسلام، فبين له أبو بكر أنه يجب أن يقاتل الاثنين جميعًا، فإذا كان يقاتل من خرجوا عن الإسلام بسبب ردتهم، فإنه يقاتل أيضًا مانعي الزكاة مع بقائهم على الإسلام، لأنهم منعوا ركنًا من أركان الإسلام.

فلما بيّن أبو بكر ما عزم عليه عرف عمر بن الخطاب أنه الحق وانصاع وسلّم، ووقف معه يحارب المرتدين جميعًا حتى قيض الله النصر الباهر للمسلمين.

وفي ذلك إرشاد للمربين أن يربوا الناشئة على الانصياع للحق والتسليم له، لأن في ذلك فوائد تربوية مهمة، منها:

(أ) العمل على جمع كلمة المسلمين وجعلهم يدًا واحدة، لا تذهب بقوتها وهيبتها الأهواء والمنازعات والاختلافات ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾[2].

(ب) توفير الوقت والجهد الثمينين اللذين يضيعان في المجادلة بدون وجه من الحق، أو التي تستمر لعدم التسليم بالحق والاعتراف به والاستنكاف من ذلك.

(ج) نشر خلق التواضع واللين والرفق بين جموع الناس، لأن من عرف الحق تواضع ولان وكان رفيقًا، بخلاف من جهله أو استكبر عليه.

(د) نشر العلم الشرعي الصحيح، لأنه طريق معرفة الحق، والوصول إليه. وغير ذلك

---

(١) التدريب وأهميته في العمل الإسلامي، د. محمد موسى الشريف ص ٨٠.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

من الفوائد التي تنتج عن الانصياع للحق والتسليم به، فعلى المربين أن يسعوا جاهدين لغرس هذه القيمة النبيلة في نفوس الناشئة وغيرهم.

خامسًا- التربية على الأفعال التي توصل إلى الجنة:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين أشد الحرص على سؤال النبي ﷺ عن الأعمال التي توصل إلى الجنة، يتضح ذلك جليًا في حديث أبي أيوب رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، فأجابهما النبي ﷺ ودلهما على الأعمال التي توصل إلى هذه الغاية النبيلة، فكان ذلك منه ﷺ إرشادًا للمربين أن يربوا الناشئة وغيرهم ممن يربونهم على عمل الأعمال التي توصل إلى الجنة وتبعد عن النار ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[1]، يقول ابن القيم عن صفات طالب الجنة: (طالب النفوذ إلى الله والدار الآخرة، بل وإلى كل علم وصناعة ورئاسة بحيث يكون رأسًا في ذلك، مقتدى به فيه - يحتاج أن يكون شجاعًا مقدامًا، حاكمًا على وهمه، غير مقهور تحت سلطان تخيله، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجه إليه، عارفًا بطريق الوصول إليه، والطرق القواطع عنه، مقدام الهمة، ثابت الجأش لا يثنيه عن مطلوبه لوم لائم، ولا عذل عاذل، كثير السكون دائم الفكر غير مائل مع لذة المدح ولا ألم الذم، قائمًا بما يحتاج إليه من أسباب معونته لا تستفزه المعارضات، شعاره الصبر وراحته التعب، محبًا لمكارم الأخلاق، حافظًا لوقته لا يخالط الناس إلا على حذر كالطائر الذي يلتقط الحب بينهم، قائمًا على نفسه بالرغبة والرهبة، طامعًا في نتائج الاختصاص على بني جنسه، غير مرسل شيئًا من حواسه عبثًا، ولا مسرحًا خواطره في مراتب الكون، وملاك ذلك هجر العوائد، وقطع العلائق الحائلة بينك وبين المطلوب)[2].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٢) الفوائد ص ٢٧١ - ٢٧٢.

إن على المربين أن يربوا الناشئة وغيرهم على أن يكون مطلوبهم الجنة، فهي "الدار التي هيأها الله لمثوبة الصالحين من عباده، وأعد فيها من النعيم الروحي والمادي ما عبّر الله عنه في الحديث القدسي: ((أعددتُ لعبادي الصالحينَ ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطرَ على قلبِ بَشَر. فاقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1]))[2].

إن الحياة في هذه الدار هي الحياة الحقة، وإن نعيمها هو النعيم الذي يقصر الخيال البشري عن وصفه، إنه ليس نعيمًا روحيًا خالصًا، ولا نعيمًا ماديًا صرفًا، وإنما هو مزيج من الأمرين معًا، ذلك أن الإنسان نفسه ليس روحًا مجردة ولا مادة بحتًا، إنما هو مركب منهما، والإنسان في الآخرة امتداد لإنسان الدنيا، وإن اختلف الكيف والتفصيل فلا عجب أن يكون في الجنة فاكهة ولحم طير وحور عين ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[3]"[4].

سادسًا- من أساليب التربية: البيعة:

لقد بايع الصحابي الجليل جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم، والبيعة من الأساليب التربوية الخاصة التي لا تكون إلا لمن يتوافر فيه شروط خاصة ومواصفات معينة، إذ أن البيعة تعني: "المعاقدة والمعاهدة والتولية وبذل العهد على الطاعة والنصرة، ومنه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[5]"[6].

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٢٨٢٤.

(٣) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٤) الإيمان والحياة ص ٤٥ - ٤٦.

(٥) سورة الفتح، آية: ١٠.

(٦) معجم لغة الفقهاء ص ٩٥.

والمبايعة أصلها مشتقة من البيع فهي مفاعلة لأن كلا المتعاقدين بائع، ونقلت إلى معنى العهد على الطاعة والنصرة[١].

أي أن البيعة من أساليب التربية الخاصة التي هي أقرب إلى الاصطفاء والاختيار، لذلك ظهرت فيما يلي من مواقف:

أ/ استخدمت في بداية الدعوة إلى الإسلام كما هو واضح في بيعتي العقبة الأولى والثانية، فقد بايع الأنصار النبي ﷺ على أن يحموه مما يحمون منه أولادهم فكان عقدًا خاصًا مع الأنصار نظرًا لأنهم يسكنون موطنًا غير موطن الرسول ﷺ فكان من الاحتمال القوي أن يهاجر النبي ﷺ، وقد حدث هذا بالفعل، فكان الأنسب هنا البيعة ولا شيء غيرها.

ب/ استخدمت البيعة في غزوة الحديبية نظرًا لخطورة أمر مكة، والحاجة الشديدة لفتحها وتطهيرها من الرجس والأوثان، لأن بها بيت الله الحرام وموطن ظهور الإسلام، صحيح أن البيعة كانت على القتال، لكن يلزم عن ذلك عدم الانهزام أمام مشركي مكة مهما كانت الظروف والأحوال، مما يلزم عنه هزيمتهم ودخول مكة فاتحين ظافرين.

ج/ بايع النبي ﷺ النساء، نظرًا لدورهن الكبير في بناء المجتمع الإسلامي الذي يحتاج إلى الجهود الداخلية والخارجية معًا لجعل الكيان الإسلامي حقيقة واقعة للعيان، كما أن النساء يقع عليهن عبء كبير في تربية الأولاد وتوجيههم فاحتاج الأمر أن يبايعن النبي ﷺ على مكارم الأخلاق وفضائلها حتى يكن نموذجًا طيبًا لأولادهن وبناتهن، ومن ثم تكوين الأسرة الصالحة، وما المجتمع إلا عدد من الأسر فإذا صلحت الأسر صلح المجتمع.

د/ لم ينقل أن النبي ﷺ بايع جميع أصحابه بل كان يبايع بعضهم نظرًا لوجود ما يقتضي ذلك من ظروف ومهمات أو صفات تتوافر فيمن يبايعه النبي ﷺ.

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٠/٢٦/١٥٩.

والخلاصة أن البيعة أسلوب تربوي يلجأ إليه المربي مع الصفوة والنخبة من أتباعه إذا اقتضى الأمر ذلك حتى يخرج القادة والكبار والمبدعين والمبتكرين الحاملين لقيم المربي الناشرين لها المدافعين عنها.

سابعًا- التربية بالترهيب:

وهذا مستمد من حديث أبي هريرة ﷺ الطويل في الزكاة، حيث رهّب النبي ﷺ من منع الزكاة وذكر صورًا لعقاب بعض مانعي الزكاة، مثل:

(أ) صاحب الذهب والفضة الذي منع الزكاة فيهما بخلاً بهما وتكثيرًا لهما، ومباهاة بهما وتمتعًا ببريقهما ورونقهما الجذاب، من منعهما لذلك فإن الذهب والفضة يكونان عليه وبالاً يوم القيامة، إنه يعذب بهما بعد أن كان يعتقد أنهما يحميانه من السوء والضرر، وأنه يهان بهما بعد أن كان يعتقد أنهما سبب العزة والكرامة، وأنهما يكونان سبب قض مضجعه فجبينه وجنبه وظهره تكوى بهما، بعد أن كان يعتقد أنه ينام عليهما قرير العين مطمئنًا. والخلاصة أنه منع الزكاة في ذهبه وفضته ليحمياه من العذاب والهوان، فإذا بهما يكونان سبب عذابه وهوانه وذلته.

(ب) مانع زكاة الإبل خوفًا من نقصانها، إنه يكون سعيدًا في الدنيا عندما يراها أمام عينه وهي تروح وتجيء لا ينقص منها شيء، بل يعمل على زيادتها، إنها يوم القيامة تطؤه بأخفافها لا يخطئه فصيل واحد منها، فإذا بها مصدر لهوانه وذلّه بعد أن كانت مصدر عزه وافتخاره في الدنيا.

(ج) وكذلك الحال مع صاحب البقر والغنم المانع الزكاة فيهما.

إن هذا الحديث يشتمل على الترهيب من منع الزكاة وعدم إعطائها لمستحقيها وفيه إرشاد للمربين أن يريوا الناشئة وغيرهم على أنهم لا يفرحون بمنع شيء واجب عليهم، ولا يسعدون بذلك أبدًا لأن ذلك وبال عليهم بدلاً من أن يكون مصدر تمتعهم وسعادتهم كما يعتقدون ويظنون. إن من منع العلم - مثلاً - بخلاً به وضنًا به ومباهاة به فإنه يعاقب على ذلك يوم القيامة حيث لن ينفعه علمه في الجدال والمناقشة ودفع ما هو ثابت عليه، فقد غاب عنه ما حبسه عن الخلق وقت الاحتياج له، ولا شك أن التربية على

هذا المبدأ المهمّ يحقق فوائد تربوية مهمة، منها:

(أ) المسارعة إلى تأدية الواجبات والالتزامات وعدم تأخيرها لأي سبب من الأسباب والدوافع.

(ب) إشاعة التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، ونشر روح التعاون على البرّ والتقوى، وتوفير احتياجات أصحاب الحاجات.

ثامنًا- التربية على الاستنباط:

لقد سئل النبي ﷺ عن الحمُرُ فقال ﷺ: ما أنزل عليّ في الحمر شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[1]، قال ابن حجر: (قال ابن بطال: فيه تعليم الاستنباط والقياس، لأنه شبه ما لم يذكر الله حكمه في كتابه وهو الحمر بما ذكره من عمل مثقال ذرة من خير أو شر إذ كان معناهما واحدًا)[2].

يقول محمد عبدالله الدويش: (ثمة سؤال يفرض نفسه ويقفز إلى أذهاننا: هل نحن نعنى بتعليم الناس وتهيئتهم ليكونوا أهل علم يستنبطون ويبدعون ويبتكرون أم إننا نربيهم على تلقي أقوال أساتذتهم بالتسليم دون مراجعة، وربما دون فهم لمضمون القول؟

هل نرى أهدافنا في التعليم أن نربي ملكة التفكير والإبداع لدى طلابنا وأن نعودّهم على استنباط الأحكام الشرعية من النصوص وعلى الجمع بين ما يبدو متعارضًا؟

وهل من أهدافنا تربيتهم على تنزيل الأحكام الشرعية على الوقائع التي يرونها؟

إن المتأمل في واقع التعليم الذي نقدمه لأبنائنا ليلحظ أننا كثيرًا ما نستطرد في السرد العلمي المجرد ونشعر بارتياح أكثر حين نقدم للطالب كمًا هائلاً من المعلومات، وهو الآخر، لما غرسنا لديه، يقيس مدى النجاح والإنجاز بقدر ما يسطره مما يسمعه من

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/١٤١٠ .

أستاذه، والتقويم والامتحان إنما هو أساس ما حفظه الطالب من معلومات واستطاع استدعاء ذلك وتذكره.

وشيء من ذلك حق ولا شك، لكن توجيه الجهد لهذا النوع وهذا النمط من التعليم لا يعدو أن يخرّج جيلاً يحفظ المسائل والمعارف ثم ينساها بعد ذلك، أو يكون ظلاً لأستاذه وشيخه. ولأن تعلّم الجائع صيد السمك خير من أن تعطيه ألف سمكة.

وقل مثل ذلك في الأعمال الدعوية التي نقوم بها، فهل نربي الناس على أن يكونوا عاملين مشاركين مبدعين، أم نربيهم على مجرد الاتباع والتقليد لما عليه كبراؤهم؟

أما النبي ﷺ فكانت تربيته لأصحابه رضي الله عنهم لونًا آخر، ففي تربيته العلمية لهم خرّج علماء وفقهاء ولم يكن يقتصر على مجرد إعطاء معلومات مجردة.

وكشف الواقع آثار هذه التربية النبوية، ففي ميدان العلم واجهت أصحابه قضايا طارئة مستجدة، لكنهم لم يقفوا أمامها حيارى، فاستثمروا نتاج المادة العلمية التي تلقوها، ولذا اجتهدوا في جمع القرآن وجلد الشارب والخراج واتخاذ السجون وغيرها، وفي ميدان الجهاد وإدارة الدولة والدعوة قضوا في شهور على المرتدين بعد أن حسموا الموقف الشرعي من قضية الردة، ثم اتسعت الدولة ووطئت أقدام أصحاب النبي ﷺ بلاد المشرق حتى وصلوا أذربيجان وما وراء النهر، وبلاد المغرب حتى وصلوا غرب أفريقيا، ودفن منهم من دفن تحت أسوار القسطنطينية، ولو تربى أولئك على غير هذه التربية لما صنعوا ما صنعوا، فأين المربون اليوم الذين يترك أحدهم الفراغ حين يمضي؟ أين هم من هذه التربية النبوية؟)[1].



---

(١) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان ١٢٥، ص ٣٦- ٣٨.




فهرس المحتويات



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضـــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة